

منبر

الجمعة

من الحرم

المكي

الجزء

الأول

بقلم الدكتور صالح بن محمد آل طالب
جمع وترتيب إبتهاج حجازي بدوي سالم غبور

مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُخْرِجِ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجِ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ، يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ
النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ،
الْعَلِيمُ بِمَا تُخْفِي الصُّدُورُ وَتُبْدِيهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَ أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى وَلَا تُعَدُّ ،
وَأَعُوذُ بِهِ مِنْ سَخَطِهِ وَغَضَبِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَ
الْحَمْدُ وَ النِّعْمَةُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ،
هُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَ الْمُرْسَلِينَ ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْأَمِينُ الْمَبْعُوثُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَحَيٍّ .

أَمَّا

بَعْدُ :

يَقُولُ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي مُحْكَمِ آيَاتِهِ

بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ
ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٩) ﴿١﴾

وَقَدْ قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - " صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي " أَخْرَجَهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ
بِسَنَدٍ صَحِيحٍ .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : " كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ
خُطْبَتَيْنِ يَقْعُدُ بَيْنَهُمَا " متفق عليه

وهذا يؤكد أنه " لَا تَصِحُّ الْجُمُعَةُ حَتَّى يَتَقَدَّمَهَا خُطْبَتَانِ "

و لما كانت خطب الجمعة التي شهدها منبر الحرم المكي مجلس فقهي إسلامي قِيمَ ثمين ، لما
تضمنته من درر فقهية إسلامية نفيسة ، تحث على إخلاص العبادة لله وعلى التحلي بالفضيلة
ومكارم الأخلاق ، فقد حَرَصْتُ على تجميع جميع خطب الجمعة التي ألقاها الدكتور صالح
بن محمد آل طالب بالمسجد الحرام ، والدكتور صالح بن محمد آل طالب وهو إمام الحرم
المكي منذ عام ١٤٢٣ هـ .

وهذا الكتاب الذي بين أيديكم هو بمثابة الجزء الأول من خطب الدكتور صالح بن محمد آل
طالب ، وهو يتضمن جميع خطب الجمعة التي ألقاها الدكتور صالح بن محمد آل طالب في
المسجد الحرام خلال السنوات الهجرية التالية :-

١٤٢٩ هـ - ١٤٣٠ هـ - ١٤٣١ هـ - ١٤٣٢ هـ - ١٤٣٣ هـ - ١٤٣٤ هـ

وكل هذه الخطب حصلت عليها من موقع الرئاسة العامة للبحرین الشريفین ، فيما عدا
الخطب التالية :

(١) " عظات وعبر من قصة يوسف عليه السلام " و التي ألقى بتاريخ عشرين من جمادى
الآخر من عام ١٤٣٣ هـ

فقد حصلت عليها من موقع اليوتيوب ، وهي متوفرة على الرابط التالي :-

<https://www.youtube.com/watch?v=l۳Zb۵SSpZRg>

(٢) " بر الوالدين سبب لتفريج الكرب وإجابة الدعاء " والتي ألقيت بتاريخ الأول من صفر من عام ١٤٢٩ هـ

فقد حصلت عليها من موقع المكتبة الصوتية الكبرى ، وذلك في صورة ملف صوتي ، وهي متوفرة بالموقع على الرابط التالي :

<http://www.aqbas.com/audios/۲۳۸۵/>

وبعد أن قمت بتفريغها قمت بمقارنة بعض مقاطعها مع تلك المقاطع التي أوردتها جريدة الرياض الصادرة بتاريخ السبت الموافق للثاني من صفر من عام ١٤٢٩ هـ الموافق للتاسع من فبراير من عام ٢٠٠٨ م ، وذلك في العدد رقم ١٤٤٧٤ ، وذلك في حديثها عن خطبة الجمعة الخاصة باليوم السابق ، و التي أذيعت من الحرم المكي ، وقد تناولت الجريدة الحديث عنها في مقال بقسم الخليات ، و كان عنوان المقال " إمام وخطيب المسجد الحرام يدعو إلى بر الوالدين والإحسان إليهما " و هي متوفرة على الرابط التالي

<http://www.alriyadh.com/۳۱۶۱۱۹>

(٣) " شمائل الحبيب صلى الله عليه و سلم " والتي ألقيت بتاريخ الخامس من ربيع الآخر من عام ١٤٢٩ هـ

فقد حصلت عليها من موقع الألوكة ، وهو موقع يشرف عليه كلاً من :-
الدكتور سعد بن عبد الله الحميد ، والدكتور خالد بن عبد الرحمن الجريسي

وهي متوفرة بالموقع على الرابط التالي :-

<http://www.alukah.net/sharia//۲۲۹۵/۱۲۲۰>

كما أنها متوفرة بموقع المسلم في صورة ملف صوتي ، وهو موقع أليكتروني يشرف عليه الدكتور ناصر بن سليمان العمر ، وهي متوفرة بالموقع على الرابط التالي

<http://almoslim.net/node/91715>

(٤) " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ " والتي أُلقيت بتاريخ الخامس عشر من رجب من عام ١٤٢٩ هـ

فقد حصلت عليها في صورة ملف صوتي من موقع المكتبة الصوتية الكبرى ، وذلك من الرابط التالي

<http://www.aqbas.com/audios//٢١٦٣>

وبعد أن قمت بتفريغها قمت بمضاهاة بعض مقاطعها مع تلك المقاطع التي أوردتها جريدة الرياض الصادرة بتاريخ السبت الموافق للسادس عشر من رجب من عام ١٤٢٩ هـ والموافق للتاسع عشر من يوليو من عام ٢٠٠٨ م ، وذلك في العدد رقم ١٤٦٣٥ ، وذلك في حديثها عن خطبة الجمعة الخاصة باليوم السابق ، و التي أذيعت من الحرم المكي ، وقد تناولت الجريدة الحديث عنها في مقال بقسم المتابعات ، و كان عنوان المقال " إمام المسجد الحرام في خطبة الجمعة:

" الحوار لا يعني صهر الأديان والمذاهب بحجة التقريب بينها " .

وقد قمت بتقسيم الكتاب إلى ستة فصول ، ألا وهي : -

(١) الفصل الأول بعنوان : منبر الجمعة من الحرم المكي للعام الهجري ١٤٢٩ هـ

(٢) الفصل الثاني : منبر الجمعة من الحرم المكي للعام الهجري ١٤٣٠ هـ

(٣) الفصل الثالث : منبر الجمعة من الحرم المكي للعام الهجري ١٤٣١ هـ

(٤) الفصل الرابع : منبر الجمعة من الحرم المكي للعام الهجري ١٤٣٢ هـ

(٥) الفصل الخامس : منبر الجمعة من الحرم المكي للعام الهجري ١٤٣٣ هـ

(٦) الفصل السادس : منبر الجمعة من الحرم المكي للعام الهجري ١٤٣٤ هـ

أما بالنسبة للسيرة الذاتية للدكتور صالح بن محمد آل طالب أحد أئمة الحرم المكي ، وصاحب الخطب التي يتضمنها هذا الكتاب الذي بين أيديكم فقد حاولت الحصول عليها من مصدر موثوق منه ، فقامت بمراجعة موقع الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي على الرابط التالي

<http://www.alharamain.gov.sa/index.cfm?do=cms.conarticle&contentid=5943&categoryid=1025>

لكنني لم أجد به إلا القليل من المعلومات ، ألا وهي المعلومات التالية :-

" الشيخ / صالح بن محمد بن إبراهيم آل طالب من مواليد الرياض في ١٦/٧/١٣٩٣ هـ ،
تخرج من كلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١٥ هـ ، وحصل
على الماجستير من المعهد العالي للقضاء عام ١٤١٧ هـ وعين قاضياً بالمحكمة الشرعية بترتبة
عام ١٤١٨ هـ ثم انتقل إلى محكمة رابع عام ١٤٢٠ هـ واستمر بها حتى عام ١٤٢٢ هـ
ثم كلف بالعمل قاضياً بمحكمة مكة المكرمة في ١/١٢/١٤٢٢ هـ ، ثم صدر الأمر السامي
بتعيينه إماماً وخطيباً بالمسجد الحرام في ٢٨/٨/١٤٢٣ هـ
له مشاركات دعوية في الداخل والخارج وهو عضو في فريق التحكيم السعودي وكان رئيساً
لجمعية تحفيظ القرآن الكريم برابع عام ١٤٢٠ هـ "

و قد قمت بمراسلة الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي على البريد
الإلكتروني التالي

Contact_us@gph.gov.sa

وذلك للحصول على سيرة ذاتية كافية ووافية للشيخ الدكتور صالح بن محمد آل طالب لكنهم تكرموا مشكورين بعدم الرد .

أما بالنسبة لتلقيه بالدكتور صالح بن محمد آل طالب فإنني قد قمت بمراجعة العدد رقم ١٦٧٦٢ من جريدة الرياض والصادرة يوم الجمعة الموافق للسابع عشر من رجب من عام ١٤٣٥ هـ الموافق للسادس عشر من مايو من عام ٢٠١٤م فوجدت أن الجريدة لقبته بالدكتور وذلك في مقال بعنوان " إمام وخطيب المسجد الحرام يلتقي مفتي أستراليا " والمقال ورد بقسم الشؤون الدولية من الجريدة .

كما وجدت أن الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي قد نشرت على موقعها مقالاً قد نشرته صحيفة الندوة بعنوان " آل طالب

يُحاضر عـن (عـ) زني في حـجـ (اي) " وذلك على الرابط التالي

<http://www.gph.gov.sa/index.cfm?do=cms.conarticle&contentid=7433&categoryid=10>

وكانت الصحيفة قد نشرته في الصفحة رقم ١٣ من العدد رقم ١٥٦٥٣ ، وقد نعتته في المقال بـ " فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن محمد آل طالب إمام وخطيب المسجد الحرام والقاضي بالحكمة الكبرى بمكة المكرمة "

كما وجدت أن الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي قد نشرت على موقعها مقالاً قد نشرته صحيفة الاقتصادية بعنوان " إمام وخطيب المسجد الحرام يزور مدرسة الملك فهد الإسلامية في سيدي " وذلك على الرابط التالي

www.gph.gov.sa/index.cfm?do=cms.conarticle&contentid=١٠&categoryid=١٢٠٣٧d=

وقد ورد المقال في الصفحة رقم ٢٧ من العدد رقم ٧٥٢١ والصادر بتاريخ السادس عشر من رجب من عام ١٤٣٥ هـ ، وقد نعتته في المقال بـ " إمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة الشيخ الدكتور صالح بن محمد آل طالب " مما يعني أنه قد حصل على درجة الدكتوراه .

الفصل الأول

منبر الجمعة من الحرم المكي للعام
الهجري ١٤٢٩ هـ

عنوان الخطبة : بر الوالدين سبب لتفريج الكرب وإجابة الدعاء

تاريخ إلقاء الخطبة : الأول من صفر من عام ١٤٢٩ هـ

بر الوالدين سبب لتفريج الكرب وإجابة الدعاء

الخطبة

أول

—

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، عز عن الشبيه وعن الند وعن النظير ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفيه من خلقه ، البشير النذير ، والسراج المنير ، صلى الله عليه و على آله و صحبه و التابعين ، وسلم تسليماً كبيراً إلى يوم المصير .

أما بعد : —

فاتقوا الله تعالى أيها الناس ، فإن خير الزاد التقوى ، واستمسكوا بكلمة الإخلاص فهي العروة الوثقى ، ولا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا تلهينكم عن الأخرى ، فإن أمامكم موتاً وقبرا ، ثم نشراً وحشراً ، والمصير إما إلى جنة ، أو نار .

أيها المسلمون :—

إن الحياة وهي مندفعة في طريقها بالأحياء توجه اهتمام الأحياء إلى الأمام ، إلى الناشئة الجديدة والجيل المقبل ، إلى الأبناء ، وقلما توجه اهتمامهم إلى الوراء ، إلى الحياة المولية والجيل الذاهب

، وإن الآباء و الامهات ليندفعون بالفطرة إلى رعاية الأولاد ، والتضحية بكل شيء حتى بالذات ، في سبيل رعاية الأولاد وإسعادهم ، وكما تمتص النابتة الخضراء كل غذاء في الحبة فإذا هي قتات ، ويمتص الفرخ كل غذاء في البيضة فإذا هي قشر ، فكذلك يمتص الأولاد كل رحيق وعافية ، وكل جهد واهتمام من الوالدين ، فإذا هما شيخوخة فانية ، وشخص منهنكة بالية ، أما الأولاد فسرعان ما ينسون هذا كله

ويندفعون بدورهم إلى الأمام ، إلى الزوجات والذرية ، وهكذا تسير الحياة لذا فلا يحتاج الآباء إلى سبيل توصية بالأبناء ، إنما الأبناء هم الذين يحتاجون إلى من يستبشح وجدانهم لينعطفوا إلى الوراء ، ويتلفتوا إلى الآباء والأمهات ، ليذكروا واجب الجيل الذي أنفق رحيقه كله حتى ادركه الجفاف . وهنا يجيء الأمر بالإحسان إلى الوالدين في صورة قضاء محتوم يحمل معنى الأمر والإلزام ، بعد الأمر بعبادة الله وتوحيده

يقول الحق عز وجل ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (٢٣) ٢

أيها المسلمون حق الوالدين من أعظم الواجبات ، وأجره من أوفر الحسنات ، وبرهما شرف الدنيا وفلاح الآخرة ، زكى به الله نبيه يحيى بقوله ﴿ وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ (١٤) ٣

وتمدح به عيسى عليه السلام بقوله ﴿ وَبِرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ (٣٢) ٤ وهو ميثاق الله على الأولين ، يقول الحق عز وجل ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (٨٣) ٥

٢ سورة الإسراء

٣ سورة مريم

٤ سورة مريم

٥ سورة البقرة

وهو أمر الله لكل المؤمنين ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (٣٦) ٦

وفي سورة الأنعام ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (١٥١) ٧

قرن الله حقه بحقهما ، وشكره بشكرهما ، يقول الحق عز وجل ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ من الله نعمة الخلق والإيجاد ، ومن الوالدين بأمر الله النسل والإيلاج

الأب والأم كم شقيا لتسعد ، وكم سهرا لتنعيم ، هما سبب وجودك ، وأصل حياتك ، كم عانت أملك في حملك ، ورأت الموت عند وضعك ، وعانت آلامها لتستقبل حياتك بشوق عارم وعين متلهفة ، كفكت من عبراها ، وجففت من دمعاتها لتستقبلك بوجه بسام وجبين وضاح ، الأم ذلك المخلوق الضعيف والروح اللطيف ، هي الأم الرؤوم والقلب الحنون ، تنزع إلى حضنها وتدفن رأسك في صدرها ، لا تعلم ملجأ ولا ملاذا سواها ، فإذا كبرت لم تنزل لك مداد الرحمة والأنس ، ولم يزل صدرها لك معطاء بساما ، ولا أصدق في وصف معاناتها من قول الله عز وجل ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (١٤) ٨

وقوله ﴿كُرْهًا وَوَضَعْتَهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٥) ٩

٦ سورة النساء

٧ سورة الأنعام

٨ سورة لقمان

٩ سورة الأحقاف

هذه وصية الله تعالى لكم أيها المسلمون ، الإحسان إلى الوالدين .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟ قَالَ : " الصَّلَاةُ عَلَى وَفَّيْهَا " ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : " بِرُّ الْوَالِدَيْنِ " ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : " الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " ^{١٠} .

نعم الصلاة ، ثم بر الوالدين ، ثم الجهاد في سبيل الله ، فحق الوالدين مقدم على الجهاد

عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، قَالَ : " أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : أَبَايُكَ عَلَى الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ ، قَالَ : فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، بَلْ كِلَاهُمَا ، قَالَ : فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا . " ^{١١} ؛ متفق عليه

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : هَاجَرَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْيَمَنِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " هَجَرْتَ الشَّرْكَ وَلَكِنَّهُ الْجِهَادُ ، هَلْ بِالْيَمَنِ أَبَوَاكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : " أَذِنَا لَكَ ؟ " ، قَالَ : لَا ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ارْجِعْ إِلَى أَبَوَيْكَ ، فَاسْتَأْذِنْهُمَا ، فَإِنْ فَعَلَا ، وَإِلَّا فَبِرَّهُمَا " ^{١٢} ؛ رواه أحمد في مسنده

عَنْ أَنَسٍ قَالَ : أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : إِنِّي أَشْتَهِي الْجِهَادَ وَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ . قَالَ : " هَلْ بَقِيَ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ ؟ " . قَالَ : أُمِّي . قَالَ :

¹⁰ متفق عليه

¹¹ متفق عليه

¹² رواه أحمد في مسنده

" :فَأَبَلِ اللَّهُ فِي بَرِّهَا ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كَانَ لَكَ أَجْرٌ حَاجٌّ وَمُعْتَمِرٌ وَمُجَاهِدٌ ،
فَإِذَا رَضِيتُ عَنْكَ أُمُّكَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَبَرِّهَا . " رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ
وَالْأَوْسَطِ وَرِجَالُهُمَا رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ مَيِّمُونَ بِنِ نَجِيحٍ وَوَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ .

إن حق الوالد لا يقبل مساومة ، حتى ولو كان الأمر يتعلق بالجهاد .

الأم طريق الجنة

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السُّلَمِيِّ ، قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ
: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالْدَّارَ
الْآخِرَةَ ، قَالَ : " وَيْحَكَ ، أَحْيَا أُمُّكَ ؟ " قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : " ارْجِعْ ، فَبَرِّهَا " ،
ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ
مَعَكَ أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ ، قَالَ : " وَيْحَكَ ، أَحْيَا أُمُّكَ " ، قُلْتُ
: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : " فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَبَرِّهَا " ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنْ أَمَامِهِ فَقُلْتُ : يَا
رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ ،
قَالَ : " وَيْحَكَ ، أَحْيَا أُمُّكَ " ، قُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : " وَيْحَكَ الزَّمْ
رِجْلَهَا فَتَمَّ الْجَنَّةُ " . رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ

نعم الجنة ميعاد الله للأبرار ، وميراث البررة الأخيار .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " دَخَلْتُ
الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ فِيهَا قِرَاءَةَ فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ " ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : " كَذَلِكُمُ الْبِرُّ كَذَلِكُمُ الْبِرُّ " . أَخْرَجَهُ

الحاكم والبغوي بإسناد صحيح

لذا قال النبي " الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَإِنْ شِئْتَ فَحَافِظُ عَلَى الْبَابِ أَوْ ضَيِّعْ
" رواه الترمذي بإسناد صحيح

أيها المسلمون : البرُّ دينٌ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ " عِفُّوا عَنْ نِسَاءِ النَّاسِ نِسَاءُكُمْ ، وَبِرُّوا آبَاءَكُمْ
تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ " أخرجه الطبراني والحاكم والهيثمي بأسانيد صحيحة

والبر سبب في طول العمر كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " لَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ ،
وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحَرِّمُ الرِّزْقَ بِخَطِيئَةٍ يَعْمَلُهَا . " رواه الترمذي وابن
ماجة

وفي الصحيحين قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَأَنْ
يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ . "

ولا رحمة أعظم من رحمة الوالدين .

والبر بالوالدين سبب في تفريج الكرب ، وإجابة الدعاء ، والنجاة من المضائق والمصائب ،
وحديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم صخرة الغار ، فجاء أحدهم ربه يبره بوالديه الشيخين
الكبيرين ففرج الله عنهم ، وانفرجت صخرة الغار ، فخرجوا يمشون
عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ " : بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرَ
مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصَّدَقُ فَلِيدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ ،
فَقَالَ : وَاحِدٌ مِنْهُمْ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرَزُّ فَذَهَبَ
وَتَرَكَهُ ، وَأَتَيْتُ عَمَدَتِي إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَرَزَعْتُهُ فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقْرًا وَأَنَّهُ أَتَانِي

يَطْلُبُ أَجْرَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : اْعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ فَسُقْهَا ، فَقَالَ لِي : إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرْقٌ مِنْ أَرزٍّ ، فَقُلْتُ لَهُ : اْعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرْقِ فَسَاقَهَا فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَاْنْسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ ، فَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، فَكُنْتُ آتِيَهُمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بَلْبَنٍ غَنَمٍ لِي فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغُونَ مِنَ الْجُوعِ فَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَوْقِظَهُمَا وَكَرِهْتُ أَنْ أَدْعُهُمَا فَيَسْتَكِنَا لِشَرِبَتِهِمَا ، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَاْنْسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ ، فَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةٌ عَمٌّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا فَأَمَكَّتْنِي مِنْ نَفْسِهَا فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا ، فَقَالَتْ : اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْضُ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا . " متفق عليه

أيها المسلمون :-

ومن بر الوالدين إطعامهما ، وكسوقهما ، وخدمتهما ، وامتنال أمرهما ما لم تكن معصية ، وتقديم هواهما ورغباتهما على رغبات النفس ، واحتساب ذلك عند الله ، والتكلم معهما بلين ، ومعاملتهم بالرفق واللطف خاصة مع الكبر ، وأن لا يمشي خلفهما ، ولا يدعوهم باسمهما الجرد ، بل يوقرهما ويتلطف إليهما ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (٢٤) ١٣

وأن يدعو لهما ، ويستغفر لهما ﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (٢٤) ١٤

13 سورة الإسراء

14 سورة الإسراء

وفي الأدب المفرد للبخاري عن ابن عباس ، قَالَ : " مَا مِنْ مُسْلِمٍ لَهُ وَالِدَانِ مُسْلِمَانِ يُصْبِحُ إِلَيْهِمَا مُحْسِنًا ، إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ لَهُ بَابَيْنِ يَعْني مِنَ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا فَوَاحِدًا ، وَإِنْ أَغْضَبَ أَحَدَهُمَا لَمْ يَرْضَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ ، قَالَ : وَإِنْ ظَلَمَاهُ ؟ قَالَ : وَإِنْ ظَلَمَاهُ . "

وفيه أيضا " عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنِّي خَطَبْتُ امْرَأَةً ، فَأَبَتْ أَنْ تَنْكِحَنِي ، وَخَطَبْتُهَا غَيْرِي ، فَأَحَبَّتْ أَنْ تَنْكِحَهُ ، فَعَرْتُ عَلَيْهَا فَقَتَلْتُهَا ، فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ ؟ قَالَ : أُمِّكَ حَيَّةٌ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : تَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ مَا اسْتَطَعْتَ ، فَذَهَبْتُ فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ : لِمَ سَأَلْتَهُ عَنْ حَيَاةِ أُمِّهِ ؟ فَقَالَ : إِنِّي لَا أَعْلَمُ عَمَلًا أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بَرِّ الْوَالِدَةِ . "

عباد الله :-

وللأم حق مقدم مراعاة لضعفها ، ومعاناتها ، ولحملها ، ووضعها ، وتربيتها ، والغالب أنها تحملت من المشقة ما لم يتحمله غيرها ، فكانت الوصية بالعناية بها أبلغ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي ؟ قَالَ : " أُمِّكَ " قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : " ثُمَّ أُمِّكَ " قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : " ثُمَّ أُمِّكَ " قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : " ثُمَّ أَبُوكَ " . متفق عليه

عَنِ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِي كَرَبَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ " إِنْ اللَّهُ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ إِنْ اللَّهُ يُوصِيكُمْ بِآبَائِكُمْ إِنْ اللَّهُ يُوصِيكُمْ بِالْأَقْرَبِ فَأَلْقُرَبِ " رواه ابن

ماجة

قال أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه " : -شهد ابن عمر رجلاً يمانياً يطوف بالبيت قد حمل أمه على ظهره، وهو يقول: إني لها بعيرها المذل إن أذعرت ركابها لم أذعري ثم قال: يا ابن عمر، أتراني جزيتها؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة."

أيها المسلمون :-

حاجة الأبوين عند الكبر ، حاجة الأبوين عند الكبر تفوق كل حاجة خاصة في جانب الشعور والواقع النفسي ، فيكون الشعور مرهفا ، والنفس حساسة ، هما أحوج ما يكون إلى الرفق والملاطفة ، والأنس والعناية ، هما أحوج ما يكون إلى الرفق والملاطفة ، والأنس والعناية ، وإظهار الاهتمام بهما .

إنك لتحزن حين ترى الكبير منهما في وحدته مغرقا في مناجاته ، مبحرا في همومه وشكاته . لا يريد طعاما ، ولا شرابا ، ولا مالا ، إنما يريد لمسة اهتمام من بنيه وبناته .

عباد الله :-

لقد جُبلت النفوس على الإحسان لمن أحسن إليها ، ولا منة بين المخلوقين أعظم من منة الوالدان على ولدهما ، لكن حين تنتكس الفطن ، وتقسى القلوب وتتحجر ، ترى نماذج الجحود وأمثال النكران ، وهذا هو سر الجمع بين حق الله وحق الوالدين ، وبين الشرك والعقوق .

فالله تعالى يخلق ويرزق ، ثم يتوجه الظالم بالعبادة غيره .

والوالدان يلدان ويشقيان ، فيقابلان بالجحود والعقوق

وتأمل قول الله عز وجل ﴿ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ (١٤) ﴿١٥﴾

لذا كان الوعيد شديداً ، والعقاب أليماً لمن عاق والديه وأساء لهما .

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " : أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأكْبَرِ الْكِبَائِرِ ثَلَاثًا ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِنًا ، فَقَالَ : أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ " ، قَالَ : فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ . متفق عليه

وفي صحيح البخاري

عَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكِبَائِرَ أَوْ سُئِلَ عَنِ الْكِبَائِرِ فَقَالَ " : الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، فَقَالَ : أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأكْبَرِ الْكِبَائِرِ ؟ قَالَ : قَوْلُ الزُّورِ أَوْ قَالَ شَهَادَةُ الزُّورِ " قَالَ شُعْبَةُ : وَأَكْثَرُ ظَنِّي أَنَّهُ قَالَ : شَهَادَةُ الزُّورِ .

وعند الترمذي بسند صحيح

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " رَضِيَ الرَّبُّ فِي رِضَى الْوَالِدِ ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ "

وفي صحيح مسلم ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَاثِلَةَ ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسِرُّ إِلَيْكَ ، قَالَ : فَعَضِبَ ، وَقَالَ : مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسِرُّ إِلَيَّ شَيْئًا يَكْتُمُهُ النَّاسَ غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَنِي بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ ، قَالَ : فَقَالَ : مَا هُنَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : قَالَ " : لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحَدِّثًا ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ . "

وفي الصحيحين

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ " قِيلَ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قَالَ : " يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ . "

إن الأمر جد خطير ، فهل يعي ذلك العاقون ، ألا يخافون من دعوة تبلغ عنان السماء ، فتمحق دنياهم وأخراهم ، وقد قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْوَالِدِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ " رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه

ألا فبروا بالآباء والأمهات ، أحسنوا إليهم بأنواع البر والصلات ، قبلوا الأيدي والجباه ، وشفعوا الآذان بأجل ما تنطق به الشفاه ، واصلوا معهم العطاء والبذل ، ولا تمنوا عليهم فهم بحق أصحاب المن والفضل .

إعرفوا رغباتكم قبل أن ينطقوا بها ، ولكل ما يريدون فسارعوا وحققوا ، بلغنا الله وإياكم رضاه ، وأدخلنا وإياكم جنته ومأواه ، بارك الله لي ولكم في الكتاب و السنة ، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة .

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم

الخطبة

الثاني :

الحمد لله تفرد بالبقاء ، وكتب على خلقه الموت والفناء ، أحمدته تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، وهو الحمود في السراء والضراء .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله - صلى الله عليه - و على آله و صحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم البعث والجزاء .

أما بعد ، أيها المسلمون :-

فإن البر خلق مُتَجَدِّدٌ في هذه الأمة ، والوفاء أصل من دينها ، ومن بر الأمة بالكبار والأعلام الأخيار البر والوفاء بعلماءها الربانيين ، ودعائها الصالحين العامرين ، من بذلوا أعمارهم في العلم ، وفي حماية الدين ، وحراسة الفضيلة ، والذب عن حياض السنة .

قمم شامخة و جبال راسية في وجه طوفان الفساد ، ومصابح واجدة تبدد ظلام الدجى وتثير درب السالكين .

العلماء كالنجوم ، زينة للسماء ، وهداية للخلق ، ورجوم للشياطين .
و حين تفجع الأمة بموت العالم فيحق لها أن تحزن وتأسف ، فالعلماء ورثة الأنبياء ، وحاملي الوحي ، وأمان الأرض .

إن من حقهم على الأمة الاعتراف بفضلهم وقدرهم ، والذب عن أعراضهم ، ونشر فضائلهم ومآثرهم ، والاستئذان بسيرتهم ، والدعاء لهم ، يقول الحق عز وجل ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٠) ١٦ فندعوا لهم كما ندعوا لوالدينا ، وَعَنْ أَبِي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ مِنْ بَرِّ أَبِيٍّ أَبْرُهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا ؟ قَالَ : " نَعَمْ ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا ، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا ، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا . " رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَابْنُ مَاجَةَ

. وإذا تأملت قول الله عز وجل ﴿قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٢٤) ﴿١٧

فإذ كأنه كلما ازدادت التربية ازداد الحق ، وكذلك من تولى تربية الإنسان في صغره في دينه ودنياه تربية صالحة غير الأبوين ، فإن له حقاً على من ربي ، وإذا كان هذا في حق الوالدين المربين فهو كذلك في حق العلماء الربانيين .

فاللهم ارحم علماؤنا ، واغفر لهم ، وجازهم عنا وعن الإسلام خير الجزاء .

اللهم آجرنا في مصابنا ، وفقد علمائنا ، واخلف علينا وعلى المسلمين خيراً .

أيها المسلمون :-

لقد أمر خادم الحرمين الشريفين حفظه الله بإقامة صلاة الاستسقاء في صبيحة يوم غد السبت ، اقتداءً بسنة النبي صلى الله عليه و سلم في طلب السقيا من الله حين يتأخر نزول المطر ، و لما نزل بالمسلمين من قحط ، والحاجة الشديدة إلى الماء ، والمطر من السماء .

فاحرصوا رحمكم الله على هذه الصلاة ، و أكثروا من الاستغفار ، والدعاء ، والتوبة ، والتحلل من المظالم ، وأكثروا من الذل والخشوع لله رب العالمين ، وتقربوا بفعل الواجبات ، وترك المحرمات ، لعل الله أن يرحمنا ، وأن يغثنا ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، ثم اعلموا رحمكم الله إن الله تعالى أمركم بامر بدأ فيه بنفسه ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) ﴿١٨

اللهم صلى وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، صاحب الوجه الأهر ، والجبين الأزهر

17 سورة الإسراء

18 سورة الإسراء

وصلى وسلم على آل بيته الأطهار ، وصحبه الأخيار ، صلاة وسلاما دائمين ، مادام الليل والنهار .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمنا مطمئنا وسائر بلاد المسلمين ، اللهم آمنا في أوطاننا ، اللهم آمنا في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، واجعل ولايتنا في من خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين .

اللهم من أرادنا وأراد المسلمين بسوء فأشغله بنفسه ، ورد كيده في نحره .

لا إله إلا الله العظيم الحليم . لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش الكريم .
عز جاره ، وجل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه .

اللهم يا من لا يهزم جندك ، ولا يخلف وعده ، اللهم أصلح أحوال المسلمين ، اللهم أصلح أحوال المسلمين في فلسطين ، وفي كل مكان ، اللهم انصر المسلمين المحاصرين في غزة ، اللهم فرج همهم ، ونفث كربهم ، وشد أزهرهم ، وفك حصارهم ، وارفع عنهم الضر يا رب العالمين .

اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم ، واجمع كلمتهم على الهدى والحق ، يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم قاتل الكفرة والملحدين ، اللهم قاتل الكفرة والملحدين ، الذين يصدون عن دينك ويعادون أوليائك ، اللهم قاتل الكفرة والملحدين ، الذين يصدون عن دينك ويعادون أوليائك ، اللهم قاتل الكفرة والملحدين ، الذين يصدون عن دينك ويعادون أوليائك ، اللهم اجعل أمرهم في وبال ، وشأنهم في سفال ، اللهم انصر دينك

وكتابتك ، وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان يا رب العالمين .

اللهم وفقك ولي أمرنا لما تحب وترضى ، وخذ به للبر والتقوى ، اللهم وفقه ، ونائبه ، وإخوانهم ، وأعوانهم لما فيه صلاح البلاد والعباد .

اللهم فرج هم المهومين من المسلمين ، ونفث كرب المكروبين ، واقض الدين عن المدينين ، واشف برحمتك مرضانا ومرضى المسلمين .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، وبلغنا فيما يرضيك آمالنا .

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ .

ربنا اغفر لنا ، ولوالدينا ، والديهم ، وجميع المسلمين .

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ

ربنا لا تؤاخذنا بذنوبنا ، ولا بما فعل السفهاء منا .

نستغفر الله ، نستغفر الله ، نستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ، ونتوب إليه .

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم أغشنا ، اللهم أغشنا ، اللهم أغشنا غيثاً هنيئاً مريئاً ، سحاً غدقاً مجلجلاً ، عاماً نافعاً غير ضار ، تحيي به البلاد ، وتسقي به العباد ، وتجعله بلاغاً للحاضر والباد .

اللهم سقيا رحمة ، اللهم سقيا رحمة ، لا سقيا عذاب ، ولا هدم ، ولا بلاء ، ولا غرق .

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ .

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (181) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (182)﴾

عنوان الخطبة : شمائل الحبيب صلى الله عليه وسلم

تاريخ إلقاء الخطبة : الخامس من ربيع الآخر من عام ١٤٢٩ هـ

— شمائل الحبيب المصطفى —

الخطبة

أول

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، عزَّ عن الشبيه وعن الندِّ وعن النظير ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١١) ١٩ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم البعث والنشور وسلم تسليمًا كبيرًا.

أما بعد:

فاتقوا الله تعالى وراقبوه ، وأطيعوا أمره ولا تعصوه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٨) ٢٠ بالتقوى تستجلب الأرزاق ، وتفتح الأغلاق ، وتفرج الكرب ، وتدفع النقم ، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ (٣) ٢١ .

أيها المسلمون:

حديث اليوم حديث تستلذه الأسماع ، وتهفو به الأفئدة ، وتجثو عندها العواطف ، حديث اليوم في سيرة تتقاصر دونها السير ، وصفات لا تدانيها الأوصاف ، إنه لمحات ونفحات ، تعبق من صفات الرسول المجتبي ، وشمائل الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم.

شذرات تزيد الحب حبًا ، والقلب قربًا ، تجدد الإيمان ، وتعضد الولاء ، وتثمر الاتباع ، صفاته وشمائله ، وكراماته وفضائله ، أفق أفيح ، وسماء رحبة ، وحديقة غناء ، يحار الناظر ماذا يقطف ، وأي شيء يتخير.

أيها المسلمون:

حين نتحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإننا نتطلب زيادة الإيمان ، ومزيد التعظيم والتبجيل ، وقدره حق قدره ، وازدياد محبته ، وكل ذلك مطلوب شرعاً ، والثمرة في ذلك طاعته واتباعه ، وتعظيم أمره ونهيه ، واقتفاء سنته ، والثبات على شرعته.

أيها المسلمون:

ومع إيماننا بأنه بشرٌ مخلوق ، إلا أن الله تعالى جمّله وكمّله ، وطيّبه خلقاً وخلّقاً ، وجمع له الفضائل كلّها نسقاً متسقاً ، مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ، شرف نسبه ، وكرم أصله ، وفضل بلده ومنشئه - لا يحتاج إلى دليل عليه؛ فإنه نخبة بني هاشم ، وسلالة قريش وطميمها ، وأشرف العرب وأعزهم نفراً من جهة أبيه وأمه ، صلى الله عليه وسلم.

أما بلده مكة؛ فأكرم بلاد الله على الله وعلى عباده ، محمد بن عبد الله رسول الله وخليته ، فاضت بمحبته القلوب ، وامتألت بإجلاله الصدور ، وأسبغ الله عليه من الحسن والجمال في منظره ومخبره ، وخلّقه وخلّقه ، ما جعله آية في الكمال والجمال.

وصفّته أم معبد فقالت: " إنه ظاهر الوضاعة ، أبلغ الوجه ، حسن الخلق ، وسيم قسيم ، في عينيه دعج ، وفي أشفاره وطف ، وفي صوته صحل ، وفي عنقه سطع ، أحور ، أكحل ، أزج ، أقرن ، شديد سواد الشعر ، إذا صمت علاه الوقار ، وإذا تكلم علاه البهاء ، أجهل الناس وأبهاهم من بعيد ، وأحسنه وأحلاه من قريب ، حلو المنطق فصل ، لا نذر ولا هذر ، لا تقحمه عين من قصر ، ولا تشنؤه من طول.

قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في وصفه: " كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبيض مشرباً بحمرة ، أدهج العينين ، أهدب الأشفار ، إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صلب ، وإذا التفت التفت جميعاً ، بين كتفيه خاتم النبوة ، أجود الناس كفاً ، وأجراً الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفاهم ذمّة ، وأليئهم عريكة ، مَنْ رآه بديهة هابه ، وَمَنْ خالطه معرفةً أحبّه ، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله!!"

وقال أبو الطفيل: "كان أبيض مليح الوجه".

وقال أنس - رضي الله عنه -: " كان بسط الكفين ، أزهر اللون ، ليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء ، إنما كان شيء يسير في صبغيه ".

وقال البراء - رضي الله عنه -: " كان مربوعاً ، بعيد ما بين المنكبين ، له شعر يبلغ شحمة أذنيه ، رأيته في حلة حمراء ، لم أر شيئاً قط أحسن منه ، كان مثل القمر ".

وقال جابر - رضي الله عنه -: " كان لا يضحك إلا تبسماً ، إذا نظرت إليه قلت: أكحل العينين ، وليس بأكحل ، رأيت ليلة أضحيان - أي ليلة بدر - فجعلت أنظر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعليه حلة حمراء ، وأنظر إلى القمر؛ فإذا هو عندي أحسن من القمر " وقال أبو هريرة - رضي الله عنه -: " لم أر شيئاً أحسن من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كأن الشمس تجري في وجهه ، وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كأنما الأرض تُطوى له ، وإنا لنجهد أنفسنا ، وإنه لغير مكترث!!"

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: " كان أبلج الشيتين ، إذا تكلم روي كالنور يخرج من بين ثناياه ".

وقال أنس - رضي الله عنه - : " ما مسستُ حريراً ولا ديباجاً ألينَ من كفِّ النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - ولا شَمَمْتُ ريحاً ولا عَرَفَ أطيّب من ريح أو عَرَفَ رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - .

ولما قدِمَ النَّبيُّ - صلى الله عليه وسلم - المدينة مُهاجراً ، وأقبل الناس ينظرون إليه ، جاء عبدالله بن سلام - رضي الله عنه - مع الناس لينظر إليه - وكان من أحرار اليهود وعلمائهم - يقول : " فلما نظرتُ إلى وجه النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - عرفتُ أن وجهه ليس بوجه كذاب " .

هذه بعض أوصاف النبي الكريم ، في جمال الخلق ، وحسن الصورة ، وكمال الهيئة.

أمّا كمال النفس ومكارم الأخلاق؛ فقد كان في أعلاها ، وله من الذرى أسناها ، ويكفي في ذلك شهادة ربه له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) ﴾^{٢٢} ، وقال - صلى الله عليه وسلم - : " أَدْبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي " لذا فقد كان مثلاً عالياً في كل فضيلة ، كان - صلى الله عليه وسلم - دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب ولا فحاش ، ولا عتاب ولا مدّاح ، طويل السكوت ، لا يتكلم في غير حاجة ، لا يضر أحداً ولا يعيّر ، ولا يتبع عورته ، يعفو ويصفح ، ويعاشرُ النَّاسَ بالرحمة واللطف ، يتغافل عما لا يشتهي ولا يهّمه ، أما الحلم والاحتمال ، والعفو والصبر - فهي صفات ميزه ربه بها ، ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، ما لم يكن إثماً؛ فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه ، ما انتقم لنفسه ، إلا أن تنتهك حرمة الله؛ فإنه يغضب لله.

أمّا الجود والكرم والبذل والعطاء؛ فإنه يعطي عطاءً مَنْ لا يخشى الفقر ، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة ، وكان أعدل النَّاسِ وأعفهم ، وأصدقهم لهجة وأعظمهم أمانة ، كان

يسمى قبل نبوته بالصادق الأمين.

وكان أشجع الناس؛ لاقى الشدائد والأهوال وثبت وصمد ، لم يلن ولم يتزعزع؛ قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : " كنا إذا حمي البأس ، واحمرت الحُدُق ، اتقينا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه " .

أمّا أدبه وحيأؤه؛ فيقول أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - : " كان أشدّ حياءً من العذراء في خدرها ، وإذا كره شيئاً عُرف في وجهه " ؛ رواه البخاري.

لا يثبت نظره في وجه أحد ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جل نظره الملاحظة ، كان متواضعاً بعيداً عن الكبر ، يعود المساكين ، ويجالس الفقراء ، ويجيب دعوة العبد ، ويجلس في أصحابه كأحدهم ، ويمنع من القيام له كما يُقام للملوك ، تقول عائشة - رضي الله عنها - : " كان يخفض نعله ، ويخيط ثوبه ، ويحلب شاته ، ويعمل بيده كما يعمل أحدكم في بيته " .

كان أوفى الناس بالعهود ، وأوصلهم للرحم ، وأشفقهم ، وأرحم الخلق بالخلق ، وصدق الله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨)﴾^{٢٣} .

إنّها الرحمة التي جمعت له قلوب الخلق: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ (١٥٩)﴾^{٢٤} .

لطف في المعشر ، وتبسم عند اللقاء؛ في "الصحيحين" عن جابر - رضي الله عنه - قال: " ما حجني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منذ أسلمت ، ولا رأيي إلا تبسم " .

²³ سورة التوبة

²⁴ سورة آل عمران

أَمَّا زُهْدُهُ فِي الدُّنْيَا؛ فَحَسْبُكَ تَقَلُّلُهُ مِنْهَا ، وَإِعْرَاضُهُ عَنْ زَهْرَتِهَا ، وَقَدْ سَيِّقَتْ إِلَيْهِ بِحِذَافِيرِهَا ، وَتَرَادَفَتْ عَلَيْهِ فَتَوَحُّهَا ، إِلَى أَنْ تَوَفَّى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي نَفَقَةِ عِيَالِهِ ، وَهُوَ يَدْعُو يَقُولُ: "اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوَّةً" ؛ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: "مَا شَبِعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَبَاعًا مِنْ خَبْزٍ حَتَّى قُبِضَ" ، وَقَالَتْ أَيْضًا: "مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَلَا شَاةً وَلَا بَعِيرًا" ، وَقَالَتْ: "كَانَ فِرَاشُهُ مِنْ أَدَمَ ، وَحَشْوُهُ مِنْ لَيْفٍ" . كُلُّ ذَلِكَ مَخْرَجٌ فِي "الصَّحِيحِينَ".

أَمَّا خَوْفُهُ مِنْ رَبِّهِ ، وَخَشْيَتُهُ وَطَاعَتُهُ لَهُ ، وَشِدَّةُ عِبَادَتِهِ - فَذَاكَ شَأْنٌ عَظِيمٌ؛ يَقُومُ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ، وَيَسْمَعُ لَصَدْرِهِ أَزِيزَ كَأَزِيزِ الْمَرْجُلِ مِنَ الْبُكَاءِ ، وَيَصْلِي حَتَّى تَرْمَ أَوْ تَنْتَفِخَ قَدَمَاهُ ، فَيَقَالُ لَهُ: "قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ!!" فَيَقُولُ: " أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا " ؛ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

قَامَ لَيْلَةً فَقَرَأَ فِي رَكْعَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ وَآلِ عِمْرَانَ ، وَمَعَ كُلِّ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَقُولُ: " إِنِّي لِأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً " !!

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: "قَالَ لِي النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " اقْرَأْ عَلَيَّ " ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَأَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ! قَالَ: " إِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَسْمِعَهُ مِنْ غَيْرِي " ؛ فَقَرَأَتْ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ

بَشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً ﴿٤١﴾^{٢٥} ، قال: " حسبك الآن " ، فالتفتُ ،
فإذا عيناه تذرفان؛ رواه البخاري ومسلم.

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا خَيْرَ الْوَرَى
وَهَمَّتْ عَلَيْكَ سَحَابُ الرِّضْوَانِ

هذا الحبيب يا محب ، وهذه بعض القطوف من شمائل النبي الرؤوف ، بحر من الحب لا
ساحل له ، وفضاء من الخير لا منتهى له ، شمائل المصطفى - صلى الله عليه وسلم - لا
تجدها الكلمات ، ولا توفيقها العبارات ، وحسبنا من ذلك الإشارات.

وإن على أمة الإسلام أن تتربى على سيرته ، وأن تتخلق بخُلُقهِ ، وتتبع هديه ، وتستقِّ بسنته
، وتقفو أثره ، فما عرفت الدنيا ولن تعرف مثله ، وإن لدينا - نحن المسلمين - من ميراثه
ما نفاخر به الأمم ، ونسابق به الحضارات.

فهذا النبع فأين الواردون؟! وهذا المنهل فأين الناهلون!؟

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ
كَثِيراً﴾ (٢١) ﴿٢٦﴾ .

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة ، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة ، أقول قولي هذا
، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

²⁵ سورة النساء

²⁶

الخطبة

الثانية

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد .

أيها المسلمون:

لقد كانت لرسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - عند ربه المكانة العلية ، والمترلة السامية الجليلة؛ فقربه واصطفاه ، أسرى به وناجاه ، ومن كل فضل حباه ، وقرأ في ذلك: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٣) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٤)﴾^{٢٧} .

صلَّى بالأنبياء ، ثم عرج به إلى السماء ، ووصل إلى سدرة المنتهى ، ودنا واقترب ، وراجع ربه في عدد الصلوات ، وقال لموسى - عليه السلام - : " قد رجعتُ إلى ربي حتى استحيتُ منه " ؛ رواه مسلم .

شرح الله صدره ، وغفر ذنبه ، ورفع ذكره: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)﴾^{٢٨} .
قرن الله اسمه باسمه في شهادة التوحيد ، وفي الأذان ، وفي الإيمان: ﴿آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ (١٣٦)﴾^{٢٩} ، وفي الطاعة: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ (٩٢)﴾^{٣٠} ، ﴿مَنْ يُطِيعِ

²⁷ سورة النجم

²⁸ سورة الشرح

²⁹ سورة النساء

الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ (٨٠) ﴿٣١﴾ ، صلى الله عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ (٥٦)﴾ ﴿٣٢﴾ ، جعله شاهداً على الناس: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٤٥) وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً (٤٦)﴾ ﴿٣٣﴾ ، أقسم الله تعالى به: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢)﴾ ﴿٣٤﴾ ، ولاطفه بقوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ (٤٣)﴾ ﴿٣٥﴾ ، ووعدته بالعطاء حتى الرضا: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥)﴾ ﴿٣٦﴾ ، ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣)﴾ ﴿٣٧﴾ ، طمأنه ربه بالحفظ والرعاية والأمن والكفاية: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥)﴾ ﴿٣٨﴾ ، ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ (٦٧)﴾ ﴿٣٩﴾ [المائدة: ٦٧] ، وقال سبحانه: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا (٤٨)﴾ ﴿٤٠﴾ .

كانت حياته أماناً لأهل الأرض ، أماناً من الهلاك العام والعذاب الطام: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ (٣٣)﴾ ﴿٤١﴾ .

أعطاه الله الكوثر ، وآتاه السبع المثاني والقرآن العظيم ، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وأتم عليه نعمته عليه ، وهداه ونصره ، وجعله رحمة للخلق: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

30	سورة المائدة
31	سورة النساء
32	سورة الأحزاب
33	سورة الأحزاب
34	سورة الحجر
35	سورة التوبة
36	سورة الضحى
37	سورة القلم
38	سورة الحجر
39	سورة المائدة
40	سورة الطور
41	سورة الأنفال

لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴿٤٢﴾ .

أيها المسلمون:

نَبِيِّ هَذَا شَأْنُهُ ، وَرَسُولُ هَذَا شَأْوُهُ ، وَعَظِيمُ هَذَا قَدْرُهُ - لَا يَضُرُّهُ شَنْهُ الشَّائِنِينَ ، وَلَا يَنَالُ سَمَاءَهُ حَقْدُ الْحَاقِدِينَ .

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ فَاضَتْ بِمَحَبَّتِهِ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَشَرَّبَتْ بِمُودَتِهِ جَوَارِحُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْرُهُ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ، وَلَنْ يَضُرَّ الشَّمْسُ أَنْ تَشْتَمَهَا خَفَافِيشُ الظَّلَامِ ، وَلَنْ يَغَيِّرَ الْحَقُّ قَمُوشَ الْبَاطِلِ ، وَإِذَا عَجَزَ الْبَاغِي أَمَامَ الْحَقِيقَةِ فَرَعَ إِلَى الشَّتَامِ ، وَمَنْ جَفَّ دَلْوُهُ مِنَ الْمَاءِ أَثَارَ التَّرَابِ وَالْغُبَارِ .

فَاللَّهُمَّ اشْرَحْ صُدُورَنَا بِمَحَبَةِ نَبِينَا ، وَاشْفِ صُدُورَنَا مِنْ آذَانَا فِي نَبِينَا ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا طَاعَةَ رَسُولِكَ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَاتَّبَاعَ سُنَّتِهِ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ .

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَأَذِلَّ الشُّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ ، وَاجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مَطْمَئِنًا وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَمِّنَّا فِي أَوْطَانِنَا ، وَأَصْلِحْ أَمْنَتَنَا وَوَلَاةَ أُمُورِنَا ، وَاجْعَلْ وَلَايَتَنَا فِي مَنْ خَافَكَ وَاتَّقَاكَ وَاتَّبَعَ رِضَاكَ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .

اللهم انصر من نصر الدين ، واخذل الطغاة والملاحدة والمفسدين.

اللهم وفق ولي أمرنا لهداك ، واجعل عمله في رضاك ، اللهم أصلح بطانته ، واصرف عنه
بطانة السوء يا رب العالمين ، اللهم وفقه ونائبه وإخوانهم وأعوانهم لما فيه صلاح العباد
والبلاد.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في
فلسطين ، وفي كل مكان يا رب العالمين ، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك ،
اللهم أنزل عليهم بأسك ورجزك إله الحق.

اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين ، ونفث كرب المكروبين ، وفك أسر المأسورين ،
واقض الدين عن المدينين ، واشف برحمتك مرضانا ومرضى المسلمين.

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يرضيك آمالنا.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار.

اللهم ادفع وارفع عنا الغلاء والوباء ، والربا والزنا ، والزلازل والخن وسوء الفتن ، ما ظهر
منها وما بطن ، عن بلدنا وعن سائر بلاد المسلمين ، يا حي يا قيوم ، يا ذا الجلال
والإكرام.

ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم ، ولجميع المسلمين.

ربنا لا تؤاخذنا بذنوبنا ، ولا بما فعل السفهاء منا ، ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

نستغفر الله ، نستغفر الله ، نستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوب إليه.

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا غيثاً هنيئاً مريئاً ، سحاً غدقاً مجللاً ، عاماً نافعاً غير ضار ، تحيي به البلاد ، وتسقي به العباد ، وتجعله بلاغاً للحاضر والباد ، اللهم سقيا رحمة ، اللهم سقيا رحمة ، اللهم سقيا رحمة ، لا سقيا عذاب ولا بلاء ولا هدم ولا غرق.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)﴾^{٤٣}.

عنوان الخطبة : التحذير من الإسراف

تاريخ إلقاء الخطبة : الرابع من جمادى الأولى من عام ١٤٢٩ هـ

– التحذير من الإسراف –

الخطبة

أول

—

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستعديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، ما ترك خيراً إلا دلنا عليه، ولا شراً إلا حذرنا منه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

أما بعد،

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل ضلالة في النار، ثم إن خير الوصايا بعد الحمد والتحايا تقوى

الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾^{٤٤} اللهم وَفِّقْنَا لِهَذَاكَ وَارْزُقْنَا ثِقَاكَ وَاجْعَلْنَا نَخْشَاكَ كَأَنَّا نَرَاكَ.

أيها المسلمون، دين الإسلام هو دين القسط والميزان والعدل والوسطية والتوازن، فميز بهذه المبادئ في كل النواحي وفي كل المجالات، في أحكامه وتوجيهاته، ومواقفه في العادات والعبادات، والمعاملات والتصرفات، والأخلاق والسلوك، والعقل والفكر، ومن هذا التوسط والاعتدال والتوازن، جاء الإسلام بالقصد في كل الأمور، وحذر من خصلة تنافي هذه المبادئ، وذر سلوكاً يتعارض مع أصوله ومبادئه، إنه "الإِسْرَافُ" ذلكم التصرف المشين والسلوك المنحرف المنافي للعقل والشرع، ذمه القرآن في ثلاث وعشرين موضعاً كما ذم أخاه "التَّبَذِيرَ" في مواضع أخرى.

الإِسْرَافُ هو مجاوزة الحد وتعدي المشروع، وكل ما بذل في غير وجهه فهو تبذير، فحى عنه الله وذمه، وخوف من عاقبته؛ فقال سبحانه: ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (٩)﴾^{٤٥} وقال عز وجل: ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣)﴾^{٤٦} وكره صاحبه فقال: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)﴾^{٤٧}.

وإذا غرق المسرف في بحر إسرافه وأشرب هواه عميت بصيرته؛ فيضل ولا يهتدي، وربما لا يوفق للتوبة؛ حتى يموت على معاصيه وآثامه، وفي ذلك يقول الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨)﴾^{٤٨} ويقول الله - عز وجل -: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ (٣٤)﴾^{٤٩}.

44 سورة الحشر

45 سورة الأنبياء

46 سورة غافر

47 سورة الأنعام

48 سورة غافر

49 سورة غافر

الإسراف مذموم في كل حال؛ حتى ورد النهي عند ذكر الزكاة والصدقات، قال الله - عز وجل -: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١٤١) ﴿٥٠﴾ وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "كُلُوا وَاشْرَبُوا ، وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا ، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ ، وَلَا مَخِيلَةٍ " حديث صحيح رواه النسائي وابن ماجه.

ووصف الله - تعالى - حال كثير من الأمم التي أهلكتها بأنها كانت مسرفة، وأن هلاكها بسبب إسرافها، ويكفي في ذمه أنه صفة للشيطان، وأن المتصف به من حزب الشيطان، قال الله - عز وجل -: ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾ (٢٦) ﴿٢٧﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴿٥١﴾ .

ومع ذلك فهو إضاعة للمال، وحساب وحسرة في المال، في الصحيحين أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " إِنْ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا : قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ "

عباد الله، وفي صفات عباد الرحمن الواردة في آخر سورة الفرقان، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (٦٧) ﴿٥٢﴾ هذا هو منهج الإسلام، وخصال أهل الإيمان، القوام والقصد والاعتدال، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ (٢٩) ﴿٥٣﴾ .

هذا المنهج الرباني المأمور به هو الاقتصاد وهو التوازن، والتزامه يعني الكفاف، والاستغناء عن الخلق، وتضييق الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وتوفير المال للنافع المفيد، ليصرف في قنوات المصالح العامة والخاصة بما يعود بالخير على الجميع.

والإسراف إما يكون بالزيادة عن القدر الكافي، وإما بزيادة الترفه والتنعم، وإما بتجاوز الحلال إلى الحرام، وهذه أقبح صورته.

50 سورة الأنعام

51 سورة الإسراء

52 سورة الفرقان

53 سورة الإسراء

عباد الله، إن التحذير من الإسراف، لا يعني الأمر بترك المباح لذا جاء في الآية الكريمة ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ (٣٢)﴾ .

وكما أن الإسراف مذموم، فكذلك البخر والتقتير، وكثر المال والشح به، ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤)﴾ والشح والبخل والشح من أقبح الصفات والخصال، إنما المطلوب الاعتدال فلا إسراف ولا تقتير، قال ابن القيم - رحمه الله -: "إن مجاوزة الحد في كل أمر يضر بمصالح الدنيا والآخرة، بل يفسد البدن أيضاً؛ إذ إنه متى زالت أخلاقه عن حد العدل والوسط، ذهب من صحته وقوته بحسب ذلك، وهذا مفترض أيضاً في الأفعال الطبيعية كالنوم والسهر والأكل والشرب والجماع والخلو والمخالطة وغير ذلك"؛ انتهى كلامه رحمه الله.

أيها المسلمون، ومن آفات الإسراف أنه يطبع المجتمع على الانحلال، وعدم المبالاة، والبعد عن الجد والاجتهاد، كما أنه يضيق الفقراء من حال الأغنياء، ويزرع العداوة والبغضاء حين يرون تبديدهم للثروة والعبث بها، بينما هو في الضنك والعود والفاقة والحاجة إلى الضروريات، وربما سعى أصحاب الدخل الضعيف أو حتى المتوسط لمجاراة الأغنياء في إنفاقهم وإسرافهم، فانقلبت كثير من موازين الاقتصاد على مستوى المجتمع وربما على مستوى الدولة، كما هو واقع في المجتمع اليوم، فمن لك بالقنوع الراضي؟!

إن الناظر في حال غالب الناس اليوم يرى أن نفقتهم تضيق بهم مع وفرة المال، وترى غالب الصرف في مجال الكماليات والمجاملات على حساب الضروريات والحاجيات، بل ترى بعض الناس يستدينون ويقترضون لا لسد الحاجة وإنما للكماليات ولمجاراة الأغنياء والمترفين، فيقلد

54 سورة الأعراف

55 سورة التوبة

بعضهم بعضاً، ويسرفون كما يسرفون، ويركضون خلف التقليد ويلهثون، حتى يسقطوا في حمأة الديون، وقد قال الله - عز وجل - : ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١)﴾^{٥٦}.

ومع كل ذلك فإن الجهول يعمى عن هذه العواقب، وصدق الله ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢)﴾^{٥٧}.

إن الاقتراض شرع للإنفاق ولسد الحاجة، لا للترف بما لا يدركه الإنسان ولا يقوى عليه، وقد نص العلماء على كراهة الاستدانة لغير حاجة كراهة شديدة، قال وهب بن منبه - رحمه الله - : "من الترف أن يلبس الإنسان ويأكل ويشرب مما ليس عنده، وما جاوز الكفاف فهو تبذير".

ومما يلفت النظر في هذا المجال الكثرة الهائلة للمحلات التجارية والأسواق، خاصة فيما يتعلق بأمور النساء، والنسف الهائل من المال على شراء ما لا يحتاج إليه؛ حتى أصبحت مجتمعاتنا سوقاً استهلاكية كبرى لكل بضاعة، وأصبحت بيوتنا معارض لكل ما تنتجه مصانع العالم، وتسوق له الشركات، ولعبت الدعاية بعقول الناس؛ حتى لكأنما خلقت النساء للأسواق!!

ويحمل الإعلام المقروء والمرئي بدعاياته وبرامجه مسؤولية وصول المجتمع إلى هذا المستوى، فأين دور الإعلام في صيانة الناس وتوعيتهم بالاقتصاد وتدبير المعيشة.

أيها المسلمون، وفي هذا المجال أيضاً ترى الإنفاق الضخم على الحفلات والمناسبات والأعراف والدرجات سرف عظيم وإنفاق ليس له مردود يكفي لإعاشة المحتفلين دهرًا طويلاً.

على العاقل ألا ينهزم أمام رغبات ضعاف العقول والأهواء من أهل بيته ومن حوله؛ فإنه المسؤول عنهم وعن تدبيرهم، وقد قال الله - عز وجل - : ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٥)﴾^{٥٨} عن علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: "ما أنفقت على نفسك وأهل بيتك في غير سرف ولا تبذير وما تصدقت فهو لك، وما أنفقت رياءً وسمعةً فذلك حظ الشيطان"، ولقد كان العرب

56 سورة الشعراء

57 سورة يونس

58

في الجاهلية ينفقون أموالهم ويطعمون الطعام ويقيمون الولائم للتفاخر والسمعة، ويذكرون ذلك في أشعارهم؛ فنهى الله عن ذلك الصنيع، فهل عادت تلك الخصلة الجاهلية بالمباهة والتكلف في المناسبات، ليقال ما صنع آل فلان؟!!!

أيها المسلمون، إن وفرة المال ليس عذراً ولا مسوغاً لإسراف، حتى وإن كان المنفق مقتدرًا، وقد علمتم ما جاء في السرف، فإن صاحب المال مسؤول عنه يوم القيامة، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " لا تَزُولُ قَدَمًا عِندَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ... " ، ومنها ((...وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ " رواه الترمذي بإسناد صحيح، قال الله - عز وجل -: ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ (٨) ٥٩ أي ما تنعمتم به في الدنيا، فهل أعددتنا للسؤال جواباً؟! وهل أعددتنا للجواب صواباً؟!!!

عباد الله، إنما ليست دعوة للبخل والتقتير، وليس اعتذاراً للشحيح المضيق على أهله المقتر عليهم، ولكن يجب أن يعاد النظر في كثير من العادات، في الصرف والإنفاق، على ضوء الصفة الكريمة ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (٦٧) ٦٠ إنه القصد والعدل، والتوازن والتقصد، وقد قيل: "لا عقل كالتدبير".
بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول قولي هذا، وأستغفر الله - تعالى - لي ولكم.

الخطبة

الثاني

⁵⁹ سورة التكاثر

⁶⁰ سورة الفرقان

الحمد لله المحمود في عليائه، وهو الإله الحق في أرضه وسمائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعالى بعزته وكبريائه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وخيرته من أنبيائه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد،

فمن صور الإسراف التي بان خطرهما، وتنادت الدول والمنظمات بتداركها، الإسراف فيما الناس شركاء فيه، وهو الإسراف في هدر المياه، والإسراف في طاقة الكهرباء، والتي تكلف شيئاً كثيراً من جهة إنتاجها وجلبها وتوزيعها؛ حتى تكاد الدول تتقاتل على مصادرها، وإن الإسراف مع هدرها يحرم آخرين هم في أمس الحاجة إليها مع تعرضها للنفاذ، والعالم اليوم مقبل على أزمة في المياه، حذر من مغبتها العقلاء والمراقبون، خاصة في بلادنا التي تنعدم فيها الأنهار، وتندر فيها الأمطار، وأوشكت أن تغور فيها الآبار.

أيها المسلمون، القصد في استهلاك الماء هو السنة، حتى في الوضوء والطهارة، مع أنها عبادة يُتَقَرَّبُ بها إلى الله باستعمال الماء فيها، وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - " يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ، وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ " رواه البخاري ومسلم.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: **جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ عَنِ الْوُضُوءِ " فَأَرَاهُ الْوُضُوءَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَ : هَكَذَا الْوُضُوءُ ، فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ " ؛** حديث صحيح أخرجه النسائي وأبو داود وابن ماجه.

قال ابن قدامة - رحمه الله - : "ويكره الإسراف في الماء، والزيادة الكثيرة فيه لما روينا من الآثار"، وكان يُقال: "من قلة فقه الرجل ولعه بالماء" وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - : **" أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَقَالَ : " مَا هَذَا السَّرْفُ يَا سَعْدُ قَالَ : أَفِي الْوُضُوءِ سَرْفٌ ؟ ! قَالَ : " نَعَمْ ! وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ " ؛** رواه ابن ماجه بإسناد ضعيف.

وإذا كان هذا في الوضوء والعبادة فما بالك بغير ذلك، إن المحافظة على الماء والطاقة والاقتصاد فيها، لهُوَ واجب عام على المجتمع والأفراد، وهو حق مشترك، ونقصه نقص على

الجميع، والواجب على كل بحسبه، اتخاذ جميع التدابير اللازمة للحفاظ على هذه الثروة من الهدر والضياع، مع سن الأنظمة وتفعيلها لأقر الناس على القصد فيها.

أيها المسلمون، إن التواصي بالقصد والاعتدال في الإنفاق والاستهلاك، وإن التشهير من الإسراف والتبذير لهو من التواصي بالبر والتقوى، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن النصح للمسلمين، بل هو ما وصى به القرآن، وتكرر في مواضع كثيرة منه، وإن التعاون مع الجهات التي تسعى لتحقيق هذه المصالح بالتنوعية والتثقيف والتربية والتعليم لما يحتسب فيه ويرجى عنه الثواب.

هذا وصلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبدالله رسول الله وخاتم أنبيائه، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، اللهم آمناً في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين، اللهم وفق ولي أمرنا لما تحب وترضى، وخذ به للبر والتقوى، اللهم وفقه ونائبه وإخوانهم وأعوانهم لما فيه صلاح العباد والبلاد، اللهم هب له البطانة الصالحة، واصرف عنه بطانة السوء يا رب العالمين.

اللهم انصر من نصر الدين، اللهم انصر من نصر الدين، واخذل الطغاة والملاحدة والمفسدين، اللهم انصر دينك وكتابك، وسنة نبيك وعبادك المؤمنين، اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان، اللهم انصرهم في فلسطين، وفي كل مكان يا رب العالمين.

اللهم أصلح أحوال المسلمين، اللهم أصلح أحوال المسلمين، اللهم أصلح أحوال المسلمين، في كل مكان يا رب العالمين، اللهم انصر المستضعفين من المسلمين، وكن لهم ولياً ونصيراً، ومعيناً وظهيراً، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك، اللهم إنا نعوذ بك من شرورهم، وندراً بك في نحورهم، اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين، ونفس كرب المكروبين، وفك أسرى المأسورين، واقض الدين عن المدينين، واشف برحمتك مرضانا ومرضى المسلمين.

اللهم اغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، ويسر أمورنا، وبلغنا فيما يرضيك آمالنا، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة وقنا عذاب النار، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم وجميع المسلمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، نستغفر الله، نستغفر الله، نستغفر الله، نستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوب إليه، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا غيثاً هنيئاً مريئاً صحاً طيباً مجللاً عاماً نافعاً غير ضار، تحيي به البلاد، وتسقي به العباد، وتجعله بلاغاً للحاضر والباد، اللهم سقيا رحمة، اللهم سقيا رحمة، اللهم سقيا رحمة، لا سقيا ولا بلاء ولا هدم ولا غرق.

اللهم إنا نستغفرك، إنك كنت غفاراً، فأرسل السماء علينا مدراراً، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)﴾ .^{٦١}

عنوان الخطبة : الحذر من فجأة نقمة الله عز وجل

تاريخ إلقاء الخطبة : الثامن عشر من جمادى الأولى من عام ١٤٢٩ هـ

– الحذر من فجأة نقمة الله عز وجل –

الخطبة
أول

—

الحمد لله العزيز القاهر، يعلم خفايا الصدور ومكنون الضمائر، لا رادّ لأمره ولا معقب لحكمه، سبحانه وبحمده، تطامنت لعظمته الجبال الرواسي، وخضعت لجبروته الرقاب والنواصي، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، أزكى الورى وخير من وطئت قدمه الشرى، صلى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد أيها المسلمون:

فإنَّ التقوى أعظم وصيّة، وهي خير لباس وأكرم سديّة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)﴾ ٦٢.

أيُّها المسلمون:

في غمرات قسوة القلوب وجفافها، والإغراق في الدنيا ونسيان الآخرة، وفي فترة القوة ونشوة الاقتدار، وتجبر الإنسان في هذه الأرض يظن أنه القادر عليها والتمكن فيها، يأذن الله لبعض آياته أن تظهر، ولصورة من قوته أن تجار، في زلزال مدمر، أو طوفان مزمر، يقلب عالي الأرض سافلها، ويجعل ظاهرها باطنها، ويغيّر معالم الكون.

الزلزال آية من آيات الله الكبرى، وسطوة من أمر الله العظمى، ثريك عظمة الله وقوته وجبروته، في طرفة عين، وفي لمحة بصر، وبلا مقدمات، يغير الله معالم الأرض، ويمحو دولاً ويدفن مدناً.. سبعون ألفاً من البشر ما بين قتيل وجريح، ومئات الآلاف من المصابين والمشردين، ودمارٌ وخراب لا يعلم مداه إلا الله، لو رأيت الرعب في وجوه الحيارى، والذعر في قسماهم وذهولهم كالسكارى؛ لأدركت هول المصيبة وقوة الكارثة، رعب وفرع وذعر وجزع، والله غالب على أمره، كله في ثوانٍ ولحظات: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠)﴾ ٦٣.

لما جاء أمر الله نفذ قضاؤه، فلم يكن للناس من قوة ولا ناصر ولا دافع أو ساتر، فالملك لله والأمر أمره، والخلق خلقه، والكل عبيده، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، إنه الله العظيم: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣)﴾ ٦٤ وهو القاهر فوق عباده، وهو العزيز الحكيم.

أيها المؤمنون:

وزلازل الأرض وكوارث الطبيعة هون أمام الزلزلة الكبرى والقيامة العظمى، وذلك حين يأذن الله تعالى بانقضاء الدنيا وزوالها، فترتج الأرض كلها، ويخرج مكنونها: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥)﴾ ٦٥ يوم تكور الشمس وتتناثر النجوم وتسجر البحار فتلتهب ناراً: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨)﴾ ٦٦ .

يوم الزلزال العظيم سيأتي - والله - لا محالة، ولكن أين المؤمنون؟!

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١)﴾ ٦٧ .. شيء مهول، تترك الموضع رضيعها من شدة الدهول، وتسقط الحامل ما في بطنها من شدة الفزع، وترى الناس تحسبهم سكارى من هول الموقف، وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد، وإن زلازل اليوم مقدمات وإرهاصات، وقد جاء في السنة أن الزلازل تهيج قبل قيام الساعة وكأنها للأرض صحوّة الموت، أو انتفاضة الوداع الأخير؛ فهل من مدّكر؟!

أيها المسلمون:

إن الزلازل والكوارث تفضح عجز البشر، وتظهر الضعف والذل والعجز والهزيمة أمام قوة رب العالمين، إنها آية لمن تدبرها، كيف تحركت الأرض الراسية؟! وتزلزلت الجبال الشامخة؟! وغارت أنهار وتناولت بحار وطمرت القرى بمن فيها؟! ﴿سُنْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ (٥٣)﴾ ٦٨ .

65

66

67

68

يغتر الخلق بقوتهم حين يعمرّون الأرض ويملكونها: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن
لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ (٢٤)﴾ ٦٩ .

كم من البشر اليوم في قوتهم يتغطرسون، وبدنياهم يتباهون، ويقولون: مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً؟! أولم
يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قُوَّةً، إنها والله آية فآين المعتبرون؟! ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥)﴾ ٧٠ .

عباد الله:

إنَّ عظمة الله وقوّته وقهره تَبَعَتْ الرَّهْبَةَ فِي الْقُلُوبِ، وَتَزَرَّعُ الْخَشْيَةَ فِي النُّفُوسِ، وَتَدْعُو إِلَى قَدْرِ
اللهِ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْخَوْفِ مِنْ حِسَابِهِ وَعَذَابِهِ وَانْتِقَامِهِ وَعِقَابِهِ، وَمَا تَجَرَّأَ مَنْ تَجَرَّأَ عَلَى الْمَعَاصِي
وَالذُّنُوبِ، وَمُحَادَّةِ اللهِ فِي أَمْرِهِ وَشَرْعِهِ وَحُكْمِهِ وَقَدْرِهِ، إِلَّا حِينَ قَلَّ خَوْفُهُمْ مِنَ اللهِ، وَتَنَاسَوْا
قُوَّةَ اللهِ وَبَطْشَهُ، كَمَا قَالَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤)
﴾ ٧١ .

نَعَمْ، مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ حِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ حِينَ اجْتَرَأُوا عَلَى
مَحَارِمِ اللَّهِ، وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَهُمْ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَعَارِضُونَ شَرْعَهُ وَشَرِيعَتَهُ: ﴿

مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) ﴿٧٢﴾ مَا وَقَرَّ اللَّهُ مِنْ جَعَلِ دِينَهُ هَزْوَاً وَلِعْباً وَسُخْرِيَةً
وَاسْتِخْفَافاً: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ (٦)﴾ ﴿٧٣﴾.

ومن هنا كانت المواعيد الربانية والزواجر الإلهية، مذكورة بعظمة الله ولقائه، وقدرته وقوته
وقهره، وهو سنن للداعين إلى الله أن يعظموا في قلوب الخلق، وأن يعظموا أمره ونهيّه، فإن
أتقى الناس وأخشاهم لله من كان بالله عالماً، ومن كان بالله أعرف فهو له أخوف: ﴿إِنَّمَا
يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (٢٨)﴾ ﴿٧٤﴾.

أيها المسلمون:

وثمة عبرة في الزلازل والكوارث، وما ترى في أعطافها من المصائب والمشاهد الداميات، والتي
تعبّر عنها مقولة الحكيم الرباني: " ألا ما أهون الخلق على الله إن هم عصوا " .

رجالٌ ونساء وأطفال بينما هم نائمون، أو في دنياهم غافلون، إذا بالأرض تنطبق على الأرض،
والبحر يطغى ويغرق الأرض، ويهلك الجميع وتدمر القرى والبنيات، ويُقفل الستار على
خراب ودمار: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)﴾
﴿٧٥﴾.

ألا ما أهون الخلق على الله إن هم عصوا: ﴿أَفَأَمِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ

نَائِمُونَ (٩٧) أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) ﴿٧٦﴾ .

عباد الله:

إنه ليس بيننا وبين الله حسب أو نسب، وسنن الله لا تُحابي أحداً، وإذا كثر الخبث عمّ العذاب، وهذه النذر في كل ناحية: زلازل، وفيضانات، وحروب، وتهديدات، وغلاء الأسعار، وقلة في الأمطار، وذنوب ومعاصي، وانحدار سريع في التفلّت من حبال الدين: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (٤٣) ﴿٧٧﴾ ، ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٥٠) ﴿٧٨﴾ .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٤٧) ﴿٧٩﴾ .

اللهم، إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك؛ اللهم، بارك لنا في القرآن والسنة، وانفعنا بما فيهما من الآيات والقواعد والحكمة، أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثاني

الحمد لله حمداً طيباً كثيراً، وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً، من ركن إليه كفاه وآواه واكتنفه وحماه، وكفى بالله وكيلاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها المسلمون:

إن استحضار عظمة الله، واليقين بمعرفة قدره وقهره، باعث على الثقة بالله والتوكل عليه والتعلق به ورجائه وعدم الخوف مما سواه، وذلك من صميم التوحيد، إن الإيمان أن تعلم حقاً أن التقدير والتدبير بيد الله، وأنه مالك السموات والأرض، يتصرف فيها كيف يشاء، وأن الخلق مَهْمَا أوثوا من علم الدنيا وقوتها، فإنهم لا يخرجون عن سلطان الله وملكه وقهره، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يرجي غير الله لجلب نفع أو دفع ضرر، أو كيف يخشى غير الله وهو القوي القاهر والعزيز الناصر، وقد قال جل في عليائه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ (٥٨) ﴿٨٠﴾.

كيف يتسلل اليأس والإحباط إلى قلوب المؤمنين حين يضامون في دينهم ويبتغون في شرعتهم، والله تعالى يقول: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ (٧٩) ﴿٨١﴾!؟

إن حشودَ الباطل وإجلابه لا تزيد المؤمن إلا ثباتاً، وثقة بوعده الله وبقيناً، فهو القوي المسيطر:
﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ (١٧٤)﴾^{٨٢}.

اليقين بالله والتوكل على الله يعني التعلق به في كل حال، يعني اعتماد القلب على الله واستناده عليه وسكونه إليه، فلا يضطرب القلب إلى اضطراب الأحوال والأسباب، ولا يركن إليها، ولا يبالي بإخفائها وإدبارها؛ لأن اعتماده على الله القوي العزيز، ومن كان الله معه فممن يخاف؟! ومن كان عليه فمن يرجو؟!

فاللهم احفظ علينا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا ديننا الذي فيها معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، وعافنا واعف عنا، ثم صلُّوا وسلِّموا على الرسول المصطفى، والنبي المجتبي، محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي، اللهم صلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آل مُحَمَّدٍ كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وباركْ على مُحَمَّدٍ وعلى آل مُحَمَّدٍ كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.
اللهم انصر من نصر الدين، واخذل الطغاة والملاحدة والمفسدين.

اللهم، آمناً في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتَّقاك واتَّبِع رضاك، يا رب العالمين!!

اللهم وفق وليّ أمرنا لما تُحِبُّ وتَرْضَى، وخذ به للبر والتقوى؛ اللهم، وفقه ونائبه وإخوانهم وأعوانهم لما فيه صلاح العباد والبلا، يا حي، يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام؛ اللهم، أصلح بطانته؛ اللهم، أصلح بطانته، واصرف عنه بطانة السوء، يا رب العالمين!!

اللهم، انصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان؛ اللهم، انصر دينك وكتابك وسنة نبيّك وعبادك المؤمنين؛ اللهم، أصلح أحوال المسلمين؛ اللهم، أصلح أحوال المسلمين في كل مكان، يا رب العالمين!!

اللَّهُمَّ قاتل الكفرة والملحدين، الذين يصدّون عن دينك ويُعادون أولياءك؛ اللهم، أنزل بهم بأسك وردّك، إله الحقّ.

اللهم فرّج همّ المهمومين من المسلمين، ونفّث كرب المكروبين، واقض الدين عن المدينين، وفكّ أسر المأسورين، واشف برحمتك مرضانا ومرضى المسلمين!!

ربّنا، آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولوالديهم ولجميع المسلمين.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة، اللهم اغفر ذنوبنا واستر عيوبنا وبلغنا فيما يرضيك آمالنا؛ اللهم، اغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، ويسر أمورنا، وبلغنا فيما يرضيك آمالنا!!

نستغفر الله، نستغفر الله، نستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوب إليه!!

اللهم أنت الله، لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين؛ اللهم أغثنا؛ اللهم أغثنا؛ اللهم أغثنا غيثاً هنيئاً مريئاً، طبقاً مجللاً عامّاً، نافعاً غير ضارٍّ، تحيي به البلاد، وتسقي به العباد، وتجعله بلاغاً للحاضر والبادي، اللهم سقيا رحمة، اللهم سقيا رحمة، لا سقيا عذاب ولا بلاء ولا هدم ولا غرق، اللهم إنا نستغفرك إنك كُنتَ غَفَّارًا، فأرسل السماء علينا مدرارًا.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وثُبْ علينا إنك أنت التواب الرحيم!!

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)﴾^{٨٣}

عنوان الخطبة : أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا

تاريخ إلقاء الخطبة : الثاني من جمادى الآخرة من عام ١٤٢٩ هـ

– أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا –

الخطبة

ة

أول

ى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد :-

فاتقوا الله تعالى أيها المسلمون، اتقوا الله تعالى حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾^{٨٤}.

واعلموا أن الدنيا ممر، وأن الآخرة هي المستقر، فاستبقوا الخيرات قبل فواتها، وحاسبوا أنفسكم على زلاتها وهفواتها، وكفوها عن الإغراق في شهواتها؛ فالكيس مَنْ دان نفسه وعمل

لما بعد الموت، والعاجز مَنْ اتَّبَعَ نفسه هواها وتمنى على الله الأماني، وَمَنْ أَصْلَحَ سريره أَصْلَحَ الله علانيته، وَمَنْ أَصْلَحَ ما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس، فالله الله في السرائر، فما ينفع في فسادها جمال الظاهر.

أيها المسلمون:

في زحمة الحياة، ومع تراكم مشاغل الدنيا وتواليها - قد يغفل الإنسان عن وظيفته الأساس التي من أجلها وُجِدَ، والغاية التي لها خُلِقَ ووُلِدَ؛ ألا وهي عبادة الله - سبحانه - وطاعته: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾^{٨٥}.

فأرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وخلق الإنسان وسخَّرَ له ما في السماوات والأرض، كل ذلك لأجل القيام بحق العبودية ومقتضياتها لله سبحانه. ووعد بالجنة مَنْ أطاعه، وتوعَّد بالنار مَنْ عصاه، وأخبر - جلَّ في علاه - أنه سيأتي يومٌ تُعرض الخلائق فيه على الله، وتنشر الصحف وتوزن الأعمال؛ فينظر كل ميزانه بإشفاقٍ ووجل، يتمنى كمال عمله وحسن ما قدَّم، علَّ ميزانه أن يثقل بالحسنات، فيأتي يومٌ يكون الحساب والجزاء فيه بالأعمال، وللذرة قيمةٌ وميزان، وللحسنة تأثيرٌ، يشحُّ بها المرء على أمه وأبيه، وزوجه وبنيه وأخيه: ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) ﴾^{٨٦}.

فما من أحدٍ إلا سيندم؛ فالمقصرُ يندم على تقصيره، والعاملُ يندم أن لم يكن قد ازداد!

في يوم القيامة مواقف وعرصات، وأهوال وكربات، ووزن للحسنات والسيئات، لن ينجو منها إنس ولا جان؛ إلا بالعمل - إذا رحمه الرحيم أرحم الراحمين.

85 سورة الذاريات

86 سورة الفجر

فماذا قدمت لحياتك الأخرى يا عبدالله؟ ما مقداره ونوعه؟ وما مدى كماله وصحته؟

عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أخذ بيده وقال: " يا يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ"، فَقَالَ: " أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: " اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ " ؛ رواه أبو داود في "سننه" بإسناد صحيح.

فهذا إرشاد نبوي كريم، بأن ندعو الله بعد الفراغ من الصلاة، ونسأله حسن عبادته، وقبل ذلك يقول الخالق جل في علاه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (٢) ^{٨٧} فدل النصان الكريمان على أن حسن العباداة مرتبة زائدة على مجرد أدائها.

ولأن كان الكثير من المسلمين حريصين على أداء عباداتهم وما افترضه الله عليهم؛ فإن القليل منهم هم الحريصون على أدائها بإحسان، كاملة السنن والواجبات والأركان، سالمة من الخلل والنقصان.

وأيم الله، إن المُسْلِمِينَ ليخرجان متوضئين للصلاة، ساعيين إلى المسجد، يصليان خلف إمام واحد، ينصرفان من صلاتهما وبينهما كما بين السماء والأرض في المثوبة والجزاء!! واسمعوا حديث عمار بن ياسر - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: " إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عَشْرُ صَلَاتِهِ تُسْعُهَا ثُمْنُهَا سَبْعُهَا سُدُسُهَا خُمُسُهَا رُبْعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا " ؛ رواه أبو داود بإسناد حسن.

بل إن من المصلين من تُلَفُّ صَلَاتُهُ كَتُوبُ خَلْقٍ، فيرمى بها في وجهه! وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لرجل: " ارْجِعْ فَصَلِّ ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ " مع أنه أتى بأفعالها الظاهرة.

أيها المسلمون:

إن مما ينبغي للمسلم معرفته واستحضاره، أن للواجبات والمفروضات من العبادات جانبين: جانب الإجزاء، وجانب الجزاء، فإذا أدى المسلم عبادته الواجبة؛ برأت ذمته منها وأجزأت، وأصبح غير مطالب بها، أما الجزاء: فهو المثوبة والأجر المترتب على أداء هذه العبادة، فقد يتساوى عابدان في الإجزاء، ويختلفان كما بين المشرق والمغرب في الجزاء، ومردُّ هذا الاختلاف إلى حرص أحدهما على حسن عبادته وتمامها، وتقصير الآخر فيها.

عباد الله:

حقُّ على كل مسلم يرجو لقاء الله، ويطمع في جنته، ويستجير به من ناره - أن يسعى لإحسان عمله في تمام وكمال، يسره وينجيه يوم تبيضُّ وجوهٌ وتسودُّ وجوه.

وإليكم - رعاكم الله - بعض ما تحسَّن به العبادة:

فأول ذلك ورأسه، شرط صحتها؛ هو: الإخلاص لله والمتابعة لرسوله - صلى الله عليه وسلم - وذلكم هو مقتضى الشهادتين، والمراد: الإخلاص بنوعيه العام والخاص، وألا يكون العبد متلبسًا بشيء من الشرك في حياته، كدعاء غير الله، أو الاستغاثة والاستعانة بغيره، أو فرض شيء من العبادات لغير الخالق الواحد - سبحانه وتعالى - وهذا باب عظيم ينبغي العناية به؛ فقد قال الله - جل في علاه - لرسوله الكريم: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦)﴾^{٨٨} فهو دليلٌ على أن الشرك لا ينفع معه عمل.

فالواجب على المسلم تفقُّد نفسه دومًا، وتوحيد الله في كل شؤونه.

وأما النوع الثاني مما ينبغي العناية به في جانب الإخلاص؛ فهو: أن تكون العبادة المؤدَّة سالمةً

من الرياء، مرادًا بها وجه الله وحده، وفي الحديث القدسي قال الله - تبارك وتعالى -: " أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتَهُ وَشِرْكُهُ " ؛ رواه مسلم.

أما الشرط الثاني من شروط صحة العبادة فهو: المتابعة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمراد بها تأدية العبادة على الصفة التي جاءت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من غير زيادة ولا نقصان، ومعنى هذا: أنه لا يجوز أن يُعبد الله إلا بما شرعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مبلِّغًا عن ربه؛ فالتعبد بما لم يشرعه الله، ولم يرد صحيحًا عن رسول الله - هو البدعة التي قال عنها النبي - صلى الله عليه وسلم - في حديث عائشة - رضي الله عنها -: " مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ " ؛ رواه البخاري ومسلم، ولفظ البخاري: " مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ " والله تعالى يقول: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ ﴾ (٢١) .^{٨٩}

وثمة أمر آخر يتعلق بالمتابعة؛ وهو: أن العابد قد يؤدي عبادته كما أمر، لكنه ينتقص من سننها، ويجتزئ من واجباتها، وقد تتخللها بعض المكروهات، أو يداخلها شيء من المحرمات. فهذه العبادة وإن أجزأت - إلا أنه ينقص من ثوابها بقدر ما نقص من حسناتها، والغبن كل الغبن - يا عباد الله - أن يفعل الإنسان ما يفعله غيره، ثم يأخذ أجره أنقص بكثير من صاحبه؛ بل ربما لم يأخذ من ثوابه شيئًا! وربما فعل العبد فعلاً يريد به من الله الزلفى، على هيئة لم يشرعها الله، ولم ترد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيخزيه الله بهذا العمل، ويكتبه في عبادته المبتدعين، شبيهًا بالضالين.

أيها المسلمون:

ومما تحسن به العبادات الواجبات: تكميلها بالنوافل التي من جنسها، فأركان الإسلام عبادات متحكّمت، ومن جنسها نوافل ومستحبات.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي ؟ " قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا دِينَارَ وَلَا مَتَاعَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيَقْتَصُّ لِهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَلِهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِذَا فُتِيتُ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ " ؛ رواه مسلم.

كما ورد أيضاً في الحديث عند أبي داود بسندٍ فيه مقال: " إِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ " .

ألا فاتقوا - عباد الله - وأحسنوا فيما تقدّمون، وحافظوا على أعمالكم، ولا تكونوا كأقوام لا يرضون أن تنتقص دنياهم شعرة، لا يبالون بما نقص من دينهم مهما كان من القلة والكثرة، أَرْضُوا بِالْحَيَاةِ مِنَ الْآخِرَةِ؟ ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٣٨) ﴿٩٠﴾ .

بارك الله لي ولكم في الكتاب والسنة، ونفعنا وإياكم بما فيهما من الآيات والحكمة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

الخطبة

الثاني

الحمد لله، توالى نعمه، وأحاطتنا بمنه؛ فحقت علينا عبادته. نسأله أن يودعنا شكر نعمه، وأن يوفقنا للصالحات، ويسعدنا في الدنيا وبعد الممات. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك

له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد أيها المسلمون:

إذا استشعر المسلم أن هذه العبادة أمر الله، وفيها رضاه، قد رضي - سبحانه - أن تكون من الإنسان زلفى له وقربةً منه، يرفع بها الدرجات، ويمحو بها السيئات - كان هذا أذعى للإنسان أن يهتم بعبادته ويعظمها ويجودها ويحسنها.

فليحذر المسلم من تقديم العبادة بشكل هزيل، أو مظهر عليل؛ لأن الواجب تعظيم شعائر الله:

﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (٣٢) ﴿٩١﴾ .

ولذا كان الإحسان أعلى مراتب الدين؛ في استشعار مراقبة الله للعبد، كما في الحديث المخرج

في "الصحيحين"، أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: " **الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ**

كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ " .

وهذا من جوامع الكلم التي أوتيها النبي - صلى الله عليه وسلم - لأننا لو قدرنا أن أحداً قام بعبادته وهو يعاين ربه - سبحانه وتعالى - لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمّت، واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهاها، إلا أتى به بالتتميم المذكور.

وفي حال العيان؛ إنما كان لعلم العبد باطلاع الله - سبحانه وتعالى عليه - فلا يُقدّم على تقصير في هذه الحال.

وإذا كانت مجالسة الصالحين مندوبة، لتكون مانعاً من تلبس الإنسان بشيء من النقائص/ احتراماً لهم واستحياءاً منهم - فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعاً عليه في سره وعلايته، نسأل الله تعالى أن يكتبنا في المحسنين، الذين قال عنهم: ﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ** ﴾

(٢٦) ﴿٩٢﴾ ، وقال: ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٥) ﴿٩٣﴾ .

هذا وصلُّوا وسلِّموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبدالله، الهادي البشير
والسراج المنير، رسول الله وخاتم أنبيائه.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم؛ إنك حميد
مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في
العالمين؛ إنك حميد مجيد.

وارضَ اللهم عن صحابة نبيِّك أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وارضَ عَنَّا
معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين، وأهزم الشرك والمشركين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر
بلاد المسلمين.

اللهم آمناً في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم انشر الأمن والاستقرار في بلادنا
وبلاذ المسلمين.

اللهم مَنْ أرادنا وأراد الإسلام والمسلمين وديارهم ودينهم وأمنهم بسوءٍ - فأشغله بنفسه،
ورددْ كيده في نحره، واجعل دائرة السوء عليه يا رب العالمين.

اللهم لا تسلط علينا بذنوبنا مَنْ لا يخافك ولا يرحمنا، ولا تؤاخذنا بذنوبنا، ولا بما فعل

92 سورة يونس

93 سورة المائدة

السفهاء منّا.

اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان، ورُدِّهم إليك ردًّا جميلاً.

اللهم انصر المستضعفين من المسلمين، في فلسطين، وفي كل مكانٍ يا رب العالمين، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين، اللهم أنجِ المستضعفين والمظلومين المضطَّهدين في دينهم وديارهم في كل مكانٍ يا رب العالمين. اللهم انصر المجاهدين في فلسطين وفي كل مكان، اللهم عليك بأعداء الدين؛ فإنهم لا يعجزونك، اللهم أنزل بهم بأسك ورجزك إله الحق.

اللهم أصلح ولاية أمور المسلمين، ووفِّقهم لما تحبُّ وترضى، وخُذْ بنواصيهم للبرِّ والتقوى، وانصر اللهم مَنْ نصر الدين، واخذل الطغاة والملاحدة والمفسدين.

اللهم وفق ولي أمرنا خادم الحرمين الشريفين، اللهم وفقه لهداك، واجعل عمله في رضاك، وفقه ونائبه وإخوانهم وأعوانهم لما فيه صلاح العباد والبلاد، اللهم جازِه على ما يبذل لخدمة الإسلام والمسلمين، وكافئه على ذلك بالتوفيق وحسن النتائج يا رب العالمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، وقنا عذاب القبر، وشر فتنة المسيح الدجال، وفتنة الحيا والممات.

ربنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم ولجميع المسلمين.

اللهم اجعلنا لك شاكرين، لك ذاكرين، لك مطواعين محبتين منيبين، ونسألك اللهم فعل

الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين.

اللهم فرِّجْ همَّ المهمومين من المسلمين، ونفِّثْ كرب المكروبين، واقضِ الدين عن المدينين،
وفكِّ أسرَ المأسورين، واشفِ برحمتك مرضانا ومرضى المسلمين.

الله اغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، وبلغنا فيما يرضيك آمالنا، نسألك اللهم رضاك والجنة، ونعوذ
بك من سخطك والنار، ربنا تقبل منّا إنك أنت السميع العليم، وتُبْ علينا إنك أنت التواب
الرحيم.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)﴾^{٩٤}.

عنوان الخطبة : حَتَّى يَحْفَظُكَ اللهُ

تاريخ إلقاء الخطبة : الثالث والعشرون من جمادى الآخرة من عام ١٤٢٩ هـ

— حَفِظُ الله —

الخطبة

أول

—

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عز عن الشبيه وعن الند وعن التطير، ليس كمثل شيء وهو السميع البصير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله السراج المنير والبشير النذير، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم البعث والنشور.

أما بعد:

فإن وصية الله تعالى هي التقوى، خير الزاد وهي الأبقى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨) ﴿٩٥﴾ .

عباد الله:

روى لنا الصحابي الجليل أبو هريرة - رضي الله عنه - حادثة وقعت له في إحدى الليالي؛ فقال " وَكَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَخْتُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ ، وَقُلْتُ : لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ . قَالَ : فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ ، فَأَصْبَحْتُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ ؟ " قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، شَكَأَ حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا ، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ . قَالَ : " أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ " .

فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ سَيَعُودُ ، فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ ، فَقُلْتُ : لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلَا أَعُودُ . فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ ، فَأَصْبَحْتُ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ ؟ " قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا ، فَرَحِمْتُهُ وَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ . قَالَ : " أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ " . فَرَصَدْتُهُ الثَّلَاثَةَ ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ ، فَقُلْتُ : لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ ، إِنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ . قَالَ : دَعْنِي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا . قُلْتُ : مَا هِيَ ؟ قَالَ : إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ سورة البقرة آية ٢٥٥ حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ . فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ ، فَأَصْبَحْتُ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ ؟ " قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ . قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قُلْتُ : قَالَ لِي : إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ سورة البقرة آية ٢٥٥ وَقَالَ : لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ ، وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ ، وَكَانُوا أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى الْخَيْرِ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطَبُ مِنْ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ " قُلْتُ : لَا . قَالَ : ذَاكَ شَيْطَانٌ " ؛ رواه البخاري.

أيها المسلمون:

مَنْ حَفَظَهُ اللَّهُ فَلَنْ يَضِيعَ ، وَمَنْ أَحَاطَهُ بِرِعَايَتِهِ وَحَمَاهُ وَحَرَسَهُ فَهُوَ فِي غَايَةِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ ، تِلْكَ هِيَ عُنَايَةُ اللَّهِ وَعِيَاذُهُ وَجَوَارِهِ . حِينَ تَلْجَأُ إِلَى اللَّهِ وَتَتْلُو آيَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ التَّامَّاتِ ، وَمِنْهَا هَذِهِ الْآيَةُ - آيَةُ الْكُرْسِيِّ - سَيِّدَةُ آيِ الْقُرْآنِ ، وَأَعْظَمُ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ .

عن أَبِي بِنِ كَعْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " يَا أَبَا الْمُنْدَرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ - تَعَالَى - مَعَكَ أَعْظَمُ ؟ " قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : " يَا أَبَا الْمُنْدَرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ - تَعَالَى - مَعَكَ أَعْظَمُ ؟ " قُلْتُ : اللَّهُ لَا

إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، قَالَ : فَضْرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ : لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ يَا أَبَا الْمُنْدِرِ " ؛ رواه مسلم.

آية الكرسي:

آية شريفة نزلت ليلاً، ودعا النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - زيذاً فكتبها، تواترت النصوص والآثار على فضلها، وفضل قراءتها في الصباح والمساء وقبل النوم وبعد الصلوات، اشتملت على توحيد الإلهية والرُّبُوبِيَّة والأسماء والصفات، تَكَرَّرَ فيها اسم الله تعالى بين مجمل وظاهر ثماني عشرة مرّة، افتتحت باسم الله، العَلَمُ الأعظم الجامع لكل معاني الأسماء الحسنى.

﴿اللَّهُ...﴾ : اسمٌ دالٌّ على الله وحده، لا ينصرف لغيره مجازاً ولا معنى.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...﴾ : كلمة التوحيد الخالصة؛ فهو المألوه المحبوب سبحانه، وهو الوحيد المستحق للعبادة، فلا معبود بحق إلا الله.

وهذا التوحيد الخالص هو القاعدة التي يقوم عليها منهج الإسلام؛ فلا عبادة إلا لله، ولا طاعة مطلقة إلا له سبحانه، ومنه التشريع، وله الحكم، وله الاستسلام في كل القضايا والتصورات، ولا اعتبار لقيمة من قيم الحياة إذا لم تُقبل في ميزان الله.

﴿الْحَيُّ...﴾ : فالله تعالى له الحياة التَّامَّة الكاملة، التي ليس لها ابتداء ولا انتهاء: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ

وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣)﴾ ^{٩٦}.

وفي "صحيح مسلم" من رواية جرير، عن سهل عن أبي صالح: "اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ.." الحديث، وكان يرويه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم -

فالحياة أزلاً وأبدًا لله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ (٥٨) ﴿٩٧﴾ .

﴿الْقِيُومُ...﴾ : القائم بنفسه سبحانه، لا يحتاج لغيره، ويقوم به كل موجود؛ فكل مخلوق لا يقوم إلا بالله، وهو سبحانه القائم على كل شيء، لا يحول ولا يزول، قامت به السماوات والأرض وما فيها من المخلوقات، فالكل مُفْتَقِرٌ إلى الله في كل شيء؛ من البدء والإيجاد، والحفظ والإمداد، وفي كل حال، والله سبحانه هو الغني وله القِيُومِيَّةُ التَّامَّةُ، وإذا آمن المسلم بذلك، وعلم أنَّ التدبير والتَّصريف لله سبحانه - أَسْلَمَ أمره لله، والتزم في حياته بالمنهج المرسوم القائم على الحكمة والتدبير، يستمد منه قِيَمَه وموازنه، ولا يعارض أمره وشرعه.

وصفة الحياة والقِيُومِيَّة تستلزم كل صفات الكمال والجلال لله وحده تعالى، ومن هنا قال بعض الحَقَّيقِينَ إنَّ ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾: "هو اسم الله الأعظم، الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى"؛ كما ورد في "السنن"، وعند الإمام أحمد.

ولتمام الحياة والقِيُومِيَّة فإنه:

﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ...﴾ : والسَّنة: هي الثَّعاس، وقيل: بل هو بدء الثَّعاس، وهو الفتور والكسل، والنَّوم والثَّعاس والكسل كلها صفات نقصٍ تَعْتَرِي المخلوقين، وقد تَنَزَّه عنها الخالق جلَّ في علاه.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ : فالملك كله لله، لا شريك له ولا منازع، يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، كل الأكوان له خاضعة، والخلائق له ذليلة خاشعة، السماوات والأفلاك، والأرض والأمكنة الكرام، والإنس والجان، والطير والحيوان، وكل ما تعجُّ به الأكوان، كله لله وحده، له الملك والخلق والتدبير.

وإذا علم الإنسان هذه الحقيقة؛ أدرك أنَّ كلَّ ما في يده عطاءٌ من الله مستخلفٌ فيه ليعمل بأمر

الله، فلا بُدَّ من الخُضُوع لله في كل التَّصَرُّفات، وإن ذلك من حقيقة التوحيد، كما أن استقرار هذه الحقيقة في الضمير، واستشعار الملكية الحقيقية لله، وأن ما في يد الإنسان عارية مؤقتة لا تلبث أن تُسْتَرَدَّ بموتٍ أو افتقار - إن ذلك كله كفيلاً بأن يطامن من حدة الشره والطمع والشح والحرص والتكالب المسؤول على خطام الدنيا وفتاتها.

كما أنه كفيلاً بأن يسكب في النفس القناعة والرضا بما يحصل من الرزق، واليقين بما عند الله، والثقة بوعده ونصره ورزقه وحفظه؛ لأنه الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض.

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ... ﴾ : لا مَلَكٌ مَقْرَبٌ، ولا نبي مُرْسَلٌ، كلهم عبيدٌ لله، فمقام العبودية لا يتناول لمقام الألوهية، ومهما كان حال الرسل والأنبياء والصالحين والأولياء فإن الشفاعة لا تكون إلا بإذن الله، ولمن رضي الله: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ (٢٨) ﴿ ٩٨ .

إن أصل الشفاعة ثابتٌ معلوم؛ لكنَّه للمؤمنين الموحِّدين، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا " ؛ رواه مسلم، وأخرجه البخاري.

فَمَنْ تَوَسَّلَ إِلَى الشَّفَاعَةِ بِالشَّرِكِ فَقَدْ ضَلَّ السَّبِيلَ، قال الله - عزَّ وجل - : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُبْتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١٨) ﴿ ٩٩ .

ومن هنا تظهر مناسبة ذكر الشفاعة في مقام التوحيد، وبعد تقرير الملوك وحده؛ فلا شفاعة إلا بإذنه، ولمن رضي عنه، وكان موحدًا بعيدًا عن الشرك صغيره وكبيره.

98 سورة الأنبياء

99 سورة يونس

أيها المسلمون:

ثم ذكر الله تعالى في هذه الآية العظيمة عِلْمَهُ المحيط بكل شيء...

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ...﴾: إنه العلم التام بكل دقائق الأمور وتفصيلاتها، عالمٌ

بكل أحوال الناس مما بين أيديهم وما خلفهم، من الدنيا والآخرة، من الماضي والحاضر

والمستقبل: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩)﴾ ١٠٠ ، ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧)

١٠١﴾ ، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَاتِ

الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩)﴾ ١٠٢ .

إنَّ الإيمانَ بذلك يبعث على التَّقوى، ويحدو بالمؤمن أن يخشى الله في السرِّ والنَّجوى؛ لأنه سبحانه لا تخفى عليه خافية، يعلم ويطلع ويحصي، ثم يحاسب ويجزي، فأين المهرب وأين المفرّ وأنت في مُلك الله، وتحت قهره وسلطانه وعلمه وقدرته، ولا شفاعة إلا بإذنه ورضاه؟!

إن ذلك باعثٌ على كمال الإيمان والتوحيد، والالتزام بالأمر والنهي، وطاعة الله حقًّا.

ومع علم الله التام المطلق؛ فإن الخلق لا يحيطون بهذا العلم، ولا يدركون منه إلا ما أذن سبحانه.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ...﴾ : إن الله تعالى أعطى الإنسان شيئاً قليلاً من

المعرفة، وكشف له أسراراً من الكون؛ لكنه له أسراراً أخرى، ومهما ترقى الإنسان في جانب

العلم والمعرفة – فإن ذلك لا يعدو شيئاً يسيراً في علم الله، لم ينله الإنسان أصلاً إلا بإذن الله.

100 سورة غافر

101 سورة طه

102 سورة الأنعام

ولا زالت الخفايا أكثر من الظواهر، حتى إنَّ الإنسان لا يعلم أَجَلَ نفسه، ومع ذلك قد يُفتن الإنسان بذلك الطرف من العلم الذي حصَّله؛ فيحسب نفسه في الأرض إلهًا، ويكفر ويتجبر، ويقول: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ ، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ (١٥) ﴿١٠٣﴾ .

يا لله، ما أعظم هذه الآية، وما أجملها، وما أسمى مراميها، وما أغزر معانيها!!

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (٢٥٥) ﴿١٠٤﴾ .

بارك الله لي ولكم في الكتاب والسنة، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثاني

الحمد لله حمدًا دائمًا يتوالى، أحمده تعالى وأشكره، وأثني عليه وأستغفره؛ إخبارًا له وإجلالًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛ أيها المسلمون:

ففي ختام هذه الآية العظيمة - ذَكَرَ اللهُ تعالى خَلْقًا من أعظم مخلوقاته؛ تنبيهًا لعظمته وجلاله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ أي: شمل وأحاط كرسِيُّه - والكرسي: هو موضع قَدَمَي الربِّ جلَّ وعلا - وهو بين يَدَي العرش كالمقدمة له، كما صَحَّتْ بذلك التُّقُولُ". قال القاضي: "والذي تقتضيه الأحاديث: أَنَّ الكُرْسِيَّ مخلوقٌ عظيمٌ بين يَدَي العرش، والعرش أعظم منه".

وقد أخرج البيهقي وابن أبي شيبة بإسنادٍ صحيح، أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - قال: " مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ عِنْدَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةِ " .
إِنَّ في ذلكَ دليلًا على عظمة الأكوان واتساعها، وَأَنَّ الكُرْسِيَّ قد وَسِعَ السماوات والأرض، وأنه أعظم خَلْقًا منها، فكيف بالله خَالِقُهَا والمتصرِّفُ فيها - جلَّ في علاه!!؟

ومع كل هذه العظمة فإِنَّه:

﴿وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا...﴾ : أي: لَا يُثْقِلُهُ وَلَا يُعْجِزُهُ، والأُودُ: هو الجهد والمشقة؛ لكنه اللهُ تعالى لَا يثقله ذلك وَلَا يشقُّ عليه حفظ هذه العوالم الهائلة، وَلَا يثقله حفظ السماوات والأرض وَمَنْ فيها، كُلُّ شيءٍ حقيرٌ بين يديه، متواضعٌ ذليلٌ بالنسبة إليه، كلُّ شيءٍ محتاجٌ إليه.

ومما يشمله الحفظ: حفظه لجميع خلقه بهدايتهم، وتيسيرهم لمصالحهم وأمور معاشهم، ودفع ما يضرهم، فهو الذي يحفظ جميع خلقه بنعمه، ويخصَّ عباده الصالحين بحفظٍ خاصٍّ، فيدفع عنهم ما يضرهم في دينهم ودنياهم.

وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - قال له: " احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ " .

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ...﴾ : إِنَّه العَلُوُّ بكل معانيه السامية، علُوُّ الدَّاتِ، وعلُوُّ القَدَرِ، وعلُوُّ

القهر، وعلو الأسماء والصفات: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) ﴿١٠٥﴾.

إن الله تعالى هو المتفرد بالعلو المطلق، المتفرد بالعظمة، وما يتناول أحد من العبيد إلى هذا المقام إلا ويرده الله إلى الخط والذلة، والهوان والقلّة: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ (٨٣) ﴿١٠٦﴾. وقد أهلك الله فرعون لأنه كان عاليًا متعاليًا.

إن استشعار المؤمن لعظمة الله وعلياه ترده إلى التواضع والخشوع لله، والأدب مع المولى العظيم، والتحرّج من الاستكبار على عباد الله، إنه اعتقاد وتصوّر، وعمل وسلوك توحيه هاتان الصفتان الكريمتان، والتي ختمت بها أعظم آية في القرآن - آية الكرسي - أسبغ الله علينا من بركاتها، وجعلنا ممن يتلوها حقّ تلاوتها.

ثم صلّوا وسلّموا على الرّحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله - رسول الله وخاتم أنبيائه.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلّ الشّرك والمشرّكين، ودّمّر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفق وليّ أمرنا لهذا، واجعل عمله في رضاك، اللهم أصلح بطانته، واصرف عنه بطانة السوء، اللهم وفقه ونائبه وإخوانهم وأعوانهم لما فيه صلاح العباد والبلاد.

اللَّهُمَّ أصلح أحوال المسلمين، اللهم أصلح أحوال المسلمين في فلسطين وفي كل مكان، اللهم احقن دماءهم، وأظهر أمنهم، وأرخص أسعارهم، واجمع كلمتهم على الحق والهدى يا رب العالمين.

اللهم انصر المجاهدين في فلسطين، وفي كل مكان يا رب العالمين، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين، اللهم قاتل الكفرة والمشركين، الذين يصدون عن دينك ويعادون أوليائك.

اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين، ونفث كرب المكروبين، وفك أسر المأسورين، واقض الدين عن المدينين، واشف برحمتك مرضانا ومرضى المسلمين. ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم وجميع المسلمين.

اللهم اغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، ويسر أمورنا، وبلغنا فيما يرضيك آمالنا.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واختم لنا بخير، واجعل عواقبنا إلى خير، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

عنوان الخطبة : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾
تاريخ إلقاء الخطبة : الخامس عشر من رجب من عام ١٤٢٩ هـ

— إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ —

الخطبة

أول

الحمد لله ، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿ (٣) ﴾ ١٠٧

أحمد ربي تعالى وأشكره ، وأثني عليه وأستغفره ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - صلى الله و سلم - وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فاتقوا الله حق التقوى ، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

عباد الله :

إن الله تعالى أوجد الناس وذرائعهم ، وهيء لهم ما يعمرهم به الكون ، يقول المولى جلّ وعلا ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ وضمن نسلهم وبقاءهم ، فهم جيل يخلف جيلا ، وأمة تقفوا أمة ، وحضارة تلي أخرى ، يقول المولى جلّ وعلا ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾

شعوب وأمم ، وأعراق واجناس ، ولغات وطباع ، وأديان ومذاهب ، نسبها في الميلاد آدم ، وأصلها في التدين التوحيد ، ولما خبت أنوار النبوة في حين من الدهر ، وضعف استمداد

الناس من الوحي في فترات من التاريخ ، وتفرق الناس وأصبح كل حزب بما لديهم فرحون ، يقول المولى جلّ وعلا ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

فنشأ أتباع كل أمة على ما ورثوا وقالوا ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾

فعميت أبصارهم على ما أنعم الله به على هذا الكون من وحي وهدايات ، ونبوات ورسالات ، تنير للسالكين دروب الحياة ، وتضمن للمهتدين الفوز والنجاة ، بل إن انغلاقهم عن فهم دين تنطق أنواره بصدقه ، وتشهد بقايا دينهم بعدله قد حرم امتداداً طبيعياً ، وتجديداً إلهياً لشريعتهم ، يحمل شعلته نبي قد بشر به نبيهم ، ورسول توميء إليه كتبهم وذلك أن الله تعالى لما كان هو وحده المستحق للعبادة فقد أوجد فطرة التدين في نفوس خلقه ، وبعث إليهم أنبياء ورسلاً بعقيدة واحدة وهي التوحيد ، وشرائع شتى في المعاملات والأحكام كما في الحديث المتفق عليه " الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتِ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ "

فإن غبر الدهر على وحي ذلك النبي ، وخفتت أنوار نبوته في نفوس المتأخرين من اتباعه

كلما بعدَ جيل ووهن الاستمداد يبعث الله نبياً آخر حتى لا يترك الخلق سُدى ، يقول المولى جلّ وعلا ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتَرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذِبُهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ يبعثه الله بعقيدة من سبق ، وشرعية مختلفة عما سبقها لحكمة يريد بها الله سبحانه وتعالى حتى ختمها الله تعالى بشرعية ضمن خلودها و أوجب على الناس ، كل الناس اتباعها ،

جمع فيها خير ما وجد في الشرائع السماوية السابقة ، وقال جلّ وعلا ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

وقال جلّ وعلا في ختام مرحلة النبوة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

وفي الوقت ذاته وصى الله تعالى بمن لم يتبع هذه الشريعة الخاتمة من أتباع الديانات السابقة وفاءً لنبي لهم قد بُعثَ ، وإكراماً لوحى قد بقيت في أيديهم منه بقية ، فخص أهل الكتاب بديّةٍ ليست لغيرهم ، وأحل ذبائحهم ونكاح نسائهم ، وأوصى بعدم التعرض لعبادهم وأماكن عبادتهم .

وجعل لمن أسلم منهم أجرهم مرّتين

وجاء القرآن الكريم بكثير من أخبارهم ، وأخبار أنبيائهم عليهم السلام ، وجعل الإيمان بالكتب السماوية و التصديق بنبوات الأنبياء السابقين ورسالات الرسل الماضيين ركناً من أركان الإيمان بهذا الدين الخاتم .

وكثر خطاب القرآن لأهل الكتاب وأتباع الديانات ، وتنوعت أساليبه ، وتعددت أغراضه ، واستُهلّت كثير من آياته ب ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ في حوارات عقلية ، ونداءات حضارية تحترم عقل المخاطب ، وتجاوز فكره ، ولا تجرح عقيدته .

يقول المولى جلّ وعلا ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

أيها المسلمون :

ولأننا في زمن الصراع على المصالح ، وتغليبها على القيم والمبادئ ، وفي وقت استعمل فيه كل ما أمكن من أدوات الصراع ، كانت الأديان وسيلة من هذه الوسائل المستخدمة ، كأنها

لم تكن من مشكاة واحدة أتت بعقيدة راسخة ثابتة ، يقول المولى جلّ وعلا ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾

وكان دين الإسلام هو أكثر دين تعرضت محاسنه للتغيب ، ونالت أحكامه الإساءة والتشويه ، تارة من أعدائه وتارة أخرى من بعض أبنائه .

و إنك لتعجب ونحن في زمن القرية الكونية الواحدة ، وفي عصر المعرفة المنتشرة وفي وقت حرية وسائل النشر والاتصال والإعلام أن تجد في صحفٍ سيارة مرموقة وفي فضائيات المسابقة الموثوقة جهلاً فاضحاً بهذا الدين وعباية تامة بنبيه الكريم ، واستفزازاً صريحاً للمسلمين وتشويهاً لتاريخهم ورجاله الماضين مما يجلب الجهل بهذا الدين لدى الشعوب المغيبة ، وتجلب الحيرة لدى الباحثين عن الحقيقة ، ومن أجل هذا وجب على القادرين من المسلمين أن لا يألوا جهداً في إظهار حقيقة هذا الدين وعرضه كما هو على الباحثين ، وعلى التائهين بلا مزادة ولا تحريف ولا نقص ولا تحوير لأن أنواره دالة على حقيقته وصفاته يخبر عن معدنه وجوهره .

وكانت دعوة خدام الحرمين - وفقه الله تعالى - للقاء العلماء وأصحاب الفكر من أتباع الديانات ، ليعرف الدين من رجاله ، وليس من أعدائه

وليطّلع على أحكامه من علمائه ، وليس من جهال أبنائه ، وهي فجوة كانت تنتظر من يرجعها ، وهوة وجب تكسيروها ، والآن قد استمع من علماء الأديان من استمع فقد وجب عليهم الصدق مع ربهم ، فقد وجب عليهم الصدق مع ربهم ، والتجرد للحق والعدل لأنهم مسئولون ، وفي قومهم مقدرون ، ويوم القيامة محاسبون ، وأن يقطعوا الطريق على من

يستخدم الدين ولا يخدمه ، ويسفك الدماء باسمه ، ويقهر الشعوب تحت مظلته ، ويشعل الحروب تحت نافذته .

يقول المولى جلّ وعلا ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعنا وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم .

الخطبة

الثاني :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٣) ﴾ نعبده ونستعينه ونسأله أن يهدينا الصراط المستقيم ، وأن يُجَنِّبَنَا طريق المغضوب عليهم والضالين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله - صلى الله عليه و على آله ، وصحبه ، والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، أيها المسلمون :

إن مما نادى به خدام الحرمين الشريفين - وفقه الله - من التأكيد على أن الدين الذي أراده الله لإسعاد البشر يجب أن يكون وسيلة لسعادتهم ، لذلك يجب علينا أن نعلن للعالم أن الاختلاف ليس بالضرورة أن يؤدي إلى النزاع والصراع ، وأن المآسي التي مرت في تاريخ

البشر لم تكن بسبب الدين ، ولكن بسبب التطرف والغلو الذي ابتلي به بعض أتباع كل دين سماوي وكل عقيدة سياسية .

وما أكده - وفقه الله - من أن الحوار لا يعني صهر الأديان والمذاهب بحجة التقريب بينها ، فهذا هو الحق الذي لا ينبغي تجاوزه ، والحد الذي لا ينبغي تخطيه ، فليس الحوار تميعاً للدين ، ولا وهناً في الاعتقاد ، ولا مجاملات في الشريعة أو تنازلات عنها .

ولا مزايدة على أن الدين عند الله الإسلام ، يقول المولى جلّ وعلا ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعٌ ﴾

يقول المولى جلّ وعلا ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

هذا وصلوا وسلموا على خير البرية ، وأزكى البشرية ، محمداً بن عبد الله ، رسول الله وخاتم أنبيائه .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم

إنك حميد مجيد

وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت

وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء ، الأئمة الخلفاء ، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن
التابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

اللهم أعز الإسلام والمسلمين
اللهم أعز الإسلام والمسلمين
اللهم أعز الإسلام والمسلمين
وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد
المسلمين .

اللهم آمناً في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا

اللهم اجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين

اللهم وفق ولاة أمور المسلمين لما تحبه وترضاه ، وخذ بهم للبر والتقوى

اللهم وفق ولي أمرنا لهداك ، واجعل عمله في رضاك ، اللهم وفقه ونائبه وإخوانهم وأعوانهم لما
فيه صلاح العباد والبلاد .

اللهم أصلح بطانته .

اللهم أصلح بطانته ، وأبعد عنه بطانة السوء يا رب العلمين .

اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان .

اللهم أصلح أحوال المسلمين .

اللهم احقن دمائهم ، وأظهر أمنهم ، وأرغد عيشهم ، واجمعهم على الحق والهدى يا رب العالمين .

اللهم انصر المجاهدين في سبيل الله .

اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في فلسطين ، وفي كل مكان يا رب العالمين .

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين

اللهم انصر ، واخذل الطغاة والملاحدة والمشركين

اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك .

اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك .

اللهم اكفنا شر الأشرار ، وكيد الفجّار ، وشر طوارق الليل والنهار يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يرضيك آمالنا .

اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين ، ونفث كرب المكربين ، وفك أسر المأسورين ، واقض الدين عن المدينين ، واشف برحمتك مرضانا ومرضى المسلمين ، يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام .

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ

عباد الله :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ
كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾

عنوان الخطبة : احذروا اللغو (اللغو جريمة في حق الأمة)
تاريخ إلقاء الخطبة : الرابع عشر من شعبان من عام ١٤٢٩ هـ

— احذروا اللغو —

الخطبة
أول

—

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله - تعالى - حقَّ التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ ١٠٨ .

أيها المسلمون:

آية جاءت بين آيتين، وصفة كريمة توثقت بين ركنين عظيمين، تبوّأت مكانها بين الصلاة والزكاة، وتعلق بها فلاح الدنيا والآخرة، إنها صفة المؤمنين، الذين هم عن اللغو معرضون؛ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)﴾ ١٠٩ .

عباد الله:

اللغو: هو الباطل، وهو كل ما لا نفع فيه ولا فائدة من الأقوال والأفعال، ومن صفات المؤمنين الحميدة: أنهم يتزهون عن اللغو والباطل، ويربأون بأنفسهم عنه، وفي سورة الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢)﴾ ١١٠ لا يشهدون الزور؛ أي: لا يحضرونه، والزور: هو كل قول وفعل محرم، فيجتنبون مجالسه، ويتحاشون مظانه، ومن باب أولى ألا يقولوه ولا يفعلوه.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾: إشارة إلى أنهم لا يقصدون مجالسه وأماكنه، لكن إن حصل

108 سورة الأحزاب

109 سورة المؤمنون

110 سورة الفرقان

ذلك من غير قصد؛ فإنهم يرغبون بأنفسهم عنه، حتى ولو نزل عن رتبة الحرام؛ فهو سفة ونقص.

والإعراض عن اللغو صفة أساس من صفات المؤمنين، تكرر التأكيد عليها في القرآن، ونزه عنها المؤمنون في الجنان: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ (٦٢) وفي سورة القصص - في وصف الله للمؤمنين الصادقين -: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (٥٥) .

ومن اللغو: فارغ الحديث الذي لا طائل تحته، ولا حاصل وراءه، وهو الهدر الذي يهدر الوقت، دون أن يضيف إلى القلب أو العقل زادًا جديدًا، وهو البذير من القول، الذي يفسد الحسّ واللسان، سواءً وجهًا إلى مخاطب أم حديث عن غائب، ومنه: الاشتغال بما لا ينفع.

والقلوب المؤمنة لا تلغو ذلك اللغو ولا تسمع لذلك الهدر؛ فهي منشغلة بتكاليف الإيمان، متطهرة بالرفق؛ بل إنهم لا يدخلون في جدل مع أهل اللغو؛ لأن ذلك من الجهل وضياع الأوقات: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ .

عباد الله:

إن في الحق ما يشغل عن الباطل، وفي حياة المسلم من الواجبات ما لا يستقيم معه ضياع الأوقات، والأمة التي تبتغي الجدل لن ترقى إليه بالعبث واللهو والغفلة واللغو، والأمة الجادة: هي الأمة المنتجة المنشغلة بما ينفعها، وفي تكاليف الحياة ما يدعو للجد: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (٧) **وَالِى رَبِّكَ فَارْغَبْ** (٨) .

111 سورة مريم

112 سورة القصص

113 سورة الشرح

ليس في قاموس الأمة القائدة عبثٌ ولا هزل، حتى في مواطن الترويح؛ لأن ضياع الأوقات فيما لا فائدة فيه ضياعٌ للأعمار وإهدارٌ للحياة، والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

والنفس الفارغة لا تعرف الجِد؛ فتلهو في أخطر المواقف، وتَهزل في مواطن الجِد، وتستعثر في مواطن القداسة، حتى تنتهي إلى حالة من التفاهة والانحلال، فلا تصلح للنهوض بعبءٍ، ولا القيام بواجب، ولا تبني دولا أخرى.

أيها المسلمون:

إن التوسع في المباحات، والاشتغال بالملهيات، وصرف الطاقات والأوقات فيها، وجعلها مقصداً - هو إلهاء، وتغفيل، ولغو مدموم، فكيف إذا خالطتها الحرمات، وعلت رايثها بالمنكرات، وصار الإثم علماً على الإسعاد والترفيه؟!

إن مبدأ الترويح عن النفس أمرٌ مشروع، لا مزايدة فيه، لكن التغفيل، والإلهاء، وإشغال عموم الأمة بما لا ينفعها ولا يضرها ويبعدها عن الله، ويقصبيها عن رضاه، ويعرضها للعقاب، ويُقعدُها عن السَّبْق في علوم الدنيا والآخرة - هو جريمةٌ في حق الأمة، وإقعادٌ لها، وإهانة، وتغفيل، وتوهين، ويرُدُّها إلى التَّيِّه والغفلة، ونسيان الله والدار الآخرة.

واللغو - بكل ما عليه من الأقوال والأفعال والأفكار والأحوال - غفلةٌ تُميت القلب، فتتلاشى الطاعة من النفس، ويأس القلب؛ فتكون الاستهانة بالذنوب والآثام، والتخبط في دياجير الظلام، فلا يُنتفع بنصحٍ ولا إرشاد.

عباد الله:

السمع والبصر واللسان تصب في القلب، ترويه بما تغشاه، ويتشبع القلب بما يرُدُّ عليه من هذه الجوارح، إن خيراً أو شراً، والغيبة والنميمة والخوض في أعراض المسلمين من أقبح اللغو، وتَتَّبِع أحوال الناس وحديث الإنسان فيما لا يعنيه لغوٌ يفسد القلب، وسهر الليالي فيما لا

ينفع لغوٌ مُضِرٌّ.

والسمع والبصر إن أُطْلِقَا في تتبع العورات، وإتيان المحرمات، ورؤية المنكرات، ومتابعة الأفلام والمسلسلات - كانت عاقبةُ هذا اللغو فسادَ القلب، وتَعْصِيَه على الطاعة، وتنكُّره للمعروف. وإن الإنسان قد يستقبح السوء في أوّل الأمر، حتى إذا تكرر وقوعه، وألفت نفسه رؤيته - خفّت حدّة استقباحه، وسهل على النفس أن تسمع وترى؛ لذا حذّر الله من المجاهرة بالسوء: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ (١٤٨)﴾^{١١٤} فكيف بالفعل، أو عرض السوء على الناس ونشره، والدعوة إلى رؤيته، والمطالبة بتخصيص الأماكن العامة لعرضه؟

إنه يبدأ كتابةً وعرضاً، ويبدأ قولاً وقد يكون فرديّاً، ثم ينتهي انحلالاً اجتماعيّاً وفوضى أخلاقية، تَضِلُّ فيها تقديرات الناس، وتنتشر الشكوك والشائعات، وتنعدم الثقة في داخل المجتمع، حتى بين الأقارب؛ بسبب هذه الأفكار، التي أَشْهَبَتْ بها قلوب الناس، وينتشر الفساد بلا نكير، فأَيُّ صلاحٍ ونتاجٍ يُرجى من أمةٍ غارقةٍ في الشهوات، غارقةٍ في المُلْهِيَّاتِ؟!

ألا يا كلَّ مَنْ يلبس الملاهي لصرف وقته، أراك تحسب الحياة هُوءاً - فهل تحسب الموت هُوءاً؟! ويا كلَّ مَنْ يصف الأيام بين الأوهام والأحلام، إن كنتَ تجهل ما تُضِيعُ من الزمن فقِفْ بالقبور، ملتَمِساً من سكّانها برهةً من الوقت؛ لتعلم أنه العزيز الذي لا يهلك، والفائت الذي لا يُسْتَدْرَك، وكم من قائل: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ (١٠٠)﴾^{١١٥} فيقال: كلاًّ إن العمر لا يعود، ومَنْ خاف أدلج، ومَنْ أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية؛ ألا إن سلعة الله الجنّة.

بارك الله لي ولكم في الكتاب والسنة، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة.

¹¹⁴ سورة النساء

¹¹⁵ سورة المؤمنون

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً، مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبداً لله ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد:

أيها المسلمون:

إن النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة منوطٌ بذكاء النفس وصلاحها، وذلك لا يكون إلا باجتناب ما يضرُّ بها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾ ^{١١٦} ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥)﴾ ^{١١٧}.

وإن اللغو والباطل والإثم والمعاصي تطفئ نور الإيمان، وتخمّد جذوة الطاعة، وتمنع ذكاء النفس وطهارتها، وتُعشّي الظلام على القلب؛ حتى لا ينتفع بموعظة، ولا يهتدي بهدى؛ قال الله - عز وجل - : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)﴾ ^{١١٨} قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : "هو الذنب بعد الذنب".

وعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: " تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ

¹¹⁶ سورة الشمس

¹¹⁷ سورة الأعلى

¹¹⁸ سورة المطففين

سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيَضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَيْضٍ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرَبَّادًا كَالْكُوزِ مُجَحَّيًّا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا؛ إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ "؛ رواه مسلم.

عباد الله:

ومن أسوأ اللغو: ما كان في الزمن الفاضل، وما كان سبباً في ترك الطاعة والعبادة، ويقال هذا مع إقبال شهر رمضان المبارك، الذي تنتظره القلوب المؤمنة بعد أيام؛ لترتوي من الطاعات، وتعرض للرحمات، وترقى في مدارج الإيمان، وتلتمس النفحات.

في وقت اجتهد فيه أهل اللغو والباطل وتسابقوا في ملئه بما يصدُّ عن ذِكر الله وعن الصلاة، فترى وسائل الإعلام والإلهاء في تسابق محموم للدعاية لكل ما يُلهي ويصدُّ عن سبيل الله، ويتعارض مع روحانية هذا الشهر الكريم، فكيف تزكو النفوس؟! وكيف تصفو القلوب مع هذا اللغو المتكاثر كالطوفان، والمشحون بالإثم والعصيان؟! وفي صحيح البخاري: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ؛ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ " .

وقد كان السلف - رحمهم الله - يتركون التعليم والتحديث، ويتفرغون للعبادات وقراءة القرآن؛ بل إن زكاة الفطر المشروعة في ختام الشهر ليست إلا طهرة للصائم من اللغو والرفث، فكيف بمن كان شهره كله لغواً وعبثاً وهواً وصدوداً؟!!

عباد الله:

وكما اجتهد العارفون في توفير كلِّ ما يصدُّ عن الله؛ فالخليق بالمؤمن أن يحذر ذلك، وأن يحفظ صومه وشهره أن يضيع في لغوٍ وخسران.

اللهم بلغنا رمضان، ووفقنا فيه لما يرضيك، وتقبل منا صالح أعمالنا، وجنبنا مواطن سخطك.

ثم صلُّوا وسلِّموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، رسول الله، محمد بن عبد الله، اللهم صلِّ وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين، ودمِّر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتَّقاك واتَّبِع رضاك يا رب العالمين.

اللهم وفق وليَّ أمرنا لما تحبُّ وترضى، وخذ به للبرِّ والتقوى، اللهم ارزقه البطانة الصالحة، واصرف عنه بطانة السوء، اللهم وفقه ونائبه وإخوانهم وأعدائهم لما فيه صلاح العباد والبلاد.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيِّك وعبادك المؤمنين.

اللهم انصر المجاهدين في سبيلك؛ في فلسطين وفي كل مكان.

اللهم أصلح أحوال المسلمين، وأظهر أئمتهم، وأرغد عيشهم، واجمع كلمتهم على الحقِّ والهدى يا رب العالمين.

اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك.

اللهم فرِّج همَّ المهمومين من المسلمين، ونفِّث كرب المكروبين، وفك أسر المأسورين، واقضِ الدَّيْن عن المدينين، واشفِ برحمتك مرضانا ومرضَى المسلمين.

اللهم اغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، ويسر أمورنا، وبلغنا فيما يرضيك آمالنا.

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢٣) ﴿ ١١٩ .

ربنا اغفر لنا ولوالدينا، ووالديهم وذرياتهم، وجميع المسلمين.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿ ١٢٠ .

عباد الله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٩٠) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٩١) ﴿ ١٢١ .

119 سورة الأعراف

120 سورة البقرة

121 سورة النحل

عنوان الخطبة : نعيم الجنة

تاريخ إلقاء الخطبة : الثاني عشر من رمضان من عام ١٤٢٩ هـ

- نعيم الجنة -

الخطبة
أول

—

الحمد لله ذي الفضل والعطايا، له وافر الحمد وأزكى التحايا، وهو المؤمل لمغفرة الذنوب والخطايا، أوعد ووعد، وجعل العاقبة الحسنى لمن آمن به ورشد ومن استقام واهتدى ولم يشرك بربه أحدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وأشهد أن محمداً عبداً لله ورسوله، بشر أمته بالجنة وأنذرهم بالنار، وتجافى عن هذه الدار طمعاً في دار القرار، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار والتابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد، أيها المسلمون:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله فهي عُدَّة هذه الحياة للوصول إلى عِدَّة الإله، ولا تُلهينكم الحياة الدنيا؛ فإنَّ الحياة دُولابٌ عما قليل سوف يقف، ونفوس إلى آجالها تدنو وتزدلف، ثم يصير الخلق كلهم بعد ذلك إلى وعد الله أو وعيده، ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرِ

أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴿١٢٢﴾ .

فالموفق من جدٍّ وشئمر، وفي مواطن الخيرات سعى وبها استبشر؛ ليحظى بالجنة وبالجنة يظفر.

أيها الصائمون، أيها المتعبدون، أيها الأوابون الأواهون:

بُشَارَةُ اللَّهِ لَكُمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ دَارُ السَّلَامِ، وَوَعْدُهُ لَكُمْ أَعَالِي الْجَنَانِ ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾

جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴿١٢٣﴾ .

الحديثُ عن الجنة - أيها المؤمنون - فرياقٌ وسلوانٌ وتشويقٌ وإيمانٌ، وعند العمل الصالح قفوَ القلوب إلى موعودِها، وترتجي الجنات من ربها ومعبودها، فالجنة موعود رب العالمين، وجائزته للمتقين العاملين، هي سلوى الصابرين ومحط رجال العابدين، هي منازل الأنبياء وسكنى الأصفياء السعداء ومستقر الأولياء.

الجنة وما فيها منتهى أمل الآملين، وغاية طموح الطامحين، الحديث عن الجنة هو حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، والمقصود منه شحذ الهمم وترقيق القلوب وتذكير النفوس وبشارة أهل الإيمان والسنة بما أعدَّ الله لهم في الجنة؛ فإنهم المستحقون للبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (٢٥) ﴿١٢٤﴾ . ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (٢٣) ﴿١٢٥﴾ ، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ

122 سورة غافر

123 سورة الرحمن

124 سورة البقرة

125 سورة الشورى

(٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴿١٢٦﴾ .

الجنة: هي الميعاد، ونعيمها يفوق الوصف والخيال، في الصحيحين: " مَوْضِعُ سَوَاطِ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا " .

يستقبل أهل الجنة بالأمن والبشارة والخلود، ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴿١٢٧﴾ .

في الصحيحين أن النبي - صَلَّى الله عليه وسلم - قال: " إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً ، لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلَا يَنفُلُونَ وَلَا يَتَمَخَّطُونَ ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ ، وَمُجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعَيْنُ ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ ، سِتُونِ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ " .

أيها المسلمون:

في الجنة يُلقَى المؤمنُ عنه العناء، ويستريح من الوعناء، ويحمد الله على هذا المستقر ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴿١٢٨﴾ .

126 سورة التوبة

127 سورة الزخرف

128 سورة فاطر

الجنة مترهة عن كل المنغصات، ﴿جَنَّتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ (٦١) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (٦٣) ﴿١٢٩﴾ .

اسمعوا - أيها المتقون - إنكم أنتم الوارثون، وهذا الوعد حقٌ والله! ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ (٦١) ﴿١٣٠﴾ ، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضَلًّا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٥٧) ﴿١٣١﴾ .

إن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نورٌ يتلأأ، وريحانة تهنر وقصرٌ مشيد، ونهرٌ مطلد وفاكهةٌ كثيرةٌ نضيجة، وزوجةٌ حسناء جميلة، وحللٌ كثيرةٌ في مقامٍ أبدا، في حبرة ونضرة، في دور عالية بهية، تُزع من قلوبهم الشحناء والبغضاء وساوس الصدر ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (٤٧) ﴿١٣٢﴾ .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - : قال الله تعالى: " أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، اقْرَأُوا إِنَّ شِئْنَكُمْ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) ﴿١٣٣﴾ رواه البخاري ومسلم.

سورة مريم	129
سورة مريم	130
سورة الدخان	131
سورة الحجر	132
سورة السجدة	133

جَنَاتٌ عِدْنٌ غُرَفَاتُهَا مِنْ أَصْنَافِ الْجَوْهَرِ كُلِّهِ، وَخِيَامُهَا مِنَ اللَّوْلُؤِ الصَّافِي عَلَى شَوَاطِي أَمْهَارِهَا
الْبَهِيجَةِ، عَرْشُ الرَّحْمَنِ سَقْفُهَا، وَالْمَسْكُ وَالزَّعْفَرَانُ تُرْبَتُهَا، وَاللَّوْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ وَالْجَوْهَرُ
حَصْبَاؤُهَا، وَالذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ لِبَنَاتُهَا، غُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَمْهَارُ.

وإن أردت المزيد فاسمع ما يلقاه المؤمنون العاملون الوَجِلُونَ الذين يطعمون الطعام على حبه
مسكيناً ويَتِيماً، ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِهِ
اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠)
فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا
(١٢) مُتَكِينِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ
ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ
(١٥) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا
(١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ
لُؤْلُؤًا مَنْشُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا (٢٠) عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ
خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ
جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿ ١٣٤ .

نَعِيمُ الْبَدَنِ بِالْجَنَانِ وَالْأَمْهَارِ وَالشَّامِرِ، وَنَعِيمُ النَّفْسِ بِالْأَزْوَاجِ الْمُطَهَّرَةِ، وَنَعِيمُ الْقَلْبِ وَقُرَّةُ الْعَيْنِ
بِالْخُلُودِ وَالِدَوَامِ، عَيْشٌ وَنَعِيمٌ أَبَدٌ الْآبَادِ، ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّا لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنٌ مَأْبٍ (٤٩)
جَنَاتٍ عِدْنٍ مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠) مُتَكِينِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ
(٥١) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَثَرَابٌ (٥٢) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ
هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ (٥٤) ﴿ ١٣٥ .

وإن سألت عن الأزواج فالخور العين خيراتٌ حسان جمعن جمال الباطن والظاهر، ﴿ خُورٌ

مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) ﴿١٣٦﴾ عُرُبًا مَتَحِبَّاتٍ لِأَزْوَاجِهِنَّ أَبْكَارًا، ﴿لَمْ يَطْمِثْنَهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٧٤)﴾ ﴿١٣٧﴾ لَوْ أَطَّلَعْتَ إِحْدَاهُنَّ عَلَى الدُّنْيَا لَمَلَأَتْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ رِيحًا وَعَطْرًا، وَلَطَمَسَ نُورُهَا وَضِيَاؤُهَا ضِيَاءَ الشَّمْسِ، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيَجْزِي اللَّهُ الْمُؤْمِنَاتِ يَنْشَأَنَّ عَلَى أَجْمَلِ خَلْقَةٍ، ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨)﴾ ﴿١٣٨﴾ يَجْمَعُ اللَّهُ شَمْلَهُمْ وَيُؤَانِسُهُمْ بِأَهْلِيهِمْ ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)﴾ ﴿١٣٩﴾، ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهُونِ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (٥٧) سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ (٥٨)﴾ ﴿١٤٠﴾ .

سُرُورٌ دَائِمٌ وَبَقَاءٌ أَبَدِيٌّ وَنَظَرَةٌ وَسَعَادَةٌ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِمَّا جَزَاؤُهُمْ فِي النَّعِيمِ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٩)﴾ ﴿١٤١﴾ .

هذا وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المتزّه عن التمثيل والتشبيه كما تُرى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر، كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه، وذلك موجود في الصحاح والسنن والمسانيد من رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد - رضي الله عنهم أجمعين - .

136 سورة الرحمن

137 سورة الرحمن

138 سورة الواقعة

139 سورة الرعد

140 سورة يس

141 سورة المطففين

فاستمع يوم ينادي المنادي: "يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم، فحي على زيارته، فيقولون سمعًا وطاعة، وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم، فيستوون على ظهورها مسرعين، حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعدًا وجمعوا هناك، فلم يغادر الداعي منهم أحدًا.

أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك، ثم نصبت له منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، وجلس أدناهم على كثران المسك، وليس فيهم ديني، ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم، نادى المنادي: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا؟! ويثقل موازيننا؟! ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار؟! فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نورٌ أشرق له الجنة، فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله وتقديست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة سلامٌ عليكم، فلا تُردُّ التحية بأحسن من قولهم: "اللهم أنت السلام ومنك السلام تبارك يا ذا الجلال والإكرام"، فيتجلّى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني؟! فهذا يوم المزيد، فيجتمعون على كلمة واحدة أن: قد رضينا، فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة، إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي، هذا يوم المزيد فاسألوني، فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليك، فيكشف الرب جل وعلا الحجب، ويتجلّى لهم، فيغشاهم من نوره وينسون كل نعيم عاينوه، ولولا أن الله سبحانه قضى ألا يحترقوا لا حترقوا، ولا يبقى في هذا المجلس أحدٌ إلا حاضره ربه محاضرة، حتى إنه ليقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا، يذكره ببعض غدراته بالدنيا، فيقول: يا رب ألم تغفر لي، فيقول: بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه".

اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم بارك لنا في القرآن والسنة، وانفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثانية

الحمد لله جعل جنّات الفردوس لعباده المؤمنين نزلاً، ونوع لهم الأعمال الصالحات؛ ليتخذوا منها إلى تلك الجنّات سبلاً، وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه، وضرب مدة الحياة الفانية دونها أجلاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا غنى لنا طرفة عين عن فضله ورحمته، ولا مطمع لنا في الجنة إلا بعفوه ومغفرته، وأشهد أن محمداً عبداً لله ورسوله، وخليته ومصطفاه، صلى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، أيها المسلمون:

فتلك عبارات ليست إلا إشارات، وإلا فإن الحقائق أعظم والله تعالى أكرم، فهل من مشمّر إلى الجنة؟! قولوا: نحن المشمّرون إن شاء الله، فهي والله الحياة! ألا فبؤساً لمن آثر الحياة الدنيا عليها، فباع جنة الخلد بعيش زائل، إن أضحك قليلاً أبكى كثيراً، وإن سرّ يوماً أحزن شهوراً، أوّلُه مخاوف وآخِرُه متآلف، بؤساً لقوم نعيم في الدنيا كأنّما خلّقوا لها! وسلّكوا في تحصيلها كل طريق من حلال أو حرام كأنّما خلّدوا لها! بؤساً لقوم نسوا الآخرة وأهملوها، وتركوا أوامر الله وأضاعوها، غداً يُقال لهم: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ (١٤) ﴿١٤﴾

فيا عجباً ممن آثر الفاني على الباقي! وإنما يظهر الغبن الفاحش يوم القيامة حين تظهر الحسرة والندامة إذا حُشِر المتقون إلى الرحمن وفداً، وسيق المجرمون إلى جهنم ورداً، ونادى المنادي على رؤوس الأشهاد، ليعلمن أهل الموقف من أولى بالإكرام من بين العباد، فلو رأيت المؤمنين المكرمين، ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ (١٧) ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ (١٨)

لَا يُصَدِّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (١٩) وَفَاقِهَا مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَخَوْرٍ عَيْنٍ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللَّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) ﴿١٤٣﴾ .

وبعد، يا عباد الله:

فها أنتم في زمن الحرث والعمل والكثر والأمل، وإنما الدنيا صبر ساعة ثم إلى الله المنقلب، فأروا الله من أنفسكم خيراً، ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) ﴾ ﴿١٤٤﴾ فالله تعالى يناديكم: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ (٢٥) ﴾ ﴿١٤٥﴾ فهلموا إلى الجنة والرضوان، وكونوا كمن وصف الرحمن: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَخْرُومِ (١٩) ﴾ ﴿١٤٦﴾ .

وإنَّ في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدّها الله لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وصلى بالليل والناس نيام.

وها هو شهر رمضان موسم التوبة والإنابة، وموطن الدعاء والإجابة، شهر الصلاة والصيام والصدقة وصلة الأرحام، تزودوا من الصالحات واستكثروا من الحسنات إلى أن يُقال لكم غداً في الدار الآخرة: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) ﴾ ﴿١٤٧﴾ .

قدّموا لأنفسكم، فإن في الناس الفقراء والمساكين، وأصحاب الديون العاجزين والغارمين،

143 سورة الواقعة

144 سورة آل عمران

145

146 سورة الذاريات

147 سورة الحاقة

واليتامى والأيتامى، ومن غيبتهم السجون، وأسر السجناء ومن يتكففون العيش ومن يتعففون،
كلهم بحاجة إلى صدقاتكم وزكواتكم.

وفي البلاد لجاناً وطنية لرعاية السجناء والمفرج عنهم، ورعاية أسرهم، تقوم بحاجاتهم،
وصدرت الفتوى بصرف الزكاة لهم فأعينوهم، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ
بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧)﴾^{١٤٨}. فاللهم اجعلنا من أهل الجنة.

هذا وصلُّوا وسلموا على خير البرية وأزكى البشرية رسول الله محمد بن عبد الله، اللهم صلِّ
وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه، اللهم أوردنا حوضه،
واحشرنا في زمرة، وارزقنا مرافقته في الجنة.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، واجعل هذا البلد
آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم آمناً في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، وأيد بالحق إمامنا وولي أمرنا، اللهم وفقه
لهذاك واجعل عمله في رضاك، اللهم أصلح بطانته واصرف عنه بطانة السوء يا رب العالمين.
اللهم وفقه ونائبه وأعوانهم لما فيه صلاح العباد والبلاد.

اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك
المؤمنين، اللهم أصلح أحوال المسلمين، اللهم آمنهم وأرخص أسعارهم واجمع كلمتهم على
الحق والهدى يا رب العالمين.

اللهم فرِّج هم المهمومين من المسلمين، ونفِّث كرب المكروبين، وفك أسر المأسورين، واقض
الدين عن المدينين، واشف برحمتك مرضانا ومرضى المسلمين.

اللهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ وَالنَّارِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذُنُوبَنَا، وَاسْتَرْ عِيوبَنَا، وَيَسِّرْ أُمُورَنَا، وَبَلِّغْنَا فِيمَا يَرْضِيكَ آمَالَنَا.

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢٣) ﴿١٤٩﴾ .

اللهمَّ تقبل صيامنا وقيامنا ودعاءنا وصالح أعمالنا.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿١٥٠﴾ .

اللهمَّ ما سألناك في هذا الشهر الكريم من مسألة صالحة فاجعل أوفر الحظ والنصيب منها لنا ولوالدينا ووالديهم وأزواجنا وذرياتنا، ومن أوصانا بالدعاء ومن أحبنا فيك وأحببناه فيك، ومن له حقُّ علينا.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أن التواب الرحيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة : نَعَمْ اللهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ

تاريخ إلقاء الخطبة : العاشر من شوال من عام ١٤٢٩ هـ —

149 سورة الأعراف

150 سورة البقرة

- نَعَمْ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ -

الخطبة

أول

—

الحمد لله، الحمد لله على ما أنعم علينا من صيام شهر رمضان وقيامه، والحمد لله الذي تفضل علينا بالشهر الكريم وقامه، والحمد لله يجزي بالإحسان إحسانا وبالصبر عاقبة حسنى ورضوانا .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو ثقتنا حين تسوء الظنون وهو الملجأ حين تنقطع الحيل.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وخليته ومصطفاه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين وعلينا وعلى عباد الله الصالحين.

أما بعد : فإن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿١٥١﴾ اتقوا الله وأصلحوا العمل، فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

أيها المسلمون : أسعد الله أيامكم سروراً، وألبسكم من تقوى زهوره، إن كتاب الله تعالى بينة بصائر، نفيسة جواهره، فيه الحجج الظاهرة، والعظات الزاخرة، حوى من الحكم

أعجبها، ومن الأحاديث أصدقها وأعذبها، وحيث المقام مقام شكر وحمد، فلنرتحل مع سورة من سور القرآن ونتأملها ونتدبرها، سورة سميت سورة النعم لكثرة ما عدد الله فيها من النعم على عباده، سورة النحل فيها من دلائل وحدانية الله تعالى وألوهيته الشيء الكثير، نزلت في أخريات مقام النبي صلى الله عليه وسلم في مكة بعد ما احتدم الصراع بين المؤمنين والمشركين، ولم يكتمل للمسلمين نصراً يشد أزهرهم، ولم يتزل بالشرك حدث يقصم ظهره، وكأن المشركون يقولون أين ما تعدوننا به من العقاب الأليم، فكان الجواب حاسماً في أول السورة : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) ١٥٢ .

أيها المسلمون : ذكر الله تعالى في هذه السورة العظيمة سورة النحل أصنافاً من النعم حيث ذكر أصولها ومكملاتها، ففي أول السورة نعمة الوحي وإرسال الرسل داعية إلى التوحيد وأعظم به من نعمة : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ (٢) ١٥٣ فسمى الوحي روحاً ، كما أن جبريل يسمى روحاً لأن الإنسان بغير الوحي جسد بلا روح مثله كمثل الميت.

ثم ذكر الله تعالى نعمته بخلق السموات والأرض، وخلق الإنسان من نطفة، ونعمته بخلق الأنعام ، ونعمة إنزال الماء ، ونعمة إرساء الجبال ، وشق الأنهار، وتمديد الطرق، وتزيين السماء بالنجوم واهتداء الخلق بها، في نظم عجيب وآيات باهرة ختمها الله تعالى بقوله : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٨) ١٥٤ .

إنه لا موعظة أعظم من القرآن ولا بيان أبلغ من آيات الله . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ

152 سورة النحل

153 سورة النحل

154 سورة النحل

بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢) خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ
مُبِينٌ (٤) وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ
تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ
رَبَّكُمْ لَرَّؤُوفٌ رَحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨)
وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٩) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ
وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ
لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذْكُرُونَ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ
لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا
تَذْكُرُونَ (١٧) وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨) ﴿١٥٥﴾ ثم ذكر
الله تعالى أدلة التوحيد وأمر به، وبين أنه دعوة الرسل من نوح عليه السلام إلى محمد صلى الله
عليه وسلم ، وذكر حال السعداء والأشقياء ، ثم عاد فقال : " وما بكم من نعمة فمن الله " ،
فلا تصرفوا العبادة إلا لله سبحانه فهو المنعم على الحقيقة .

أيها المسلمون : وتمضي السورة في تعداد أصناف أخرى من النعم ، وألوان من المنن،
فذكر من الأشربة اللبن : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ
وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ (٦٦) ﴿١٥٦﴾ كما ذكر العسل في معجزة النحل : ﴿ ثُمَّ كُلِي
مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ

155 سورة النحل

156 سورة النحل

لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ١٥٧ ثم ذكر الله تعالى نعمته بأن جعل لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ورزقكم الأولاد والأحفاد .

ويمضي تعداد النعم فذكر نعمة العلم والتعليم وهيئة أسباب ذلك : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٧٨) ١٥٨ .

أيها المسلمون : إن نعم الله تعالى فوق الحصر ، وبين كل نفس ونفس تنتزل نعم وتترادف أفضال ، ويذكر الله تعالى نعمة المساكن والبيوت : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَائِلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ (٨١) ١٥٩ .

ألا فاشكروا نعمة الله فإن الشكر مع المزيد أبداً ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (٧) ١٦٠ ومن لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ، ومن شكرها فقد قيدها بعقالها ، ربنا أوزعنا أن نشكر نعمتك التي أنعمت علينا وعلى والدينا وأن نعمل صالحاً ترضاه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

157 سورة النحل

158

159 سورة النحل

160 سورة إبراهيم

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم،
أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم .

الخطبة

الثاني

الحمد لله، الحمد لله الحمود بكل حال، والشكر له شكراً في كل مقام ومقال ، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فسبحانه هو ذو الفضل والنوال، وإليه المرجع والمآل .

وأشهد أن محمد عبد الله ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى الصحب والآل
والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد: ففي ختام هذه السورة العظيمة سورة النحل، وبعد التذكير بالنعم ، ذكر الله
تعالى مثلين : مثلاً لمن شكر نعمة الله وهو إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً
قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٢١) شاكراً لآنعمه اجتنابه وهداه إلى صراطٍ
مُسْتَقِيمٍ (١٢٢) ﴿ ١٦١ ٠

أما المثل الثاني ، فهو لم كفر نعمة الله : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً
يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا
كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (١١٢) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ
(١١٣) ﴿ ١٦٢ ٠

161 سورة النحل

162 سورة النحل

إنها سنة الله تجري في كل زمان ومكان ، والله تعالى يمهّل ولا يهمل ، وسنن الله لا تحابي أحداً ، والله تعالى يظل الخلق بإنعامه وإفضاله، ويمهّلهم ويملي لهم، حتى إذا لجوا في طغيانهم واستكبروا وعميت أبصارهم ، وقالوا من أشد منا قوة أتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، يأتيهم أمره من السماء أو من الأرض أو من فوقهم أو من تحت أرجلهم من بينهم أو من تحتهم، تأتي الكوارث في طوفان أو زلزال أو حروب أو وباء أو انهيارات اقتصادية وزعزعات سياسية ، وقد قال الله تعالى في هذه السورة ، سورة النحل : ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ (٤٧) ﴾ ١٦٣ .

وإن من العجيب في البشر أن يد الله تعمل من حولهم، وتأخذ بعضهم أخذ عزيز مقتدر، فلا يغني عنهم مكرهم وتدبيرهم ، ولا تدفع عنهم قوتهم ولا علمهم وما لهم .

ويظل الناجون آمنون لا يتوقعون أن يأخذوا كما أخذ غيرهم، ولا يخشون أن تمتد إليهم عقوبة الله في صحوهم أو منامهم، في غفلتهم أو في استيقاظهم ، وهذا هو الأمن المذموم .

إن ما يحدث من كوارث ونوازل تهدد العالم وتؤثر فيه، هي والله آية كيف تتلاشى أسطورة المال وتندك قلاع الربا وتنهار القوى وينتهي كل شيء في دقائق معدودات ، ويصبح الناس على ذهول مهول، أين القوة والجبروت أين الهيمنة الاقتصادية ، في لحظات وبلا مقدمات ينتهي كل شيء ، إنها والله آية وعظة ، وإنها لنذر ليراجع الناس ربهم ويعودوا لخالقهم، وليعلموا أن القوة لله جميعا .

هذا وصلوا وسلموا على رسول الله محمد بن عبد الله ، اللهم صلى وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل

محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، وسلم عليه
يارب تسليماً كثيراً .

الله أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين واجعل هذا
البلد آمناً مطمئناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين .

اللهم آمننا في أوطاننا ، اللهم آمنا في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، اللهم
اجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك ، واتبع رضاك يارب العالمين ، اللهم ادفَعْ عنا الغلا والوبا
والربا والزلازل والخن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن ، اللهم وفق ولي أمرنا لهذا ،
واجعل عمله في رضاك ، اللهم وفقه ونائبه وإخوانهم وأعوانهم لما فيه صلاح العباد والبلاد .

اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان ، اللهم كن لهم مؤيداً ونصيراً ،
ومعينا وظهيراً ، اللهم أصلح أحوال المسلمين ، اللهم أصلح أحوال المسلمين ، اللهم أصلح
أحوال المسلمين في كل مكان ، واجمعهم على الحق يارب العالمين ، اللهم انصر دينك وكتابك
وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان يارب العالمين ،
اللهم انصرهم في فلسطين ، وفي كل مكان يا حي يا قيوم ، اللهم اجعلنا شاكرين لنعمك مثنين
عليك بما قابليها وأتمها علينا يا حي يا قيوم ، اللهم فرج هم المهمومين ، ونفث كرب
المكروبين ، وفك أسر المأسورين واقض الدين عن المدينين ، واشف برحمتك مرضانا ومرضى
المسلمين،

اللهم تقبل صيامنا وقيامنا ودعاءنا وصالح أعمالنا ، اللهم اغفر ذنوبنا واستر عيوبنا
ويسر أمورنا وبلغنا فيما يرضيك آمالنا ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا
عذاب النار، اللهم اغفر لنا ووالدينا ووالديهم وذرياتهم ولجميع المسلمين ، ربنا ظلمنا أنفسنا
وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

نستغفر الله نستغفر الله ، نستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوب إليه .
اللهم أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من
القانطين . اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا غيثاً هنيئاً مريئاً سحاً طبعاً مجللاً ، عاماً نافعاً
غير ضار يحيى به البلاد وتسقي به العباد وتجعله بلاغاً للحاضر والباد ، اللهم سقيا رحمة ،
اللهم سقيا رحمة ، اللهم سقيا رحمة ، لا سقيا عذاب ولا بلاء .

اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارا فأرسل السماء علينا مدرراً . ربنا تقبل منا إنك
أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، سبحان ربك رب العزة عما
يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

عنوان الخطبة : العلم وأثره في الحضارات

تاريخ إلقاء الخطبة : التاسع من ذي القعدة من عام ١٤٢٩ هـ

- العلم وأثره في الحضارات -

الخطبة

أول

ى

الحمد لله الحمد لله أحاط علمه جميع الكائنات وحوى سلطانه الأرض والسماوات، يحيي القلوب بنور الوحي كما يبعث الأرض بالقطر بعد الموات، أعلى للعلم شأنًا ورفع للعلماء قدراً ومكاناً ﴿..يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ..﴾ (١١) ﴿١٦٤﴾

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبد الله ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جاهده حتى آتاه اليقين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وعلى آل الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى حق التقوى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿١٦٥﴾ .

عباد الله: خصلة هي معيار تفاوت الأمم في الميزان، وفضيلة تتفاضل بها الدول والأوطان، ومكتسب به ... كل يدعيها وإن كان منها خلياً، كل ينفي عن نفسه ضدها وإن كان منها ... فضيلة دعت إليها الشرائع والعقول، وتنافس فيها أهل الشرف والأصول، هي أول ما أكرم به الإنسان يوم خلق، وزود به يوم وجود، تلکم أيها المسلمون فضيلة العلم واقرأ إن شئتم ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ..﴾ (٣١) ﴿١٦٦﴾ .

أيها المسلمون: منذ ذلك اليوم الأول الذي أصاب فيه آدم علماً استمر العلم والإنسان مصطحبان، يؤثر أحدهما في الآخر ومتى وجد العلم النافع في أمة هداها، فقوم منها السلوك ورقاها في مدارج الحضارة، وليس القصد بيان أهمية العلم وفضله، فإن هذا مما استقر في النفوس وأصبح من بدائه العقول، فمنذ اليوم الأول لوجود الإنسان وعلى مر الأزمان،

164 سورة المجادلة

165 سورة آل عمران

166 سورة البقرة

تفرع العلم وتشعب وانقسم وتعدد، إلا أنه يمكن إدراج العلم تحت قسمين رئيسيين هما: علم الشريعة والدين وعلم الطبيعة والتجريب، وتجاذب هذان العلمان البشر على مر العصور، فيأخذون من هذا ويأخذون من ذاك، ويشغلون بهما أو بأحدهما، وفي العصور الماضية كانت علوم الشرائع والأديان هي المقدمات لدى الأمم، وأهلها من الأحرار والعلماء هم خواص الملوك وجلساءهم، وهم أهل الرأي والمشورة فيهم، وبقدر قرب الولاة والعلماء يكون قرب الأمة من شريعتها، وبقدر تباعدهم يكون بعد الأمة عن شريعتها، وقد تجلّى هذا التقارب والتمازج في القرون الأولى من عمر أمة الإسلام، فهديت ورشدت وتبعت تلك النهضة الدينية فهضة دنيوية، تطورت على إثر ذلك علوم تجريبية كثيرة، ويكاد يكون هذا الأمر مضطرباً، إذ كل فهضة دينية راشدة في تاريخ

الإسلام تعقبها فهضة دنيوية، وقد نتلمس ذلك في إشارات من القرآن العزيز ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ...﴾ (٩٦) ﴿١٦٧﴾ .

أيها المسلمون: في القرن الماضي وفي أواخر الذي قبله فتح على البشر من علوم الدنيا ما لم يعهد في أسلافهم، وتفجرت المعرفة والاكتشافات، وأورثت تلك العلوم والمعارف تفوقاً سياسياً وصناعياً رافقه نتاج فكري وأدبي غزير، نقلت البشر إلى حال من الرفاهية جديد وسيدت تلك العلوم أربابها، ومكنتهم من بسط نفوذهم على كثير من البلاد احتلالاً واستعماراً، وأدرك المغلوبين ما يدرك المهزوم عادة مما قرره أهل التاريخ والاجتماع، من أن المغلوب مولع أبداً بتقليد الغالب في شعاره وزيه ونحلته وعوائده، وسائر أحواله، وكان الظهور هذه المرة لغير المسلمين في زمن ضعفهم في أمور دينهم ودنياهم، وأصيب كثير من المسلمين هذه المرة ليس في أجسادهم وأبشارهم وإنما في قناعاتهم وذواتهم، وعندما تصاب أمة من الأمم بهذا المرض المدمر وهو فقدان الذات، فإن أبرز أعراضه يتمثل في الانبهار القاتل بالأمم الأخرى، والاستمداد غير الواعي من منهاجهم ونظمها وقيمها.

ولما كان الغالب قد نح الدين والتدين وهمش علوم الشرائع والأديان، وهو من شأن رجاله وعلماءه، سرت هذه العدوى إلى كثير من بلاد المسلمين، والتي كانت تزرع تحت نيل المستعمر، -ونج الله هذه البلاد المقدسة فلم تطلها يد الاستعمار- وعندما قررت كثير من البلاد الإسلامية ذلك الحين مناهجها الدراسية، وأنشأت معاهدها وأقسامها الجامعية، كان نصيب علوم الشريعة الإسلامية منها ضئيلاً، وحظ شباب المسلمين منها قليلاً، ومع هذه القلة فإن تلك العلوم الإسلامية في كثير من تلك المدارس لم يكن يشترط فيها النجاح لتجاوز المرحلة الدراسية، فنشأت أجيال من المسلمين مبتوتة الصلة بتاريخها، قليلة العلم بأحكام دينها، يعرفون من تاريخ الغرب أكثر مما يعرفون من تاريخ بلادهم، ويعلمون من سير قادة المستعمر وعلماءه ما لا يعرفونه عن عظماء قومهم، أما علمهم بأمور دينهم فإن هذا مما يشكى إلى الله .

إلا أنه لم تخل بلاد الإسلام من معاقل لعلم الشريعة جاهدت ذك الحين جهادا عم أثره، وحفظ الله به علم الشريعة وعلماءه، منها أزهى مصر ومحاضن للعلم في هذه البلاد الطاهرة، كانت نواة لجامعات إسلامية نفع الله بها عموم المسلمين، تمحضت لتدريس علوم الشريعة، وأمها طلبة العلم من أقطار شتى، مع حلق العلم في المساجد ومعاهد في بلاد أخرى للمسلمين.

وبعد أيها المسلمين: ما سبق من عرض لا يعني أبدا التهوين من علوم الطبيعة والتجريب، ولا الغض من فنون تخدم أغراضاً دنيوية بحتة، فإن العلوم التي تصلح بها ديننا الناس ومعاشرهم قد يدخل تعلم بعضها وتعليمه في الواجب الكفائي، ولكن المؤسف المحزن أن تجلي طرفك في عموم بلاد المسلمين فترى انحساراً وضعفاً في الاهتمام بعلم الشريعة، وأن ترى تعليق القبول في معاهدها وجامعتها بحاجة سوق العمل أو الوفرة الوظيفية، كأن علم الشريعة لبناء الدنيا، كما تأسى أن تراحم أروقة الجامعات الإسلامية الرائدة في العالم الإسلامي بتخصصات علمية، كأن اضطلاعها بتدريس علوم الشريعة ليست مهمة كافية تحشد لها الطاقات وتوفر لها كل الاهتمامات، أو كأن الجامعات الشرعية لا توصف بأنها متطورة أو متقدمة إلا بتبنيها لعلوم تراحم علوم

الشريعة، ومع حسن ظننا بالقائمين على ذلك الداعين إليه إلا أنه يجب تذكير الجميع بعظمة علوم الشريعة الإسلامية، وعظمة استمداها وثمرتها، وأنها تصلح أمور الدين والدنيا ومدى حاجة العالم كافة إليها وضرورة الأمة إليها، وأنها يجب ألا فتن أمام ولع الناس وشدة اهتمامهم بعلوم أخرى، ونفقد الثقة في أنفسنا وفي مكانة علومنا الشرعية، فإن استمداها من السماء وأول معلميها هم الرسل والأنبياء، وثمرتها إسعاد البشر في الدنيا وفي الحياة الآخرة، والعلم الشرعي يكسب صاحبه خيرية قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: " مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ " فتفقه مسلم هو كسب لمجتمعه إذا أصبح أحد أفراده خيراً حتى ولو انكفأ على نفسه، فكيف إذا عمل به وبلغه إنه ميراث الأنبياء وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ " إن العلم الشرعي وأصحابه هم المقدمون في الدنيا والآخرة، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن معاذ بن جبل رضي الله عنه يأتي يوم القيامة يقدم العلماء.

أيها المسلمون: أدركوا علما الشريعة فالعلماء الربانيون يموتون، والاهتمام بهذا العلم يتضائل ويتقلص، والعالم يضطرب في ظلمات الجهل بالله واليوم الآخر، وتنعدم الأخلاق والقيم في لجج السياسة والإعلام، والاقتصاد والتشريع ثم إنك ترى من يتفحم في مسائل الدين بالجهل والهوى، ومن يتطرف في أحكامه بالغلو والتعصب، كل ذلك نتائج انحسار العلم الشرعي المؤصل، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بَقْبِضِ الْعُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا ، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا " متفق عليه

إن حاجة الناس إلى العلماء وإلى علم الشريعة كحاجة الظمآن إلى الماء، والغريق إلى الهواء، خاصة في زمن اضطراب الأهواء، إنك ترى بؤاد الغربة بذبول معاقل علم الشريعة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا ثُمَّ يَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ " رواه مسلم وفي رواية بسند حسن: " بَدَأَ الْعِلْمُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا . "

أيها المهتمون إننا إن رمنا إصلاحاً وتطويراً لمخاض علم الشريعة، فإن لهذا الأمر مجالاته ومنها التزكية الروحية لطالب العلم، والاهتمام بنوازل العلم ومستجداته، وتطوير آليات التعليم وطرائقه، وإعادة ترتيب مناهجه وسبله، ودعم مراكز البحث العلمي وغير ذلك مما لا يعجز عنها الأكفاء المخلصون.

علينا أن ندرك ونعي أن العلوم المقتحمة على الجامعات الشرعية المتخصصة لها جامعاتها التي تدرسها بكفاءة وخبرة في طول البلاد وعرضها، أما ما يعني بتدريس الشريعة فإنه في العالم قليل، والمستقيم على النهج السليم أقل من القليل، فليت شعري ما الذي سيبقى بعد ذلك من هذا القليل .

ومرة أخرى فإنه لا مساومة على أهمية علوم الطبيعة والتجريب فذلك أمر مسلم، ووجود جامعاته المختصة أمر محمود ومطلوب، لكن هذا لا يقتضي مزاحمة علم الشريعة والتقليص من مخرجاته، أعوذ بالله من الشيطان ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١٢٢) ﴿١٦٨﴾ .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة

الثاني

الحمد لله جعل العلم مربحاً ومغنماً، وصيره إلى الجنة طريقاً وسلاماً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبد الله ورسوله، بعثه الله هادياً ومعلماً، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى الآل والصحب الكرام، نقلوا إلينا دين الله فكانوا نعم الأمناء، واستودعونا ميراث الرسول والأنبياء فرضي الله عنهم وأرضاهم ورضي عمن سار على نهجهم واقتفى أثرهم.

أما بعد أيها المسلمون: ففي زمن انتشار المعلومة وكثرة مصادر التلقي، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، تبرز الحاجة الملحة إلى العلم الشرعي المؤصل، فليس العلم مجرد معلومات تحصل إنما هو فقه ودربة ودين وإيمان وقواعد وأصول، وإحاطة بأصول الاستمداد وطرائقه وأدلته والموازنة بينها وطرق الاستنباط والترجيح، ومعرفة الأحوال والوقائع والمقاصد وغير ذلك، مع بذل الأعمار ومواصلة الليل والنهار في تحصيل ذلك والتروي منه، قال الإمام مالك: "ما أفتيت أحداً حتى شهد لي سبعون أني ذلك" فكيف لو رأى تصدر من لا خلاق له ممن يجول ويصول بلقمه ولسانه في كل فن وعلى كل منبر، لم يطلب العلم يوماً لكنه عرف شيئاً أو أعجبه رأيه فطار به .

إن العلماء شيء آخر فوق الوعاظ وفوق المفكرين، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " سَيَأْتِي عَلَى أُمَّتِي زَمَانٌ يَكْثُرُ الْقُرَاءُ ، وَيَقِلُّ الْفُقَهَاءُ ، وَيَقْبُضُ الْعِلْمُ ، وَيَكْثُرُ الْهَرَجُ " أخرجہ الحاکم وصححه ووافقه الذهبي.

يجب أن يعرف للعالم الحق قدره، وأن يوقر الله ولما يحمله من دين الله، والحذر كل الحذر من التهوين من شأنهم لدى العامة، أو محاولة إسقاطهم وما يقدر فيهم إلا زائغ.

العلماء أمان الأرض من النقص وفي قول الله عز وجل ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ... (٤١)﴾^{١٦٩} قال ابن عباس رضي الله عنهما -في أحد تفسيره- :
"خراهما بموت علماء وفقهاءها" وكذا قال مجاهد -أيضا- "خراهما بموت العلماء".

إنه لا تكهن في الإسلام ولا عصمة إلا للأنبياء، ولكن صدراً حوى علم الشريعة، وقلبا ملئ خشية وإيماناً، وكهلاً أفنى عمره في العلم بالله وآياته وأحكامه هو حقيق بالتوقير والإجلال

أيها المسلمون: لقد صاح المنصفون من جهة الغرب قدمنا لكم الصناعات والمخترعات فقدموا ما لديكم من نور الإيمان، حيث شقوا بهذه الحضارة، ثم أصبح العالم وقد انهارت نظم الرأس المالية وقبلها الشيوعية، فصاح المنصفون مرة أخرى بأهل الإسلام قدموا ما لديكم من نظم تستمد نورها من السماء، فهل يقدر على ذلك غير العلماء المؤصلين، وهل تقوى أمة الإسلام على تقديم مشروع اقتصادي إسلامي عالمي إلا إذا كان لها مراكز البحث العلمي المتخصص، والجامعات العريقة المتخصصة، والباحثون المتخصصون، وإنها لوقفه إشادة بمبادرة خادم الحرمين الشريفين بتقديم النظام الإسلامي الاقتصادي للعالم، عبر مؤتمر الحوار فبارك الله في الجهود وسدد الخطى.

هذا وصلوا وسلموا على خير البرية وأزكى البشرية، محمد بن عبد الله، رسول الله ومصطفاه، اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين .

اللهم آمنا في أوطاننا ودورنا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، الله اللهم وفق ولي أمرنا لهداك واجعل عمله في رضاك، اللهم وفقه ونائبه لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين، اللهم أصلح بطانتهم واصرف عنهم بطانة السوء يا رب العالمين، اللهم وفق ولاة أمور المسلمين لما تحب وترضى، وخذ بهم للبر والتقوى، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان يا رب العالمين، اللهم ردهم إليك رداً جميلاً ، واجمعهم على الحق والهدى والكتاب والسنة، يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان يا رب العالمين، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك، اللهم أنزل بهم بأسك ورجسك إله الحق، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة

حسنة وقنا عذاب النار، اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين ، ونفس كرب المكروبين، وفك أسر المأسورين، واقض دين المدينين، واشف برحمتك مرضانا ومرضى المسلمين، ربنا اغفر لنا ولوالديهم وذرياتهم وجميع المسلمين ، اللهم اغفر ذنبونا واستر عيوبنا، ويسر أمورنا، وبلغنا فيما يرضيك آمالنا.

اللهم لك الحمد على ما أنعمت علينا به من الغيث والمطر، اللهم بارك لنا في عطائك وزد لنا من نعمائك، واجعل ما أنزلته لنا قوة على طاعتك وبلاغاً إلى حين، اللهم زدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، اللهم اجعلنا شاكرين لنعمك قابليها مشنين بها عليك، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة : تقوى الله ومحاسبة النفس

تاريخ إلقاء الخطبة : الحادي والعشرون من ذي الحجة من عام ١٤٢٩ هـ

الخطبة

أول

—

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابه الغر الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد.. فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم،
وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وعليكم بجماعة المسلمين، فإن يد الله
على الجماعة ومن شذ شذ في النار.. ثم أوصيكم أيها المسلمون ونفسي بتقوى الله في السر
والعلن، فهو العالم سبحانه بما ظهر وما بطن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا
تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿١٧٠﴾ .

عباد الله مرت أيام الحج ومناسكه كسحائب ديم برقت ورعدت ثم أمطرت وأغاثت،
أمطرت الرحمت وأغاثت بتكفير السيئات، ومثل هذا ينبت ويشمر، نعم يشمر صلاحاً وتقى
واستقامة وهدى، ذلكم أيها المسلمون أن من فضل الله على من اكتسب الحسنات أن يزداد
إيمانه وتصلح أعماله، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (١٧) ﴿١٧١﴾ أن يزداد
من نور الله نوراً وللأعمال الصالحة قربة وحبوراً، وإن للحسنة لنوراً في القلب، وضياءً في
الوجه، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق.. ولقد كانت الأيام السالفة موسماً للحجاج
والمقيمين، وأياماً من أعظم أيام الله تبارك وتعالى.. أعمال صالحة متنوعة، وتقرب إلى الله
وازدلالاً لمرضاته، وقد ورد أن العتق من النار في يوم عرفة يشمل الحاج وغير الحاج، فهنيئاً لمن
قبل الله طاعته وإن كان قاعداً في بيته، هنيئاً لمن أعتق من النار، وهنيئاً لمن عاد من حجه كيوم
ولدت أمه ليس عليه ذنب ولا خطيئة، حين ينقلب الحاج إلى أهله في إيهاب طاهر وباطن أحلى
من الظاهر .

أيها المسلمون .. ختام الحج كختام العام، وقفة للعاقل للمحاسبة والمراجعات، كما يفعل
أصحاب الأموال والتجارات في كل عام يراجعون ويدققون، يحاسبون ويسألون، تصحيحاً
للخطأ واستثماراً للصواب، وسعيًا حثيثاً للربح وتجنب الخسارة.. والمؤمن في سيره إلى الله أولى
بهذه المحاسبة وهذا التدقيق، سيما وهو في أعقاب موسم عظيم من أيام الله المباركة، والذي قال

170 سورة آل عمران

171 سورة محمد

الله فيه سبحانه ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ... ﴾ (٢٠٠) ١٧٢ إن الذكر المتبادر هو الذكر باللسان بجميع أنواعه، سواء المطلق العام أو الخاص بالأوقات والأحوال، وهذا مقصود ولا شك لكن الذكر الذي لا يجوز نسيانه هو ذكر الله تعالى بالقلب، واستحضار مراقبته الدائمة للعبد، وتذكر إطلاعه وعلمه، وأنه يراك ويعلم منقلبك ومثواك، وأنه الرقيب الذي لا يغفل، والشهيد الذي يعلم .

إذا استحضر المسلم ذلك وتذكر ربه في كل حال فقد حاز المرتبة العالية والدرجة السامية، وهي المشار إليها في الحديث المتفق عليه " قَالَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ " إن الذي يتذكر ربه دائماً فإنه ينبعث للطاعة بكل همة ونشاط، بل وفرح وسرور، وإذا عرضت له الفتن والشهوات فهو أبعد الناس عن الحرمات، لأنه يتذكر الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، إن ذكر الله تعالى ومراقبته باعث لكل خير حاجز عن كل شر .. واستدامة المراقبة هي ثمرة العلم بأن الله ناظر إليك سامع قولك مطلع على عملك في كل حين وحال ﴿ ... وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا .. ﴾ (٥٢) ١٧٣ ومن علم ذلك وتيقنه

واستذكره واستحضره دعاه ذلك إلى محاسبة نفسه ومسائلتها، والتفتيش في أحواله وأعماله، وموقفه أمام الله العظيم الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .. وتتأكد المحاسبة بعد مواسم الطاعة وفي أعقاب انقضاء الليالي والأيام وفي انقضاء الشهور والأعوام، وقد دل على ذلك قول الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ (١٨)

﴿ ١٧٤ ﴾ أمر الله العبد أن ينظر ما قدم لغده وذلك يتضمن محاسبة نفسه والنظر هل يصلح ما قدمه أن يلقي الله به أو لا يصلح، والمقصود من هذا النظر ما يوجهه ويقتضيه من كمال الاستعداد ليوم المعاد، وتقديم ما ينجيه من عذاب الله، ويبيض وجهه عند مولاه، نظراً يدقق في الصغير والكبير والسر والعلانية، وقد قال الحق سبحانه ﴿ ... وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ (٢٣٥) ١٧٥ وفي صفة الصفوة "من راقب الله في خواطره عصمه في

172 سورة البقرة

173 سورة الأحزاب

174 سورة الحشر

175 سورة البقرة

حركات جوارحه" وقيل : "المراقبة خلوص السر والعلانية لله عز وجل"، ويأتي ذلك من تعظيم الله تعالى وتعظيم حرماته، فيمتلئ القلب من عظمة الله عز وجل وهيبته وخشيته مع كمال محبته وتوقيره، وذلك يستدعي القيام بأمره والوقوف عند فهمه، وفي آيات الحج قال الله عز وجل ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ...﴾ (٣٠) ﴿١٧٦﴾ قال جماعة من المفسرين: "حرمت الله هاهنا مغاضبه وما فهمي عنه وتعظيمها ترك ملابستها"، وقال الليث: "حرمت الله لا يحل انتهاكه" وقيل: "الحرمت هي الأمر والنهي"، وقيل: "المناسك وشعائر الحج"، والصواب أن الحرمت تعم هذا كله، حيث إن الحرمت جمع حرمة وهي ما يجب احترامه وصونه ومراعاته وحفظه، وتعظيمها بتوفيتها حقها وحفظها من الإضاعة، والتخرج من المخالفة فيها، وهذه هي حقيقة التقوى التي وصى الله بها في الحج فقال سبحانه: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ...﴾ إلى أن قال ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى..﴾ (١٩٧) ﴿١٧٧﴾ وقد فسرت التقوى بأنها الخوف من الجليل، والعمل بالتزليل، والاستعداد ليوم الرحيل .. إنها كلمات توقف العاقل عند توديع عامه والعامل بعد نسكه وتمامه، لأن يحاسب نفسه على ضوء هذه الإشارات، والتي احتوتها الآيات منبثة بين آيات الحج.

أيها المسلمون .. وإذا أنعم الله تعالى على عبده بهذه النعمة وهي نعمة التقوى والمراقبة والتعظيم والحاسبة، أورثه الله لذة وسروراً وغبطة وفرحاً وحبوراً، يجد ذلك سعادة في قلبه وانشراحاً في صدره وأنساً لا يدركه إلا من ذاق حلاوته .. فإن سرور القلب مع الله وفرحه به وقرة العين به لا يشبهه شيء من نعيم الدنيا، وليس له نظير يقاس به، بل هي حال من أحوال الجنة، حتى قال بعض الصالحين: "إنه لتمر بي أوقات أقول فيها إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي نعيم" .. ولا ريب أن هذا السرور باعث على دوام السير إلى مرضاة الله، وبذل الجهد في طلب جنته والهرب من سخطه، ومن لم يجد هذا السرور ولا في أمن فليتهم إيمانه وأعماله، فإن للإيمان حلاوة من لم يذوقها فليرجع وليقتبس نوراً يجد به حلاوة الإيمان، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذوق طعم الإيمان ووجد حلاوته، ففي صحيح مسلم أن النبي

١٧٦ سورة الحج

١٧٧ سورة البقرة

صلى الله عليه وسلم قال: " ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ : مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا " وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يُعَوِّدَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ " فهل راجعنا أنفسنا ونحن في أقول عام وانقضاء موسم، وهل أدركنا أننا نغذ السير حثيثاً إلى الدار الآخرة شتناً أم أبينا، فهذه المراحل تطوى والأعمار تقضى، والطريق بين، ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢٥) ﴿ ١٧٨ .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١١) تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٢) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٤) ﴿ ١٧٩ .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم .

الخطبة

الثاني

الحمد لله بنعمته تتم الصالحات، وبرحمته تردك الرحمت، وبغفوه تغفر الزلات، وبلطفه تقضى الحاجات .. اللهم اغفر ذنوبنا واستر عيوبنا، ويسر أمورنا وبلغنا فيما يرضيك آمالنا،

واختتم لنا بخير، واجعل عواقبنا إلى خير .. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد .. أيها المسلمون .. عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ " رواها الترمذي بإسناد صحيح ، فالتقوى وصية الله المكررة في الأولين والآخرين .. وإتباع السيئة الحسنة هي المراجعة الدائمة واستغفار وإنباء .. وأحسن الحسنات كلمة التوحيد كما في الحديث الذي رواه أحمد في المسند بإسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ قَالَ : هِيَ أَحْسَنُ الْحَسَنَاتِ . " وهي تقتضي إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له .. وأعظم المراجعات الواجبة على الأمة أفراداً وجماعات مراجعة التوحيد، وتنقية العبادات من شوائب الشرك بكل صورته وأشكاله، ورفض المراجعة هو موقف المشركين الأوائل الذين قالوا ﴿...إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣)﴾^{١٨٠} .. وما علموا أن الشرك أخطر عوامل الهدم والضلالة والبوار، ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥)﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ... (٦٦)﴾^{١٨١} .. وتتممة الشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله، طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أوامره واجتناب نواهيه، والإقرار بأن حق التشريع في العقائد والعبادات تفرد به رب العالمين، فلا مجال للابتداع في الدين، بل إن البدعة طريق للشرك، قال الله عز وجل : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ ... (٢١)﴾^{١٨٢} .

ويأتي بعد كلمة التوحيد الصلوات المفروضة، خمس صلوات في اليوم والليلة، لا يسع المكلف تركها .. وإذا أرادت الأمة النصر والظفر فلتراجع صلتها برهما عبر المحافظة على الصلوات المكتوبات، وهي مع أنها عماد الدين فإنها كفارة للذنوب ماحية للخطايا، ﴿وَأَقِمِ

¹⁸⁰ سورة الزخرف

¹⁸¹ سورة الزمر

^{١٨٢} سورة الشورى

الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ... ﴿١١٤﴾ ١٨٣ ،
والزكاة ركن من أركان الإسلام وطهارة ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ...
(١٠٣) ﴾ ١٨٤ .. يلي ذلك صوم رمضان وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " مَنْ صَامَ
رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " متفق عليه.. أما الحج فيعود منه الحاج خارج
من الذنوب كالיום الذي ولدته أمه كما في الصحيحين.

أرأيتم عباد الله كيف أن أركان الإسلام العظام ماحية للخطايا مكفرة للسيئات، وهي
على عظمها وخطرها من أهم ما يجب على المسلم أن يحاسب نفسه عليه وأن يراجعها، ليستقيم
حاله ويتدارك النقص والتقصير ويصلح الخلل، ويتوب من الزلل، فإنه لا يدري متى يحل
الأجل، وكم غيب الموت في هذا العام وكم تغيرت في الدنيا الأحوال، ومصير الجميع إلى
زوال ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
(٢٨١) ﴾ .

هذا وصلوا وسلموا على الرحمة المهداة والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله رسول الله
ومصطفاه، اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم
إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم
إنك حميد مجيد .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام وانصر
المسلمين، وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر
بلاد المسلمين.

اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا وولاية المسلمين فيمن خافك واتفقك واتبع رضاك يا رب العالمين.

اللهم انصر من نصر الدين واخذل الطغاة والملاحدة والمفسدين، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين .. اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في فلسطين وفي كل مكان يا رب العالمين، اللهم فك حصارهم واحقن دمائهم وآمنهم وأرغد عيشهم، وانصرهم على عدوك وعدوهم .. اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك اللهم أنزل بهم بأسك ورجزك إله الحق.

اللهم وفق ولاة أمور المسلمين لما تحب وترضى، اللهم وفق ولاة المسلمين لما تحب وترضى واجعلهم رحمة على عبادك المؤمنين .. اللهم وفق ولي أمرنا خادم الحرمين اللهم وفقه لهذا واجعل عمله في رضاك، وارزقه البطانة الصالحة، اللهم وفقه وولي عهده وإخوانهم وأعوانهم لما فيه صالح العباد والبلاد .. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .. ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولولديهم وأزواجنا وذريتنا وجميع المسلمين.

اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين، ونفس كرب المكروبين، وفك أسرى المأسورين، واقض الدين عن المدينين، واشف برحمتك مرضانا ومرضى المسلمين.

ربنا ظلمنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .. اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا غيثاً هنيئاً مريئاً سحاً طبقاتاً مجللاً عاماً نافعاً غير ضار تحي به البلاد وتسقي به العباد وتجعله بلاغاً للحاضر والباد، اللهم سقيا رحمة اللهم سقيا رحمة، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا

بلاء ولا هدم ولا غرق ، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً فأرسل السماء علينا مدراراً ،
اللهم إنا خلق من خلقك فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك .

اللهم أحفظ الحجاج والمعتمرين والزوار اللهم ردهم إلى بلادهم سالمين غانمين وتقبل
منا ومنهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب
علينا إنك أنت التواب الرحيم سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين .

الفصل الثاني

منبر الجمعة من الحرم المكي للعام
الهجري ١٤٣٠ هـ

عنوان الخطبة : دروس وعبر من أحداث غزة

تاريخ إلقاء الخطبة : اليوم السادس والعشرون من محرم من عام ١٤٣٠هـ

- دروس وعبر من أحداث غزة -

الخطبة
أول

—

الحمد لله .. الحمد لله الذي عز وقهر وجعل العاقبة الحسنى لأوليائه والظفر ، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وخيرته من كل البشر
، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الميامين الغرر .

أما بعد .. فاتقوا الله - تعالى - حق التقوى ، واستمسكوا من الإسلام بالعروة
الوثقى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢٩) ﴿ ١٨٥ .

أيها المسلمون .. أيامٌ مرت كأنها أعوام وشهرٌ مر مثقلاً بالآلام .. حربٌ قضت
المضاجع وأثخنت في المستضعفين المواجه وألهبت فينا الآلام .. الحرب على غزة لم تكن كسائر
الحروب ، بل كانت خرقاً صارخاً لكل معاني الإنسانية ومصادرةً للقيم والأخلاق .. وليس
المقام مقام توصيف ، وقد رأى العالم أبشع معاني الفتك والتدمير والقتل والإبادة من ترسانة
حربية هائلة وأسلحة محرمة وتدميرٍ جماعيٍّ يدكُ المدن ويهلك الحرث والنسل .. لا يفرق بين

الأم والطفل والمدرسة والمسجد والبيوت والمستشفيات .. حرب مجنونة تبرأت من كل معاني الرحمة والعقل .. ولقد رأى الجميع ما تقشعر له الأبدان من آثار القتل والعدوان كله على شعب أعزل محبوس محاصر ، والنتيجة دمار هائل وآلاف القتلى والجرحى .. كل ذلك تحت سمع العالم وبصره في حادثة أخرجت منظمات العالم الدولية وأسقطت الأقنعة وكشفت زيف الشعارات .

أيها المسلمون .. الدماء والأشلاء والنفوس والأرواح لها ثمنٌ يجب ألا يضيع .. التضحيات الجسيمة التي قدمتها وتقدمها غزاة لم تكن بدون ثمن ويجب ألا تذهب هدرًا .. والموقف اليوم موقف قطافٍ واستثمارٍ ومحاسبةٍ ومراجعة لا موقف بكاء وتلاوم .. إن في أعطاف الحن منحنًا : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (٢١٦) ﴿ ١٨٦ ﴾ . ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (٢٥٣) ﴿ ١٨٧ ﴾ .

أيها المسلمون .. بالرغم من كل هذه الجراحات فإن أجراه الله وقدره حكماً بالغة وآيات باهرة ودروساً وعظات وإخفاقات ونجاحات ، وإيقاظاً للمسلمين ووعياً بحقائق يجب أن يكون لوعي المسلمين بها أبلغ الأثر في حياتهم الحاضرة والمستقبل.

ومن هذه الحقائق أيها المسلمون: أن الإيمان أقوى من كل قوى البشر ، وأن الميزان ليس بكثرة العدد وقوة العدد: ﴿ كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (٢٤٩) ﴿ ١٨٨ ﴾ .. الميزان : ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ (١٠٠) ﴿ ١٨٩ ﴾ .

186 سورة البقرة

187 سورة البقرة

188 سورة البقرة

189 سورة آل عمران

شعب غزاة المحاصر ظل مدة طويلة يتعرض لأقصى العقوبات الاقتصادية والحصار الخانق حتى في رغيف الخبز ، استطاع أن يصمد أمام جيشٍ مدججٍ بأحدث ما وصلت إليه آلة الحرب من تكنولوجيا القتل والتدمير .. مع تجاوز أخلاقيات الحروب ، ومع ذلك ينتصر الإيمان ويعجز البادي عن تحقيق الأهداف ويتقهقر الغاصبون: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾ (٢٥) ﴿ ١٩٠ .

إن آلة الحرب لا تصمد أمام قوة الإيمان ، ولا يمكن هزيمة الشعوب ، وإذا تذكر المسلم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى .. ﴾ (١١) ﴿ ١٩١ .. استطاع أن يقاوم كل قوى العدوان ، إنه الإيمان .. وبالإيمان وحده تنتصر الأمة .

عباد الله .. لقد تجلت في أحداث غزاة مظاهر النصر والعزة والصبر والثبات .. صفات الأنبياء وأتباع الرسل الأصفياء لا يقوى عليها الأعداء .. منذ احتلال فلسطين ومذابح دير ياسين والمرابطون في أكناف بيت المقدس صابرون صامدون ما هانوا ولا مانوا: ﴿ وَكَأَنَّ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٤٨) ﴿ ١٩٢ .

وفي هذه الأحداث أيها المسلمون إعلان هوية الأمة .. حين يستنصر بالله ويقاوم باسم الله ويلفظ الشهيد أنفاسه بتوحيد الله ويصرخ الجميع (حسبنا الله) .. الصبر والصمود والإيمان والثبات هو حقيقة النصر ، وحين انكسر المسلمون في أحد قال الله - عز وجل -

190 سورة الاحزاب

191 سورة التوبة

192 سورة آل عمران

لهم : " ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين " فما هذا العلو ؟ إنه الاستعلاء بالثبات على المبادئ وإن كثرت الجراحات .

عباد الله .. لقد أظهرت أحداث غزة ما كان مكنوناً في الصدور من تلاحم المسلمين وترباطهم وتداعيمهم لنصرة إخوانهم في الدين .. لقد استجاشت ولاءات المسلمين لبعضهم وأجمعوا على كلمة واحدة ، وبقدر ما قرحت العيون من بكاء آلامنا بقدر ما قرت من تلاحم صفنا .. لقد وصلت الشعوب المسلمة إلى مرحلة من الوعي والإدراك يجب أن نتعاطى معه بقدر من المسؤولية ، بل إن من المبشرات أن تعي الأمة وتدرک حقيقة ما يجري وما يدبر لها من مؤامرات ، وأن قضية فلسطين هي قضية كل المسلمين .. ليس قضية شعب ولا عرق ولا حزب ولا منظمة .

لقد مرت على أمة الإسلام خلال القرنين الماضيين خطوب وكروب وصراعات وجراحات ومصادرة وتغييب .. لكنها أمة ترفض ولا تموت .. لا تستسلم ولا تذوب .

أيها المسلمون .. إن عمق المأساة وضخامة الحدث يدعونا لاستثماره والإفادة منه ؛ أن نرداد تلاحماً واتحاداً وتوافقاً وإخاءً رصاً للصفوف وتوحيداً للجموع وتوثيقاً للإخاء .. إن الحدث أضخم من كل الخلافات .. كيف يسوغ الخلاف والدم يقطر من أنياب العدو الذي لا نختلف على عداوته ، وقضيتنا واحدة : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ٤٦ ١٩٣ .. وإن نداء خدام الحرمين الشريفين للوحدة والائتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف نداء الشرع والعقل ، وهو الواجب والأمل .

لقد تحققت - بحمد الله - انتصارات ونجاحات يجب ألا تغيب في مشهد الألم والجراحات ، هزيمة عدو وانتصار مظلوم .. وتلاحم وتناصر .. ومقاومة وصمود ، وإشارات وبشارات تثبت أن الأمة قادرة - بإذن الله - قادرة ، وأن لديها من ضمانات العز

والمنعة وأسباب النصر والغلبة ما يحقق آمالها ويكشف آلامها .. لقد أثمر التمسك بغرس الدين والاستنصار بالله رب العالمين.

أيها المسلمون .. ومن الحقائق التي ينبغي الوقوف عندها : توعية المسلمين ، بل كل البشر بالفارق العظيم بين منهج الإسلام في العلاقات الدولية ومنهج الحضارة المعاصرة .. فحين تقوم العلاقات في الإسلام على أساس العدل فإن الحضارة المعاصرة تقوم علاقاتها على المصلحة وتفرض رغبتها بالقوة .. وهذا المنهج الأخير هو سبب ما عانت الإنسانية في القرنين الأخيرين من مآسي الحروب والسياسات ، وهو ما تجرّه الآن وتهدد به من مصيرٍ مظلمٍ للبشرية إن لم يتداركها الله برحمته .

إن توالي الأحداث يزيد بصيرة المتأمل بطبيعة الحضارة المعاصرة حين تتخلى عن عبادة الله والسير على منهاجه إلى عبادة التقدم المادي والركون إلى نظم البشر ، والذين لم يتخلوا عن طبيعتهم في الاستيلاء والاستحواذ والظلم والتجاوز .. ولك أن تتأمل في سياسة بعض الحكومات والنظم المؤثرة في العالم ، ثم تأمل العدل في مقابر العراق وتحت ركام الدور في غزة ، وفتش عن الحريات في أقبية السجون ، واسأل المشردين من أبناء فلسطين ، ابحث عن البسمة على شفاه طفلٍ مزقت وجهه الصواريخ .. وابحث عن الرصاص في صدور النساء والشيوخ ، راقب المواقف والقرارات التي لا تدفع إلا إلى الإحباط وفقدان الثقة - المفقودة أصلاً - في المجتمع الدولي بنظمه ومنظّماته .. فأني عاقلٌ متجرد يرى المناظر الدامية ثم يرى أصحاب القرار يدافعون عن المعتدي ويتلمسون له الأعذار .. ويحرمون صاحب الحق من المقاومة ودفع العدوان ، وفي أعدل الأحوال يسوون بين الضحية والجلاّد !!

إن الذي يحدث اليوم في فلسطين بأيدي الصهاينة الختلين ومن يظاهروهم من الظالمين ليس حرباً ولا مجرد صراع .. إنه إبادة شعب واستئصال عرق وطمس هوية .. إنه إرهاب الدولة الذي يمارس تحت سمع العالم وبصره ، بل وبدعم من جهاتٍ تملك اتخاذ قرارات .. إن مثل هذا التصرف لا يزيد الوضع إلا تأزماً ، ولا يملأ النفوس إلا حقداً وكرهية ، ويقضي

على كل أملٍ للسلام .. أي سلام هذا الذي يدعون إليه وقد ولغوا في الدماء ومزقوا الأشلاء ؟! أي سلام هذا الذي ينسجم بالتفوق العسكري لطرفٍ على حساب آخر ؟! أهو سلام الغلبة والتسلط ونهب الأراضي وإذلال الشعوب ؟ أهو سلام القهر والعدوان وهدم البيوت وتدمير القرى .. ويسمى ذلك حقاً مشروعاً ، ويسمى رده إرهاباً ؟ أم هو الاستسلام غير المشروط لعدو لا يعرف الرحمة ؟ إنه سلام قطاع الطريق ولصوص العالم وقراصنة الأمم .. هذه أعمالهم شاهدةٌ عليهم .. من الذي يصنع الحروب والدمار ؟ من يبدؤها ومن يوقفها ؟ من يحركها ويزكيها؟

أيها المسلمون .. لقد قدمت الحضارة الغربية إسرائيل على أنها نموذجٌ ومثالٌ للحرية والديمقراطية .. والتي يجب نشرها في الشرق الأوسط ، وها هو العالم اليوم يرى سقوط مثال الحضارة الغربية سقوطاً ذريعاً بكل ما تحمله المعاني .. لا عدل ولا رحمة ولا حقوق ولا إنسانية ولا احترام لقرارات أو قوانين ولا وفاء لعهود أو موثيق ، بل قدمت أبشع صورة لما يمكن أن يكون الإنسان حين يتجرد من العدل والرحمة ، وصدق الله : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ (٢١٧) ﴿ ١٩٤ 》 .

أيها المسلمون .. وبالرغم مما تبذله بلاد الحرمين الشريفين من جهود لإرساء السلام وما ينادي به خدام الحرمين الشريفين من نداءات تطالب بالعدل والسلام لكل شعوب الأرض .. إلا أن الحروب لا زالت تُفتعل والجحيم يصب على بلاد المسلمين صباً تغذيه أحقاد الماضي وأطماع المستقبل .. ألا فليعلم أننا لا نستكثر من عدونا الذي استوطن بلادنا المسلمة كل غدرٍ وأذية ؛ إذ هو يكرر تاريخه منذ أن نشأ ويمارس جبلته التي عرف بها منذ أن وُجد ، ولكن الذي يجب أن يعلم أننا لم ننس من أوجده ومن رعاه ومن برر له وحماه ، وها هو اليوم يذبح غزاة من الوريد إلى الوريد .. يقتل الشيخ والمرأة والطفل الوليد .

ألا فليعلم الغرب أن في رجالنا جند وفي قرآننا وعد ، ولم تمت أمة الإسلام ولم تعقم ، وأن المستقبل مفتوح لكل مفاجئة.. لا يملك أحد فطامه ولا قوة الجاهم ، وطوفان الشعوب تتقاصر دونه السدود وتمحي على وقع خطواتها الحدود: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢١) ﴿١٩٥﴾ .

أيها المسلمون .. لقد زادت حرب غزة المسلمين قناعةً بأن المنظمات الدولية لم تنشأ لنصرتهم ولم توجد لحل قضاياهم .. وبرغم تمسك العرب والمسلمين بتلك الهيئات والمنظمات وانخراطهم في عضويتها والتزامهم بقوانينها ومقرراتها في الوقت الذي تضرب فيه إسرائيل عرض الحائط ما يصدر من تلك الهيئات .. برغم ذلك كله فإن حصاد تلك المنظمات ونتائجها تحاك لصالح إسرائيل على حساب المسلمين والعرب .. ألم يأن لنا بعد ذلك كله أن نجد فاتورة نصف قرن أو يزيد من عمر تلك المؤسسات لنعيد النظر ونصحح المسار ؛ خصوصاً وأنه قد ضرب صمود غزة لنا المثال .. فبرغم ضعف الحال وتمالي العالم وقلة الناصر فقد صمدت غزة ، ألا يمكن للعرب والمسلمين وهم أقوى حالا من غزة أن يتجاوزوا مجرد الصمود إلى الانتصار .. أي انتصار ولو كان انتصاراً سياسياً أو اقتصادياً ؟

إلى متى والعرب والمسلمون في الساحة الدولية في محل المفعول به لا الفاعل ؟ هذا إذا كان لهم محلٌّ من الإعراب أصلاً مع ما يملكون من ثروات العالم وكنوزه وكون ديارهم على ممرات العالم الرئيسة ومضايقه المائية .. فضلاً عن عددهم وتاريخهم وشجاعتهم وإرثهم الحضاري ؟ فكيف إذا انضاف إلى ذلك الإيمان الذي جربته الأمة في تاريخها الطويل فكان أمضى سلاحاً وأقواه ولم يخذل أهله يوماً ؟

ألا وإن من حسن البشائر وومضات الفأل ما خلص إليه قادة العرب في (قمة الكويت) الأخيرة مما ابتدأه خادم الحرمين الشريفين ودعا إليه من تناسي الخلاف العربي

وتجاوزه والإعداد لمرحلة جديدة في التعامل مع القضايا والشجاعة في المصارحة والكرم في العطاء .

إن شعور الأمة حكاماً ومحكومين بواجب التغير والتغيير وطبي صفحة طويلة من التاريخ مدادها الأسى ومضمونها الضعف والتقصير هو واجبٌ دينيٌّ وفريضةٌ شرعية لا يجوز للأمة أن تبقى على وضعها الراهن .. كيف وهي الأمة الكريمة التي أرادها الله أن تكون متبوعة لا تابعة وعزيزة لا ذليلة وهادية لا بسواها مهتدية ؟

لقد آن للأمة أن تنهض بالفعل وتبدأ بالعمل ؛ فلئن تحاول وتخطيء خيرٌ من أن لا تعمل أصلاً : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠٥) ﴿ ١٩٦ ﴾ .

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة ، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة .. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

الخطبة

الثاني

الحمد لله .. بارك الأرض المقدسة ونص على فضلها نصاً ، وأسرى بعده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله .. أمّ الأنبياء وصلى بهم في المسجد الأقصى ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. أيها المسلمون .. لم يسجل التاريخ قضيةً تجمعت فيها الأحقاد العالمية وبرزت فيها المتناقضات الدولية وتجلّى فيها التلاعب والعبث كما سجل في قضية فلسطين وقديسها المقدسة ، وجاءت قضايا المسلمين بعدها على شاكلتها .. ولم يسجل التاريخ خطيئةً أسوأ من الانخداع بخطة الأعداء في دحرجة قضية القدس وفلسطين من دائرتها الإسلامية الواسعة المتينة إلى متاهاتٍ وحفرٍ من الوطنية والقومية والمذهبية والحزبية والإقليمية والشرق أوسطية في نعرات جاهلية وشعارات مستوردة ومبادئ دخيلة .

إن فصل القضية وبتريها عن قوتها المؤثرة وطاقتها الدافعة هو الذي أضاعها .. فتاهت في غبار النكسات والمساومات .

لابد من رد القضية إلى خطها الأصيل لتصبح قضيةً سامقةً تتأبى على الوأد والاحتواء ، لابد أن تعود إلى امتدادها الإسلامي بكل أفاقه وأعماقه ، ولقد كانت أحداث غزة إيقاظاً لهذا الشعور لدى كافة المسلمين .. إنه صراع عقائد ومعركة مع أشد الناس عداوةً للذين آمنوا ، إنه نزاع هوية ومصير ، وإن حقوق الأمة لن تُنال بالخور

ومن مكر الأعداء تحاذلهم بعد عدوانهم خشية غضبة حقيقية لا يردعها شيء ، وهم يعلمون أن المسلمين على ضعفهم وتشتتهم لا يزال جهرهم يتلظى تحت الرماد ، وفيهم رجال يتأبون على الهزائم والخنوع .. لقد أثبت الإباء والصمود أن القوة والاستعلاء حتى مع الدماء والأشلاء هو السد الرادع للمعتدين ، وإذا ارتفعت راية الدين تصاغرت أمامها كل راية ، والأيام حبلى والتاريخ له ألف عودة ، والصبر من أبواب الظفر ، وإزالة أسباب الخذلان طريق لإزالة العدوان ، وأمام الأمة طريقٌ طويلٌ مبناه على الإيمان وقوامه : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا** بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا (١٠٣) ﴾ ١٩٧ .

وأخيراً .. فإنه لا يمكن لمتابعٍ لحال العالم في مجال السياسة والاجتماع أن يغفل تحولات كبرى طرأت على العالم لها ما بعدها .. منها إدراك كثير من الغربيين حقيقة مواقف حكوماتهم

المنحازة للظالم والمتحيزة ضد العرب والمسلمين ؛ مما أورث تأجيحاً للصراعات ومزيداً من الفتن والانتهاكات ورغبة بعض الشعوب في التغيير ، ولا أدل على ذلك من اختيار شعب دولة من الدول الكبرى لزعيم كان شعاره التغيير .

نسأل الله - تعالى - أن يقدر للأمة المسلمة في ذلك خيراً ، وأن يؤيد من في تأييده صلاح للإسلام والمسلمين .

إننا لتتطلع أن يكون في ذلك تغيير حقيقي للمواقف وإعادة للنظر في القضايا والسياسات بمنظار العدل الصادق ؛ فإن المسلمين اليوم أكثر وعياً وأقوى حالاً وأكثر تصميمًا ، وهم أقرب الشعوب نشاداً للحق والسلام والحق والتسامح .. وإلا فإن الأمة قادرة على إدارة ظهرها لمن لا يحترمها : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨) ١٩٨ .

هذا ، وصلوا وسلموا على الرحمة المهداة والنعمة المسداة محمد بن عبد الله ، اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين ، وانصر عبادك الموحدين ، اللهم انصر عبادك الموحدين في كل مكان ، اللهم أصلح أحوال المسلمين في فلسطين وفي كل مكان يا رب العالمين ، اللهم احقن دماءهم وأظهر أمنهم وأرغد عيشهم ، واملأ قلوبهم بالإيمان والسنة .. اللهم انصر دينك وكتبك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين .

لا إله إلا الله العظيم الحليم . لا إله إلا الله رب العرش العظيم . لا إله إلا الله رب
السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، يا حي يا قيوم عز جارك وجل ثناؤك
وتقدست أسماؤك .. يا من لا يهزم جنده ولا يخلف وعده سبحانك وبحمدك يا ناصر
المستضعفين ويا مجير الخائفين .. اللهم انصر إخواننا المستضعفين في فلسطين ، اللهم أنج
المستضعفين في غزة ، اللهم فك حصارهم وآمنهم في ديارهم وارحم موتاهم واشف
مرضاهم واجبر كسرهم وسد خلتهم واجبر مصابهم وانتصر لهم ممن ظلمهم .. يا راحم
المساكين ويناصر المستضعفين اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال
والإكرام .

اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزم الصهاينة المحتلين ، اهزم
الصهاينة المحتلين وانصرنا عليهم يا قوي يا عزيز ، اللهم إهم قد طغوا وبغوا وأسرفوا في
الطغيان . اللهم أنزل بهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين ، اللهم هيا لهم يداً من الحق
حاصدة ، وألق الرعب في قلوبهم ، اللهم ألق الرعب في قلوبهم ، واجعلهم غنيمة
للمسلمين ، اللهم لا تقم لهم في الأرض راية ، واجعلهم لمن خلفهم عبرة وآية ، اللهم
اشف صدور قوم مؤمنين ، اللهم اشف صدور قوم مؤمنين ، وأذهب غيظ قلوبهم .

اللهم اجبر كسر المصابين في غزة ، ولم شعث المنكوبين وكن لهم يا أرحم الراحمين ،
اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد . يعز فيه أهل طاعتك ويهدى فيه أهل معصيتك ويؤمر فيه
بالمعروف وينهى عن المنكر يا سميع الدعاء .. اللهم من أرادنا وأراد المسلمين بسوء فأشغله في
نفسه واجعل كيده في نحره واجعل دائرة السوء عليه يا رب العالمين .

اللهم وفق ولاية أمور المسلمين لما تحب وترضى واجمعهم على البر ولتقوى ، اللهم
وفق ولي أمرنا خدام الحرمين الشريفين ، اللهم وفقه في هداك واجعل عمله في رضاك ،
وأصلح بطانته واصرف عنه بطانة السوء يا رب العالمين ، اللهم وفقه ونائبه وإخوانهم
وأعوانهم ، اللهم انصر بهم دينك وأعل بهم كلمتك وجازهم على ما يبذلونه لخدمة قضايا

المسلمين ، اللهم وفقهم لما فيه صالح العباد والعباد يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام ،
اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة .

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، ربنا اغفر لنا ولوالدينا
ولوالديهم وذرياتهم وأزواجنا ولجميع المسلمين ، ربنا ظلمن أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين .

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء . أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا
من القانطين . اللهم أغثنا . اللهم أغثنا . اللهم أغثنا غيثاً هنيئاً مريئاً سحاً طبقاً مجللاً عاماً نافعاً
غير ضار تحيى به البلاد وتسقي به العباد ، واجعله بلاغاً للحاضر والباد ، اللهم أسقنا
الغيث وآمنا من الخوف ، وانصرنا على الأعداء يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام ،
اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ، يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا
حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام .

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . سبحان
ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

عنوان الخطبة: الإيمان بالقضاء والقدر حقيقته وآثاره

تاريخ إلقاء الخطبة : اليوم الثاني من ربيع الاول من عام ١٤٣٠هـ

— الإيمان بالقضاء والقدر .. حقيقته وآثاره —

الخطبة

أول

—

الحمد لله الذي قدر الأمور وأمضاها وعلم أحوال الخلائق قبل خلقهم وقضاها وجازى كل نفس بعد ذلك على سخطها بما قدر أو رضاها .. كل شيء خلقه - سبحانه - بقدرٍ وقدر ، ولا يقع شيء في كونه إلا بعلمٍ منه ونظر ، علم الأجل وقدر العمل وجعل الأمور دول ، كل ذلك منه في الأزل - سبحانه - كم أحاط علمه وكم وسع حلمه وكم مضى حكمه !

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له .. له لطائف الحكمة وخفيات القدر ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وخيرته من كل البشر ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته الميامين الغرر والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فاتقوا الله - تعالى - أيها المسلمون ، واعلموا أنكم إليه راجعون وعلى أعمالكم مجزيون ، ومن عمل كساه الله رداءه .. إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً : ﴿ ... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٢٣) ﴿ ١٩٩ .

أيها المسلمون : عقيدة تملأ قلب المسلم مضاءً ورضاءً ، وعلمٌ يورث المؤمن إرادةً وعزماً وارتقاءً ، وإيمانٌ يدفعه للعمل ويحثه على طلب معالي الأمور ، وتصوّراً يسئل من نفسه الخوف مع عوائق الطريق وبنائه مسائل من عرفها وأدرك حُكمها وحِكمها سهلت أمامه مصاعب الحياة وتخففت نفسه من أثقال المعاناة فاستلذ الصبر واستحلى المر ، وانتظر

من الله الأمل والفرج وعمل لتحقيق ذلك ولم يتواكل .. إنها - أيها المسلمون - عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر .

عباد الله .. الإيمان بالله العظيم قضية كبرى ومسألة عظمى ، وهي من أولى المسائل التي يجب على المسلم أن يستحضرها وينطوي عليها قلبه دوماً ، والإيمان ببيان له أركان .. التصديق بها والعمل بمقتضاها دليل عليه وعنوانه ، وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن جبريل - عليه السلام - سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الإيمان فقال : النبي - صلى الله عليه وسلم - : قَالَ : " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، قَالَ : صَدَقْتَ " .

أيها المسلمون : الإيمان بالقضاء والقدر ركنٌ من أركان الإيمان وقاعدة أساس الإحسان كما ورد في أعظم حديث في الإسلام : القدر هو تقدير الله للكائنات حسب ما سبق به علم الله واقتضته حكمته ، وهو ما سبق به العمل وجرى به القلم مما هو كائنٌ إلى الأبد ، والإيمان به هو أن تؤمن أن الله - جل جلاله - قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء والحوادث قبل أن تكون وعلم - سبحانه - أنها ستقع في أوقات معلومة على صفات مخصوصة ؛ فعلمها - سبحانه - وكتبها بكل تفاصيلها ودقائقها وشأها وخلقها ؛ فهي كائنة لا محالة على التفصيل والدقة كما شاء - سبحانه - وما لم يشأ فإنه لا يكون ، وهو قادر على كل شيء .. فإن شاءه وقع وإن لم يشأه لم يقع مع قدرته على إيقاعه .

أيها المؤمنون .. القدر غيبٌ مبناه على التسليم ، قال الله - عز وجل - : ﴿ ... وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ (٣٨) ، وقال سبحانه ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ

(٤٩) وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلَمَحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠) ﴿٢٠١﴾ ، وقال جل في علاه : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (٢١) ﴿٢٠٢﴾ .

وفي صحيح مسلم : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَرُ اللَّهِ ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ ؛ فَإِنْ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ " قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : (كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك) .

أيها المسلمون : مذهب أهل السنة والجماعة هو ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ، وهو أن الله - تعالى - خالق كل شيء وربّه ومليكه ، وأنه - سبحانه - ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا يكون في الوجود شيء إلا بعلمه ومشئته وقدرته .. لا يمتنع عليه شيء ، بل هو قادرٌ على كل شيء ويعلم - سبحانه - ما كان وما يكون ، وقد قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم .. قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم ، وكتب ذلك وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة ، والعباد مأمورون بما أمرهم الله به منهيون عما نهاهم عنه ، ونؤمن بوعد الله ووعيده ، ولا حجة لأحدٍ على الله في واجب تركه أو محرم فعله ، بل لله الحجة البالغة : ﴿... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرُهُ تَقْدِيرًا﴾ (٢) ﴿٢٠٣﴾ ، ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) ﴿٢٠٤﴾

عباد الله : الإيمان بالقضاء والقدر يقوم على أربعة أركان مرتبطة ببعضها لا يقوم الإيمان إلا بتحقيقها ، وهي : العلم والكتابة والمشئة والخلق ..

201 سورة القمر

202 سورة الحجر

203 سورة الفرقان

204 سورة المرسلات

فالعالم هو : الإيمان بأن الله - تعالى - عالم بكل شيء جملة وتفصيلاً أزلاً وأبداً؛ يعلم الموجود والمعدوم والممكن والمستحيل ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٢) ﴿ ... يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ... ﴾ (٢٥٥) ٢٠٦ ، وقال - جل في علاه - عن ذاته العلية : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٥٩) ٢٠٧ .

الثاني مما يشتمل عليه الإيمان بالقدر : الكتابة ؛ وهي الإيمان بأن الله كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة .. فكل ما كان وما هو كائن مكتوباً في اللوح المحفوظ في أم الكتاب ، قال - سبحانه - : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٧٠) ٢٠٨ ، وقال - عز وجل - : ﴿ ... وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ (١٢) ٢٠٩ ..

عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ " رواه مسلم .

الأمر الثالث - أيها المسلمون - مما يشتمل عليه الإيمان بالقدر : المشيئة ؛ وهي الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة .. فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه لا حركة ولا

205 سورة الحشر

206 سورة البقرة

207 سورة الأنعام

208 سورة الحج

209 سورة الحج

سكون ولا هداية ولا إضلال إلا بمشيئته - جل في علاه - ولا يمكن أن يقع في الكون حادثٌ صغيرٌ ولا كبيرٌ إلا بمشيئته - سبحانه - : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ... ﴾ (٦٨) ﴿ ٢١٠ ﴾ ، ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٩) ﴿ ٢١١ ﴾ ..

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إِنْ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلُّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ " رواه مسلم ، ﴿ ... وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (٢٥٣) ﴿ ٢١٢ ﴾ .

الركن الرابع - أيها المسلمون - : الخلق ؛ وذلك يقتضي الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله بذواتها وصفاتها وحركاتها ، وبأن كل من سوى الله فهو مخلوق موجد من العدم .. قال الله - عز وجل - : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ... ﴾ ٢١٣ وعن حذيفة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إِنْ اللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنَعَتُهُ " أخرجه البخاري في (خلق أفعال العباد) .

أيها المسلمون .. في الإيمان بالقضاء والقدر ثمراتٌ تعود على المؤمن بالنفع العاجل والآجل والعبوديات والنفحات والمنازل التي تبلغه رضا الله وجنته ..

فأول ذلك : أن المؤمن يؤدي عبادة الله - تعالى - بإيمانه بالقضاء والقدر وبالإذعان لله والتسليم له ، كما أنه باعثٌ على الإخلاص .. فإذا علم العبد أن كل شيءٍ بقدر الله وأن الملك ملكه والخلق خلقه وكل شيءٍ مقاليد بيده وأن الأمور لا تُنال إلا بتقدير الله وأن الناس لا يملكون شيئاً .. لم يعد يبالي بدم الناس ومدحهم في الحق ولم يسخط الله برضا الناس ولم يتزين لهم ، بل يزداد إخلاصاً وقصدًا لله لا تأخذه في الله لومة لائمة ، ويعلم أن كل شيءٍ

²¹⁰ سورة القصص

²¹¹ سورة التكويد

²¹² سورة البقرة

²¹³ سورة الزمر

واقع تحت قهر الله وسلطانه محكومٌ بقدره ، وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - :
أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ،
وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ،
وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ
وَجَفَّتِ الصُّحُفُ " .. رواه الترمذي بإسناد صحيح .

وهذا يزيد إيمان المؤمن ، قال الله - عز وجل - : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ٢١٤ .. وفي قراءة : { يهدأ قلبه } .. قال
علقمة : (هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من قبل الله فيسلم ويرضى ، ومن رضي عن
الله رضي الله عنه ، والرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا ومستراح العابدين وقرة عيون
المشتاقين ..

إنه لا خروج للعبد عما قدر له ، فلو رضي باختيار الله أصابه القدر وهو راضٍ محمودٌ
ومشكورٌ ملطوفٌ به .. وإلا جرى عليه القدر وهو مذمومٌ مسخوط ..
وهذا يفسر لك سكون القلب وطمأنينة النفس وراحة البال وبرد اليقين ؛ فترى المؤمن
يستقبل المصائب والآلام بنفسٍ رضيةٍ ونفسٍ مطمئنةٍ وسكينةٍ عجيبةٍ ، إن الإيمان بالقدر يفلح
في تهدئة الأعصاب أكثر مما تفلح كل المسكنات والعقاقير الطبية .

والسكينة من مواهب الرحمن لا من كسب الإنسان ، وهي الطمأنينة والوقار
والسكون والأمن الذي ينزله الله في قلب المؤمن خاصةً في مواقف القلق والاضطراب ، أما
الطمأنينة فهي سكينةٌ معها أنس ؛ فيا الله ! كم في الإيمان بالقضاء والقدر من روحٍ وسكينةٍ
وراحةٍ وطمأنينة !

أيها المسلمون .. ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر أن يمتلئ القلب شجاعة وإقداماً ؛
فلن تموت نفسٌ حتى تستكمل رزقها وأجلها ، ولن يصيب الإنسان إلا ما كُتب له .. فعلام
الخوف والقلق ؟ " **وَأَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ** "

..

وكذلك القناعة وعزة النفس ؛ فالرزق لا يجلبه حرص حريص ولا يمنعه حسد حاسد ،
وهذا يؤدي إلى القناعة والإجمال في الطلب وإلى التحرر من رق الخلق ومنتهم والحاجة إليهم
والاكتفاء من الدنيا بالبلاغ ؛ فتعلو همة المؤمن وتتركو نفسه ولا يحسد أحداً على عطاء أعطاه
الله إياه لعلمهم أن الله يعطي ويمنع ويخفف ويرفع ، ومن حسد غيره فإنه معترض على قضاء
الله وقسمه : ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ...** ﴾ ^{٢١٥} .

الإيمان بالقضاء والقدر يدعو للتفاؤل والإيمان بالنصر القادم والفرج العاجل ، :
واعلم أن النصر مع الصبر .. وأن مع العسر يسرا " ؛ فلا يأس ولا قنوط : ﴿ **وَلَا تَيْأَسُوا**
مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^{٢١٦} .

الإيمان بالقدر يجعل المؤمن صابراً قوياً الاحتمال ، وكل أحد لا بد له من الصبر ..
فهو من جميل الخلال ومحمود الخصال ومن سمات الرجال ، ومن لم يصبر صبر الكرام سلا
سلو البهائم .. قال عمر - رضي الله عنه - : (وجدنا خير عيشنا بالصبر) ؛ لذا تجد المؤمن
بالقدر صبوراً متجلداً يتحمل المشاق ويتجاوز المصاعب والآلام .. بخلاف ضعيف الإيمان
الذي لا يقوى على الاحتمال ولا يصبر على ما يعترضه فيجزع لأتفه الأسباب ، بل ربما
أدى به الجزع إلى الوسواس والأمراض النفسية والهروب إلى المخدرات والانتحار ، ولو آمن
بالقضاء والقدر لرأيت قوة الرجاء وإحسان الظن بالله .. فإن الله تعالى لا يقضي قضاءً إلا وفيه
تمام العدل وكمال الرحمة والحكمة ؛ فلا يتهم ربه فيما يجري عليه من أفضيته وأقداره ؛ وذلك

²¹⁵ سورة النساء

²¹⁶ سورة يوسف

يوجب له استواء الحالات عنده ورضاه بما يختاره له سيده وينتظر الفرج ويترقبه ، بل يخفف ذلك من حمل المشقة .. لا سيما مع قوة الرجاء فإن في حشو البلاء من روح الفرج ونسيمه وراحته ما هو خفي الألفاف ، بل هو فرجٌ معجل ..

والتأمل في قدر الله يكشف للإنسان حكمة الله فيما يقدره من خير أو شر : ﴿ ... وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^{٢١٧} ؛ فيفوض العبد أمره إلى من يعلم عواقب الأمور .

أيها المسلمون .. ومن آثار الإيمان بالقضاء والقدر : التوكل على الله ، وهو نصف الدين ولب العبادة والتوكل .. هو توجه القلب إلى الله واستمداد المعونة منه والاعتماد عليه وحده بعد بذل السبب ..

التوكل يعني الثقة بالله والطمأنينة به والسكون إليه ، وهو التعلق بالله في كل حال : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾^{٢١٨} ، ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾^{٢١٩} .

التوكل لا يعني ترك الأسباب ، بل يعني عدم تعلق القلب بها .. فإذا عازمت فتوكل على الله ، والشرعية أمرت العامل بأن يكون قلبه منطوياً على انفراد التوكل ، فإذا استضاء به أمدده الله بالقوة والعزيمة والفهم والبصيرة والصبر والتوفيق وصرف عنه الآفات وأراه من حسن العواقب ما لم يكن ليصل إليه الإنسان لولا توفيق الله ، وهذا يريح الإنسان من الأفكار والوساوس ويفرغ قلبه من التقديرات والتدبيرات التي يصعد منها في عقبة ويتزل في أخرى ، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل ، ومن التفت إلى غير الله نقص توكله .. قال ابن القيم - رحمه الله - : (الثقة بالله تنافي الركود والعجز ؛ فإن الواثق بالله

²¹⁷ سورة يوسف

²¹⁸ سورة الفرقان

²¹⁹ سورة الطلاق

يفعل ما أمره الله ويثق بالله في طلوع ثمرته وبركتها كغارس الشجرة وبأذر الأرض ، والثقة
إنما تصح بعد بذل المجهود " .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ..
أقول قولي هذا وأستغفر الله - تعالى - لي ولكم .

الخطبة

الثاني

الحمد لله .. الحمد لله الذي استأثر بالخلق والتدبير .. له ملك السموات وهو اللطيف
الخبير ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله البشير
النذير والسراج المنير .. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين .

أما بعد .. أيها المسلمون : يقول الحق - تبارك وتعالى - عن ذاته العلية : ﴿ وَلَهُ مَا
سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ٢٢٠ ، ويقول - سبحانه - : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ
فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ ٢٢١ ، ومن هنا كان كمال توحيد المؤمنين فأخبت
قلوبهم لأحكام القضاء وهان عليهم الصبر على البلاء والشكر على السراء ، وفوضوا
أمرهم إلى الله وسألوه المغفرة والرحمة .

عباد الله .. الإيمان بالقدر لا ينافي أن يكون للإنسان مشيئةً يحاسب عليها في أفعاله
الاختيارية ؛ فكل إنسان له قدرة وإرادة ومشيئة واختيار .. لا يجبره أحدٌ على فعل خيرٍ أو

220 سورة الأنعام

221 سورة الأنعام

فعل شر ، قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) ﴾ ٢٢٢ ،
وقال سبحانه ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ (٢٩) ﴾ ٢٢٣ .

وأفعال العباد هي من الله خلقاً وإيجاداً وتقديراً وهي من العباد فعلاً وكسباً واختياراً ؛
فالله هو الخالق .. فأفعالهم وهم الفاعلون لها .. قال - سبحانه - : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا
تَعْمَلُونَ ﴾ ٢٢٤ ..

قال ابن القيم - رحمه الله - : (هاهنا أمران : قضاء ومقضي ؛ فالقضاء هو فعل الرب
- سبحانه - والمقضي هو المفعول المنفصل عنه ، فالقضاء كله خيرٌ وعدلٌ وحكمة ،
والمقضي منه ما هو مرضيٌ ومنه ما هو غير مرضي ، مثال ذلك قتل النفس ، فهما اعتباران
؛ فمن حيث إنه قدر الله وعلمه وقضاؤه وكتبه ، وشاءه وجعله أجلاً للمقتول ونهايةً لعمره
فهو كذلك ، ومن حيث إنه صدر من القاتل وباشره وكسبه وأقدم عليه باختياره وعصى الله
بفعله فهو مستخوطٌ غير مرضي ولم يجبره أحد على هذه المعصية ، ولا وجه للاحتجاج بالقدر
هنا .. فإنه لا يدري أصلاً ما الذي كتبه الله وقدره ؛ فهو محاسبٌ على فعله لا على ما قدره
الله مما لا يعلم العبد عنه) .

عن جابر رضي الله عنه قال : " جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ جَعْشَمٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ
، بَيْنَ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ ، أَرَأَيْتَ عُمَرْتَنَا هَذِهِ ؟ أَلْعَامِنَا هَذَا أَمْ لِلْأَبَدِ ؟ قَالَ : " بَلْ لِلْأَبَدِ
" . قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بَيْنَ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ ، فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ ؟ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ
الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ ، أَوْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ ؟ قَالَ : " لَا ، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ ،
وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ " . قَالَ : فَفِيمَا الْعَمَلُ ؟ فَقَالَ زُهَيْرٌ : فَقَالَ : كَلِمَةً خَفِيَتْ عَلَيَّ ، فَسَأَلْتُ

222 الشمس

223 التكوير

224 سورة الصافات

عَنْهَا نَسَبَتِي بَعْدُ ، فَذَكَرَ أَنَّهُ سَمِعَهَا ، فَقَالَ : " اَعْمَلُوا فَكُلُّ مُيسِّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ " وفي رواية :
" كل عاملٍ ميسرٌ لعمله " رواه مسلم .

هذا ، وصلوا وسلموا على الرحمة المهداة والنعمة المسداة محمد بن عبد الله رسول الله
ومصطفاه ، اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آل بيته
الطيبين الطاهرين وصحابته أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين
، اللهم انصر من نصر الدين واخذل الطغاة والملاحدة والمفسدين .

اللهم آمنا في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، واجعل ولايتنا فيمن خافك
واتقاك واتبع رضاك .

اللهم ولّ على المسلمين خيارهم واصرف عنهم شرارهم ، اللهم وفق ولي أمرنا لما
تحب وترضى وخذ به للبر والتقوى ، اللهم أصلح بطانته واصرف عنه بطانة السوء يا حي
يا قيوم ، اللهم وفقه ونائبه وإخوانهم وأعوانهم لما فيه صلاح العباد والبلاد ، اللهم انصر
دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم انصر المسلمين المستضعفين في كل مكان
يارب العالمين .

اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك ، اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين
ونفس كرب المكروبين وفك أسر المأسورين واقض الدين عن المدينين واشف برحمتك مرضانا
ومرضى المسلمين .

اللهم اغفر ذنوبنا واستر عيوبنا ويسر أمورنا وبلغنا فيما يرضيك آمالنا .

ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة وقنا عذاب النار ، ربنا اغفر لنا ولوالدينا
ووالديهم ولجميع المسلمين ، ربنا ظلنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .
نستغفر الله . نستغفر الله ، نستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوب إليه ،
اللهم أنت الله لا إله إلا أنت .. أنت الغني ونحن الفقراء ؛ أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من
القانطين ، اللهم أغثنا . اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا غيثاً هنيئاً مريئاً سحاً طبقاً مجللاً عامّاً نافعاً
غير ضار .. تحي به البلاد وتسقي به العباد وتجعله بلاغاً للحاضر والباد ، اللهم سقيا رحمة .
اللهم سقيا رحمة . اللهم سقيا عذاب ولا بلاء ولا هدم ولا غرق ، اللهم إنا
نستغفرك إنك كنت غفارا فأرسل السماء علينا مدراراً

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ،
والحمد لله رب العالمين .

عنوان الخطبة: الورع وأثره على دين المسلم

تاريخ إلقاء الخطبة : اليوم الثلاثون من شهر ربيع الأول من عام ١٤٣٠ هـ —

— الورع وأثره على دين المسلم —

الخطبة —————

أول —————

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، فتقوى الله - تعالى - أعظم وصية ، وهي النجاة من كل كرب وبلية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٢٠) ﴿ ٢٢٥ ﴾ وتأهبوا للعرض الأكبر على الله ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ (٨٨) ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩) ﴿ ٢٢٦ ﴾

عباد الله : حين تخبو جذوة الإيمان في القلوب ويطغى حب الدنيا على النفوس تضحل التقوى ويتلاشى الورع وتبرز الأنانية ويظهر الطمع ويولع الناس بالدنيا فيتهافتون عليها ويتنافسون ، وبها يتميزون ويتطايسون وعليها يوالون ويعادون ، وذلك حين ينسى الناس أو يتناسون أمر الحساب والوقوف بين يدي رب الأرباب تراهم في هذه الدنيا يركضون بغير عنان يعبون من حلالها وحرامها دون كيل ولا ميزان .. يتسابقون في لذائذ النفوس من غير حدود ولا حواجز ، ويتكالبون على حطام الدنيا تكالب من نسي الآخرة ، شعار أحدهم : الحلال ما حل في يدك والدنيا لمن غلب وخذ كل ما تستطيع أخذه .. لا يبالي من أتى الدنيا وبأي طريق وصلت لقمته وعلى أي حال كانت متعته وعلى أي محرم كانت شهوته .. لعبٌ وهو وتكاثرٌ وتفاخرٌ وتقليدٌ وزهو ، وحالٌ مشينٌ تنحط إلى دركه المجتمعات حين تغفل عن مراقبة الله وخشيته وتنشغل بجمع الدنيا وكسب المال ؛ فتفسد الديانة وتنحرف الأخلاق ويعوج السلوك والمصير الأخير ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا ﴾

بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢٢٧﴾
.. ومن المخيف المفزع أن ترى بوادر ذلك السلوك ومظاهر هذا الانحراف .

أيها المسلمون : وفي دياجير هذه الظلمات وتلاطم طوفان المدهمات ثمة مركب آمن يتهادى بين أمواج الفتن يحمي المؤمن ويوصله ويؤويه ويؤمنه ؛ إنه مركب الورع .. الورع والعفة والتقوى والخوف من الله صفات أصبحت غريبة في زمن التكاثر والتفاخر ومعان أضحت عزيزة في صراعات الحياة .. الخوف من الله سراجٌ وضيء في حنايا القلوب ومشعل نور نتلمس به سلامة الدروس ، مَنْ مِنَ النَّاسِ الْيَوْمَ يَتَوَقَّفُ عِنْدَ مُشْتَبِهَاتٍ وَيَقُولُ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ .. مَنْ مِنَ النَّاسِ مِثْلَ الصَّدِيقِ جَاءَهُ غَلَامُهُ بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ فَقَالَ لَهُ الْغَلَامُ : (أتدري ما هذا ؟ قال أبو بكر : وما هو ؟ قال : كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة .. إلا أني خدعته فلقيني فأعطيني بذلك .. فهذا الذي أكلت منه ؛ فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه) رواه البخاري - .. رضي الله عن الصديق .. لقد كانت فيه خصلة الأتقياء المذكورة في سورة : ﴿ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ ٢٢٨ .

عباد الله .. الورع من أعلى مراتب الإيمان وأفضل درجات الإحسان يحقق للمؤمن هدأ البال وطمأنينة النفس وراحة الضمير .. الورع ترك ما يريبك ونفي ما يعيبك هو تجنب الشبهات ومراقبة الخطرات ، ولا يكون المرء ورعاً حتى يجتنب الشبهات خشية الوقوع في المحرمات ويترك كل ما يخشى ضرره في الآخرة .. عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُّشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ . أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى . أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ " .. رواه البخاري ومسلم ، وهذا من

جوامع الكلم .. فإن من اقترب من الحرام وحام حول الفتن قرب منه البلاء وبعدت عنه السلامة .. وربما زال عنه اللطف الإلهي ووكل إلى نفسه ؛ فمهما بلغ الإنسان من التحرز والعلم فلا ينبغي أن يغتر بنفسه ولا يفرط بالثقة فيما هو عليه .. فإن أبي إلا الحوم حول الحمى فليعلم أنه على شفا جرفٍ هارٍ يوشك أن ينهار به ، فمن أعظم ما يعين على السلامة البعد عن المثيرات ودواعي المعصية ونوازع الشر ومحركات الشهوة .

أيها المؤمنون التوقي من المزالق والحذر من المحارم سجية المؤمنين وعنوان المتقين .. قال سفيان الثوري : (عليك بالورع يخفف الله حسابك ، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، وأتبع الشك باليقين يسلم لك دينك) ؛ لذا قال قتبية : (لولا الثوري لمات الورع) .. قال الضحاك : (أدركت الناس وهم يتعلمون الورع ، وهم اليوم يتعلمون الكلام والجدل) ، وقال النخعي : (إنما أهلك الناس فضول الكلام وفضول النظر) .

وصدقوا والله .. فإن كثيرا من المخالفات أتت من هذه الأبواب ؛ فتأمل موقف الناس حيال قضايا في حياتهم في جانب تحصيل المال وحل المطعم والملبس والكلام في الأعراض وغير ذلك .. أين الورع في تحصيل المكاسب وأنت ترى الاحتيال والغش والغرر .. فضلا عن الربا .. والذي لم يعد شبهة ولا غبارا ، بل جبال متراكمة من الربا المحض ، ولم يعد يرفع لإنكاره رأسا مع أنه حربٌ لله ورسوله ومحقٌ للمال والحال .. هل فكرنا فيما نأكله من أطعمة مستوردة ولحوم مثلجة لا يدرى على أي جنب كان مصرعها مع توفر الحلال الطيب ؟ وفي الصحيحين : " أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبَّ يَا رَبَّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ " . نعم .. الحرام يمنع إجابة الدعاء ويبعد الإنسان عن الله ويطفئ البصيرة ويوجب الخذلان ..

أين الورع في أداء الأمانات .. أمانة العمل وأمانة أداء الحقوق ؟ أين الورع في الفتيا والقول على الله ؟ وأين الورع عند الحديث عن الأعراض والولوغ في لحوم المسلمين فريا

ونفشا .. ناهيك عن الكذب وإلصاق التهم والتشهير وتشويه السمعة ؛ سيما مع وسائل الاتصال وسرعة نقل المعلومة ونشرها ؟ قال إسحاق : (الورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة) .. أين الورع في النظر ؟ وأين غض البصر في زمن الانفتاح الفضائي والتعري الأخلاقي ؟ وأين الورع في الكتاب والتأليف والرأي والفكر والخطب العابثة بكل ما تهواه النفس وإن تجرأ على حدود الله ومحارمه : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴾ (٤) **لِيَوْمٍ عَظِيمٍ** (٥) **يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** (٦) ﴿ ٢٢٩

أين الورع وأنت ترى الرجال يلبسون الذهب والحرير وهما محرمان على الذكور ؟ بل أين ورع النساء في الحشمة وفي ستر العورات في المحافل والمناسبات ، بل في الأسواق والأماكن العامة ؟

إن الحديث عن الورع مع انتشار هذه المظاهر هو حديث غريب غربة الزمان ، والحال أننا بحاجة إلى تجنب الظواهر وما يفضي للكبائر مما لا جدال في تحريمه .. ولكن الوقوع في الشبهات هو الذي أوصل إلى المحرمات ، والتساهل في المكروهات هو الذي أقحم الناس في المحرمات ، والتفريط في المندوبات جرهم إلى ترك الواجبات .. لقد صدق النبي - صلى الله عليه وسلم - في كل كلمة قالها : " وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ. " .. لقد رتعوا حتى بشموا .

أيها المسلمون .. التقوى والورع والتعفف والتحرج حياة في الضمير ونباهة في القلب ونورٌ يجنبك الوقوع في الحرام .. لا تخادع نفسك حينما تفتحم الريب وتخوض في المشتبه ؛ فإن على الحق نورا .. قال الحسن بن علي - رضي الله عنهما - : " حفظت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : دَعَا مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ ، فَإِنَّ الصَّدَقَ طُمَأْنِينَةٌ ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ " رواه الترمذي والنسائي بسند صحيح .. الريبة واضحة فلا تخرج نفسك .. قال - صلى الله عليه وسلم - : " وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْهِ النَّاسُ " رواه

مسلم . وماذا ينفعلك الناس ما دمت تتوجس منه المأثم .. قال - صلى الله عليه وسلم - : " **وَالِائِمُّ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ ، وَإِنْ أَفْتَاكَ عَنْهُ النَّاسُ** " رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح .

عباد الله .. إن أماننا قبراً ثم نشراً ثم حشراً ثم كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .. ثم المصير إلى جنة أو نار ؛ فمن سافر بغير زادٍ قل أن يسلم ، ومن لم يتدبر عواقب الأمور فلا بد أن يندم ، ومن لم يكتر من محاسبة نفسه كثرت عليه الديون ، وعما قليل هو في القبر مرهون ، ومن سكنت الدنيا قلبه قلبته ومن استمرأ المخالفة وقهاون في الحدود خُتم على قلبه حتى يصبح كالكوز مجخيا لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه .

أيها المسلمون .. الخوف من الله والتوقي من محارمه والوقوف عند حدوده والبعد عن المشتبهات ليس نفلاً ، بل هو أمرٌ محتومٌ حتى يسلم للمسلم دينه ؛ فما للدنيا خلِقنا .. روي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال : (**إني لأحب أن بيني وبين الحرام سترة من الحلال لا أخرجها**) .. وصدق النبي - صلى الله عليه وسلم - حين قال : **مَنْ يُخَالِطِ الرِّيَّةَ يُوشِكُ أَنْ يَجْسُرَ** " متفق عليه

لذا كان سد الذرائع باباً عظيماً من أبواب الفقه والديانة ؛ فهل يعقل ذلك الذين يهزأون بهذا المبدأ الشرعي حتى انتهك الذرائع ما وراء الذرائع .. فأين هم من صفات المؤمنين في سورة (المؤمنون) : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١)** ﴾ **٢٣٠** قالت عائشة - رضي الله عنها - " سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن هذه الآية : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ** ﴾ **٢٣١** : **أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ**

230 سورة المؤمنون

231 سورة المؤمنون

وَيَسْرِقُونَ ؟ قَالَ : لَا يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَلَّا يُقْبَلَ مِنْهُمْ .. ﴿ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ ٢٣٢ .. حديث صحيح رواه أحمد والترمذي وابن ماجه .

اللهم املاً قلوبنا بتقواك ، واجعلنا نخشاك كأننا نراك ، وبارك لنا في القرآن والسنة وانفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة .. أقول قولي هذا وأستغفر الله - تعالى - لي ولكم .

الخطبة

الثاني

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين .. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته أجمعين.

أما بعد .. أيها المسلمون : إن من عرف ربه وقدره حق قدره وعظم حرماته وشعائره وصل به التعظيم إلى الحيطة والحذر من كل ما يكون مظنة غضب الرب - جل جلاله - في الحال أو في المال والبعد عن كل ما يمكن أن يوصل إلى الحرام أو يجز إليه .. ورحلة الانحدار تبدأ بزلة واحدة ، والحريص على آخرته يجعل بينه وبين الانزلاقات وقاية تستره وتحميه ، والمكروه عقبة بين العبد والحرام .. فمن أتى المكروه تطرق إلى الحرام ، ومن استكثر من المباح تطرق إلى المكروه .. وربما جره إلى الحرام ، وقد جمع النبي - صلى الله عليه وسلم - الورع في كلمة واحدة فقال : " مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنيه " .. رواه مالك والترمذي وابن ماجه بإسناد صحيح .. فهذا يعم الترك لما لا يعني من الكلام والنظر والاستماع والحركة والفكر وسائر الحركات الظاهرة والباطنة ، وفي الترمذي مرفوعاً : " يَا

أَبَا هُرَيْرَةَ " كُنْ وَرِعًا تَكُنْ عَبْدَ النَّاسِ " لذا جاء : خير دينكم الورع .. وفي الوعد الصادق : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾^{٢٣٣}

إن وصل القلب بالله في السر والخفاء الذي لا تطلع عليه العيون هو ميزان الحساسية في القلب البشري وعلامة الحياة في الضمير ، ومتى انعقدت الصلة بالله في القلب فهو مؤمنٌ صادقٌ موصول .. وإن استقرار هذه الحقيقة في النفس ينشئ لها إدراكا صحيحا للأمر ما يودعه من يقظة وتقوى تناط بها الأمانة التي يحملها المؤمن في هذه الأرض أمانة التوحيد وأمانة العمل ، وذلك لا يتحقق إلا حين يستيقن القلب أنه هو وما يكمن فيه هو من خلق الذي يعلمه : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾^{٢٣٤} .. عندئذ يتقي المؤمن النية المكنونة والهاجس الدفين كما يتقي الحركة المنظورة والصوت الجهرى لأنه يدرك أن الله يعلم السر وأخفى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾^{٢٣٥} .

هذا ، وصلوا وسلموا على خير البرية وأزكى البشرية رسول الله محمد بن عبد الله .. اللهم صلّ وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين ، اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، اللهم اجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين .. اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم انصر من نصر الدين واخذل الطغاة والملاحدة والمفسدين .

٢٣٣ سورة الملك

٢٣٤ سورة الملك

٢٣٥ سورة غافر

اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين ، ونفس كرب المكروبين ، وفك أسر
المأسورين ، واشف برحمتك مرضانا ومرضى المسلمين .

اللهم وفق ولي أمرنا لما تحب وترضى وخذ به للبر والتقوى ، اللهم أصلح بطانته ،
اللهم وفقه ونائبه وإخوانهم وأعوانهم لما فيه صلاح العباد والبلاد .. اللهم انصر المجاهدين في
سبيلك في فلسطين وفي كل مكان يا رب العالمين ، اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في
فلسطين وفي كل مكان يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم أصلح أحوال المسلمين ، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان يا رب
العالمين ، وردهم إليك ردًا جميلاً .. اللهم آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب
النار .. ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم ولجميع المسلمين .. ربنا ظلمنا أنفسها وإن لم تغفر
لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت .. أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا
من القانطين ، اللهم أغثنا . اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا غيثاً هنيئاً مريئاً سحاً غدقاً طبقاً مجللاً
عاماً نافعاً غير ضار تحي به البلاد وتسقي به العباد وتجعله بلاغاً للحاضر والباد ، اللهم سقيا
رحمة . اللهم سقيا رحمة ، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا بلاء ولا هدم ولا غرق .

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ،
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

عنوان الخطبة: الوضوء وفضله وآثاره

تاريخ إلقاء الخطبة : السادس من جمادى الأولى من عام ١٤٣٠ هـ

– الوضوء _____ و

وفضله _____ له –

الخطبة _____

أول _____

—

الحمد لله .. الحمد لله الذي شرّع الشرائع وأحكم الأحكام وجعلها بالغة الحسن وغاية في الإحكام ، أحمده – تعالى – وأشكره وهو أهل الحمد والإنعام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو الحكيم العليم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ذو الوجه المضيء الوضيء والفعل الجميل الرضي .. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، فأوصيكم بالتقوى - أيها الناس - فهي خير زادٍ وخير لباس ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ٢٣٦ .. ثم اعلّموا - رحمكم الله - أن أعمالكم تُحصى وأن أعماركم تنقص وأن يد الموت عاملة والأجل مغيب ، وليس بينك وبين الآخرة إلا قبض روحكم ؛ فمن حاسب نفسه ربح ومن نظر إلى العواقب نجا ، ومن خاف سلم ومن أطاع هواه ضل؛ فتهيئاً لمن استعد للقاء الله وتخفف من الدنيا وتاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى .

أيها المسلمون : تكليفٌ لطيفٌ وأمرٌ إلهيٌّ خفيفٌ وفيه تخفيفٌ جعله ربنا شرطاً بين يدي الصلاة ومطفئاً لغضب النفس حين تضيق بالنفس الحياة وتكتنفها المعاناة .. هو للمؤمن سلاحٌ ويعقبه للنفس ارتياحٌ وللصدر انشراح ..

عباد الله .. من أجهل الأحكام والحكم ما يتعلق بالطهارة والوضوء ؛ ذلكم أن الإسلام دين الطهارة والنقاء والنظافة والصفاء .. جمع بين تطهير الباطن والظاهر ، وفي أوائل آيات التزليل : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)﴾ ٢٣٧ .. وعند التأمل تتبدى لك أحكامٌ جليلة وحكمٌ جميلة تتبين فيها عظمة الإسلام ورفي أحكامه وسمو شريعته ، فما أجهل أن يكون المسلم متوضئاً .. فضائل وأجور ونظافة وطهور : ﴿... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ٢٣٨ ، عملٌ يسيرٌ وأجرٌ كبير ، وفي آخر آية الوضوء ﴿... مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٢٣٩

236 سورة آل عمران

237 سورة المدثر

238 سورة البقرة

239 سورة المائدة

الوضوء مأخوذ من الوضاعة .. وهي الإشرقة والضياء والنور والصفاء والحسن والنظافة ، وهي الحالة التي يكون عليها باطن المتوضئ وظاهره حينما يتوضأ ؛ فهو علامة الإيمان .. قال - صلى الله عليه وسلم - : " وَلَنْ يُحَافِظَ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا الْمُؤْمِنُ " رواه ابن ماجه .

أيها المسلمون .. منزلة الوضوء في الإسلام منزلة عالية ؛ فهو نصف الإيمان كما في صحيح مسلم : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ " .. الوضوء عبادة مستقلة وقربة كاملة حتى ولو لم تعقبه صلاة .. إن الأمر ليس مجرد غسل للأطراف وإزالة للأقذار .. إنه أعلى وأجل ؛ فالوضوء عبادة والوضوء محور للذنوب وكفارة للخطايا ورفعة للدرجات وسبب لدخول الجنة وحرز من الشيطان وحفظ من الشرور ومنافع للقلوب والأبدان ..

وهاكم أيها المتوضئون طائفة من أقوال النبي - صلى الله عليه وسلم - فيها البشارة والتحريض : فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوْ الْمُؤْمِنُ فَعَسَلَ وَجْهَهُ ، خَرَجَتْ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بَعَيْنُهُ مَعَ الْمَاءِ ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ ، أَوْ نَحْوَ هَذَا ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتْ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ بَطَشَتْهُمَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ ، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ . " رواه مسلم .

وعن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال : (قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " مَنْ تَوَضَّأَ ، فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ " رواه مسلم .

وعنه - رضي الله عنه - قال : (قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يَأْتِ كَبِيرَةٌ ، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ " . رواه مسلم .

وفي صحيح مسلم أيضا : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا ، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ " ، قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : " إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ " .

وفي الصحيحين : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - توضأ ثم قال : " مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوءِي هَذَا ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " .

أيها المسلمون .. أيها المتوضئون .. الوضوء سيماء المؤمنين وشعار هذه الأمة بين العالمين ، وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ " رواه البخاري ومسلم .

وفي الصحيحين أيضا : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " أَنْتُمْ الْغُرُّ الْمُحَجَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ فَلْيُطِلْ غُرَّتَهُ وَتَحَجِّجْهُ " .

وفي صحيح مسلم : " لَيْسَ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ " .. وكان أبو هريرة - رضي الله عنه - يمد يديه ويقول : (سمعت خليلي - صلى الله عليه وسلم - يقول : " تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ ، حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ ") .

عباد الله .. الوضوء ينشط الجوارح ويزيد حركة الدم في البدن ويعيد فيه قوته ونشاطه وحيويته ، ويوقف العبد أمام ربه بطهارة وروح عالية ، ويجلب محبة الله للعبد : ﴿... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^{٢٤٠} . وفي سورة التوبة : ﴿... فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^{٢٤١} .

وأعظم ما يُشترط له الوضوء الصلاة ، وهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين .. والوضوء مفتاحها ، ولا يقف المتعبد في محراب الصلاة إلا متوضئاً ؛ ففي الصحيحين : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ " .. وفي صحيح مسلم : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلَا صَدَقَةٍ مِنْ غُلُولٍ " .

وفي الأمر بالوضوء وصفته يقول الله - عز وجل - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ...﴾^{٢٤٢} ، وهذه من أعظم آيات الأحكام كما قال ابن تيمية - رحمه الله - وقال ابن العربي - رحمه الله - : (فيها ألف مسألة) ، وصدقوا .. فإن فيها من الأحكام والحكم ما لا ينقضي منه العجب .. ومنه صفة الوضوء ، وهو : غسل الوجه مع المضمضة والاستنشاق ، ثم غسل اليدين إلى المرفقين ، ثم مسح الرأس والأذنين ، ثم غسل الرجلين

²⁴⁰ سورة البقرة

²⁴¹ سورة التوبة

²⁴² سورة المائدة

إلى الكعبين كما توضحا النبي - صلى الله عليه وسلم - فعن حمran مولى عثمان : أن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - دعا بوضوء فتوضأ ؛ فغسل كفيه ثلاث مرات ، ثم مضمض واستنثر ، ثم غسل وجهه ثلاث مرات ، ثم غسل يده اليمنى ثلاث مرات ، ثم غسل يده اليسرى مثل ذلك ، ثم مسح برأسه ، ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين

ثلاث مرات ، ثم غسل اليسرى مثل ذلك ، ثم قال : رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوئِي هَذَا ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ ، لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " رواه البخاري ومسلم .

هذه هي صفة الوضوء الكاملة ، والتي ينبغي على المسلم العناية بها وأن يستوعب جميع أجزاء أعضاء الوضوء بلا إهمال ولا وسواس .. وقد رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - من تعجل في الوضوء فبقي في عقبه شيء لم يصله الماء فقال : " وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ ، أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ " مخرج في الصحيحين ، وفيه أيضا : " وَيْلٌ لِلْعَرَاقِيبِ مِنَ النَّارِ " .

وثبت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - توضأ وغسل أعضاءه مرة مرة ، وتوضأ أخرى فغسلها مرتين مرتين ، وتوضأ أخرى فغسل أعقابه ثلاثا ثلاثا ، وقال : " هَكَذَا الْوُضُوءُ ، فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ " حديث صحيح رواه النسائي وابن ماجه . . ومنه يعلم أن الزيادة على الثلاث وسوسة من الشيطان وغلو وتنطع وإسراف منه عنده ، والشيطان حريص على إفساد عبادة الإنسان بالغلو والوسوسة .. قال الحسن البصري - رحمه الله - : (إن شيطاناً يضحك بالناس في الوضوء يقال له الوهان) .

وإن مما تقطع به الوسوسة : الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، وكذلك نضح الفرج بالماء بعد الوضوء - كما ثبت في الصحيح - حتى يعلم أن البلل من الماء لا من البول فيقطع طريق الوسواس .

أيها المسلمون .. أيها المتوضئون .. وإذا ختم المسلم وضوءه بالشهادتين فُتحت له أبواب الجنة .. عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال : (كانت علينا رعاية الإبل ، فجاءت نوبتي فروحتها بعشي ، فأدركت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائما يحدث الناس ، فأدركت من قوله : " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ ، فَيُحَسِّنُ وُضْوءَهُ ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ ، إِلَّا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ " .. قال : فقلت : ما أجود هذا ، فإذا قائم بين يدي يقول : التي قبلها أجود ، فنظرت فإذا عمر ، فقال : إني رأيتك جئت آنفا قال : " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبَلِّغُ - أَوْ فَيَسْبِغُ - الْوُضْوءَ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، إِلَّا فَتُحَتَّ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَّةِ ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ " رواه مسلم . وفي رواية صحيحة عند أبي داود : " اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ " .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٦) ﴿٢٤٣﴾

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة ، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة ، أقول
قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثاني

الحمد لله .. الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر ، والشكر كثيراً وقد تَأَذَّنَ بالزيادة لمن شكر ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .. خير من
توضأ وتطهر ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الميامين الغرر.

أما بعد ، أيها المسلمون .. فإن الوضوء ليس مرتبطاً بالصلاة وحسب ، بل هو
مشروعٌ في مواطن كثيرة مندوبٌ إليه في كل حال ؛ فهو مشروعٌ عند النوم كما في حديث
البراء بن عازب - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له: " إِذَا أَتَيْتَ
مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ " الحديث متفق عليه .. وعن ابن عمر - رضي الله
عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : مَنْ بَاتَ طَاهِرًا بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ ،
فَلَا يَسْتَيْقِظُ مِنْ لَيْلٍ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ كَمَا بَاتَ طَاهِرًا " أخرجه أحمد
والطبراني في (الكبير) ..

كما أنه مشروعٌ عند الاستيقاظ من النوم ، كما في حديث : " يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى
قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ ... " الحديث .

ومشروع عند الغضب لإخماد ثوران النفس وإطفاء حرارتها ودحر الشيطان ، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ " ..

كما يشرع للجنب إذا أراد أن يجمع أهله مرة أخرى أن يتوضأ ؛ فإن ذلك خير له وأنشط لبدنه ونفسه ، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلُهُ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَعُودَ فَلْيَتَوَضَّأْ بَيْنَهُمَا وَضُوءًا " رواه مسلم .. بل حتى إذا أراد الجنب أن يأكل أو ينام قبل الاغتسال فيسن له أن يتوضأ ، كما قالت عائشة - رضي الله عنها - : " كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إِذَا كَانَ جُنُبًا فَأَرَادَ أَنْ يَأْكُلَ أَوْ يَنَامَ تَوَضَّأَ وَضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ " رواه مسلم .

اللهم اجعلنا من التوابين واجعلنا من المتطهرين .

ثم اعلّموا - رحمكم الله - أن الله قد أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه فقال - سبحانه - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦) ٢٤٤ .. اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء - أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - وعن سائر صحابة نبيك أجمعين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، اللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، وانصر عبادك الموحدين ، اللهم انصر من نصر الدين واخذل الطغاة والملاحدة والمفسدين .

اللهم ارفع عنا الغلا والوبا والربا والزنا والزلازل والنحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن .. اللهم آمنا في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا .. اللهم وفق ولي أمرنا لما تحب وترضى ، وخذ به للبر والتقوى ، اللهم وفقه ونائبه وإخوانه وأعوانهم إلى ما فيه صلاح العباد والبلاد .. اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين .

اللهم أصلح أحوال المسلمين ، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان يارب العالمين ، اللهم اجمعهم على الكتاب والسنة ، وانصرهم على عدوك وعدوهم يارب العالمين ..

اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في فلسطين وفي كل مكان يارب العالمين .. اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين ونفس كرب المكروبين ، وفك أسر المأسورين ، واقض الدين عن المدينين ، واشف مرضانا ومرضى المسلمين .

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .. ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم وجميع المسلمين.. اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يرضيك آمالنا .

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا أنك أنت التواب الرحيم .. سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

عنوان الخطبة: التربية والتعليم أهميتهما وفضلهما

تاريخ إلقاء الخطبة: الثاني عشر من جمادى الآخرة من عام ١٤٣٠ هـ

– التربية والتعليم أهميتهما وفضلهما –

الخطبة
أول

—

الحمد لله .. الحمد لله الذي اتصف بالعلم وتسمى به وأفاض على نبيه ما شاء منه
فسما به ، والحمد لله .. كم أحاط علمه بالكائنات وأنار العقول بمحكم الآيات وفتق أذهان
البشر بشقى العلوم على مر العصور الماضية .

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ خَيْرَ مُعَلِّمٍ
عَلَّمْتَ بِالْقَلَمِ الْقُرُونَ الْأُولَى

أَخْرَجْتَ هَذَا الْعَقْلَ مِنْ ظُلُمَاتِهِ
وَهَدَيْتَهُ النُّورَ الْمُبِينَ سَبِيلًا

وَطَبَعْتَهُ بِيَدِ الْمُعَلِّمِ تَارَةً
صَدِئِ الْحَدِيدِ وَتَارَةً مَصْقُولًا

أَرْسَلْتَ بِالتَّوْرَةِ مُوسَى مُرْشِدًا

وَابْنَ الْبَتُولِ فَعَلَّمَ الْإِنْجِيلَا

وَفَجَّرَتْ يَنْبُوعَ الْبَيَانِ مُحَمَّدًا

فَسَقَى الْحَدِيثَ وَنَاوَلَ التَّزْيِيلَا

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. جعل التقوى سبباً للعلم فقال - سبحانه - : ﴿... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ...﴾ ٢٤٥ .. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. أيها المسلمون : لن تجاذبت الهموم المصلحين ونازعت قضايا الأمة اهتمام الناصحين وتلونت الآمال في عيون الطامحين فإنها تتفق في قضية كبرى وأطروحة جلى تؤول أكثر الهموم إليها وتنتهي الآمال إليها وعليها ؛ تلك - أيها المسلمون - قضية التربية والتعليم .

التربية والتعليم وظيفة الأنبياء والرسل ، وهي معيار حضارة الشعوب وسبق الدول .. أول ما صدر للبشرية هو التعليم: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...﴾ ٢٤٦ ، وأول معلم في هذه الأمة هو محمد - صلى الله عليه وسلم - وأول مدرسة في الإسلام كانت في ناحية هذا المسجد الحرام عند جبل الصفا (مدرسة دار الأرقم) .. ومن ذلك المعلم وفي تلك المدرسة ومن أولئك التلاميذ صاغ العرب نواة حضارتهم ، وحينها فقط سمع العالم يومئذ بالعرب وأدخلوهم ضمن حساباتهم .. إذ كانوا قبل ذلك على هامش الأحداث وفي ساقية الأمم .. والتاريخ يعيد نفسه ، وما أشبه الليلة بالبارحة ، ولم يرفع شأن هذه الأمة ولن ينهض بها إلا ما نهض بها في سابقها .

245 سورة البقرة

246 سورة البقرة

أيها المسلمون : لا يخفى على عاقلٍ فضل العلم المقرون بالتربية الصالحة ؛ فيه يعبد المسلم ربه على بصيرة ، وبه يعامل الناس بالحسنى ، وبه يسعى في مناكب الأرض يبتغي عند الله الرزق .. وبالعلم تبنى الحضارات وتبلغ الأمجاد ويحسن البناء والنماء .. العلم يجلس صاحبه مجالس المملوك ، وإذا اقترن بالإيمان فتلك رفعة الدنيا والآخرة : ﴿... يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...﴾^{٢٤٧} .. أما المعلمون والمعلمات فإنهم يجلسون من كراسي التعليم على عروش ممالك رعاياها أولاد المسلمين ؛ فهم الذين يصوغون الفكر ويفتقون الأذهان ويطلقون اللسان ويربون الجنان ؛ حقهم الإعزاز والإكرام والإجلال وفائق الاحترام .. حقهم أن يتزلوا منازلهم العالية ويوفوا حقوقهم الكاملة ، وأن يعرف قدرهم وتبقى هيبتهم:

أَعْلِمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الَّذِي

يَبْنِي وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولًا

الوصية لهم بعد الوصية بالتقوى والصدق والإخلاص ، وأن يكونوا قدوةً صالحةً لمن يتأسى بهم .

أيها المعلمون : إن أولاد المسلمين أمانة الله في أعناقكم وودائع الأمة بين أيديكم .. إن المعلم لا يستطيع أن يربي تلاميذه على الفضائل إلا إذا كان فاضلاً ، ولا يستطيع إصلاحهم إلا إذا كان في نفسه صالحاً لأنهم يأخذون عنه بالقدوة أكثر مما يأخذون عنه بالتلقين ، وإن الناشئ الصغير مرهف الحس قوي الإدراك للمعارف والكمالات .. فإن زينتم لهم الصدق فكونوا صادقين ، وإن حسنتم لهم الصبر فكونوا من الصابرين : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾^{٢٤٨} .

²⁴⁷ سورة المجادلة

²⁴⁸ سورة الأحزاب

إن الاستثمار في الإنسان هو الاستثمار الناجح الباقي المسلسل أجره ومنفعته في الدنيا وبعد الممات ، وفي الحديث الصحيح : قال - صلى الله عليه وسلم - : " إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ... " ، وذكر منها : " أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ " رواه مسلم .

وإذا كانت هذه منزلة المعلم العالية فإن العناية باختيار المعلمين والمعلمات وانتقائهم والارتقاء بأدائهم وتطويرهم أمرٌ متحتمٌ لنجاح العمل التربوي .. المعلم هو الركيزة الأساس وعليه تدور رحي التعليم ؛ لا بد من استقراره نفسياً ومادياً وإكرامه من عامة المجتمع .

أيها المسلمون .. أيها المربون : إن خير القلوب وأوعاها وأرجاها للخير ما لم يسند إليه الشر ، وأول ما عني به الناصحون ورغب في أجره الراغبون إيصال الخير إلى قلوب أولاد المسلمين لكي يرسخ فيها ، وتنبيههم على حدود الشريعة ومعالم الديانة .. وهذه - والله - وظيفة الأنبياء ، وقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - : " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا يُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ " رواه الترمذي .. فهنئنا لمن أخلص نيته وأصلح العمل .

عباد الله : لقد تعلق الحاضرة الإسلامية قروناً من الزمان محتفظةً بأصالتها ومبادئها متفenneً في علومها وتجارها ، والشريعة الإسلامية بكمالها وشمولها أمرت بتعليم جميع العلوم النافعة : من العلم بالتوحيد وأصول الدين والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحربية والتجريبية .. وغيرها من العلوم التي يكون بها قوام الأمة وصالح الأفراد والمجتمعات ، ويكون به الاستغناء عن غيرها وعدم تبعيتها لأحد ، وفي مبادئنا الإسلامية : ﴿... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ...﴾ ٢٤٩ .. لنحول هذا التوجيه الرباني إلى سياسية عملٍ ونهجٍ ليسير على هداية رجال التربية والتعليم ورجال الإعلام والمال وكل أفراد المجتمع .. إنه العمل المشترك والعمل بروح الفريق الواحد .

ينبغي استثمار التقنية الحديثة في مجالات الإبداع ، وإن الثورة العلمية والتقنية المتسارعة لا تنتظر أحدا .. لا بد من المبادرة بالإسهام في النافع ووضع الضوابط الأخلاقية والسلوكية للإنسان ، وإذا تخلف المسلمون عن الركب فسيصعب أن يسمع لهم أحد وهم حملة رسالة هي خاتم الرسالات وأكملها .

أيها المسلمون .. أيها المربون : أنتم مؤتمنون على صياغة الجيل وتوجيه المستقبل في تطوير وتجديد ومواكبة للحضارة .. مع الأصالة والثبات المستمدة من شريعة الإسلام .. نعم الأصالة والتميز المستمدة منهجها من الكتاب والسنة .. الهادفة إلى تعريف الناس برب العالمين والولاء لهذا الدين ، وتنشئة المواطن الصالح المنتج الواعي السالم من شطط التفكير ومسالك الانحراف .. إن مبادئ الإسلام الراسخة والمرنة كانت الانطلاقة الصحيحة للحضارة الإسلامية التي باركها الله على أهل الأرض ، وما ضعفت إلا حين كانت المنطلقات غير شرعية في تنكّر للدين أو تحجر لا يتحمله الإسلام .

عباد الله : كل أمة تنشئ أفرادها وتربيهم على ما تريد أن يكونوا عليه ؛ فالتربية والتعليم في حقيقته هو صياغة المجتمع وصناعة الجيل وتأهيله وتوجيهه .. وكل الأمم والدول تدرك هذا الجانب وتسعى بكل ما تستطيع لترسيخ مبادئها وأهدافها عن طريق التربية والتعليم ، وتعتبر ذلك من خصوصياتها وسماتها التي لا تساوم عليها التربية والتعليم .. والمناهج الدراسية حق سيادي وشأن داخلي لا ترضى الدول بالتدخل فيها ولا تسلمه الأمم إلى غيرها ، ومنه ندرك أن استيراد التربية من أمم أخرى بكل عجزها وبجرها خطيئة كبيرة وتبعية خطيرة تعني نشأة جيل مغيب عن تراثه وتاريخه .. مقطوع الصلة بعقيدته ومبادئه .. مسخا بلا هوية يسهل قياده واستعباده .

إن التربية ليست بضاعة تستورد .. إنها لباس يفصل على قامة الشعوب وتقاليدها ومبادئها وأهدافها التي يعيشون لها ويموتون في سبيلها .. وهذا لا يعني هدر الإفادة من تجارب

الأمم ؛ فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها ، إلا أنه من الخلط والتضليل فرض علمنة بحجة التطوير أو إقصاء الدين من مواكبة العلم .. وفي قول الله - عز وجل - : ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ...﴾^{٢٥٠} دليل على أن العلوم النافعة هي المقربة من الله ولو كانت من علوم الدنيا ؛ وذلك باصطباغها بصبغة الإيمان والتقرب بها إلى الله وخدمة دينه ونفع المسلمين وعمارة الأرض كما أراد الله في توازنٍ وشمولٍ ووسطيةٍ واعتدالٍ .. أما إذا تجرد التعليم وأهدافه من الإيمان فأضحت الوسائل والمقاصد ماديةً بحتةً فهو الوبال والشقاء .. وهذه الحضارة اليوم شاهدٌ حيٌّ على هذا النتائج حتى شقيت أممٌ بصناعاتها حين ذهلت عن خالقها ، وأصبح التسابق في وسائل الدمار لا في العمار وفقد الاستقرار ، وأصبحت القوة معياراً بدلاً من الحق والعدل في السياسة والاقتصاد وغيرها من المجالات .. وما الفخر في بنايات تعانق السحاب إذا كانت القيم مدفونة تحت التراب ! وما الربح إذا شغل الناس بالشهوات واللهاث وراء المادة في غفلةٍ عن الآخرة : ﴿... وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦) **يَعْلَمُونَ** **ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** (٧) ﴿...﴾^{٢٥١} .

عباد الله : إن من الضرورة للمقررات الدراسية أن ترسخ معالم الهوية الإسلامية والثقافة الوطنية وجوانب التميز الحضاري لها ومكانتها العالمية والإسلامية دينياً واقتصادياً وسياسياً وصناعياً مما يرسخ لدى المتلقي هويته الإسلامية وانتماءه الصحيح ؛ فهو بحاجة ماسةٍ أمام التحديات الفكرية والحضارية أن يكون أكثر وعياً وأكثر مقاومةً للانحرافات التي تشكك في الثوابت الدينية والقيم النبيلة المتأصلة في مجتمعنا المسلم ، ولئلا ينصهر الجيل ويذوب حتى يصبح مجرد رقمٍ من بين المخلوقات ..
إن لنا رسالةً وإن لنا تميزاً .

أيها المسلمون : إن وجود الفروق بين جنس الذكر والأنثى أمرٌ مسلمٌ عقلاً وشرعاً وحساً .. ولقد كانت في المملكة تجربةٌ فريدةٌ في هذا المجال حتى شهدت الهيئات والمنظمات

²⁵⁰ سورة فاطر

²⁵¹ سورة الروم

الدولية بذلك ، وجاء في تقرير (هيئة اليونسكو) : إن تجربة تعليم البنات لديكم نموذجية وفريدة ، ولولا الحرج من الاختلاف ونمط الحياة الأوروبية لقلنا إن هذه الصيغة الأنسب لتعليم وتربية الفتاة حتى في أوروبا .. وإذا كان هذا هو قول المنصفين فلا يلتفت إلى إرجاف المغرضين .

إن لدينا في تعليمنا الإسلامي وفي مسيرة التعليم في هذه البلاد خاصة مكاسب ومزايا وتجارب ونجاحات يجب المحافظة عليها .. من أبرزها : صياغة التعليم ، ومنهجية الوسط والاعتدال ، ومقررات العلوم الشرعية ، وإحاطة الفتاة المتعلمة بنور الفضيلة والآداب .

إن الحق والعدل أن نفخر أن التعليم في بلاد الحرمين الشريفين ومناهجه الدراسية - والتي تحظى بأضخم ميزانية - هو في حال زكاءٍ وغماء ، ويفضل على كثير من الدول رغم وجهات النظر الغربية التي تطرح أحيانا لتغيير المسار الآمن .. إلا أن التميز والأصالة لا زالت سمةً يجب المحافظة عليها ، مع التطوير المثمر والسعي للأفضل والإفادة من التجارب ؛ فأرجاء الفضاء فسيحة للتخليق لكن يجب أن تكون القواعد والمنطلقات ثابتةً راسخة .. وفي نفس الوقت آمنة .. وإذا كان هذا الزمن زمن صراعٍ حضاريٍّ وعقائدي وضغوطات لعولمة الفكر والتعليم .. فإن من علامة إخلاص ووعي القائمين على التربية والتعليم مواجهة هذا التحدي وأن يكونوا على قدر المسؤولية في القيام بهذا الواجب العظيم لأجل مستقبلٍ مضيءٍ - بإذن الله - بالعلم والهدى والعطاء والبناء في ظل دوحة الإيمان الوارفة .

حفظ الله بلادنا وبلاد المسلمين عزيزةً آمنةً سابقةً لكل خير سالمةً من كل شر .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٥٢) ﴿ ٢٥٢ ﴾ .

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة ، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة .. أقول
قولي هذا ، وأستغفر الله - تعالى - لي ولكم .

الخطبة

الثاني

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم
وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، أيها المسلمون .. يقول المنظرون : إن التربية والتعليم عملية تكاملية ،
ولنا أن نتساءل عن دور الآباء والأمهات في هذا التكامل ودور وسائل الإعلام في التربية
والتوجيه والنصح والتعليم وعن برامج المجتمع المسلم في هذا المشروع .. إن اضطراباً
وازدواجاً وحيرةً يعيشها الناشئ حين يعيش التناقض بين ما تربى عليه في المدرسة وما تفرزه
وسائل الإعلام المقروء منها والمرئي .. إن المدرسة لتجاهد في إرساء قواعد التربي وبنائها ،
ومع الانفتاح المذهل في وسائل الإعلام والاتصال أصبحنا في حالٍ ينازعنا غيرنا في تربية
أجيالنا .. خاصةً إذا كان واقع كثيرٍ من هذه الوسائل إثمهُ أكبر من نفعه .

إن ذلك يستدعي وقفةً من أصحاب القرار والغيورين والمعنيين بالتربية أن تتكاثف
الجهود بالدراسات وإيجاد الحلول ، ثم المبادرات والقرارات حمايةً للجيل وصيانةً للأمة .. إن
لكل مجتمعٍ معالم يقف عند حدودها وشعائر يكلف بتوقيرها .. حتى في الأقطار التي سادها
الإلحاد تواطأ القوم على أمور يترابطون بها ويتلاقون على مطالبتها وينظمون حياتهم بمنطقها ..
ونحن المسلمون لا نبي حياتنا إلا على يقيننا بالله الواحد ، ولا نرسم خطوط مجتمعتنا وآفاق
مستقبلنا إلا وفق هدايات الله العظيم كما بلغها رسوله الكريم .. ومن ثم فلا يقبل أبداً إشاعة
الفاحشة والإلحاد في حياة المجتمع المسلم ولا يقبل إهدار أحكام الله في سائر الشؤون ، ولا أن

يختل مظهر الإيمان في أرجاء الحياة العامة .. وليس استرضاء الله نافلة يزهد فيها الزاهدون أو يتخير فيه المرددون ، ويستحيل أن ندع مواريث الحق التي تلقينها ثم نرتقب خيراً في عاجل أمرنا أو آجله .

ولكي نصل إلى مستوى عالٍ للتربية المنشودة يجب أن نصون العقائد أولاً ونستبقي لها قداستها ؛ فإن الإيمان بالله واليوم الآخر والطمأنينة المطلقة إلى ما جاء عن الله ورسوله أسسٌ مكيئةٌ للتربية الكاملة ، بل إن أنواع السلوك ترتبط بالعقيدة كما ترتبط العربات بالقاطرة .. فإن لم يكن هنالك إيمان يربط حركات المرء وسكناته فإن المكان سيخلوا لسائر الموجهات والمحركات الأخرى ، وسينفتح المجال للشهوات والأهواء والرغبات والحاجات والغرائز والمنافسات ، ويتهارج الناس لتحقيق ذلك من غير وازع ولا رادع .. وإنك لترى بوادر ذلك في بعض المجتمعات حين رقت الديانة وتراخت قبضة الإيمان على زمام السلوك ومبادئ التربية ؛ فشرع كل امرئ يتصرف مع غيره وفي حياته الخاصة بدافع من رغباته وأهوائه والظروف المحيطة به ؛ مما أنشأ انحداراً مخيفاً في المستوى الأخلاقي للجماعة .. فأصبحت ترى الأثرة المقيتة والسلبية والأنانية والكدح للدنيا والذهول عن الآخرة .

إن العقائد الإسلامية هي التي صنعت أجيالاً أوتيت القدرة على تغير الحياة الإنسانية وتربيتها ، وهذه العقائد هي التي تصنع الأخلاق المتينة وتبني الرجولات المحكمة وتقهر الأزمات العاتية .. إن التربية الناجحة تعتمد على حقائق مقررة ومسلمات لا تقبل جدلاً ، وإذا ساءت البيئة وسادت فيها الشكوك وعلقت التهم بما نزل من السماء فبهيات أن تنشأ أجيال يوثق بأدبها وعفافها وعدالتها .. يجب أن لا يسمح لمرضى القلوب أن ينشطوا بين الحين والحين لينشروا بين المسلمين رباً مفتعلة وشكوكاً مصطنعة لا يجوز الخروج على الرأي العام بأفكار تثير في جوانبه الفوضى وتغري بالتححرر من كل قيد والانفلات من كل ربطة .. إن الأجيال الناشئة والشباب المراهق وعامة المسلمين قد تفسد قلوبهم مع نفث هذه السموم : ❦

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ... ﴿٢٥٣﴾ ومن لم يق
يسأل .. كان الله في عون العاملين المخلصين .

هذا ، وصلوا وسلموا على خير البرية وأزكى البشرية محمد بن عبد الله .. اللهم
صلِّ وسلِّم وباركْ على عبدك ورسولك محمدٍ وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واستن
بسنته ، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة - أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - وعن سائر
صحابه نبيك أجمعين والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ، اللهم انصر من نصر الدين
واخذل الطغاة والملاحدة والمفسدين ، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين
.. اللهم انصر المستضعفين من المسلمين ، اللهم انصرهم في فلسطين وفي كل مكان يارب
العالمين ، اللهم كن لهم ولياً ونصيراً ومعيناً ونصيراً .. اللهم آمنا في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا
وولاة أمورنا .

اللهم وفق ولي أمرنا لهذا ، واجعل عمله في رضاك ، اللهم هبْ له البطانة
الصالحة واصرف عنه بطانة السوء يارب العالمين ، اللهم وفقه وولي عهده ونائبه الثاني
وإخوانه وأعوانه لما فيه صلاح العباد والبلاد .

اللهم ادفع عنا الغلاء والوباء والربا والزنا والزلازل والخن وسوء الفتن ما ظهر منها
وما بطن ، اللهم الطف بالمسلمين وادفع عنهم البلاء يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين ونفس كرب المكروبين ، وفك أسر المأسورين
، واقض الدين عن المدينين ، واشف برحمتك مرضانا ومرضى المسلمين .

ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .. ربنا اغفر لنا ولوالدينا
ووالديهم وذرياتهم وجميع المسلمين .. اللهم اهد شباب المسلمين وشيبيهم ونساءهم وعامتهم

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أن التواب الرحيم ..
سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

عنوان الخطبة: الانتماء إلى الأوطان في ظل الإسلام

تاريخ إلقاء الخطبة : السادس عشر من شعبان من عام ١٤٣٠ هـ

– الانتماء إلى الأوطان في ظل الإسلام –

الخطبة

أول

—

الحمد لله ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣) ﴾ ٢٥٤ .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وعلى صحابته أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فاتقوا الله - تعالى - أيها المسلمون وخافوه وأطيعوا أمره ولا تعصوه : .. ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣) ﴾ ٢٥٥ .. سارعوا لمرضاة ربكم واعلموا أن قد حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره ، ولا مفر من المصير ، ومن استطال الطريق ضعف مشيه ومن تعلق بالشهوات لم تصح له عزيمة .

عباد الله .. أيها المسلمون : شعوركم خفقت به القلوب وشوقكم كلفت به الأفئدة وحنينكم يزلزل مكانم الوجدان .. حبُّ أطلق قرائح الشعراء وهوى سكبت له محابر الأدباء وحنين أمض شغاف القلوب وإلف يأوي إليه كرام النفوس وسليم الفطر ، حبُّ لم يتخل منه مشاعر الأنبياء وود وجد في قلوب الصحابة والأصفياء ، بل هو شعور تغلغل في دواخل الحيتان تحت الماء ورפרفت لأجله أجنحة الطير في السماء .. إنه أيها المسلمون حب الأوطان

.. قال أهل الأدب : (إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحننه إلى أوطانه وتشوقه إلى إخوانه وبكاؤه على ما مضى من زمانه .

المحبة للأوطان والانتماء للأمة والبلدان أمر غريزي وطبيعة طبع الله النفوس عليها ،
و حين يولد الإنسان في أرض وينشأ فيها فيشرب ماءها ويتنفس هواءها ويحيا بين أهلها فإن
فطرته تربطه بها فيحبها ويواليها ، ويكفي لجرح مشاعر إنسان أن تشير بأنه لا وطن له ..
وقد اقترن حب الأرض بحب النفس في القرآن الكريم .. قال الله - عز وجل - : ﴿ وَلَوْ أَنَّا
كُتِبْنَا عَلَيْهِمْ أَن أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ... ﴾ (٦٦)
﴿ ٢٥٦ ﴾ .. بل ارتبط في موضع آخر بالدين .. قال - تعالى - : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ
لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٨) ﴿ ٢٥٧ ﴾ .

ولما كان الخروج من الوطن قاسياً على النفس فقد كان من فضائل المهاجرين أنهم
ضحوا بأوطانهم هجرةً في سبيل الله .. وفي سنن الترمذي بإسناد صحيح : عن عبد الله بن
عدي بن حراء قال : رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واقفاً على الخزوة فقال : "
إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ " قال
العيبي رحمه الله : " ابتلى الله نبيه بفراق الوطن " .. ولما علم النبي - صلى الله عليه وسلم -
أنه سيقى مهاجراً دعا بتحبيب المدينة إليه كما في الصحيحين وفي صحيح البخاري : أن النبي
- صلى الله عليه وسلم - كان إذا قدم من سفر فأبصر درجات المدينة أوضع ناقته (أي
أسرع بها) .. قال ابن حجر - رحمه الله - : " فيها دلالة على فضل المدينة ، وعلى حب
الوطن والحنين إليه " .

أيها المسلمون : البشر يألّفون أرضهم على ما بها حتى ولو كان قبراً مستوحشاً ،
وحب الأوطان غريزةً مستوطنةً في النفوس تجعل الإنسان يستريح للبقاء فيه ويحن إليه إذا

256 سورة النساء

257 سورة الممتحنة

غاب عنه ويدفع عنه إذا هوجم ويغضب له إذا انتقص .. والوطنية بهذا المفهوم الطبيعي أمرٌ غير مستغرب ، وهذا السعادة به وتلك الكآبة لفراقه وهذا الولاء له مشاعر إنسانية لا غبار عليها ولا اعتراض ، ولا يجوز أن تكون مفهوماً مشوهاً يعارض به الولاء للدين ؛ فالإسلام لا يغير انتماء الناس إلى أرضهم ولا شعوبهم ولا قبائلهم .. فقد بقي بلال حبشياً وصهيب رومياً وسلمان فارسياً ولم يتضارب ذلك مع انتمائهم العظيم للإسلام .. وعندما يفكر الإنسان في طبيعته فسيجد أن له محبةً وولاءً وانتماءً لأسرته وعشيرته وأهل قريته ، كما يحس بانتمائه الكبير للأمة المسلمة باتساعها وتلون أعراقها ولسانها .. إنه لا تعارض بين هذه الانتماءات ولا مساومة عليها ، بل هي دوائر يحوي بعضها بعضا .

أيها المسلمون : إن من المغالطة الإيهام بالتعارض بين الوطنية بمفهومها الطبيعي وبين الإسلام .. إن تصوير هذا التعارض ليس إلا حيلةً للنيل من الإسلام واستغلالاً للمحبة الغريزية للوطن لإيهام الناس بأن التمسك بتفاصيل الشريعة يعطل بعض مصالح الوطن .. وذلك عبر مصادمة أحكام الشريعة لمطالب الوطنية .. إننا لا نريد أن نقابل غلواً بغلواً .. يجب ألا نستفز من قبل من غالى في الوطنية ورفع شعارها ندّاً للإسلام ليجعلنا نتجاهل حقوق الوطن ونتساهل فيه .. يجب ألا نسير بغفلة خلف الشعارات المستوردة والمصطلحات الدخيلة ، وإن المفهوم المستورد للوطنية مفهومٌ يرفضه الإسلام ، وهو مستحدث في ثقافتنا وحضارتنا ، وهو معنى فاسد حين يجعله وثناً تُسخر له كل المبادئ ولو عارضت الإسلام ، ويؤدي إلى إقصاء شريعة الله وتقسيم الناس إلى أحزاب وطوائف تتباغض وتتناحر ويكيد بعضها لبعض .. وتفتح الباب واسعاً أمام العدو لتحقيق أهدافه ومراميه : ﴿ **وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ** (٥٢) ٢٥٨ .

أيها المسلمون .. من مقتضيات الانتماء للوطن : محبته والافتخار به وصيانتته والدفاع عنه والنصيحة له والحرص على سلامته واحترام أفراده وتقدير علمائه وطاعة ولاة أمره .. ومن مقتضيات الوطنية : القيام بالواجبات والمسؤوليات كلٌّ في موضعه مع الأمانة والصدق

..ومن مقتضيات حب الوطن : احترام نظمه وثقافته والحفاظة على مرافقه وموارد الاقتصاد فيه ، والحرص على مكتسباته وعوامل بنائه وورثائه ، والحذر من كل ما يؤدي إلى نقصه .. إن الدفاع عن الوطن واجب شرعي ، وإن الموت في سبيل ذلك شهامة وشهادة .. وفي قصة الملاء من بني إسرائيل : غافر ﴿... قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا...﴾ (٢٤٦) ﴿٢٥٩﴾ .

عباد الله : وحتى تتبين مظاهر الوطنية الصادقة ويسقط زيف الشعارات فإن المتأمل في الواقع يميز بين المواطن الصالح الناصح لوطنه وبين الكاذب بالعشرات .. فإن لخيانة الوطن مظاهر .. وظواهر بعضها مرّ على بلادنا فحسم أمره وكبت شره ، وبعضها لم يزل قائما يتشكل ويتلون ويخف ويشتد ويبين ويتوارى ، وبعضها يظهر باسم الغيرة على الوطن وفي حقيقته غيرة منه .. ومن ذلك ما تورط به شباب أغرار رفعوا شعار نصره الإسلام وراية الإصلاح فأخطأوا سبيله ولم يجدوا صدوراً يُفرغون فيها رصاصهم إلا صدور أهليهم ولا أمانة يُزعزع إلا أمن بلادهم ولا بناياتٍ تقدم على مَنْ فيها إلا بنايات وطنهم .. يقطعون شجرا أظلمهم ويعكرون ماءً سقاهم .. يزعمون أن عملهم لله وباسم الله .. وهم في حقيقة حالهم قد ارتكبوا لأعدائهم وحسادهم وصاروا أدواتٍ لهم يصرفونهم في الإساءة لأوطانهم كيف شاءوا ومن ورائهم من يبرر ويحرض .. لقد تجلّلوا بعار الخيانة وتلبّسوا بجرم الجناية .. ناهيك عن تعرضهم للإثم والمقت واستحقاق الوعيد الشديد .

أيها المسلمون : وثمت مظهرٌ آخر من مظاهر خيانة الوطن لا يقل سوءاً عن الأول إن لم يزد عليه .. فلئن كان الأول شاهراً ظاهراً فإن الثاني متلونٌ خفي ، ولئن كان الأول سريع الفعل حاضر الأثر فإن الثاني بطيء التشكل متحقق التأثير ..

إنهم أناسٌ من بني جلدتنا ويتكلمون بألستنا سُبّيت قلوبهم وغزيت عقولهم وانبهروا بعدوهم ففقدوا ذواتهم .. أشرب في قلوبهم حب الغرب وسباهم سلوكه فأمنوا بحسنه وسيئه واستحسنوا حلوه ومره ، ثم أورثهم ذلك كله انتقاصاً لأهلهم وتثريباً على أوطانهم وسخرية

بأعرافهم المعتمدة ولمزاً لتقاليده المرعية ، وصارت فضائله المتوارثة محل انتقاداتهم وأخلاقياته المتسلسلة غرض رميهم فصارت فنونهم وأدابهم ومقالاتهم لا غرض لها إلا التشهير بهذا المجتمع وإظهار معاييه وتشويه سمعته في الداخل والخارج .. هل من النصيحة القدرح والالتزام والتنقص بالبلد ومقدراته ونظمه وسياسته عبر وسائل المتنوعة أمام العالمين .. أين المواطنة عن من يستعدي العدو المتربص على الوطن بوسائل شتى حتى صارت محاضن العدو مستقرّاً لشكياتهم وتذمراتهم مما لا يوافق أهواءهم ؟ أليس هذا خيانةً للوطن : الفكر المضاد لعقيدة الوطن وعقيدة ولايته وأفراده الترغيب بكل صوره وأشكاله أليس هذا كفرًا بالوطن وعلامةً على زيف الشعارات ترى التشويه في صورٍ شتى .. فهذه رواية مسرح أحداثها شوارعنا وأحياء بلدنا بأسمائها المعروفة .. لم يجد كاتبها شخوصاً لرواية إلا ساقط الناس وأراذل المجتمع مما لم يخل منهم عصرٌ أو مصر .. يختصر المجتمع فيهم ويخون البلد بهم ويؤرخ للزمن بحكاياتهم .. وذلك مسلسلٌ محليٌّ يصوّر في بيوتنا وأزقتنا يظهر مواطن هذا البلد إما مغفلاً أو شهوانياً أو فاسداً أو بذيء اللسان .. وذلك كاتبٌ في صحيفةٍ أو مجلةٍ اتخذ له أعداء من أفراد هذا البلد أو مؤسساته تباينت معهم توجهاته واختلفت وإياهم أراؤه فجعلهم مضمون مقالاته وموضوع كتاباته .. يضخم أخطاءهم ويهول أفعالهم ويطعن في مقاصدهم .. وربما شبههم بمنظمة إرهابية أو ربطهم بشبكة إجرامية أو جعلهم أعضاءً في تنظيمٍ دولي محظور .. يستعدي السلطات عليهم ولم يدري أو هو يدري أنه يستعدي الدول والطامعين على بلده .. وربما كانت بعض تلك المؤسسات التي يستهدفها تابعةٌ للدولة أو هي ضمن أجهزتها ولكن عدائه أعماه عن عاقبة فعله وصنيعه .. وربما طعن في مؤسسات البلد الشرعية أو الأمنية أو طال مناهج التربية والتعليم ووصفها بأنها تخرج أعداء ومقاتلين للعالم ، ولا يدري ذلك المغفل أو هو يدري أن من ورائه مراكز رصد وبحوث أجنبية وهيئات ومؤسسات دولية ترصد وتتابع وترجم وتترقب .. مطاعمها في بلادنا ظاهرة ونوياًهم في أوطاننا مكشوفة .. يتلمسون العذر للتضييق والمساومة ، ويتبغون الحجة للنيل والاستغلال .. يحركون المنظمات والهيئات تجاه بلادنا في دعاوى شهودهم فيها كتابنا وبيناتهم كتاباتنا وذرائعهم تصرفات من داخلنا .. كم ضاقت الحال بدول وأجئت من أوطان ودفع المواطنون ضريبة الحصار .. كل ذلك بسبب خونة للأوطان ،

راموا الانتقام من أشخاصٍ أو مؤسسات في بلادهم فكان الضرر عاما والخسارة شاملة ، ولنا في غيرنا عبرة وعظة .

إنه لا عذر لأولئك المشهرين بمجتمعهم الناشرين لنقائص وطنهم وعيوب مواطنيهم سواء ما كان منها واقعا أو مبالغاً فيه أو ما كان فريةً عليه .. لا نجني من ذلك إلا إيغار صدور المواطنين على وطنهم ومؤسساته والتشويه لوطنهم .. لا عذر لهم في ذلك أبداً .. إنهم إن راموا الإصلاح فليس هذا طريقه وإن أرادوا النقد فليس هذا سبيله ، أما إن شاءوا الانتقام من أفراد ومؤسسات وجعلوا ما مكنوا فيه أذية وتصفية حسابات فهذا هو الداء الذي لا علاج له إلا الكي .

إن الشريعة الإسلامية - وهي التي لم تغفل أقل الأمور - لم تترك سبيل النصيحة ملتبساً ولم تدع أسلوب الإصلاح غائباً .. وإن أهم المعالم في طريق الإصلاح والنصيحة التثبت من الحال والعدل والإنصاف في إطلاق الأحكام وإطراح الهوى .. وقبل ذلك وبعده عدم التشهير وإذاعة السوء : ﴿...وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ...﴾ (٨٣) ﴿٢٦٠﴾ وفي سورة النور : ﴿...إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٩) ﴿٢٦١﴾ .. وإشاعة الفاحشة تكون بالتحدث بها وتردادها في المجالس والمنتديات .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٤) ﴿٢٦٢﴾ .

260 سورة النساء

261 سورة النور

262 سورة التوبة

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة ، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة .. أقول
قولي هذا وأستغفر الله - تعالى - لي ولكم .

الخطبة

الثانية

الحمد لله المحمود بكل حال .. منه المبتدا وإليه المنتهى وإليه المرجع والمآل ، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ،
صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى الصالحين والآل .

أما بعد ، ففي النفس عتبٌ كبيرٌ على من أشغله المال عن القيام بحق الوطن والمواطن
؛ فإنك ترى جانب ضعف المواطن عند مَنْ يسعى للربح المضاعف على حساب العامة
واحتكار البضائع والتلاعب في الأسعار والتضييق على الناس في معاشهم واستغلال الأحداث
والظروف دون النظر إلى حال الناس .. ناهيك عن الغش والتدليس ، ويزداد العتب على
المراكز المؤثرة - كالبنوك والمصارف والشركات المالية الكبرى - والتي أوقعت شريحة كبيرة
من الناس في عقود وقروض لا تبني حضارة ولا تغني فقيراً .. وإنما تنهك المجتمع في ديون
متراكمة؛ لا سيما وأن كثيراً من هذه البنوك تشتتر أموالها وودائع عملائها في الخارج في
صورة تضعف فيها المواطنة مما يحرم البلد من الاستفادة من هذه الأموال وتشغيلها في الداخل
وإيجاد المشاريع وتوفير الوظائف وتنمية الحضارة وخدمة المجتمع .

ليس من العدل الاستفادة من خيرات الوطن والتنعم بموارده ثم التخلي عن أي
مسئولية تجاهه ؛ خصوصاً وقد مرت على كثير من المواطنين كوارث مالية ذهبت بأرزاقهم
وتلاشت معها مدخراتهم وقام الضعيف من الناس يساعد من هو أضعف منه ، أما تلك

المصارف فلم تزدها تلك الأحوال إلا جشعا ، بل مع كل مسغبة جائع تشجئ مصرف
وكان الأولي أن تحمل جزءاً من المواساة .

إن بعض الأغنياء يقدمون للمجتمع خدماتٍ جلييلة وأعمال برٍّ خيرة ومشاريع مثمرة
وهم لا يملكون عُشر ما تملكه البنوك ، ومن حق المجتمع أن يتساءل عن دور المصارف في
هذا المجال وأمام الأخيار والصادقين ميدان ربحٍ لخدمة وطنهم ورفعته .. كان الله في عون
المخلصين .

هذا وصلُّوا وسلِّموا على خير البرية وأزكى البشرية رسول الله محمد بن عبد الله ،
اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين ، واجعل
هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين .. اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة
أمرنا ، اللهم من أرادنا وأراد بلادنا بسوءٍ فأشغله بنفسه ورد كيده في نحره .. اللهم ادفع
عن الغلا والوباء والربا والزنا والزلازل والخن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن .

اللهم وفق ولي أمرنا لهذا واجعل عمله في رضاك ، اللهم انصر به دينك وأعل به
كلمتك ، اللهم أصلح بطانته ، اللهم أصلح بطانته واصرف عنه بطانة السوء يارب العالمين
، اللهم ووفقه ولي عهده ونائبه الثاني لما تحبه وترضاه ياسميع الدعاء .

اللهم انصر المستضعفين من المسلمين ، اللهم انصرهم في فلسطين وفي كل مكان
يارب العالمين ، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم انصر من
نصر الدين واخذل الطغاة والمفسدين .

اللهم فرِّجْ همَّ المهمومين من المسلمين وفرِّجْ كرب المكروبين ، وفك أسر المأسورين ،
واقض الدين عن المدينين ، واشف برحمتكم مرضانا ومرضى المسلمين .

ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار ، ربنا اغفر لنا ولوالدينا
ولوالديهم وذرياتهم يارب العالمين .. اللهم اغفر ذنوبنا واستر عيوبنا ويسرْ أمورنا وبلغنا فيما
يرضيك آمالنا .. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أن التواب الرحيم
.. سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

عنوان الخطبة: التحذير من النار

تاريخ إلقاء الخطبة : الثالث والعشرون من شعبان من عام ١٤٣٠ هـ

– التحذير من النار –

الخطبة

أول

—

الحمد لله .. الحمد لله ذي الحول والطول والملكوت .. له الكبرياء في السموات والأرض وله العزة فيهما والقهر والجبروت ، أليم العذاب شديد العقاب وهو دائم حي لا يموت .. سبحانك اللهم من الذي أمن مكره فما خسر؟! ومن الذي استهان بحرماتك فما ندم؟! ومن الذي تعرض لوعيدك فسلم؟!

وأشهد أن لا إله إلا أنت سبحانك وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك ، صلى الله عليه فما كان أخشاه الله وأخشعه ! وصلى الله عليه ما كان أتقاه وأورعه ! وصلى الله عليه فكم سح لله أدمعه ! وصلى على آل والصحب الكرام وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

أما بعد .. فاتقوا الله - تعالى - حق التقوى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى ، وتأهبوا للقاء الله واحذروا عقابه؛ فإن أجسادكم على حر النار لا تقدر ولا تقوى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٨)

٢٦٣

عباد الله : لقد كان من سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - تعاهد أصحابه بالموعظة وربط أحوالهم بالآخرة ، وفي الصحيحين : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا ، فَقَالَتْ : أَيُّ رَبٍّ أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا ، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ ، نَفْسٌ فِي الشِّتَاءِ ، وَنَفْسٌ فِي الصَّيْفِ ، وَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهِيرِ " .. وفي الصحيحين أيضاً : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ " .

أيها المسلمون : مصير أرق عيون الصالحين ومنقلب أوجف قلوب المتقين ونهاية أظماً توقئها نهار العابدين وأطال في الليل قيام المتألهين وخاتمة أدامت الحزن في محيا المتأوهين

تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴿١٦﴾ ﴿٢٦٤﴾ .. إنها أيها المسلمون النار .. النار خلق عظيم من خلق الله ، وهي الدار التي أعدها الله للكافرين ؛ فهي مأوى الظالمين وسجن الكافرين وعقوبة العصاة والمخالفين ، وهي الخزي الأكبر والخسران المبين .. هي الشر الذي لا خير فيه والورد الذي لا بد منه ، قديمة النشأة سألقة الوجود ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٣١﴾ ﴿٢٦٥﴾ ؛ فهي معدة ومخلوقة ، وقد رآها النبي - صلى الله عليه وسلم - كما في الحديث المخرج في الصحيحين في صلاة الكسوف .

أيها المسلمون : الحديث عن النار حديث صدق وحق .. فيها جبال وأودية وأهتر وشعاب .. فيها دركات ومنازل ، وهي سوداء مظلمة .. قائمة معتمة .. لها صوت يسمع من بعيد .. تشهق وتزبر تمور موراً ، و : ﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٢٦٦﴾ .. الحزن فيها دائم وطويل ، وللناس فيها صياح وضوضاء وعويل .. قلوب أهلها ملئت قنوطاً ويأساً ، ولا تزيدهم الأيام فيها إلا شدة وبؤساً ، فيها من العذاب والآلام ما تعجز عن وصفه الألسن والأقلام ، وفيها من الأهوال والأحزان ما تتقاصر دون تصويره الأذهان : ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٢٦٧﴾ ، خوف الله بها ملائكته المقربين : ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٢٦٨﴾ .. وقال لرسوله الكريم : ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَ آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ﴾ ... ﴿٣٩﴾ ﴿٢٦٩﴾ .

وخوف الرسول بها صحابته وأمتة فأنذرهم النار وقال : " أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ ، أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ ، أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ " .. أبعد هذا يأمن بقية العالمين ، بلها المقصرين ؟! .. يقول الحسن

264 سورة السجدة

265 سورة آل عمران

266 سورة المرسلات

267 سورة الفرقان

268 سورة الأنبياء

269 سورة الإسراء

البصري - رحمه الله - : " والله ما صدق عبد بالنار إلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وإن المنافق لو كانت النار خلف ظهره ما صدق بها حتى يتجهم في دركها ، والله ما أنذر العباد بشيء أدهى منها ﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴾ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٥) ﴾ ٢٧٠ .. وفي التزييل العزيز : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ (٧١) ﴾ ٢٧١ .. فأين الخوف من ذلك المورد .. إن من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ، وتالله ما نجا إلا المؤمنون : ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ (٢٦) فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨) ﴾ ٢٧٢ .. عن عبد الله - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا " رواه مسلم ، لها صوت رهيب وتحطم ووجيح : ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴾ (١٢) ﴾ ٢٧٣ .. وفي سورة الملك : ﴿ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ (٨) ﴾ ٢٧٤ .. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ " ، قالوا : وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَا فِيةً يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : " فَإِنَّهَا فَضِلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسْتِينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا " رواه البخاري ومسلم .. ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمَ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٤٣) ﴾ ٢٧٥ يدخلونها بأشد خطاب ثم توصلد عليهم الأبواب : ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴾ (٥) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفِئَةِ (٦) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ (٧) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ (٨) ﴾ ٢٧٦ .. وقودها الناس والحجارة .. لا تنظفي نارها مع تطاول الزمان ولا يخبو أوارها مع مر الأيام ﴿...كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ (٩٧) ﴾ ٢٧٧ .. وهم

سورة الليل	270
سورة مريم	271
سورة الطور	272
سورة الملك	273
سورة الملك	274
سورة الرحمن	275
سورة الهمزة	276
سورة الإسراء	277

مع ذلك مقيدون : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾ (٤) ٢٧٨ . ﴿ ... إِذِ
الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ (٧٢) ٢٧٩
، وفوق ذلك يضربون ويهانون ﴿ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا
مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (٢٢) ٢٨٠ .. يلبسون من النار ويصهرون
: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ (٤٩) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَعْشَىٰ جُوهُهُمْ
النَّارُ ﴾ (٥٠) ٢٨١ : ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ
الْحَمِيمُ ﴾ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾ (٢٠) وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ (٢١) ٢٨٢
.. أرايت كيف يشوى اللحم على النار .. فهكذا في جهنم حال الكفار ﴿ يَوْمَ ثَقَلَتْ
وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ (٦٦) ٢٨٣ ، ﴿ تَلْفَحُ
وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ (١٠٤) ٢٨٤ .. أما طعامهم فعذاب وشرابهم فعذاب : ﴿
لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴾ (٦) ٢٨٥ (سورة الغاشية) ، والضريع : شوك يخرج بأرض
الحجاز لائط بالأرض : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴾ (٤٣) طَعَامُ الْآثِمِ ﴾ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي
الْبُطُونِ ﴾ (٤٥) كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴾ (٤٦) ٢٨٦ (٤٣-٤٦ سورة الدخان) والزقوم : شجرة تخرج
في أصل الجحيم طلعتها كأنه رؤوس الشياطين.. أما شرابهم فالغسلين والغساق ، وهو عصارة
أهل النار : ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾ (٢٩) ٢٨٧ ، ﴿ وَسُقُوا
مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴾ (١٥) ٢٨٨ (سورة محمد) ، وفي الآية الأخرى : ﴿ ...

سورة الإنسان	278
سورة غافر	279
سورة الحج	280
سورة إبراهيم	281
سورة الحج	282
سورة الأحزاب	283
سورة المؤمنون	284
سورة الغاشية	285
سورة الدخان	286
سورة الكهف	287
سورة محمد	288

وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ
وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ٢٨٩ .. هذه بعض صور العذاب .. فهل تساوي شهوة
ساعة من الدنيا ؟

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
: " يُؤْتَى بِأَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ، ثُمَّ يُقَالُ يَا ابْنَ
آدَمَ : هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ ، فَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ " رواه مسلم ..
إنما غمسة واحدة وينسى الإنسان كل نعيم الدنيا ولذائذها وشهواتها : ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ
يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِنَا بِنَبِيٍّ (١١) وَصَاحِبَةٍ وَآخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ
فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّهَا لَأُظَى (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى (١٦) تَدْعُو مَنْ أََدْبَرَ
وَتَوَلَّى (١٧) ﴾ ٢٩٠

عباد الله : وإذا طال البلاء على أهل النار وبلغ منهم العذاب كل مبلغ وكثرت
حسراتهم وندامتهم طلبوا الخروج والمثاب : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا
غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ (٣٧) ٢٩١ ويعترفون بذنوبهم : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا
قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ (١٠٦) ٢٩٢ فيجابون بعد زمان :
﴿ قَالَ اخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ (١٠٨) ٢٩٣ ثم يطلبون من خازن النار أن يشفع عند
الله ليهلكهم وليميتهم حتى يتخلصوا من العذاب : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ
إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ (٧٧) ﴾ ٢٩٤ .. إنه الرفض لكل ما يطلبون .. ويؤتى بالموت ليدبح ، ويقال
لأهل الجنة : خلود فلا موت ، ويقال لأهل النار : خلود فلا موت .. الحديث في صحيح

289 سورة إبراهيم

290 سورة المعارج

291 سورة فاطر

292 سورة المؤمنون

293 سورة المؤمنون

294 سورة الزخرف

البخاري ؛ هنالك يشتد نحيب أهل النار ويعظم حزنهم ويطول بكاءهم ؛ فيكون حتى تنقطع الدموع ثم يكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود من البكاء .

أيها المسلمون : إن من كمال عدل الله - عز وجل - أن لا يساوي بين المطيع والعاصي والمصلح والمفسد : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ (٣٥) ما لكم كيف تحكمون (٣٦) ٢٩٥ .. وإن الله - تعالى - وصف لنا عقابه ؛ فليس للعاصي على الله حجة .. فالكفر والنفاق سبب للخلود في النار : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٦٨) ٢٩٦ ومن انتصر برأيه معارضا أمر الله وشرعه فليسمع قول الله - عز وجل - : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ (٦٣) ٢٩٧ وويلٌ ثم ويلٌ لئلا تترك الصلاة حين يسأل : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ (٤٢) قالوا لم نك من المصلين (٤٣) ولم نك نطعم المسكين (٤٤) وكنا نخوض مع الخائضين (٤٥) وكنا نكذب بآيات الدين (٤٦) حتى آتانا اليقين (٤٧) فما تنفعهم شفاعة الشافعين (٤٨) ٢٩٨ .. وأكل الربا موجب لدخول النار ، وأكل أموال اليتامى ظلماً : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (١٠) ٢٩٩ ، وفي صحيح مسلم : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : يقول الله - تعالى - : " الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، وَالْعَظْمَةُ إِزَارِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَدْخَلْتُهُ النَّارَ " .. وفي القرآن العظيم : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (٩٣) ٣٠٠ .. وأكل أموال الناس بالباطل والانتحار مقرونان في آية واحدة .. قال الله - عز وجل - ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا

٢٩٥ سورة القلم

٢٩٦ سورة التوبة

٢٩٧ سورة البقرة

٢٩٨ سورة المدثر

٢٩٩ سورة النساء

٣٠٠ سورة النساء

فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٢٩) ﴿٣٠١﴾ .. واليمين الكاذبة تغمس صاحبها في النار ؛ لذا سميت يمينا غموسا ، والركون إلى الظلمة والميل معهم : **﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ... (١١٣) ﴿٣٠٢﴾** .. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا ، وَإِنَّ رِيحَهَا لِيُوجِدُ مِنْ مَسِيرَةٍ كَذَا وَكَذَا " رواه مسلم .. وعند عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ ، وَأَكْثِرْنَ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ " ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزَلَةً : وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ ، قَالَ : " تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ " رواه البخاري ومسلم .. وأما المراءون فهم أول من تُسَعَّرُ بهم النار يوم القيامة كما في الصحيحين ،، وقل للذين يطلقون ألسنتهم وأقلامهم بلا وزنٍ ولا حساب .. يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ " .. النار موعودٌ بهم مدمن خمر وقاطع رحم والمصدق بالسكر والنمام ومن اقتطع مال أخيه يمين فاجرة فليتبوأ مقعده من النار .

أيها المسلمون : وقد رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - صوراً من عذاب أهل النار .. كما في حديث سمرة بن جندب - رضي الله عنه - : فقد رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - رجلاً مضجعاً وآخر قائماً يهوي بصخرة على رأسه فيثلغ صدره ويتدحرج الحجر ، ثم يصح رأسه فيثلغه بالحجر على رأسه مرة أخرى .. وقال في الحديث : هذا هو الرجل الذي يأخذ الرجل فيأخذه وينام عن الصلاة المكتوبة .. كما رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - رجلاً مستقلياً لقفاه وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد ، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه ، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول ويكرر ذلك .. وقال في الحديث : " هَذَا الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ

301 سورة النساء

302 سورة هود

فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ.. " ورأى النبي - صلى الله عليه وسلم - مثل التنور فيه لغطٌ وأصوات وفيه رجالٌ ونساءٌ عراةٌ يأتيهم لهبٌ من أسفل منهم فيصيحون .. وقال : هؤلاء هم الزناة والزواني .. ورأى النبي - صلى الله عليه وسلم - همرا أحمر كالدم وفيه رجلٌ يسبح ، وعلى شط النهر رجلٌ معه حجارةٌ كبيرة ؛ فيفرغ السابح فاه ثم يلقمه الرجل حجراً في فيه ويكرر ذلك .. وقال : هذا آكل الربا .. ورأى رجلاً كربه المنظر كأكره ما أنت راء ، وقال : **إِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ** ، الحديث رواه البخاري .. فهل بعد هذا الوعيد من وعيد .. **﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (٣٧) ٣٠٣** .

اللهم أجربنا من عذاب النار . اللهم أجربنا من عذاب النار . اللهم أجربنا من عذاب النار .. ربنا إنا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار .. نفعنا الله بهدي كتابه وأجربنا من خزيه وعذابه .. أقول قولي هذا وأستغفر الله - تعالى - لي ولكم .

الخطبة

الثاني

الحمد لله ، الحمد لله معز من أعطاه ومذل من عصاه .. مجير من استجاره ومجيب من ناداه ، أحمده - تعالى - وأشكره وأثني عليه وأستغفره ، وأسأله النجاة لي ولكم .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد .. فكلام الله الحق : **﴿ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ (١٨٥)** **﴿ ٣٠٤ ﴾** .. والإيمان والعمل الصالح هو - والله - طريق الفوز والفلاح ، ووعد الله ووعد رسوله صدق .. فلن يلج النار رجلٌ بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ، وعينان

303 سورة ق

304 سورة آل عمران

لن تمسهما النار / عينٌ بكت من خشية الله وعينٌ باتت تحرس في سبيل الله .. وللتقوى منزلة عظيمة : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ (٤٦) ﴾ ٣٠٥ .. والدعاء والاستعاذة بالله بابٌ عظيمٌ للنجاة .. عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " مَا سَأَلَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثًا إِلَّا قَالَتِ الْجَنَّةُ : اللَّهُمَّ ادْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَلَا اسْتَجَارَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ اللَّهَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا إِلَّا قَالَتِ النَّارُ : اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنِّي " رواه أحمد وابن ماجه بإسناد صحيح .

ونحن في إقبال شهرٍ عظيم .. شهر العتق من النار ؛ فمن صام يوماً في سبيل الله باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً ، وفي رمضان تفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار ، والله في كل ليلة عتقاء من النار .

اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال .. اللهم إنا نسألك بأننا نشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك .. نسألك اللهم أن تدخلنا الجنة وأن تجبرنا من عذاب النار ، اللهم إنا نسألك الجنة ونعوذ بك من النار . اللهم إنا نسألك الجنة ونعوذ بك من النار .. اللهم صلّ على محمدٍ وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد ، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين .. اللهم آمناً في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا .. اللهم من أرادنا وأراد بلادنا بسوءٍ فأشغله بنفسه ورد كيده في نحره .. اللهم ادفَعْ عن الغلا والوبا والربا والزنا والزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن .

اللهم وفق ولي أمرنا لهذا ، واجعل عمله في رضاك ، اللهم انصر به دينك وأعل به كلمتك ، اللهم أصلح بطانته ، اللهم أصلح بطانته واصرف عنه بطانة السوء يارب العالمين ، اللهم ووفقه ولي عهده ونائبه الثاني لما تحبه وترضاه يا سميع الدعاء .

اللهم انصر المستضعفين من المسلمين ، اللهم انصرهم في فلسطين وفي كل مكان يارب العالمين ، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم انصر من نصر الدين واخذل الطغاة والملاحدة والمفسدين .

اللهم فرِّجْ همَّ المهمومين من المسلمين وفرِّجْ كرب المكروبين ، وفك أسر المأسورين ، واقض الدين عن المدينين ، واشف برحمتكم مرضانا ومرضى المسلمين .

ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار ، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم يارب العالمين .. اللهم اغفر ذنوبنا واستر عيوبنا ويسرْ أمورنا وبلغنا فيما يرضيك آمالنا ..

اللهم بلغنا رمضان ، اللهم بلغنا رمضان ووفقنا فيه لما يرضيك من العمل الصالح ، وتقبل منا يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام .. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .. سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

عنوان الخطبة : تعظيم الله في القلوب

تاريخ إلقاء الخطبة : الثامن والعشرون من رمضان من عام ١٤٣٠هـ

- تعظيم الله في القلوب -

الخطبة
أول

—

الحمد لله .. الحمد لله الذي لا يحيط بحمده حامد ولا توفي قدره بليغ المحامد ، سبحانه
فلا يعبد له حق عبادته عابد ولو قضى عمره قانتاً لله وهو راکعٌ أو ساجد ..
الحمد لله عظيم الشأن واسع السلطان مدبر الأكوان .. في ملكه تسبح الأفلاك وحول
عرشه تسبح الأملاك : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ (٤٤) ﴿ ٣٠٦ ﴾ .. لوجهه
سبحات الجلال ، وهو الجميل الذي له كل الجمال ..
والله لو كان البحر محابر والسموات السبع والأرضون دفاتر فلن تفي في تدوين فضله
وأفضاله ولن تبلغ في بيان عظمته وبديع فعاله ..

الله .. كريم الاسم علي الوصف .. سبحت له السموات والأرض ومن فيهن .. والطير
قابضات وصف .

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. أصدق كلمة فاهت بها الشفاه وخير جملة
نطقت بها الأفواه ..

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله العارف بالله حقاً والمتوكل عليه صدقاً .. المتذل له
تعبداً ورقاً ، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

أيها المسلمون : فتقوى الله - تعالى - خير وصية وخير لباسٍ وأكرم سجية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) ﴿ ٣٠٧ .

من اتقى الله وقاه .. ومن خانته هتك ستره وابتلاه .. الواقف بغير باب الله عظيم هوانه
.. والمؤمل غير فضل الله خائبة آماله .. والعامل لغير الله ضائعة أعماله .

الأسباب منقطعة إلا أسبابه ، هو الله الذي يُخشى وهو الله الذي يُرجى .. وأهل الأرض كل
الأرض - لا والله - ما ضرروا ولا نفعوا ولا خفصوا ولا رفعوا : ﴿ فَاعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَاسْتَغْفِرُ لِدَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (١٩) ﴿ ٣٠٨ .

أيها المسلمون .. أيها المتعبدون .. أيها الصائمون القائمون : وأنتم في ختام شهر
رمضان قد كلت منكم الأجساد وتناول ليل العباد وظمأت في النهار حلوق الصوام وتطلعت
إلى الختام .. فإن خلقاً من خلق الله امتلأت قلوبهم بمعرفته وفاضت نفوسهم بتعظيمه .. بذلوا
صالحاً أضعاف ما بذلتم وعبدوا الله فوق ما عبدتم ورأوا أنهم لم يفعلوا شيئاً ..
وقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن ما في السموات السبع موضع قدمٍ ولا
شبرٍ ولا فترٍ إلا وفيه ملكٌ قائمٌ أو ملكٌ راکعٌ أو ملكٌ ساجد ، فإذا كان يوم القيامة قالوا
جميعاً : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلا أننا لا نشرك بك شيئاً .

أيها المسلمون : تعظيم الله في القلوب وإجلاله في النفوس والتعرف على آلائه وأفضاله وقدره حق قدره هو - والله - زاد العابدين وقوة المؤمنين وسلوى الصابرين .. وهو سراج المتقين .

من الذي عرف الله فاستهان بأمره أو تمأون بنهيه ، ومن ذا الذي عظمه فقدم عليه هواه وما قدره ما غدا عنه لاه ؛ فالله - سبحانه - يُعبد ويُحمد ويُحب لأنه أهلٌ لذلك ومستحقه ، بل ما يستحقه - سبحانه - لا تناله قدرة العباد ولا تتصوره عقولهم ؛ لذلك قال أعرف الخلق بربه - صلى الله عليه وسلم - كما في الحديث الصحيح : " لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ " وفي الصحيحين : " مَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ " ولذلك مدح نفسه .

أيها المسلمون : ربكم الذي تعبدون وله تصلون وتصومون وإليه تسعون وتحفدون ربٌ عظيم .. له من صفات الكمال والجلال ما يفوق الوصف والخيال : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذَّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا ﴾ (١١١) ٣٠٩

لا إله إلا الله العظيم سبحت له الأفلاك وخضعت له الأملاك : ﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) ٣١٠

سبحانه وبحمده .. كيف لا يستولي حبه على القلوب وكل خيرٍ منه نازل وكل فضلٍ إليه ؛ فمنه سبحانه العطاء والمنع .. والابتلاء والمعافاة .. والقبض والبسط .. والعدل والرحمة .. واللفظ والبر .. والفضل والإحسان .. والستر والعفو .. والحلم والصبر .. وإجابة الدعاء وكشف الكربة وإغاثة اللهفة ، بل مصارف الخلق كلهم جميعاً لديه ..

وهو أكرم الأكرمين .. وقد أعطى عبده فوق ما يؤمله قبل أن يسأله .. يشكر قليلاً
من العمل وينميه ويغفر الكثير من الزلل ويمحوه ؛ فكيف لا تحب القلوب من لا يأتي
بالحسنات إلا هو ولا يذهب بالسيئات إلا هو ؟

يجيب الدعوات ويقبل العثرات ويغفر الخطيئات ويستر العورات ويكشف الكربات ؛
فهو أحق من ذكر وأحق من شكر وأحق من عبد وحمد وأوفر من ابتغي وأرف من ملك
وأجود من سئل وأوسع من أعطى وأرحم من استرحم وأكرم من قصد وأعز من التجأ إليه
وأكفى من توكل عليه ..

أرحم بعبده من الوالدة بولدها وأشد فرحاً بتوبة التائب من فرح من وجد ناقته بعد
فقدتها وعليه طعامه وشرابه في أرض مهلكة ..

فسبحان الله وبحمده .. هو الملك لا شريك له والفرد لا ند له : ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٨) ﴿٣١١﴾

لن يطاع إلا بإذنه .. ولن يعصى إلا بإذنه .. يطاع فيشكر ويعصى فيعفو ويغفر ؛ فهو
أقرب شهيد وأجل حفيظ وأوفى بالعهد وأعدل قائم بالقسط ، حال دون النفوس وأخذ
بالنواصي وكتب الآثار ونسخ الآجال ؛ فالقلوب له مفضية والسر عنده علانية ، والغيب
لديه مكشوف وكل أحد إليه ملهوف ..

عنت الوجوه لنور وجهه وعجزت العقول عن إدراك كنهه .. أشرقت لنور وجهه
الظلمات واستنارت له الأرض والسموات وصلحت عليه جميع المخلوقات ..
أزمة الأمور كلها بيده ومرادها إليه ، مستور على سرير ملكه لا تخفى عليه خافية في
أقطار مملكته .. تصعد إليه شئون العباد وحاجاتهم وأعمالهم فيأمر - سبحانه - بما شاء فينفذ
أمره ويغلب قهره ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٢٩) ﴿٣١٢﴾ .

311 سورة القصص

312 سورة الرحمن

يغفر ذنباً ويكشف كرباً ويفك عانياً ويجبر كسيراً وينصر ضعيفاً ويغني فقيراً ، يحيي ويميت .. ويُسعد ويشقي ، ويُضل ويهدي .. ويُنعم على قوم ويسلب نعمته عن آخرين .. ويعز أقواماً ويذل آخرين : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ (٢٣) ﴾ ٣١٣

له القدرة المطلقة والإرادة التامة .. كلم موسى تكليماً وتجلى للجبل فجعله دكاً هشيماً ، وهو سبحانه فوق سمواته لا تخفى عليه خافية .. يسمع ويرى ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء .. لا تشبه عليه الأصوات مع اختلاف اللغات وتنوع الحاجات ، ولا تتحرك ذرة في كونه إلا بإذنه ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩) ﴾ ٣١٤

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ (٢٥٥) ﴾ ٣١٥

حجابه النور .. لو كشف وجهه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره ، فإذا كانت سبحات وجهه الأعلى لا يقوم لها شيء من خلقه فما الظن بجلال ذلك الوجه الكريم وجماله وبهائه وعظمته وكبريائه ؛ لذا كان أعظم نعيم أهل الجنة التلذذ بالنظر إلى وجهه الكريم - جل جلاله - وهو موقفٌ عظيم يتجلى فيه كبرياء الله وعظمته وجماله وجلاله .

أيها المسلمون : وفي موقفٍ آخر دلت على بعضه آيات من القرآن وأحاديث من السنة .. أورد ابن كثير - رحمه الله - : أنه " حين ينفخ إسرافيل في الصور نفخة الصعق

٣١٣ سورة الحشر

٣١٤ سورة الأنعام

٣١٥ سورة البقرة

فيموت أهل السموات والأرض ويجيء ملك الموت فيسأله ربه - وهو أعلم - من بقي ؟
 فيقول : بقيت أنت الحي الذي لا يموت وبقي حملة العرش وبقي جبريل وميكائيل وإسرافيل
 وبقيت أنا ، فيأمره ربه بقبض أرواحهم ، ثم يقول - وهو أعلم - من بقي ؟ فيقول ملك
 الموت : يارب بقيت أنت الحي الذي لا يموت .. وبقيت أنا ، فيقول الله - عز وجل - :
 أنت خلق من خلقي فمُتْ فيموت ..

فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار - كان آخرًا كما كان أولاً - طوى السموات
 والأرض طي السجل للكتب ثم دحاها ، ثم يقول : أنا الجبار .. أنا الجبار .. أنا الجبار (ثلاثاً)
 ، ثم هتف بصوته : لمن الملك اليوم ؟ لمن الملك اليوم ؟ لمن الملك اليوم ؟ ثم يحيب نفسه بنفسه
 : لله الواحد القهار ..

ثم يبدل الله الأرض غير الأرض والسموات فيسطهما ويسطحهما ثم يمدهما ، ثم
 يزجر الله الخلق كلهم زجرة فإذا هم في هذه الأرض المبدلة ؛ فيحي الخلق .. فيقف الناس
 موقفًا واحدًا مقداره سبعون عاماً لا ينظر إليهم ولا يقضي بينهم حتى يشفع فيهم محمد -
 صلى الله عليه وسلم - .

وروى ابن كثير بسنده : أن رسول الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - يقول : "
 فَأَرْجِعْ فَأَقِفْ مَعَ النَّاسِ فَبَيْنَمَا نَحْنُ وَقُوفٌ إِذْ سَمِعْنَا مِنَ السَّمَاءِ حِسًا شَدِيدًا فَهَلَّلْنَا ، فَيَنْزِلُ
 أَهْلُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمِثْلِي مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنَ الْأَرْضِ أَشْرَفَتْ
 الْأَرْضُ بُنُورِهِمْ وَأَخَذُوا مَصَافَهُمْ وَقُلْنَا لَهُمْ : أَفِيكُمْ رَبُّنَا ؟ قَالُوا : لَا ، وَهُوَ آتٍ . ثُمَّ يَنْزِلُ أَهْلُ
 السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ بِمِثْلِي مَنْ نَزَلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَبِمِثْلِي مَنْ فِيهَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنَ
 الْأَرْضِ أَشْرَفَتْ الْأَرْضُ بُنُورِهِمْ وَأَخَذُوا مَصَافَهُمْ وَقُلْنَا لَهُمْ : أَفِيكُمْ رَبُّنَا ؟ فَيَقُولُونَ : لَا ، وَهُوَ
 آتٍ . ثُمَّ يَنْزِلُونَ عَلَى قَدَرِ ذَلِكَ مِنَ التَّضْعِيفِ حَتَّى يَنْزِلَ الْجَبَّارُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ظُلُلٍ مِنَ الْعَمَامِ
 وَالْمَلَائِكَةِ ، فَيَحْمِلُ عَرْشَهُ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةً ، وَهُمْ الْيَوْمَ أَرْبَعَةٌ ، أَقْدَامُهُمْ فِي تَحُومِ الْأَرْضِ السُّفْلَى
 ، وَالْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ إِلَى حُجْرِهِمُ وَالْعَرْشُ عَلَى مَنَاكِبِهِمْ ، لَهُمْ رَجُلٌ فِي تَسْيِيحِهِمْ يَقُولُونَ :
 سُبْحَانَ ذِي الْعِزَّةِ وَالْجَبَرُوتِ ، سُبْحَانَ ذِي الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ ، سُبْحَانَ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ
 ، سُبْحَانَ الَّذِي يُمِيتُ الْخَلَائِقَ وَلَا يَمُوتُ . سُبُوحٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ . سُبْحَانَ رَبَّنَا الْأَعْلَى

رَبِّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ . سُبْحَانَ رَبَّنَا أَلْعَلَى الَّذِي يُمِيتُ الْخَلَائِقَ وَلَا يَمُوتُ.. سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ
رَبِّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ " .

أيها المسلمون : والله أعظم شأناً وأعز سلطاناً ، ولكن الذنوب التي رانت على
القلوب حجبت تعظيم الرب في النفوس وأضعفت وطره في القلوب ، ولو تمكن وطر الله
وعظمته في قلب العبد لما تجرأ على معاصيه أبداً .. فإن عظمة الله - تعالى - وجلاله في القلب
تقتضي تعظيم حرماته والاستسلام لحكمه وأمره ونهيه ، وهذا التعظيم يحول بينك وبين
الذنوب .

والمتجرئون على معاصي الله ما قدروا الله حق قدره ، وكفى من عقوبات الذنوب أن
تضعف هذا التعظيم في القلب حتى يستمرئ المخذول المعاصي فيهون على الله فيرفع الله مهابته
من قلوب الخلق ويستخفون به كما استخف بأمر الله ..

وقد ذكر الله - تعالى - أنه غطى على قلوب المصرين على الذنوب وطبع عليها .. وأنه
نسيهم كما نسوه وأهانهم وضعهم كما ضيعوا أمره ؛ لهذا قال - سبحانه - في آية
سجود المخلوقات له : ﴿ وَمَنْ يَهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ﴾ (١٨) ﴿ ٣١٦

فعلى قدر خوفك من الله يهابك الخلق .. وعلى قدر تعظيمك لله يعظمك الخلق .. وعلى
قدر محبتك لله يحبك الخلق ، وإنما يستدفع البلاء بالتوبة والاستغفار والاستسلام لأمر الله
الواحد القهار : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣١) ﴿ ٣١٧ .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ..
أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

الخطبة

الثاني

الحمد لله .. الحمد لله الذي باسمه تُبتدأ الصالحات وبحمده تُختتم ، والحمد لله العفوُّ
الكريم الأكرم ..
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته
من خلقه ومصطفاه من سائر الأمم ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه
والتابعين ومن اقتفى أثرهم والتزم .

أما بعد ..

أيها المسلمون : أيام شهركم كسفائنٍ أبحرت واحتواها الأفق وغيبها الغسق وما ظل
إلا مركبٌ أو مركبان يجافيهما الساحل وتستدنيها الأمواج وهي موشكةٌ أن يبتلعها اليم ،
فمن استدرك نفسه في هذين المركبين فإن الرحلة لم تفت .. ومن تأخر عنها فقد حرمت هيمته
وأضاعته غفلته ..

وما ثمة في شهركم إلا وريقاتٌ وركعاتٌ معدودات وسجادات ومواطن قليلة تتحرى
فيها الدعوات ، ثم إلى الله المورد وعند عتبات بابه الموعد ، والله أعلم هل نلتقي في القادم
أو لا نلتقي .

أيها الصائمون : إن من سنن الهدى ومعالم البر والإحسان في ختام هذا الشهر الكريم
ما شرعه الله - تعالى - على لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم - من إخراج زكاة الفطر ؛
فهي طهرةٌ للصائم وطعمةٌ للمساكين ووجهٌ مشرق في محاسن هذا الإسلام العظيم .. حيث
العيد للغني والفقير والواجد والمعدم ، وحتى يكون العيدَ فلا بد أن يفرح الجميع .. ص

وصدقة الفطر واجبةٌ بالإجماع كما حكاها ابن المنذر والبيهقي وغيرهما .

وفي حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - : " أن النبي - صلى الله عليه وسلم -
فَرَضَ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى كُلِّ حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى مِنْ
الْمُسْلِمِينَ " رواه البخاري ومسلم ..

أما الجنين فلا يجب الإخراج عنه .. لكن يستحب ذلك لفعل الخليفة الراشد عثمان بن
عفان - رضي الله عنه - ..

والمنصوص عليه في الأحاديث الصحيحة هو التمر والبُرُّ والشعير والأقظ والزبيب ،
ويجزي أن يخرج من غالب قوت البلد .. كالأرز ونحوه من الطعام .
ووقت إخراج زكاة الفطر وأفضله يوم العيد قبل الصلاة ، ويجوز تقديمها قبل العيد
بيوم أو يومين ولا يجوز تأخيرها إلى ما بعد صلاة العيد ؛ فأخرجوها - رحمكم الله - طيبة بها
نفوسكم ، ثم ابتهجوا بعيدكم واشكروا الله - تعالى - على التمام ، واسألوه القبول
وحسن الختام ..

وإن من سنن الهدى التي شرعها الله - عز وجل - وسنها رسوله - صلى الله عليه
وسلم - : التكبير ليلة العيد وصبيحة العيد ..

قال الله - تعالى - في آيات الصيام : ﴿ وَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٨٥) ﴿ ٣١٨ ﴾

وصفته أن يقول المسلم : (الله أكبر . الله أكبر . لا إله إلا الله . الله أكبر . الله أكبر
والله الحمد) أو نحو ذلك .. كأن يقول : (الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا) .
ويسن جهر الرجال به في البيوت والمساجد والطرق والأسواق ..
ومن السنة أن يأكل المسلم تمرات قبل الخروج إلى صلاة العيد ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً
أو أكثر من ذلك يقطعها على وتر ، كما في صحيح البخاري .
وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يأمر بإخراج الجميع إلى صلاة العيد حتى
العواتق والحیض وذوات الخدور . رواه مسلم .

ألا فاهنأوا أيها المسلمون بصومكم وافرحوا بعيدكم ، واشكروا ربكم واستقيموا
وأبشروا . تقبل الله منا ومنكم ، وأعاد رمضان علينا وعليكم في أحسن حال .

ثم صلوا وسلموا على الهادي البشير والسراج المنير عبد الله ورسوله محمد ، اللهم
صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمدٍ وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته أجمعين ، لتابعين
ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين
، وانصر عبادك المؤمنين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين ..
اللهم آمنا في أوطاننا . اللهم آمنا في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، اللهم
وفق ولاة أمور المسلمين لهداك واجعل عملهم في رضاك ، واجعلهم رحمةً على عبادك
المؤمنين .

اللهم وفق ولي أمرنا - خادم الحرمين الشريفين - لما تحب وترضى ، وخذ به للبر
والتقوى ، اللهم هبْ له البطانة الصالحة واصرف عنه بطانة السوء ، واجمع به كلمة
المسلمين على الحق والهدى يارب العالمين ، اللهم كن له على الحق معيناً ونصيراً ومؤيداً
وظهيراً ..

اللهم وفقه وولي عهده ونائبه الثاني وإخوانهم وأعوانهم لما فيه صلاح العباد والبلاد ،
اللهم جازهم بالخيرات على ما يبذلون لخدمة الحرمين الشريفين والزوار والمعتمرين .

اللهم من أرادنا وأراد ديننا وبلادنا وقادتنا بسوءٍ فأشغله بنفسه ورد كيده في نحره ..
اللهم عليك بمن أرادنا بفتنةٍ أو فرقةٍ .. اللهم عليك بمن أرادنا بفتنةٍ أو فرقةٍ ، اللهم
إننا ندرأ بك في نحره ونعوذ بك من شره .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٨)
٣١٩ .

اللهم يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك . اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

اللهم ادفع عنا الغلا والوبا والربا والزنا والزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن .. عن بلدنا وعن سائر بلاد المسلمين يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم أصلح أحوال المسلمين . اللهم أصلح أحوال المسلمين ..

اللهم أصلح أحوال المسلمين في فلسطين وفي كل مكان يارب العالمين ، اللهم اجمعهم على الكتاب والسنة وانصرهم على عدوك وعدوهم ..

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ..

اللهم أنقذ المسجد الأقصى من براثن الغاصبين وعدوان المعتدين ، واجعله شامخاً عزيزاً إلى يوم الدين .

اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك ..

اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين ، ونفث كرب المكروبين ، وفك أسر المأسورين ، واقض الدين عن المدينين ، واشف برحمتك مرضانا ومرضى المسلمين .

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿٣٢٠﴾

اللهم أعد علينا رمضان أعواماً عديدة وأزمنة مديدة ..

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك ومن النار ..

اللهم اغفر ذنوبنا واستر عيوبنا ويسر أمورنا وبلغنا فيما يرضيك آمالنا ..

اللهم اختتم لنا بخير واجعل عواقبنا إلى خير ..

اللهم تقبل صيامنا وقيامنا وصالح أعمالنا ، اللهم ما سألناك في هذا الشهر الكريم من
مسألةٍ صالحةٍ فاجعل أوفر الحظ والنصيب منها لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم وأزواجنا
وذرياتنا ، ومن له حق علينا ومن أوصانا بالدعاء ولمن أحبنا فيك وأحببناه لك يسمع الدعاء

اللهم صلّ على محمد .

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .
سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

عنوان الخطبة : الأمن وأثره في حياة الناس

تاريخ إلقاء الخطبة : السابع والعشرون من شوال من عام ١٤٣٠هـ

- الأمن وأثره في حياة الناس -

الخطبة

أول

—

الحمد لله .. الحمد لله الجليل ثناؤه الجميل بلاؤه الجزيل عطاؤه .. الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .. من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلّل فلا هاديّ له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له .. يغفر الذنوب ويستتر العيوب ، أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ..

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وخليله ومصطفاه .. بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد .. فاتقوا الله عباد الله ، اتقوا الله وراقبوه وأطيعوا أمره ولا تعصوه ؛ فمن اتقى الله وقاه ومن كل ما أهمه كفاه ، من نظر إلى العواقب نجا ومن أطاع هواه ضل : ﴿... وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ...﴾ (٥٠) ﴿...﴾ ٣٢١ .

وبعد معاشر المسلمين : إن مما جاء في مشكاة النبوة قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ مَعَاظًا فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمُهُ فَكَأَنَّمَا حَيَّرَتْ لَهُ الدُّنْيَا " رواه الترمذي وابن ماجه بسند حسن ..

لقد جعل النبي - صلى الله عليه وسلم - أصول حياة الدنيا ثلاثة أشياء : الأمن في الأوطان ، والمعافاة في الأبدان والرزق والكفاف ؛ ففقد الأمن فقد لثت الحياة .. والثالث كثير .

ولما كان الأمن ثلث العيش امتن الله به على الأسلاف من قريش : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ (٤) ﴾ ٣٢٢ .

أيها المسلمون : الأمن والأمان والطمأنينة والاستقرار مطلبٌ ضروريٌّ من مطالب الإنسان ؛ ففي ظل الأمن يرغد العيش وينتشر العلم ويتفرغ الناس لعبادة ربهم ومصالح دنياهم ؛ لذا كانت دعوة إبراهيم الخليل - عليه السلام - : ﴿ ... رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ... (١٢٦) ﴾ ٣٢٣ ..

انظر كيف قدّم الأمن على طلب الرزق لأنه لا يهنأ عيشٌ بلا أمان ..

وقد امتن الله - تعالى - على عباده بالأمن في مواضع كثيرة .. منها قوله - سبحانه - : ﴿ واذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ فَأَوَاكُمُ وَيَدَّكُمُ بَنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦) ﴾ ٣٢٤ ..

قال قتادة بن دعامة السدوسي - رحمه الله - في هذه الآية : " كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلاً وأشقاهم عيشاً وأجوعهم بطونا وأعرأه جلوداً وأبينه ضلالاً ، من عاش منهم عاش شقياً ومن مات منهم ردي في النار .. يؤكلون ولا يأكلون ..

والله ما نعلم قبيلًا من حاضر أهل الأرض يومئذٍ كانوا أشرّ متزلاً منهم .. حتى جاء الله بالإسلام فمكّن به في البلاد ووسّع به في الرزق وجعلهم به ملوكاً على رقاب الناس ..

322 سورة قريش

323 سورة البقرة

324 سورة الأنفال

وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم ؛ فاشكروا الله على نعمه فإن ربكم منعمٌ يحب الشكر ، وأهل الشكر في مزيد من الله " انتهى كلامه - رحمه الله - .

أيها المسلمون : ولا زالت هذه النعمة متواليةً من الله - تعالى - وما أنقصت إلا حين انتقص الناس من دينهم فبدّلوا وغيّروا ، وما ضاقت الأرزاق ووقعت القلاقل والفتن واستضعف المسلمون إلا حين خبط الشرك والمعاصي في بعض نواحي بلاد المسلمين .. ولم تكن جزيرة العرب بمنأى عن ذلك ؛ ففي عهدٍ قريبٍ كانت مرتعاً للسلب والنهب والقتل والخوف حتى من الله عليها بدعوة التوحيد واتباع سنة سيد المرسلين - صلى الله عليه وسلم - فعادت آمنة مطمئنة تُجبي إليها الثمرات من كل مكان ، وتفجرت كنوز الأرض وعم الخير حتى صارت مهوى الأفئدة ديناً ودنيا .. وما ذاك - والله - إلا ببركة دعوة التوحيد واتباع السنة وطاعة الله ورسوله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ فله الحمد كثيراً .

أيها المؤمنون : إلا أنه ليس بين الله وبين أحدٍ نسب ؛ فبقدر الإيمان والتقوى تكون النعم والخيرات .. نعم الإيمان والتقوى بهما تفتح بركات الأرض والسماء .. بهما يتحقق الأمن والرخاء ، وصدق الله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ... ﴾ (٩٦) ﴿ ٣٢٥ ﴾ .

الأمن مربوطٌ بالإيمان : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ ﴿ ٣٢٦ ﴾ .. أما إن بدل العباد وغيروا فإن سنن الله لا تحابي ، وقد ﴿ ...ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (١١٢) ﴿ ٣٢٧ ﴾ .

325 سورة الأعراف

326 سورة النحل

327 سورة إبراهيم

إننا - والله الحمد - لازلنا في خيرٍ من الله بديننا وفضل الله علينا ، لكن النذر الإلهية مذكورة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد : ﴿ وَإِذْ تَأْذَنَ رَبُّكُمْ لِنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (٧) ٣٢٨ ..

فحفظ النعم وتفادي النقم لا يكون إلا بطاعة الله ورسوله ، ومن خالف جرت عليه سنة الله ، وإن ما يصيب المسلمين اليوم هي نذرٌ إلهية لئلا ينسى الناس ربهم ليعود الشارد ويتنبه الغافل ويستغفر المذنب .

إن المعاصي والذنوب سببٌ رئيسٌ للخوف والقلق والمصائب والفتن والأمراض والبلايا .. قال الله - تعالى - محذراً من مخالفة رسوله - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦٣) ٣٢٩ .. ولما أمر الله - تعالى - بطاعته وطاعة رسوله في قوله - سبحانه - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ (٢٠) ٣٣٠ ، قال فيما بعد : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ... ﴾ (٢٥) ٣٣١ ..

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : " أمر الله المؤمنين ألا يُقِرُّوا المنكر بين أظهرهم فيُعْطَهُم العذاب ، ثم بعدها امتنَّ الله على المؤمنين بتذكيرهم بما كانوا عليه من خوفٍ ثم آمنهم .. في إشارة إلى أن مخالفة أمر الله ورسوله مؤذنةٌ بالفتن والخوف وانعدام الأمن : ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ ... ﴾ (٢٦) ٣٣٢ .

328 سورة النور

329 سورة

330 سورة الأنفال

331 سورة الأنفال

332 سورة الأنفال

أيها المسلمون : طاعة الله ورسوله سبيلٌ للثبات والنجاة من الأزمات : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا ﴾ (٦٦) وَإِذَا لَأْتَيْنَاهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴿٣٣٣﴾ .

إن الأمة بحاجة ماسة إلى مراجعة نفسها والعودة إلى ربها وترك المنكرات والتعاون على البر والتقوى ؛ خصوصاً في هذه الظروف الحرجة التي تسلط فيها الأعداء على الإسلام والمسلمين وعلى ديارهم .

إن المفترض في هذه الأزمات هو الفرار إلى الله والتوبة النصوح والتناهي بالرجوع إلى الله والالتجاء إليه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإسكات دعاة الرذيلة وعداة الصلاح ..

أما الغفلة والتمادي والنوم عن المنادي والإصرار على مخالفة أوامر الله فإنها مجلبة للنقم مزیلة النعم ، وتعظم المصيبة إذا كانت الذنوب تُشهر وتُعرض ولا تُنكر .. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " كُلُّ أُمَّتٍ مُّعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ " .

يجب علينا التمسك بالسنة ولو تركها الناس وأن نغليها ولو أرخصوها ، وندافع عنها ونصبر على الأذى في ذلك ؛ فهذا هو سبيل النبين والصديقين والشهداء والصالحين ، وهذا هو طريق الأمن في الدنيا والآخرة ..

وإذا كثرت الفتن تأكد التمسك بالسنة .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٢٤) ﴿٣٣٤﴾ .

333 سورة النساء

334 سورة الأنفال

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعنا بسنة سيد المرسلين .. أقول قولي هذا
وأستغفر الله - تعالى - لي ولكم .

الخطبة

الثانية

الحمد لله يُحمد بنعمته وتُنال كرامته برحمته : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى
وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٧٠) ﴿ ٣٣٥ ﴾ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه
والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم اليوم .

وبعد : أيا عبد الله حاسب نفسك قبل أن تُحاسب ، ولا تنظر إلى الهالك كيف هلك ..
ولكن انظر إلى الناجي كيف نجا ، ولا تمتد بك حبال الأمان والغرور ؛ فالعمر قصير والأجل
محدود والناقد بصير ، وموقف العرض على الله عسير إلا على من يسره الله عليه : ﴿
وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ
(٤٧) ﴾ ﴿ ٣٣٦ ﴾ .

تأمل في مطعمك ومشربك وانظر ماذا ترى وتسمع وتقول ؟ وماذا تسر وتعلن ؟ ولئن
خفيت منك اليوم خافية فهناك في أرض المحشر يُكشف الغطاء وتتكلم الجوارح .. لقد
جاءتك من ربك النذر .. فمن تذكر فإنما يتذكر لنفسه ، وصدق الله : ﴿ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ

335 سورة القصص

336 سورة الحج

حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠) ﴿٣٣٧﴾ والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ،
والله يعفو ويصفح .

أيها المسلمون : والتفاته أخرى إلى الأمن والأمان .. فإذا كان الأمن من الله منّةً والاستقرار رحمة ونعمة والرزق لهما تابع وللناس فيهما منافع .. فكيف يكون جُرم من أخلّ بهما وحمل السلاح بين ظهرائي المسلمين وتربص الشر بالآمين ؟! ..
لقد أنكر النبي - صلى الله عليه وسلم - على من أخفى سوط أخيه يريد ممازحته حمايةً لصاحب السوط أن يقلق أو يهتم أو يصيبه الغم ، فأين العابثون بالأمن عن هذا الإحساس النبوي والإرشاد الحمدي .. وهم قد حملوا السلاح وحصدوا الأرواح ؟ وقد بانت معالم الرشاد واتضح الحق والصواب ..

لقد اتضح الصبح لكل ذي عينين وعلم القاصي والداني أن ما يحدث في بلاد الإسلام من قتلٍ وتخريبٍ واستهدافٍ لرجال الأمن ورموزه أنه ليس من الإسلام في شيء وليس من الجهاد في شيء ، وأن الذين يفسدون في داخل بلاد الإسلام ليسوا مجرد أشخاصٍ مغرّرين بهم .. إنهم قتلةٌ متربصون ومجرمون متعمدون .. ينفذون مخططاتٍ تخريبيةٍ ليس لها مشروعٌ إصلاحي ولا هدفٌ طبعي ، بل هو قتلٌ لجرد القتل وتخريبٌ لإحداث الفوضى وزعزعة الأمن في بلاد المسلمين تقف وراءه جهاتٌ مغرضةٌ واستخباراتٌ معاديةٌ وحربٌ موجهةٌ ضد مواطني هذا البلاد ودينه وقيادته واقتصاده ومقدراته ..

ومن النصيحة أن توضع النقاط على الحروف وأن يزداد الحذر والصد لهذا المنهج التخريبي ، كما أنه من الظلم والغش أن يحمل الإسلام أو المسلمون تبعة هذا النهج وهم المستهدفون به أصلاً ، وهم الذين اکتووا بناره وتضرروا به أكبر الضرر : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٨) ﴿٣٣٨﴾ .

هذا ، وصلُّوا وسلِّمُوا على الرحمة المهداة والنعمة المسداة رسول الله محمد بن عبد الله .. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمدٍ وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين وأزواجه أمهات المؤمنين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين .. اللهم انشر الأمن والاستقرار في بلادنا بلاد المسلمين ، اللهم ادفَعْ عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن ، اللهم انصر من نصر الدين واخذل الطغاة والملاحدة والمفسدين ، اللهم من أرادنا بسوءٍ فأشغله بنفسه ورد كيده في نحره واجعل دائرة السوء عليه يارب العالمين .

اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان ، اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في فلسطين وفي كل مكان ، اللهم انصر المجاهدين المرابطين في أكناف بيت المقدس ، اللهم كن لهم ولياً ونصيراً ومؤيداً وظهيراً .. اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك .

اللهم وفق ولاية أمور المسلمين لما تحب وترضى ، وخذ بهم للبر والتقوى .. اللهم وفق ولي أمرنا لهذا ، واجعل عمله في رضاك ، اللهم وفقه ونائبه ونائبه الثاني وإخوانهم وأعوانهم لما فيه صلاح العباد والبلاد .

ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار ، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، اللهم لا تؤاخذنا بذنوبنا ولا بما فعل السفهاء منا .

اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين ، ونفِّس كرب المكروبين ، وفك أسر المأسورين ، واقض الدين عن المدينين ، واشف برحمتك مرضانا ومرضى المسلمين .

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك ومن النار ، اللهم يامقلب
القلوب ثبّت قلوبنا على دينك . اللهم يامقلب القلوب ثبّت قلوبنا على دينك . اللهم يامقلب
القلوب ثبّت قلوبنا على دينك .

اللهم ادفع عنا الغلا والوبا والزنا والزلازل والخن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن .. عن
بلدنا وعن سائر بلاد المسلمين عامةً يارب العالمين .

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت .. أنت الغني ونحن الفقراء ؛ أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا
من القانطين ، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارا .. فأرسل السماء علينا مدرار ، اللهم
أغننا . اللهم أغشنا ، اللهم أغشنا غيثاً هنيئاً مريئاً سحاً طبقةً مجللاً عامّاً نافعاً غير ضار تحيي به
البلاد وتسقي به العباد وتجعله بلاغاً للحاضر والباد ، اللهم سقيا رحمة . اللهم سقيا رحمة .
اللهم سقيا رحمة . لا سقيا عذاب ولا بلاء ولا هدم ولا غرق .

ربنا تقبل منّا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ..
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

عنوان الخطبة : مكة المكرمة تاريخ وذكريات

تاريخ إلقاء الخطبة : الثامن عشر من ذي القعدة من عام ١٤٣٠هـ -

- مكة المكرمة تاريخ وذكريات -

الخطبة

أول

—

الحمد لله .. الحمد لله رفع شعائر الإسلام وأبانها لخلقها واضحة المناهج والأعلام .. فاضل بين
الشهور والأيام وجعل الحج من أركان الدين العظام ..
أحمده - سبحانه - وأشكره وأستوجب منه عفوه الجميل وأستغفره من الخطايا والآثام ،
وأسأله الهداية والتوفيق والدخول في زمرة من قال ربّي الله ثم استقام ..
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. هو الحي القيوم الذي لا ينام ، وأشهد أن
محمدًا عبده ورسوله المفضل على سائر الخلق والأنام .. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله
وصحابه الكرام .

أما بعد ..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴾ (١٨) ، ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ (٢٣٥) ﴿ ٣٤٠

احفظوا على أنفسكم الأوقات فإنه لا قيمة لها ، وطيبوا لأنفسكم الأقوات ولا تنالوا إلا
أجلها ، وزنوا الأعمال بميزان الشرع ، وصححوا المقاصد والنيات وخذوا بالإخلاص
فضلها ، وراقبوا في السر والجهر عالم الخفيات .. فما أحسن المراقبة وأجلها ! واغتنموا
أيامكم الفاضلة قبل الفوات .. أياماً شرفها الله وفضلها .

339 سورة الحشر

340 سورة البقرة

أيها المسلمون : في هذه الأيام المباركة تستقبل مكة وفود الحجاج ويحتضن المسجد الحرام ضيوف الرحمن في مواكب مهيبة تجللهم عناية الله .. جاءوا من كل فج عميق يلثون نداء ربهم ويحيون أذان خليله : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ (٢٨) ﴿ ٣٤١ .

جاء الحجاج يحفون المطايا يسابقهم الشوق ويحدوهم الأمل .. يغمرهم الفرح وهم في مسيرهم إلى بيت الله المعظم طامعين في تكفير الخطايا وبلوغ الجنان يؤدون الركن الخامس من أركان دينهم في أقدس بقعة على وجه الأرض ..

مكة المكرمة تاريخ وذكريات سيرة ومسيرة : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا (٩٧) ﴿ ٣٤٢ .

إليه حج الأنبياء وصلى إمام الحنفاء .. من مكة شع نور الهدى وانطلقت رسالة التوحيد حتى عمت أرجاء الأرض وغيرت العالم وأرست أجمل وأعظم حضارة عرفها التاريخ .. مكة مركز العالم ورمز وحدة المسلمين ومصدر النور للعالمين .. أفضل البقاع عند الله وأحب البقاع عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

مكة المكرمة (أم القرى) بها ميلاد أشرف الورى .. على ربها نشأ وترعرع وفي أرجائها مشى وما تضعضع .. نصف قرن من الزمان شهدت حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - في مكة ؛ فأشرف يعلو هذا الشرف ، ولو نطق هذي الربى فأى سيرة ستذكر وأي تاريخ ستسرد ..

في هذه البقاع نزل جبريل - عليه السلام - بالوحي ، وصدع النبي - صلى الله عليه وسلم - بالتوحيد من (جبل الصفا) ..

341 سورة الحج

342 سورة آل عمران

لو حدثتكم الكعبة أو حكي زمزم والمقام لقالوا : كان هنا أبو بكر وعمر ، وكان عثمان وعلي وغيرهم من الصحب الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - أضاءوا الدنيا وطهروا الأرض ، واعترك التوحيد مع الوثنية حتى أظهر الله الدين ..
هنا وقف النبي - صلى الله عليه وسلم أمام الكعبة ليقرر مبادئ الدين العظمى ويرسم نهج الإنسانية الأرقى .. والذي عجزت عن تحقيقه كل حضارات البشر إلى يومنا هذا .

حجاج بيت الله الحرام : هنيئاً لكم بلوغ بيت الله المعظم .. هنيئاً لكم هذه الشعائر والمشاعر .. شرف الزمان وشرف المكان مع عظيم الأعمال ؛ فاحمدوا الله على ما حباكم من هذه النعم واشكروه ؛ فقد تأذن بالزيادة لمن شكر .

قدمتم أهلاً ووطئتم سهلاً .. أنتم ضيف الله ووفده الواجب إكرامه ورفده .. يسر الله حجاجكم ، وحفظكم من كل مكروه ، وجعل حجاجكم مبروراً وسعيكم مشكوراً ، تقبل الله منا ومنكم .

أيها المسلمون : إن قصد هذه البقاع الطاهرة يكفر الذنوب ويمحو الآثام ويحط الأوزار ، بل ليس للحج المبرور جزاء إلا الجنة .. قول نبيكم - صلى الله عليه وسلم - .
كم اشتاقت لبطحاء مكة النفوس وهفت لرباها القلوب ، وكم باك شوقاً وتوقاً ، وكم متحسراً يتمنى رؤية (وادي محسر) .. يتمنى المبيت ليلة بمنى أو الوقوف ساعة بعرفة أو المشاركة في ليلة مزدلفة والمزاحمة عند الجمرات .. أو الطواف بالبيت وسكب العبرات ، يتمنى هذه المواطن حيث تسيل العبرات وتزل الرحمت وتُقَالُ العثرات وتُستجاب الدعوات ..

سقى الله تلك الربى والبطاح .

هَذِهِ الْخَيْفُ وَهَاتِيكَ مَنَى

فَتَرَفَّقَ أَيُّهَا الْحَادِي بِنَا

وَاحْبِسِ الرِّكْبَ عَلَيْنَا سَاعَةً
نَنْدُبُ الرَّبْعَ وَنُبْكِي الدِّمْنَ

فَلِذَا الْمَوْقِفِ أَعْدَدْنَا الْبُكَ
وَلِذَا الْيَوْمِ الدُّمُوعُ تُقْتَنَى

ولا زالت المواكب تتدفق بالحجيج من كل فج عميق ..
ما أجمل أصوات التلبية تعجُّ بها الطائرات في الأجواء والمواخير في عُباب البحار والمراكب التي
تلتهم الطريق وتغذ السير آمين البيت الحرام : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ . لَبَّيْكَ لا شريك لك لَبَّيْكَ .
إن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك .
وجهة واحدة وهدف واحد .. كلهم مستجيبون ثم في حرم الله يلتقون .. إنها قوافل الإيمان
ورحلة الحياة إلى مهوى الأفئدة ورمز الإسلام وقبلة المسلمين .

عباد الله حجاج بيت الله الحرام : إن منزلة الحج عند الله عظيمة ومكانته من الدين كبيرة ..
أوجبه الله بقوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٩٧) ٣٤٣ .

أما فضله : فقد روى أبو هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال
: " الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ " . رواه
البخاري ومسلم ..

وفي الصحيحين أيضاً : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه سُئِلَ " أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟
قَالَ : إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا
؟ قَالَ : ثُمَّ حَجٌّ مَبْرُورٌ " .

إنه تجارة الدنيا والآخرة وربح الدارين ..

عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " نَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ "

رواه الإمام أحمد والترمذي بسندٍ صحيح .

وفي الصحيحين : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرُفْ

وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ " أي : نقيًا من الذنوب والخطايا .. هذا مع مضاعفة

الحسنات ورفع الدرجات .

عن جابر - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي

أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيْمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ خَيْرٌ مِنْ

مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيْمَا سِوَاهُ " رواه الإمام أحمد وابن ماجه بسندٍ صحيح ، وأصله في

الصحيحين .. (أي صلاة أربع وخمسين سنة) .

فهل يُلَامُ في هوى الحرم بعد ذاك أحد ، ناهيك عن مواقف الرحمة في عرفات والازدلاف

عن المشعر الحرام والتقلُّب في فجاج منى والطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي

الجمرات ، وكل ذلك من مواطن الرحمة وإجابة الدعاء .

أما عرفات .. وما أدراك ما عرفات ! يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " مَا مِنْ يَوْمٍ

أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ

فَيَقُولُ : مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ ؟ " رواه مسلم من حديث عائشة - رضي الله عنها - .

إنهم يريدون رحمة ربهم وجنته .. يريدون مغفرة ذنوبهم والعتق من النار ، جاءوا من أقاصي

الدنيا وأطراف الأرض .. تركوا أهلهم وأوطانهم وأنفقوا كل ما يستطيعون للوصول إلى

هذه الأماكن الشريفة .. في وقت ترى فيه بعض الموسرين القادرين يتكاسلون عن أداء

فريضة الإسلام .. ينفقون أموالهم ويضيعون أوقاتهم في السفر والترهة واللهو والغفلة .. لم يحجوا مرة واحدة .

ليعلم هؤلاء أنهم تركوا ركناً من أركان الإسلام .. يقول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه : " من كان ذا ميسرة فمات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً " ، ورؤي مثله عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - .

فليتق الله وليبادر المستطيع قبل الفوات ، ولو فاجأه العجز أو الأجل فلم ينفعه الاعتذار بالتهاون والكسل .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٩٧) ﴿ ٣٤٤ ﴾ .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعنا بسنة سيد المرسلين .
أقول قولي هذا وأستغفر الله - تعالى - لي ولكم .

الخطبة

الثاني

الحمد لله على إحسانه .. والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ،
صلّى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه .

أما بعد ..

- فيأياها المؤمنون حجاج بيت الله العتيق : أما وقد أوصلكم الله بيته فعظموا شعائره يزدكم إيماناً وتقوى : ﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (٣٢) ﴿٣٤٥﴾ .
- ومن تعظيم الشعائر : إحسان العمل وإتمامه والحرص على كماله ، واتباع هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - في كل صغيرة وكبيرة ، وقد قال : " خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ " .
- كما أن تتبع الرخص والتهاون في المناسك خذلانٌ ونقص .. والله - تعالى - يقول : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (١٩٦) ﴿٣٤٦﴾ ..
- كما أن من تعظيم شعائر الله : البعد عما ينقص الحج واحترام وتوقير الزمان والمكان الذي عظمه الحق - سبحانه - .
- تجنب المراء والجدل والخصام والتشويش ؛ فالقبول والمغفرة مشروطة بترك ذلك .. قال الله - عز وجل - : ﴿ الْحَجُّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ (١٩٧) ﴿٣٤٧﴾ .
- وقد سبق قول النبي - صلى الله عليه وسلم - المخرج في الصحيحين : " مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ " .
- إن زكاء النفس وزيادة الإيمان وحصول التقوى يكون حين يقبل المسلم على عبادته بأدبٍ وخشوع ويتقرب لما جاءه له وقصده حافظاً وقته مخلصاً لربه ..
- كما ينبغي السؤال عن الأحكام الشرعية قبل الشروع في العمل .. فكم حاج يعبد الله على جهل لا يتعلم ولا يسأل ، وكم من مستفتٍ لو سأل قبل العمل لم يقع في الحرج ..
- وعلى القائمين على الحجاج مسؤولية عظيمة ؛ فليتقوا الله .. فكلكم راعٍ وكلٌ مسئولٌ عن رعيته .

345 سورة الحج

346 سورة البقرة

347 سورة البقرة

أيها المؤمنون : إن الأصل الذي بُني عليه هذا البيت العظيم هو توحيد رب العالمين القائل في محكم التنزيل : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾ (٢٦) ﴿٣٤٨﴾ .
وفي ثنايا آيات الحج قال - سبحانه - : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ (٣١) ﴿٣٤٩﴾ .

فطهروا أعمالكم - رحمكم الله - والزموا السنة في أعمالكم وفي جميع حياتكم .. فإن الشرك محبط للعمل ، والزموا ذكر الله - تعالى - فهو سمة بارزة في الحج ، وهو إعلان للتوحيد الذي هو شعار الحج كما في التلبية .. وقد قال الله - عز وجل - : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾ (٢٠٣) ﴿٣٥٠﴾ ، وقال : ﴿ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ (١٩٨) ﴿٣٥١﴾
وقال - عز من قائل - : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ (٢٠٠) ﴿٣٥٢﴾ ، وقال : ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ﴾ (٢٨) ﴿٣٥٣﴾ .

هذا ، وصلُّوا وسلِّموا على خير البرية وأزكى البشرية رسول الله محمد بن عبد الله ..

اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ على عبدك ورسولك محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغرِّ الميامين ، اللهم ارضَ عن الأئمة المهديين الخلفاء المرضيين - أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي - وعن سائر صحابة نبيك أجمعين ، ومن سار على نهجهم وأتبع سنتهم يارب العالمين .

سورة الحج	348
سورة الحج	349
سورة البقرة	350
سورة البقرة	351
سورة البقرة	352
سورة الحج	353

اللهم احفظ الحجاج والمعتمرين ، ويسرّ نسكهم ، وأتم حجهم ، وتقبل منا ومنهم
يارب العالمين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً
وسائر بلاد المسلمين ، اللهم من أرادنا وأراد بلادنا وديننا بسوء فأشغله بنفسه ورد
كيدته في نحره ، واجعل دائرة السوء عليه يارب العالمين .

اللهم احفظ رجال الأمن ، اللهم احفظ رجال الأمن وحراس الثغور وانصرهم على من
بغى عليهم يارب العالمين .

اللهم آمناً في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا وولي أمرنا ، اللهم
وفقه لهداك واجعل عمله في رضاك ، وهب له البطانة الصالحة الناصحة ..
اللهم وفق ولي عهده لما تحب وترضى ، وأسبغ عليه لباس الصحة والعافية ، اللهم وفق
النائب الثاني لما فيه خير البلاد والعباد ، واسلك به سبيل الرشاد ، اللهم كن لهم جميعاً
موفقاً مسدداً لكل خير وصلاح .

اللهم ادفع عنا الغلا والوبا والربا والزنا والزلازل والخن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن
.

اللهم أصلح أحوال المسلمين ، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان يارب العالمين ،
اللهم اجمعهم على الحق والهدى والكتاب والسنة ، اللهم احقن دماءهم وآمنهم في
ديارهم ، وأرغد عيشهم وأصلح أحوالهم ، واكبت عدوهم .

اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان ، اللهم انصرهم في فلسطين ، اللهم
انصر المرابطين في أكناف بيت المقدس ، اللهم اجمعهم على الحق يارب العالمين .
اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ..

اللهم احفظ المسجد الأقصى وكل الأرض المقدسة ، اللهم طهرها من الاعتداءات النجسة
، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك .
اللهم يا حي يا قيوم . يا حي يا قيوم . عزَّ جارك وجلَّ ثناؤك وتقدست أسماؤك
. يا من لا يُهزم جنده ولا يُخلف وعده سبحانه وبحمدك ، اللهم قد طال ليل الظالمين
.. اللهم إن الصهاينة قد طغوا وبغوا وأسرفوا في الطغيان .. اللهم هبِّي لهم يداً من الحق
حاصدة تكسر شوكتهم وتستأصل شأفتهم ، اللهم أنزل بهم بأسك ورجزك إله الحق ،
اللهم لا تُقم لهم راية ولا تحقِّق لهم غاية واجعلهم لمن خلفهم عبرة وآية ، اللهم زلزمهم
واهزمهم وانصرنا عليهم يارب العالمين .

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، اللهم اغفر ذنوبنا واستر
عيوبنا ويسرَّ أمورنا وبلغنا فيما يرضيك آمالنا .
ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولوالديهم وذرياتهم إنك سميع الدعاء .

اللهم لك الحمد على ما أنعمت به علينا من المطر والرحمة ، اللهم إنا نسألك المزيد من
فضلك .. اللهم لا غنى لنا عن رحمتك .. اللهم عم بالخير والأمطار سائر بلادنا .
اللهم أنت الله لا إله إلا أنت .. أنت الغني ونحن الفقراء .. أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من
القانطين ، اللهم إن بالعباد والبلاد من الحاجة والأواء ما لا يكشفه إلا أنت .. اللهم
فأعطنا ولا تحرمنا وزدنا ولا تنقصنا ، اللهم أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلته قوةً على
طاعتك وبلاغاً إلى حين .

عباد الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٩٠) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٩١) ﴿ ٣٥٤ 》 .

الفصل _____ ل

الـ _____ ثالث

منبر الجمعة _____ عة من الحرم المكي للعام

الهجري ١٤٣١ هـ

عنوان الخطبة : بداية العام الجديد وما يجب تجاهه
تاريخ إلقاء الخطبة : الأول من محرم من عام ١٤٣١هـ

— بداية العام الجديد وما يجب تجاهه —

الخطبة
الأولى

—

الحمد لله .. الحمد لله الذي أحاط علمه بكل شيء وفاءً على خلقه بتقليب الزمان ما بين ليل ونهار وظلّ وفيء ، وجعلها مستودعاً للأعمال ما بين رشدٍ وغي ثم تبلغ الدنيا بعد ذلك منتهى .. يموت فيها كل مخلوقٍ وحي إلا الله ربنا - سبحانه - فيبسط السموات والأرض ثم يطويهن أحسن طي ..
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .. كريم الأصل من نسل كعب بن قصي ، اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمدٍ وعلى آله الطيبين الأطهار وصحابه الأخيار ، ومن تبعهم بإحسانٍ ما تعاقب الليل والنهار .

أما بعد : فوصية الله - تعالى - للأولين والآخرين تقواه : ﴿...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ

أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ...﴾ ٣٥٥ ..

اعتبروا بتصرُّم الليالي والأيام وانسلاخ السنين وتجدد الأعوام .. فكل خطوة تقرب إلى النهاية ، وكل يومٍ يدني من الختام .

بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ، وَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلِّغُهُ يَكُونُ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ
مَنْ سَمِعَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ " . رواه البخاري ومسلم .

أيها المسلمون : لقد كان نداء النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذا الحديث العظيم
في حجة الوداع .. والتي كان يودع بها العام كما يودع بها الناس ..
ونحن اليوم قد ودعنا عاماً وموسم حج ، وقبل أيام أيضاً نتابع احتفال العالم بـ (يوم
لحقوق الإنسان) ..

لقد وقف النبي - صلى الله عليه وسلم - ها هنا قرب الكعبة قبل ألف وأربعمائة عام
وتزید لیؤسس لحقوق الإنسان ولیرسي مبادئ العدالة ومیزان الحق ویلغي كل أشكال الظلم
والجور في العقيدة والسلوك والفكر والقيم والعبادة والمعاملات .. حرس الدماء وحرم الربا
وأثبت حقوق النساء .. خطابٌ لم تسمع الدنيا بمثله ولا زال صدها يتردد عبر القرون
وتتشبث بأذياله النظم والقوانين ولما تلحق به أو تجاربه .

لقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعرف أنه قارب النهاية وأن الأمة التي أنشأها
قد رسخت على الأرض وفرضت نفسها على التاريخ وانتقل الأذان مع الرياح الأربع ،
ووزعت جماعات الصلاة على أطراف الزمان لتلقي على طاعة الله قبل طلوع الشمس وبعد
غروبها وعند الزوال وقبل الأصيل ، وهؤلاء الذين رباهم سيمدون النور إلى ما بقي من
أرض الله .. هذا الجيل الذي رباها النبي - صلى الله عليه وسلم - كان جزءاً من الرسالة التي
أداها ، ونشهد - والله - أنه أداها ..

فمن أجل ذلك كان يحدث وفي الوقت نفسه كان يودع ، وفي تضاعيف حديثه كان
يفرغ كل ما في فؤاده من نصح وحب وإخلاص .. فما أغلى هذه الوصية وما أبعد مداها في
التاريخ لقوم يعقلون ! لذلك جاء في آخر الخطاب النبوي : " أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ
.. "

وقد قام أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - بهذه الأمانة خير قيام ؛ فرضي الله
عنهم أجمعين .

أيها المسلمون : إن الوصايا التي أودعها النبي - صلى الله عليه وسلم - ضمائر الناس لا تتضمن قضايا فلسفية ولا نظرات خيالية .. إنها مبادئ سيقَّت في كلمات سهلة واستوعبت جملة الحقائق التي يحتاج إليها العالم ليسعد ويرشد ، وهي على وجازتها أهدى وأجدى من موثيق عالمية طنانة .. ذلكم أن قائلها - صلى الله عليه وسلم - كان عامر الفؤاد بحب الناس والعطف عليهم شديد الحرص على ربطهم بالله وإعدادهم للقائه .. موقنا أن الحياة الصحيحة يستحيل أن تتم بعيدا عن الله وروحه .

عباد الله : في الآية الكريمة والحديث الآنف حذر الله - تعالى - من الظلم بأبلغ وأوجز عبارة ، وأشار النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أصول المسائل لأنه يقرر مبادئ خالدة وقواعد باقية ..

والظلم مما اتفقت الفطر والنصوص على مقتته وذم فاعله .. إلا أن الانحراف قد يلحق بعض الناس فيخالفون في صورته : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ... ﴾ ٣٥٩ .

أيها المسلمون : وأبشع الظلم هو الشرك بالله : ﴿ ... يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٣) ٣٦٠ وفي سور المائدة : ﴿ ... إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (٧٢) ٣٦١ ؛ ذلكم أن الله - تعالى - هو الخالق الرازق أوجدنا من العدم وأمدنا بالنعم ، وكل ما في الكون له خاضع ، وكل فضل إليه راجع .. هو الرب ونحن العبيد ، وهو الفعال لما يريد .. خلقنا لعبادته وحده فكيف يعبد سواه ! وأمرنا بطاعته فكيف يتمرد العبد على سيده ومولاه !

٣٥٩ سورة فاطر

٣٦٠ سورة لقمان

٣٦١ سورة المائدة

إن التقصير في جنب الله ظلم .. ولا يقع أثر هذا الظلم إلا على الظالم نفسه ؛ ولذلك

قال الله - عز وجل - : ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ... ﴾ ٣٦٢ ..

إن تجدد المواسم وكر السنين منبه إلى مراجعة الإنسان حاله مع ربه وتفقد إيمانه

وعقيدته وأعماله ومواقفه الفكرية والعملية ؛ فهو سائر إلى الله سيرا حاثا ، وسيلقى رباً

عليما محاسباً ، وكتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ

إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ (٦) ٣٦٣ .

أيها المسلمون : إن من ظلم العبد لنفسه تقحم المعاصي والتفريط في الواجبات ،

ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه لأنه يجرها إلى النار ويعرضها لغضب الجبار ، وإذا فشت

المعاصي من غير نكير ولا إصلاح عم البلاء وطم العقاب والعذاب ، وذلك معلوم في سنن

الله في الأمم والدول .. قال الله - عز وجل - : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ

ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (١٠٢) ٣٦٤ .

ومن الظلم المنهي عنه في الآية الكريمة والمفصل في الحديث الشريف ظلم الناس في التعدي

عليهم في دمائهم وأعراضهم وأموالهم ، ويزداد الظلم قبحاً إذا كان تجاه الأقارب

والأرحام أو كان ظلماً للزوجات والبنات أو ظلماً للضعفاء من الخدم والعمال .. صور

من الظلم يندى لها الجبين وقصص من الحيف يدمى لها القلب وتدمع العين .. ما إن يشعر

البعض بقوة أو سلطة حتى يحاول تسخير الآخرين لرغباته فيمنعهم حقوقهم ولا يقوم هو

بواجباته : ﴿ كُلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَىٰ ﴾ (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾ (٨)

٣٦٥ ..

وكفى بهذه الآية سلواناً للمظلوم وموعظةً للظالم : إن إلى ربك الرجعى .

362 سورة التوبة

363 سورة الإنشقاق

364 سورة هود

365 سورة النجم

الظلم ظلمات يوم القيامة ، ودعوة المظلوم تُرفع فوق الغمام وتُفتح لها أبواب السماء وليس بينها وبين الله حجاب ، ويقول الله عز وجل : "لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ" ، والله يملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته : ﴿...وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (٢٢٧) ٣٦٦ ..

ومن نظر في عواقب الظالمين رأى من آيات الله عجبا ، وقد يكون القصاص في الدنيا وقد يكون في الآخرة ، وإذا وقع القصاص كان مهولا : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (٤٢) ٣٦٧ .

إن الحيف وسلب الحقوق وإهدار الكرامات مبعثٌ للشقاء ومسعرُ الفتن ، وإن الظلم إذا فشى فسدت الذمم وخرب العمران وحصل الهلاك .. إما بانقراضٍ لفساد أو تسلط أُمم على أخرى فيحصل من الخراب والدمار ما لا يعلمه إلا الله .

بارك الله لي ولكم في الكتاب والسنة ، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة .
أقول قولي هذا وأستغفر الله - تعالى - لي ولكم .

الخطبة

الثانية

الحمد لله أجزل في عطائه وأغدق في نعمائه وعافى من بلائه ؛ فله الحمد كثيرا كما ينعم كثيرا

..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أما بعد أيها المسلمون : فإن من الظلم التقصير في شكر الله - تعالى - ونسيانه عند النعم : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ... ﴾ ٣٦٨ ، وقد أمر الله - سبحانه - بالتحدث بنعمه وإظهار شكره وبيان فضله ..

وإن مما يجب التذكير به وإعلانه والتحدث به وإشهاره إذعانا وعرفانا وإيماننا وشكرانا : ما أنعم الله - تعالى - به على المسلمين كافة وعلى حجاج بيته خاصة في هذا الموسم العظيم - والذي ودعناه قبل أيام - حيث كثر التخويف من الأوبئة والأمراض والتحذير من السيول والأمطار والخشية من الإحداث والتشويش ..

وترقب الناس هذا الموسم بارتياح وقلق .. ولكن الله لطف وعافى وستر وأحسن على عباده وحماهم وأحاطهم رعايته ، وبالرغم من الملايين الذين شهدوا موسم الحج إلا أن مكة والمدينة والمشاعر المقدسة كانت أنقى الأماكن من الأوبئة والأمراض على مستوى العالم في تلك الفترة في ظاهرة كان يجب أن تبرز وتظهر وتحمد وتشكر ، بل سجلت الإحصائيات الدقيقة أن هذا الموسم هو أميز السنوات انخفاضاً في معدل الإصابات الصحية ، وسجلت المستشفيات أدنى مستويات في المراجعات حتى في الأمراض الطبيعية المعتادة ..

وخيب الله ظنون المتربصين .. فمن الذي عافى ؟ ومن الذي كفى ؟ ومن الذي شفى ؟ ومن الذي لطف وستر ؟ إنه الله الرحيم ..

وبالرغم من موسم الأمطار وما أصاب مدينة جدة من سيول جارفة وأضرار - جبر الله مصابهم - إلا أن مكة المكرمة ومشاعرها المقدسة لم يلحقها أي أذى ولم يسجل أدنى إصابة أو خسارة ، بل كان نصيبها مطراً هنيئاً وسقيها ماءً مريئاً .. فكان رحمةً وفرحاً وسروراً ..

فمن الذي أنعم ؟ ومن الذي أعطى وقسم ؟ من الذي لطف وستر ؟ إنه الله الكريم بل إن هذا الموسم كان مثالا متكاملا للسكينة والأمن والأمان ، وأطفاً الله الفتنة عن المسلمين وكفى شر كل ذي شر ؛ فله الحمد أولاً وآخرها ، وله المنه والفضل ..

نسأله - تعالى - أن يوزعنا شكر نعمه ، وأن يثيب كل من عمل لخدمة بيته الحرام وحجاجة الكرام .

كما نحمد الله - تعالى - أبلغ الحمد على شفاء ولي العهد ورجوعه إلى وطنه وأهله ومحبيه ، ونسأل الله الكريم أن يتم عليه عافيته وأن يمد في عمره على طاعته .. لا بأس عليه طهوراً إن شاء الله .

ثم صلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال - سبحانه - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦) ﴿ ٣٦٩ ﴾ .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين ، اللهم من أرادنا وأرادنا بلادنا وديننا بسوءٍ فأشغله بنفسه ورد كيده في نحره واجعل دائرة السوء عليه يا رب العالمين .

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم انصر من نصر الدين واخذل الطغاة والملاحدة والمفسدين ..

اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان يا رب العالمين ، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك . اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك ..

اللهم رد عنا كيد الكائدين وعدوان المعتدين وفتنة الضالين ، اللهم إنا ندرأ بك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم ..

اللهم انشر الأمن والإيمان والرخاء في بلادنا وبلاد المسلمين .

اللهم وفق ولي أمرنا خادم الحرمين الشريفين لما تحب وترضى وخذ به للبر والتقوى ، اللهم وفقه وولي عهده ونائبه الثاني لما فيه صلاح العباد والبلاد ، اللهم احفظهم ووفقهم للصالحات وهبى لهم البطانة الصالحة يا رب العالمين .

اللهم وكما حفظت حجاج بيتك الحرام اللهم وكما حفظت حجاج بيتك الحرام اللهم فتقبل منهم وأشركننا في أجرهم ، وأوصلهم إلى ديارهم سالمين .

اللهم فرِّج هم المهمومين من المسلمين ، ونفِّس كرب المكروبين ، وفك أسر المأسورين ، واقض الدين عن المدينين ، واشف برحمتك مرضانا ومرضى المسلمين .
اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يرضيك آمالنا يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم اجعل هذا العام فاتحة خير على المسلمين ، اللهم اجعله عام خصب ورخاء وخير ونماء وبركة على الإسلام والمسلمين يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام ..
اللهم أصلح فيه أحوال المسلمين ، وأرغد عيشهم ، وارفع بلاءهم ، وأصلح قادتهم ، واجمعهم على الكتاب والسنة يا رب العالمين .

ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم ولجميع المسلمين .

اللهم لك الحمد على ما أنعمت به من الخيرات والأمطار ..

اللهم زدنا ولا تنقصنا ، اللهم إنا نسألك المزيد من فضلك ورحمتك وبركتك ، اللهم أغثنا واجعل ما أنزلته قوة لنا على طاعتك وبلاغاً إلى حين ، اللهم أغثنا واجعل ما أنزلته قوة لنا على طاعتك وبلاغاً إلى حين ..

اللهم اجبر مصاب المصابين في جدة ، وارحم موتاهم ، واشف مريضهم ، وأغن فقيرهم ، واخلف عليهم بخير .

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .
سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

عنوان الخطبة : فضيلة الصدق

تاريخ إلقاء الخطبة : التاسع والعشرون من محرم من عام ١٤٣١هـ

– فضيلة الصدق –

الخطبة

أول

الحمد لله .. ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي
الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَتَرَلُّ مِنَ السَّمَاءِ
وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢) ﴾ ٣٧٠ ..

سبحانه وبحمده يعلم خبايا النفوس وإسرارها ، ويكشف خفايا القلوب وأسرارها :
﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) ﴾ ٣٧١ ويحصى حصائد الألسن فينشرها يوم
النشور .. يثبت ويكتب ثم يحاسب فيغفر أو يعذب .

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى
الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فإن التقوى خير وصية وخير لباس وأكرم سجية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ
فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١) ﴾ ٣٧٢ .

رحم الله امرأً أصلح من لسانه وأبصر من عنانه ، وألزم طريق الحق مقوده ، ولم
يُعوّد الخطأ مفصله .

أيها المسلمون : حديث اليوم حديث عن خلة هي سيدة الأخلاق وجامعة الفضائل
ورأس الشمائل تمدح الله بها في كتابه فقال - سبحانه - : ﴿ ... وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً

370 سورة سبأ

371 سورة غافر

372 سورة الأحزاب

(٨٧) ﴿٣٧٣﴾ ، ... وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴿٣٧٤﴾ ، وقال : ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ .. (٩٥)﴾ ﴿٣٧٥﴾ ..

وصف الله بالصدق رسله وأنبياءه وأصفياه وأوليائه فقال - سبحانه : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٤)﴾ ﴿٣٧٦﴾ ، وقال لعباده أجمعين : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)﴾ ﴿٣٧٧﴾ .

أيها المسلمون : صفة الصدق ليست نفلاً ولا خياراً .. إنها فريضة على المسلم وسجية للمؤمن ، والذي يجب أن يكون باطنه وظاهره سواء في الصدق والوضوح والطهارة والصفاء ..

ومع بساطة هذه الصفة وإجماع الخلق عليها إلا أننا اليوم أحوج ما نكون إلى التواصي بالالتزام بها في خضم أزمة الأخلاق التي يعاني منها الكثير لأسباب يأتي في مقدمها : ضعف الإيمان ، وضعف التربية ، والتهافت على الدنيا .

الصدق - أيها المؤمنون - محمّدة في الدنيا والآخرة وعلامة التقوى وسبب لتكفير السيئات ورفع الدرجات ، وكل ذلك مجموع في قول الله - عز وجل - : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيَكْفِرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٥)﴾ ﴿٣٧٨﴾ أما في يوم الجزاء فاسمع قول الله - تعالى - : ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ

373 سورة الأحزاب

374 سورة النساء

375 سورة آل عمران

376 سورة مريم

377 سورة التوبة

378 سورة الزمر

يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) ﴿٣٧٩﴾ .

الصدق فضل ونبل ودرب مضيء ونفس سامية ، وصاحبه موفقٌ أبداً لكل خير ،
وتأملوا أيها المسلمون لهذا الحديث : عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي -
صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " إِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى
الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ
الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا " رواه البخاري
ومسلم ، وفي رواية لمسلم : " ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله
صديقًا ، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا " .

إن الصدق هادٍ لكل بر قائدٌ لكل خير .. آخذٌ بصاحبه في مسالك الهدى حتى يدخله
الجنة ، كيف لا وهو صادق اللهجة ؟ كيف لا وهو صادق اللهجة صادق الحال متحررٌ للحق
في كل الأقوال والأفعال ؟

إنه يصدق ويتحرى الصدق ويلتزمه ويحتاط له ويزن كلماته ويتباعد عن الخطأ ويتخرج من
الزلل .. فلا تنطوي نفسه على خبيثة أو خيانة حتى يكتب عند الله صديقًا ..

وأي منزلةٍ يروجوها المسلم بعد هذا ؟ إنهم رفاق الأنبياء والشهداء ﴿... فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (٦٩)

﴿٣٨٠﴾ .

أيها المسلم : وحتى يتبين لك أثر الصدق في القلب وبأي شيء استحق الصادقون
مرافقة الأنبياء فتأمل أيضاً هذا الحديث الصحيح ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن
النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكْذُرُ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ ،

وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا ، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ "

الحديث رواه البخاري ومسلم ..

تأمل .. الرؤيا الصادقة جزء من النبوة ، وتكون في القلب الصادق الذي سما وتطهر فاستضاء واستنار بنور الله ففُتِحَتْ لَهُ سُدُفُ الْغَيْبِ وَأَعْلَمَهُ اللهُ بِمَا شَاءَ .

أيها المسلمون : من لزم الصدق في صغره كان له في الكبر أَلْزَمَ ، ومن اعتصم به في حق نفسه كان في حق الله أعصم ، ومن تحرى الصدق هُدي إليه وطابت نفسه وطهرت سريرته وأضاء قلبه .

عباد الله : إنه لا يصح التهاون في هذا المبدأ .. فهو أساسٌ في ديننا ، وقد كان عنواناً لقدوتنا وأسوتنا محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - والذي كانت حياته أفضل مثال للإنسان الكامل الذي اتخذ من الصدق في القول والأمانة في المعاملة خطأ ثابتاً لا يجيد عنه قيد أملة ، وقد كان ذلك فيه بمثابة السجية والطبع فُعِرِفَ به حتى قبل البعثة ولُقِّبَ بالصادق الأمين .. واشتُهِرَ بهذا وعُرِفَ به بين الناس ، ولما أُمِرَ بالجهر بالدعوة وتبليغ الرسالة جمع الناس وسألهم عن مدى تصديقهم له إذا أخبرهم بأمر .. فأجابوا بما عرفوا عنه قائلين : ما جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا .

وانظر إلى هذا الموقف من حياة كلها صدقٌ ونبلٌ ووفاء .. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْحَمَّاسِ ، قَالَ : " بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْعٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ ، وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ ، فَنَسِيتُ ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلَاثٍ ، فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ ، فَقَالَ : يَا فَتَى ، لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ أَنَا هَاهُنَا مُنْذُ ثَلَاثٍ أَنْتَ ظَرُكُ " رواه أبو داود ..

ثلاثة أيام وهو يأتي في نفس الموعد إلى المكان المتفق عليه وفاءً وصدقاً .

واستمر هذا المبدأ الراسخ معه منذ طفولته حتى توفي - صلى الله عليه وسلم - لم يكذب كذبةً واحدة ، بل كان الكذب أبغض خلقٍ إليه .. قَالَتْ عَائِشَةُ : " مَا كَانَ خُلُقُ

أَبْغَضَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْكَذِبِ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْذِبُ عِنْدَهُ الْكَذْبَةَ ، فَمَا يَزَالُ فِي نَفْسِهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَحْدَثَ مِنْهَا تَوْبَةً " أخرجه الإمام أحمد وابن حبان .

ذلكم أن الكذب - يا عباد الله - صفةٌ دنيئةٌ وخلقٌ لئيم ، وقد يكون للبخیل أو الجبان ما يعذره .. لكن ليس للكذاب عذر ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ ، أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : أَيْكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقِيلَ لَهُ : أَيْكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقِيلَ لَهُ : أَيْكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا ؟ قَالَ : لَا .

رواه الإمام مالك في الموطأ ، وفي سننه مقال ..

وبعضه ويبينه الحديث الآخر في مسند الإمام أحمد : عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ " (إلا الخيانة والكذب) .

قال النووي - رحمه الله - : " قد تظاهرت نصوص الكتاب والسنة على تحريم الكذب في الجملة ، وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب ، وإجماع الأمة منعقدٌ على تحريمه مع النصوص المتظاهرة " ، ثم قال - رحمه الله : " ويكفي في التنفير منه الحديث المتفق على صحته : عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ " .. : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

" أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةً مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا : إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ " رواه البخاري ومسلم .

الكذب يُنقص الإيمان .. قال الله - عز وجل - : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ... ﴾ ٣٨١ بل إن الكاذب معرضٌ لللعن : ﴿ ... ثُمَّ نَبْتِهَلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (٦١) ٣٨٢ .

الحُرْس خيرٌ من الكذب وصدق اللسان أول السعادة ، وما من شيء إذا فكرت فيه بأذهب للمروءة والجمال وأبعد بالبهاء من الرجال من الكذب .. فالكذب جماع كل شر وأصل كل ذنب وصغيره يجر إلى كبيره ..

وقد قالت الحكماء : " مَنْ استحلّى رضاعَ الكذبِ عسرَ فطامه " ؛ لذلك كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يذمه مهما كان يسيرا ، ويُنفّر من الكذب حتى على الصغار لأجل أن يشبوا على الصدق ويألفوه ويتباعدوا عن الكذب ويأنفوه .. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ: دَعَنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَمَا أَرَدْتَ أَنْ تُعْطِيَهُ؟ » .

قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكَ كَذِبَةٌ » .

رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح .

فانظر (فانظر) كيف يعلم الرسول - صلى الله عليه وسلم - الآباء والأمهات أن ينشئوا أولادهم تنشئةً يقدسون فيها الصدق ويتزهون عن الكذب ، ولو أنه تجاوز عن هذه الأمور وحسبها من التوافه الهينة لخشي أن يكبر الأطفال وهم يعتبرون الكذب ذنبا صغيرا وهو عند الله عظيم .

وقد صارت هذه الصرامة في تحري الحق ورعاية الصدق حتى تناولت الشئون المتزلية الصغيرة .. عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ ، قَالَتْ : كُنْتُ صَاحِبَةً عَائِشَةَ النَّبِيِّ هَيَّأَتْهَا وَأَدْخَلَتْهَا عَلَى

381 سورة النحل

382 سورة آل عمران

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعِيَ نِسْوَةٌ ، قَالَتْ : فَوَاللَّهِ مَا وَجَدْنَا عِنْدَهُ قِرْىَ إِلَّا قَدَحًا مِنْ لَبَنٍ ، قَالَتْ : فَشَرِبَ مِنْهُ ، ثُمَّ نَاولَهُ عَائِشَةُ ، فَاسْتَحْيَتْ الْجَارِيَةَ ، فَقُلْنَا : لَا تَرُدِّي يَدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، خُذِي مِنْهُ ، فَأَخَذَتْهُ عَلَى حَيَاءٍ ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : نَاولِي صَوَاحِبِكَ " ، فَقُلْنَا : لَا نَشْتَهِيهِ ، فَقَالَ : " لَا تَجْمَعْنَ جُوعًا وَكَذِبًا " ، قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ قَالَتْ إِحْدَانَا لَشَيْءٍ تَشْتَهِيهِ لَا أَشْتَهِيهِ ، يُعَدُّ ذَلِكَ كَذِبًا ؟ قَالَ : " إِنْ الْكَذِبَ يُكْتَبُ كَذِبًا حَتَّى تُكْتَبَ الْكُذِبَةُ كُذِيبَةً " أخرجه الإمام أحمد والطبراني في الكبير .

إنه لا قهوان في مبدأ الكذب حتى ولو كان للتسلية أو المزاح .. عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده - رضي الله عنهم - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " ويلٌ للذي يحدثُ بالحدثِ ليُضحكَ به القومَ فيكذب .. ويلٌ له .. ويلٌ له " رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي ، وقال الترمذي : حسنٌ صحيح ..

ولفظ أبي داود : " ويلٌ للذي يحدثُ فيكذب ليُضحكَ القوم .. ويلٌ له .. ويلٌ له " . فإذا كان هذا فيما يستسهل فما ظنك بأشنع الكذب .. وهو الكذب على الله أو على رسوله ! قال الله - عز وجل - : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ ... ﴾ ٣٨٣ وقال صلى الله عليه وسلم : " مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " متفق عليه .

يلي ذلك ما كان ضرره عاما (يلي ذلك ما كان ضرره عاما) كالكذب الذي يطال مصالح الأمة وقضاياها الكبار أو يحدث بلبلة في صفوف المجتمع وينشر الفوضى ويعدم الثقة ويلبس الحق بالباطل ؛ سيما مع وجود وسائل النشر العامة وسرعة انتشار المعلومة .. فتجد شبكة معلومات تطلق الإشاعات ، وترى إعلاما يكذب وصحفا تحرض فيعز الصدق وسط هذا الركام (فيعز الصدق وسط هذا الركام) ، وإذا اختلطت الحقائق سار الناس على غير هدى ، وقد رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - عذاب من ينشر كذبه فقال : " وَأَمَّا

الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشْرُشِرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ ، فَإِنَّهُ
الرَّجُلُ يَغْدُو إِلَى بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ . " رواه البخاري .

وربما يأتي الكذب من مصدر يعتقد السامع صدقه فيبني عليه مواقفه فيحصل من البلاء
والضرر ما لا يعلمه إلا الله ، وربما هدمت بيوت وشتت أسر أو أريقتم دماء لأجل نقل
كاذب أو وشاية غادرة ، وفي الحديث : " كَبُرَتْ خِيَانَةٌ أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ
مُصَدِّقٌ ، وَأَنْتَ لَهُ كَاذِبٌ " رواه أبو داود .

عباد الله الصدق بركة والكذب محق ، وعند البيع والشراء يحضر الطمع ويقل الورع
؛ لذا كان التوجيه الكريم واعظا في هذا المقام .. عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْبَائِعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَنْفَرَقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ،
وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِيتْ بَرَكَةٌ بَيْنَهُمَا " رواه البخاري ومسلم .

وقد بوب البخاري في صحيحه لهذا الحديث بقوله (باب ما يحق الكذب والكتمان
في البيع) .

وعن رفاعه - رضي الله عنه - : أنه خرج مع النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى
المصلى فرأى الناس يتبايعون ، فقال : " يا معشر التجار ، فاستجابوا لرسول الله - صلى
الله عليه وسلم - رفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه ، فقال : إن التجار يُبعثون يوم القيامة فجارا
إلا من اتقى الله وبرَّ وصدق " رواه الترمذي وابن ماجه ، وقال الترمذي : هذا حديث
حسن صحيح .

ألا فاجعلوا الصدق لكم شعارا ودثارا ، والزموه إعلانا وإسرارا يجعل الله التقوى في
قلوبكم والتوفيق والنور في دروبكم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ
(١١٩) ﴾ ٣٨٤ .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعنا بهدي سيد المرسلين .
أقول قولي هذا وأستغفر الله - تعالى - لي ولكم .

الخطبة

الثانية

الحمد لله على إحسانه .. والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صَلَّى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

أيها المسلمون فأطّر النفس على الصدق وإلزامها به ومراقبة الله - تعالى - في السر والعلن والتزام التقوى دوافع للإنسان أن يكون الصدق له سجية ..
إشاعة الصدق في المجتمع ونبد الكذابين - خاصة في وسائل النشر العامة ومصادر التلقي - واجب على المجتمع ..

إنه من السيئ أن يعتاد الناس على من يكذب ويبقى حاضراً مؤثراً بقلمه أو لسانه أو وسيلته الإعلامية .. إنه قد يوجد في أي مكان من يكذب .. لكن لا يجوز أن يبقى الكذب أو يعتاد على وجوده .

لقد كانت الشريعة حاسمة في هذا الجانب ، وكان من عقوبة القاذف في القرآن العظيم الجلد والتشهير بالفسق ، وقال الله أيضاً : ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ... ﴾ ٣٨٥ ..
إنه حجرٌ على وباء وإقصاءٌ لداء ، كما أن للقدوة تأثيراً كبيراً في هذا الجانب ، وكم يغفل الأب أو الأم أو المعلم حين يتساهل في الصدق ولا يشعر أن الناشئ يلتقط منه بوعي أو بدون وعي ويتربى على هذا الخلق أو ذاك .

الصدق ثقافة مجتمع ومسئولية كل فرد .. " وهل يكبُّ الناسُ في النَّارِ على وجوهِهِم إلا حصائدُ ألسنتِهِم " .

هذا ، وصلُّوا وسلِّموا على خير البرية وأزكى البشرية محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي ، اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ على عبدك ورسولك محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغرِّ الميامين ، وارضَ اللهم عن الأئمة المهديين والخلفاء المرضيين - أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي - وعن سائر صحابة نبيك أجمعين ، ومن سار على نهجهم واتَّبع سنتهم يارب العالمين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين . اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين ..

اللهم آمنا في أوطاننا . اللهم آمنا في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا وولي أمرنا ..

اللهم وفق ولي أمرنا خادم الحرمين الشريفين لهداك ، واجعل عمله في رضاك ، وهيئ له البطانة الصالحة واصرف عنه بطانة السوء يارب العالمين ..

اللهم وفق ولي عهده لما تحب وترضى ، اللهم وأتم عليه لباس الصحة والعافية ، اللهم وفق النائب الثاني لما فيه الخير للعباد والبلاد ، واسلك بهم سبيل الرشاد ، اللهم كن لهم جميعاً موفقاً مسدداً لكل خير وصلاح .

اللهم ادفع عنا الغلا والوباء والربا والزنا والزلازل والخن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن . اللهم احفظ ديارنا وآمن حدودنا ، وانصر المرابطين على ثغورنا .

اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ، اللهم احقن دماءهم وآمنهم في ديارهم ، وأرغد عيشهم وأصلح أحوالهم ، واكبت عدوهم . اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان .. اللهم انصرهم في فلسطين ، اللهم انصر المrapطين في أكناف بيت المقدس ، اللهم اجمعهم على الحق يارب العالمين .

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك .

اللهم يارب العالمين عزّ جارُك وجلّ ثناؤك وتقدست أسماؤك .. يا من لا يُهزم جنْدُك ولا يُخلف وعدك سبحانه وبحمْدك .. اللهم قد طال ليل الظالمين .. اللهم إن الصهاينة قد بغوا وطغوا وأسرفوا في الطغيان .. اللهم هبّ لهم يداً من الحق حاصدة تكسر شوكتهم وتستأصل شأفتهم ، اللهم أنزل بهم بأسك ورجزك إله الحق ، اللهم لا تُقم لهم راية ولا تحقّق لهم غاية واجعلهم لمن خلفهم آية ، اللهم اهزمهم وزلزلهم وانصرنا عليهم يارب العالمين .

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، اللهم اغفر ذنوبنا واستر عيوبنا ويسرّ أمورنا ، وبلغنا فيما يرضيك آمالنا .
ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم إنك سميع الدعاء .

نستغفر الله . نستغفر الله . نستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوب إليه ..
اللهم أنت الله لا إله إلا أنت .. أنت الغني ونحن الفقراء .. أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم أغثنا . اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا غيثاً هنيئاً مريئاً سحاً طبّقاً مجللاً عامّاً نافعاً غير ضار .. تحي به البلاد وتسقي به العباد وتجعله بلاغاً للحاضر والباد ، اللهم سقيا رحمة .
اللهم سقيا رحمة ، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا بلاد ولا هدم ولا غرق ..

اللهم إن بالعباد والبلاد من الحاجة والأواء ما لا يكشفه إلا أنت .. اللهم فأعطنا ولا تحرمنا وزدنا ولا تنقصنا ، اللهم أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلته قوةً على طاعتك وبلاغاً إلى حين .

عباد الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٩٠) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴿٣٨٦﴾ .

عنوان الخطبة : الفتنة والابتلاء سنة جارية في الأولين والآخرين

تاريخ إلقاء الخطبة : الخامس من ربيع الأول من عام ١٤٣١هـ

– الفتنة والابتلاء سنة جارية في الأولين والآخرين –

الخطبة
أول

—

الحمد لله .. الحمد لله الذي له الجلال والجمال والكمال ، له الأسماء الحسنى والصفات العلاء وهو الكبير المتعال ، أنعم على خلقه بشرعه ، وجعل القلوب مخاطبات بوحيه ، فمنها ما

اطمأنت ومنها التي ولت فولَّها - سبحانه - ما تولت ، ومنها التي دلت ثم زلت فمنه - سبحانه - يُرجى الثباتُ في الحياة وعند التزع وفي القبر بعد الممات .

أحمد - سبحانه - وهو للحمد أهلٌ ، وأسأله العفو والصفح وهو ذو المنة والفضل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه - وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد .. فاتقوا الله - تعالى - حق التقوى ، وأخلصوا له في السر والنجوى .. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٣٢) ﴿ ٣٨٧ ﴾ .

حقيقٌ بمن اتقى الله أن يعلم أن الله يومئذٍ يُكفِّرُ ما في الضمائر ؛ فرحم الله من الأهوال وتشهد الجوارح والأوصال ، وتبلى السرائرُ ويُكشفُ ما في الضمائر ؛ فرحم الله من عمل لآخرته ولم تُلْهه الدنيا عن الآخرة الباقية .

أيها المسلمون : لما خلق الله الأرض ودحاها ووضع فيها زينتها وقدر فيها أقواتها أسكنها خلقه من الجن والإنس ، وحتى يتم نعمته ويقيم حجته والى فيهم النبوات وأنزل فيهم الشرائع وبعث إليهم الرسل ، وجعل الهدى والنور الذي جاء به الأنبياء هو تاجُ نعمه وذروة سنام فضله ، فلا زينة الدنيا ولا ممالك الأرض ولا خيرات الحياة ولا كنوزها تعدلُ نعمة الهدى والنور الذي جاء به رسل الله من لدنه ؛ إذ كيف تساوي هداية السماء بمتاع الأرض ؟! وكيف يقايس ما عاقبته الحسنى وجنة الخلد بما مآله الفناء والزوال ؟!

وجعل الله حملة ميراث الأنبياء ومعتقي شرعة السماء هم خيار أهل الأرض في الأرض ؛ فهم الذين خالط وحي الله شغاف قلوبهم ، واستضاءوا بنور الله في دروبهم ، وهم الذين ذلت جوارحهم وانقادت نفوسهم لشرع الله .

عباد الله : ولما كان دينُ الله عزيزاً وشريعته غالية ، فإنه لا يستحق حملها إلا خيارٌ من خيار ، فكانت الابتلاءاتُ ونحن تعرض للمؤمنين والأذية والفتن تحيط بالمصدقين حتى لا يبقى على الدين إلا من يستحقه وليعلم الله الذين صدقوا ..

الفتنة والابتلاء سنة جارية في الأولين والآخرين .

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) ﴾ ٣٨٨ .

إن الإيمان ليس مجرد كلمة تقال ، بل هو حقيقة ذات تكاليف وأمانة ذات أعباء وجهادٌ يحتاج إلى صبر ، والله - تعالى - يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء ، ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو معلومٌ لله - تعالى - فيحاسب الناس على ما يقع من عملهم ؛ فهو فضل من الله وعدل وتربية للمؤمنين وصقل .

والفتن والابتلاءات أنواعٌ وصور : ﴿ ... وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ... ﴾ ٣٨٩ ، فمنها السراء والضراء ، ومنها الفتنة بانتشار المنكرات وغلبة الأهواء ، وكثرة الدعاة على أبواب جهنم وكثرة الاختلاف ، وخلط الحق والباطل ، ومن الفتنة أن يتعرض المؤمن للأذى من الباطل وأهله ثم لا يملك النصر لنفسه ولا المنعة ، ومن الفتنة أن يعيش المؤمن بدينه كالغريب بين الناس .. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " بَدْءُ الْإِسْلَامِ غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدْءُ ؛ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ " .. رواه مسلم .

أيها المسلمون : الحديث عن الثبات وقت المحن والصبر في البلاء والفتن حديثٌ موجه إلى عموم المؤمنين من الأخيار والصالحين والدعاة وطلبة العلم والاحتسين حين يتسرب الوهن والإحباط إلى بعض المسلمين ، ويرون تسلط الأعداء والمرجفين ، ومن يُشعل فتيل الخلافات ويثير النزاعات ويطرحون الأفكار الغريبة المشتتة ..

388 سورة العنكبوت

389 سورة الأنبياء

وإذا كان أثرُ العلماء والمصلحين ظاهراً في تسكين الناس وتشبيتهم على الحق حين الشدائد وكثرة الفتن .. فإن ثمة مرجفين يجدون في أوقات ضعف الأمة وتكالب الأعداء عليها فرصاً لترويح باطلهم وتشكيك الناس في عقائدهم ؛ يسخرون من الدين ويلمزون المطوعين من المؤمنين ، ويسهمون في إحباط الأمة وتحاذلها وتمييع مبادئها لتضييع هويتها ..

لا تَحْذُوا حَذْوَ عَصَابَةِ مَفْتُونَةٍ
يَجِدُونَ كُلَّ قَدِيمٍ أَمْرًا مَنَكْرًا

وَلَوْ اسْتَطَاعُوا فِي الْمَجَامِعِ أَنْكُرُوا
مَنْ مَاتَ مِنْ آبَائِهِمْ أَوْ عُمَرَا

مَنْ كُلِّ مَاضٍ فِي الْقَدِيمِ وَهَدْمِهِ
وَإِذَا تَقَدَّمَ لِلْبِنَايَةِ قَصْرًا

أيها المسلمون ، أيها الأخيار والصالحون : لقد قص الله علينا في كتابه ، وروى لنا رسوله في سنته من سير الأمم السابقة وأتباع الديانات السالفة ، وقوة اطمئنان القلب لما جاء عن المرسلين على كثرة الصوارف وشدة بأس المخالف ما يبين معه أن إيمانهم لو وُزِنَ بالجمال لرجح بها ، فهذا يُنشرُ بالمنشار من رأسه إلى قدميه ما يتزحزح عن دينه ، وأولئك تُحَدِّدُ لهم الأخاديدُ فتُسَجَّرُ بالنار ثم يقذفون فيها ..

كما ضرب لنا نبينا محمدٌ - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام أروع الأمثلة في الثبات على الدين ؛ مما أوصل لنا الدين كاملاً والعقيدة نقية صافية حتى اعتنقها ملايين البشر وعمَّت السهل والوعر .

وفي كل زمان فتنة وابتلاءات ، ومع ذلك يبقى الدينُ ويبقى الخير ، وفي زماننا هذا -
ويالزماننا !! زمن زلزلة المفاهيم وخلخلة الثوابت وتقلب الآراء وانتكاس المبادئ .. زمن
إعادة النظر في كل شيء ديني وإرث عقدي .. زمن السخرية من الدين وأهله وانتقاص
الشريعة وحملتها ، حتى كثر المتساقطون على الطريق واستحكم اليأس في بعض النفوس ؛
فصار الباعثُ على إعادة

النظر في بعض أحكام الشريعة المستقرة ليس دليلاً راجحاً أو مأخذاً واضحاً ، إنما الباعث
ضغط الواقع أو اتباع الهوى ومسايرة الناس .

أيها المسلمون .. أيها المؤمنون .. أيها الأخيار والصالحون : المؤمن لا يهن ولا يحبط ولا
يستكين ولا ييأس ولا يستوحش من الطريق لقلة السالكين ، ولا ينظر إلى الهالك كيف
هلك ، بل ينظر إلى الناجي كيف نجا .

إننا اليوم أحوجُ ما نكون إلى الفأل والعمل والبشارة وتحفيز الهمم ومعرفة السنن .. سنن الله
في أوليائه وأعدائه ، سنن الإدالة والنصر والمد والجزر ؛ حتى يطمئن مؤمن ولا يغتر فاجر ،
ولئلا يكون كثرة الباطل مدعاةً لليأس والقنوط ، وقد قال الله - تعالى - لنبيه - صلى الله
عليه وسلم - : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠٣) ٣٩٠ وقال : ﴿ ...
وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (١٣) ٣٩١ وقال - سبحانه - : ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي
الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾ ٣٩٢ .

لا يجوز أن يضعف صاحب الحق أو يهين ؛ فإن لهذا الدين إقبالا وإدبارا وامتداداً وانحساراً ..
ضعف وقوة وفرقة واجتماع وغربة وظهور وابتلاء وتمكين .. ينطق بذلك وحي السماء
ويؤيده تاريخُ البشر ..

390 سورة يوسف

391 سورة سبأ

392 سورة الأنعام

وفي الخبر المتفق عليه .. قال هرقل لأبي سفيان : " هل قاتلتموه ؟ قال : نعم ، قال : فكيف الحرب بينكم ؟ قال : سجال .. يُدال علينا مرةً ونُدالُ عليه أخرى ، قال : كذلك الرسلُ تُبتلى ثم تكون لهم العاقبة " .

حكمةٌ بالغة وسنةٌ ماضية : ﴿... فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (٤٣) ﴿٣٩٣﴾ ، ﴿... وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ...﴾ ﴿٣٩٤﴾ .

أخرج الترمذي بإسناد صحيح : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ " ، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ أَقْتَرَبَ ، فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، يَبِيعُ قَوْمٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ ، الْمُتَمَسِّكُ يَوْمَئِذٍ بِدِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ " أو قال : " على الشوك " حديث صحيح رواه الإمام أحمد .

إنها ابتلاءاتٌ وإدالاتٌ ، والشدائد كاشفات لأصحاب النفوس كبيرة .. والذين لا تزيدهم إلا صبراً ويقيناً وحزماً وعزماً .

إخوة الإسلام .. إخوة الإيمان : إننا بحاجة إلى تجديد الإيمان في قلوبنا وفي أعمالنا ؛ سيما في وقت الشدائد والفتن : معاني الإيمان واليقين وحسن الظن بالله والتسليم ، والصبر ، وصدق الولاء ، والتضرع لله والدعاء ، وحسن المجاهدة وتهذيب النفوس وإصلاحها ، والعبودية لله والاستعانة به وحسن التوكل عليه ، والعمل بجدٍّ وفأل ، وتوحيد الصف وجمع الكلمة ، ومدافعة الباطل بلا يأس .

393 سورة فاطر

394 سورة آل عمران

وكل هذه المعاني حققها المؤمنون السابقون في مثل تقوي العزائم وتشحذ الهمم ، وقرأوا ما قص الله في القرآن من سيرة الرسل الكرام حتى قال الله - تعالى - في الختام : ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٢٠) ﴿ ٣٩٥ 》 .

قال الماوردي - رحمه الله - : " أي نقوي به قلبك وتسكن إليه نفسك ؛ لأنهم بلوا فصبروا ، وجاهدوا فظفروا " .. انتهى كلامه - رحمه الله - .

واقرأ في سيرة الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - وكيف كان الفأل والعمل في أحلك الظروف والمواقف :

فبيشر بظهور الدين وهو طريد بين مكة والطائف - كما أخرجه ابن سعد في (الطبقات) - ويعد سُرَاقَة بسواري كِسرى وهو مُطارِدٌ في الهجرة ، وتحاصر المدينة بعشرة آلاف مقاتل وتنقض اليهود عهدها ؛ فيبشر ببشارته الثلاث عند ضربه الصخرة التي عرضت - كما في صحيح البخاري - .

ودرج الصحابة - رضي الله عنهم - وترَبَّوا على هذه المثل ، فهذا أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يقف في أحلك المواقف حين ارتدت العربُ ووقف جيش أسامة بين خطر الروم وبلاء المرتدين ، فيثبت أبو بكر وحده حتى يثبت الله المؤمنين ، وينفذ للروم جيش أسامة ، ويقا تل المرتدين في اليمامة ، ويحفظ الله الدين بمواقف المؤمنين .. إن الثبات يحتاج إلى عزيمة وجد وإيمانٍ و يقين .

أيها المؤمنون : وللدعاء أثرٌ عظيم في الثبات والنصر ، والاستعاذة من الفتن واردة في الصحيحين ، وفي الحديث المتفق عليه : " وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ " .. وما انتصر النبي - صلى الله عليه وسلم - في بدر حتى سقط رداؤه من على منكبه دعاءً وتضرعا .

والعلم النافع يميّز به المسلمُ بين الحق والباطل حين تلبس الأهواء ، والسير في ركاب جماعة المسلمين أمنٌ من الفتنة ، كما في حديث حذيفة المُخرَج في الصحيحين .

ومن سيماء المؤمنين : الثبُتُ من الأخبار .. خاصة فيما يتعلق بالدين وحملته ، أما التَّخَوُّص في الباطل واعتماد أخبار الفساق والاتكاء على الحكايات والقصص الغريبة فذلك شأن الجهلة والغوغاء .

عباد الله : إن مرحلة الضعف والانحسار تدعو إلى إعادة بناء الأمة وتسهم في مراجعة حالها مع ربها ، وكلما اشتدت الفتن وتلاحقت كلما اشتدت الحاجة للعبادة حيث ينشر صدر المؤمن ويطمئن قلبه ، ويحرسه الله من وسوسة الشياطين وإغوائهم .

والعبادة وقت الفتن هي وصية النبي - صلى الله عليه وسلم - لأُمته حيث قال : " **بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا** " رواه مسلم ، وقال - صلى الله عليه وسلم - : " **الْعِبَادَةُ فِي الْمَرْجِ كَهَجْرَةِ إِيَّيَّ** " رواه مسلم .

فرقٌ بين من يتخوض في لُجَّة الفتن وبين من يركن إلى الله - تعالى - ويهاجر بقلبه إليه ، ويتملق بين يديه ويدعو إلى سبيله ويسعى إلى الإصلاح وتسكين الفتن وتثبيت الناس على الحق ودلالتهم عليه ، فرق بين من ينشر الخير ويزكيه وبين من ينشر العيوب والإحباط والتشيط ..

إنها سلبية لا تليق بالمسلم ، ومن قال : " هلك الناس فهو أهلكهم " ، والمؤمن - أبداً - قائم على سفينة المجتمع ألا تكثر خروقتها ، وليس عليه إلا السعي : ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ**

الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧) ﴾ ^{٣٩٦} ..

لقد قيل لمن هو خيرٌ منا : ﴿ **... إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ...** ﴾ ^{٣٩٧} ..

396 سورة هود

397 سورة الشورى

وقال من هو خيرٌ منا : ﴿... إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ...﴾ ٣٩٨ .

والمسلم يلزم نفسه بمجالس الصلاح ويهرب من مواطن الریب والفساد : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ...﴾ ٣٩٩ .

وجماع كل الوصايا .. وجماع كل الوصايا ما وصى الله - تعالى - به رسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - في آخر سورة الحجر .. حيث قال الله - سبحانه - : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٨٩) كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١) فَوَرَّبُّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)﴾ ٤٠٠ .

إن النبي - صلى الله عليه وسلم - بشرٌ لا يملك أن يضيق صدره وهو يسمع الشرك بالله والاستهزاء بدعوة الحق فيغار ويضيق بالشرك والانحراف ؛ لذلك يؤمر بالتسبيح والحمد والعبادة والثبات حتى يأتيه الأجل ، فيعرض عن الكافرين ويلوذ بجوار الرب الكريم ؛ ويؤمر بالصدع والبيان لأن الصدع بالحق والجهر به ضرورة في الدين لتنبه الفطرة الغافلة وتعلم الأمم اللاهية : ﴿... لِيَهْلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَن حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ...﴾ ٤٠١ .

398 سورة هود

399 سورة الكهف

400 سورة الحجر

401 سورة الأنفال

أما جعل العقيدة والشريعة عضين .. يُعرض جانب ويُوارى جانب مراعاةً للجماهير وأهواء الناس فهذا خلاف ما أمر به الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

والصدع بالحق لا يعني الغلظة المنفرة ولا الخشونة والتعالي ، كما أن الدعوة بالحسنى لا تعني إخفاء الحق وكتمانه .. إنه البيان الكامل في حكمةٍ ولطف ، ولينٍ ويسر : ﴿... وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨)﴾ ٤٠٢ .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعنا بسنة سيد المرسلين .. أقول قولي هذا وأستغفر الله - تعالى - لي ولكم .

الخطبة

الثانية

الحمد لله .. الحمد أول كتابه وآخر دعوى أحبابه ساكني دار ثوابه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له توحيداً وتقديساً لجنابه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه .

أما بعد أيها المسلمون : فإن الصبر وصية الله للرسول والأنبياء والصلحاء والأولياء : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٥)﴾ ٤٠٣ .
الصبر رفيق الدرب حين تظلم الدنيا ، والصبر منحة من الله للثبات على الحق ، وحين يغتر الدهماء بالباطل إذا تكاثروا واستشرفت له النفوس وتناولت له الأعناق : ﴿... إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ

وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) ﴿٤٠٤﴾ ، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ
بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)﴾ ﴿٤٠٥﴾ .

الصبر هو الواحة الخضراء لمن فقد الظل في الصحراء ، وفي خطاب الله لرسوله الكريم : ﴿
وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ
لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ (٣٤)﴾ ﴿٤٠٦﴾ ..

وبعد أن ذكر الله قصة نوح - عليه السلام - والذي دعا قومه عشرة قرون حتى نصره الله
قال الله - تعالى - لنبيه : ﴿... فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩)﴾ ﴿٤٠٧﴾ ..

وبعد المعارك الطاحنة في سورة (آل عمران) ونزال المشركين وجدال الكتابيين وذكر أحوال
المنافقين .. ختم الله السورة بقوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)﴾ ﴿٤٠٨﴾ .

وإذا علم الله صدق النوايا وتميز الصابرون الصادقون وانقطعت العلائق بأسباب الأرض
وتعلقت بالله القلوب تحققت سنة الله : ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا
جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ...﴾ ﴿٤٠٩﴾ ..

وأخيراً : ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣)﴾ ﴿٤١٠﴾ .

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ، ثم صلوا وسلموا على من أمركم الله
بالصلاة والسلام عليه ..

404 سورة يوسف

405 سورة السجدة

406 سورة الأنعام

407 سورة هود

408 سورة آل عمران

409 سورة يوسف

410 سورة الزخرف

اللهم صلّ على محمدٍ وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، وارض اللهم عن الأئمة الخلفاء - أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي - وعن صحابة نبيك أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، اللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين ، وأذل الشرك والمشرّكين ودمر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين .
اللهم آمنا في أوطاننا ، اللهم آمنا في دورنا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، اللهم هبّ لهم البطانة الصالحة الناصحة .

اللهم من أرادنا بسوء فأشغله في نفسه ورد كيده في نحره ، واجعل دائرة السوء عليه يارب العالمين .

اللهم أهلك الظالمين بالظالمين ، وأخرج أمة نبيك محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - من بينهم سالمين .

اللهم ادفع عنا شر الأشرار وكيد الفجار وشر طوارق الليل والنهار ، اللهم ادفع عنا الغلا والوبا والربا والزنا والزلازل والخن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن .

اللهم أصلح أحوال المسلمين . اللهم أصلح أحوال المسلمين . اللهم احقن دماءهم وآمنهم في أوطانهم ، وأرغد عيشهم ، واجمعهم على الحق والهدى يارب العالمين .

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم انصر المستضعفين من المسلمين ، اللهم انصرهم في فلسطين وفي كل مكان يارب العالمين ، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك .

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشدي عز فيه أهل طاعتك ويهدي فيه أهل معصيتك ، ويأمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر يا سمیع الدعاء .

اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم ولجميع المسلمين ، اللهم اغفر ذنوبنا . اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يرضيك آمالنا .

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت .. أنت الغني ونحن الفقراء .. أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين .

اللهم أغثنا . اللهم أغثنا . اللهم أغثنا غيثاً هنيئاً مريئاً سحاً غدقاً طبقاً مجللاً نافعاً عامماً غير ضار ياحي ياقيوم ياذا الجلال والإكرام ، اللهم تسقي به العباد وتحيي به البلاد وتجعله بلاغاً للحاضر والباد .

اللهم سقيا رحمة ، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا بلاء ولا هدم ولا غرق ياحي ياقيوم ياذا الجلال والإكرام . يا حي يا قيوم ياذا الجلال والإكرام .

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عنوان الخطبة : المسجد الأقصى فضله ومكانته

تاريخ إلقاء الخطبة : الثالث من ربيع الآخر من عام ١٤٣١هـ

— المسجد الأقصى فضله ومكانته —

الخطبة
أول

—

الحمد لله .. الحمد لله الذي في السماء تعالى وتقدس واصطفى من البقاع الحرمين الشريفين والبيت المقدس ، الحمد لله ولا يبلغ حمده حامد ، وأشكره على نعمه التي لا يعدها عاد ولا يحيط بها راصد .. الله الذي جعل الأيام دولاً والأمم بعضها لبعض آيات ومثلاً .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فاتقوا الله — تعالى — وراقبوه وأطيعوا أمره ولا تعصوه ، وما استجلبت الخيرات إلا بالطاعة وما محقت الأحوال إلا بالمعاصي والذنوب ، وإن العبد ليُحرم الرزق بالذنوب يصيبه

: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾^{٤١١} .

عباد الله : لقد أحب الله - تعالى - من خلقه واصطفى ما شاء من الرسل والأنبياء والبلاد والباق ..

وهذه حكاية مكان قدس الله وشرّفه وعظمه وكرّمه .. إنه (المسجد الأقصى) وقدهه المقدس وإرث الأمة الخاتمة الذي يسكن قلب كل مسلم .. ذكره الله في القرآن العظيم بلفظ التقديس والأرض المقدسة والمسجد الأقصى ، وباركه الله وبارك ما حوله ففاضت بركته الدينية والدنيوية حتى بورك الذي حوله لبركته ..

أقسم الله - تعالى - بشمرته فقال : ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ (١)﴾^{٤١٢} إشارة إلى (المسجد الأقصى) ، ثم أقسم بـ (طور سينين) الذي كلم فيه رسوله موسى - عليه السلام - ثم أقسم بـ (هذا البلد الأمين) مكة المكرمة .. مبعث الرسول محمد الخاتم وأتمته الوراثة .

وجاءت شريعة الإسلام بأعظم فروضها بعد التوحيد وهي (الصلاة) متوجهاً بها إلى بيت المقدس ؛ فصلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بيت المقدس بمكة ثلاثة عشر عاماً . وبعد الهجرة إلى المدينة أيضاً سبعة عشر شهراً حتى نزل القرآن آمراً بالتوجه إلى المسجد الحرام ، والذي ارتبط ارتباطاً أزلياً بالمسجد الأقصى ..

وهاكم في ذلك آية وحديثا .. أما الآية فقول الله - عز وجل - : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ...﴾^{٤١٣} .

وأما الحديث : فعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : " قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ قَالَ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ قَالَ قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ ثُمَّ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ يَعْنِي بَيْتَ الْمُقَدَّسِ قَالَ قُلْتُ كَمْ بَيْنَهُمَا قَالَ أَرْبَعُونَ سَنَةً " الحديث متفق عليه ..

411 سورة الأحزاب

412 سورة التين

413 سورة الإسراء

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " لا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ : الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ، وَمَسْجِدِي هَذَا " الحديث أخرجه البخاري ومسلم .

قال ابن تيمية - رحمه الله - : " بدأ الخلق والأمر من مكة المكرمة ، وجعل الله بيت المقدس وما حوله محشر خلقه ؛ فإلى بيت المقدس يعود جميع الخلق وهناك يحشر الخلق ؛ ولذا جاء في الحديث أنها (أرض المحشر والمنشر) .. فهو البيت الذي عظمته الملل وأكرمته الرسل وتليت فيه الكتب الأربعة المتزلة من الله - عز وجل - : الزبور والتوراة والإنجيل والقرآن " .

عباد الله : و (المسجد الأقصى) هو اسمٌ لجميع ما دار عليه السور من المباني والساحات والآثار ، وفي داخله المسجد الذي في صدره و (مسجد قبة الصخرة) ، ولقد كان المسجد الأقصى كله مزارا للأنبياء ومسرى لخاتمهم محمد - صلى الله عليه وسلم - وكلهم عظموه وأكرموه .

وقد ثبت ثبوتا قطعيا أن بين بناء البيت الحرام والمسجد الأقصى أربعين عاما ، ومن المعلوم أن بين إبراهيم - عليه السلام - باني الكعبة - وبين سليمان - عليه السلام - ما يقارب الألف عام ؛ مما يؤكد قطعا أن المسجد الأقصى بُني قبل سليمان بمئات السنين .. وإنما كان له شرف إعادة البناء والتجديد كما فعل ذلك أولياء الله من رسله وأنبيائه بمساجد الله ومواقع عبادته ، وكما فعل عمر بن الخطاب ومن بعده من خلفاء الإسلام .

ومن المقطوع به أن دين الأنبياء واحد وإن اختلفت تفاصيل الشريعة ؛ فكلهم يدعو إلى التوحيد وإلى إفرااد الله - تعالى - بالعبادة وطاعته في شرعه وأحكامه ..

وهذه الأحكام تتنوع من أمة إلى أمة ورسول إلى رسول ؛ لذا فإن كل نبي يرث أرض الله بكلمته ورسالته .. فهذا إبراهيم ولوط - عليهما السلام - وهما قبل يعقوب وإسحاق

وسليمان .. يقول الله عنهما : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٧١)
٤١٤ ..

قال الحسن : " هي الشام " ..

وقال قتادة : " كانا بأرض العراق فأنجيا إلى الشام ، وما نقص من الأرض زيد في الشام ،
وما نقص من الشام زيد في فلسطين ، وكان يقال هي (أرض المحشر والمنشر) وبها مجمع
الناس " ..

ومثل هذا قاله ابن جرير وابن تيمية وابن كثير - رحمهم الله - ونص ابن كثير : " إن الله سلم
إبراهيم منةً لقومه ، وأخرجه مهاجرا إلى بلاد الشام إلى الأرض المقدسة منها " انتهى .

وهكذا تبقى فلسطين - والمسجد الأقصى خاصة - مآلها لعباد الله المؤمنين قبل أن يولد
يعقوب وإسحاق ، ثم إنه بعد مئات من السنين أنجى الله - تعالى - بني إسرائيل من ظلم
فرعون مصر ، وهاجر بهم موسى - عليه السلام - من مصر إلى سيناء ..

وأمرهم بدخول الأرض المقدسة لكنهم أبوا وقالوا : ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا
قَاعِدُونَ ﴾ (٢٤) ٤١٥

ولم يجب موسى منهم إلا رجلان فقط ، وكتب الله - تعالى - عليهم التيه في الأرض أربعين
عاما .. توفي فيها موسى - عليه السلام - حتى خرج جيل آخر أكثر صدقا من آبائهم
فدخلوا الأرض المقدسة ..

وكتب الله عليهم الإخراج إذا أفسدوا في الأرض وطمغوا .. فكان ما كتبه الله ، وتوالى منهم
الكفران والطغيان حتى أُخرجوا وتشرذموا في الأرض بعد ثلاثة قرون فقط ..

ثم إنه بعد سنين أورث الله الأرض المؤمنين أتباع عيسى - عليه السلام - لأن الأرض لله
يورثها من يشاء .. فكما كانت للمؤمنين قبل بني إسرائيل فقد كانت للمؤمنين بعدهم : ﴿
وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (١٠٥) ٤١٦ .

414 سورة الأنبياء

415 سورة المائدة

حتى أذن الله - تعالى - ببعثة سيد الثقلين وخاتم النبيين وبشارتهم محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي - صلى الله عليه وسلم - وكان فتح بيت المقدس إحدى بشارته - كما في صحيح البخاري - وكانت وراثته ووراثته أمتة للأرض المباركة هي سنة الله الممتدة على مر العصور ومنذ عهد إبراهيم - عليه السلام - ..

وإن صلاة النبي - صلى الله عليه وسلم - بالأنبياء في (بيت المقدس) ليلة الإسراء كانت إعلاناً بأن الإسلام هو كلمة الله الأخيرة إلى البشر .. أخذت تمامها على يد محمد - صلى الله عليه وسلم - وأن آخر صبغة لـ (المسجد الأقصى) هي الصبغة الإسلامية .. فالتصق نسب المسجد الأقصى بهذه الأمة الوارثة .

وفي السنة الخامسة عشر للهجرة تحققت النبوة ودخل المسلمون (بيت المقدس) ، وقال البطارقة لا نُسلم مفاتيح بيت المقدس إلا للخليفة عمر بن الخطاب ؛ فإننا نجد صفته في الكتب المقدسة ..

وجاء عمر - رضي الله عنه - من المدينة المنورة إلى فلسطين وتسلم مفاتيح (بيت المقدس) تسليماً شريفاً في قصة تكتب تفاصيلها بمداد النور ، وأشرف على مدينة القدس من (جبل المكبر) حيث كبر وكبر معه المسلمون ..

جاء على جملٍ أحمر يتعاقبه هو وعلامه ، وأقبل وعلامه هو الراكب وعمر آخذٌ بخطام البعير ، ومر على مخاضةٍ من ماءٍ وطنٍ فخلع موقيه - أي خُفَّيه - فأمسكهما بيد وأمسك خطام البعير باليد الأخرى ..

فاستقبله أبو عبيدة معاتبا يقول : " لقد فعلت شيئاً عظيماً أمام أهل الأرض " ، فدفعه عمر بيده في صدره وقال : " لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! فقد كنتم أذل الناس فأعزكم الله بالإسلام .. فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله " .

هذا هو الطريق إلى فلسطين .. دخل عمر بعزة الإسلام في يوم من أيام الله ، وصلى في صدر المسجد مما يلي القبلة ، وسأل عن (الصخرة) وكانت مدفونة تحت القمامة والزبل .. فأزال عنها القذر بعباءته وتبعه الناس حتى طهر المكان .

ولقد كتب التاريخ - بما لا مرأى فيه - : أنه لم يهدم صومعة ولا كنيسة ولا معبدًا ولا دارا ، بل ترك للناس دور عبادتهم ، وكتب لأهل البلد عهدا وأمانا وأشهد عليه .. وعلى هذا النهج سار المسلمون إلى يومنا هذا ، وشهد التاريخ أن اليهود والنصارى عاشوا أسعد فترة في ظل حكم المسلمين لفلسطين ، ومارسوا عبادتهم بحرية لم يجدوها في ظل أي حكم قبله أو بعده ؛ لأنه لا تفاضل في الإسلام إلا بالتقوى ، وليس لأحد أن يدعي أنه عرقٌ مفضل وأن يحتقر الآخرين أو يظلمهم حتى ولو خالفوه في الدين .

ومنذ تلك اللحظة اجتمع التاريخ واتحد المهم واتفق المصير منذ فجر الإسلام وإلى قيام الساعة ، قال - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والترمذي : " إذا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ " .

وقال - صلى الله عليه وسلم - : " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق .. لا يضرهم من خالفهم ، قيل : فإين هم يارسول الله ؟ قال : ببيت المقدس .. أو بأكناف بيت المقدس " رواه الطبراني .

عباد الله : إن فلسطين لم تكن مجرد أرض دخلت تحت سلطان المسلمين يوما من الأيام ويمكنها في يوم آخر أن تكون خارجه ، فلسطين مهد الأنبياء .. وفي الحجاز بعث إمامهم وخاتمهم ، فلسطين موطن الشرائع والرسالات .. وفي جزيرة العرب أنزلت خاتمة هذه الشرائع وناسختها والمهيمنة عليها : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ... ﴾ ٤٧ ..

إن المسلمين هم الوارثون الحقيقيون لكل شريعة سماوية سابقة ، وهم الأولى بكل نبي ورسول غابر : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ ﴾ (٢٨٥) ﴿٤١٨﴾ ..

ولما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة وجد اليهود يصومون (يوم عاشوراء) ويقولون : هذا يوم نجَّى الله فيه موسى وقومه وأهلك فرعون وقومه ، فقال - صلى الله عليه وسلم - : " نَحْنُ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ " . فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ " .

إن فلسطين - تاريخاً وأرضاً ومقدسات ومعالم - هي إرث المسلمين .. إرث واجب القبول متحتم الرعاية لازم الصون ، إنه ليس خياراً يتردد فيه المترددون أو شأننا يتحير فيه المتحيرون ؛ لهذا وذاك كان أكثر ما سُفِكَ من دماء المسلمين وأُضِرَّ ما وقع من حروبهم على مر التاريخ حول تلك البقعة وعلى ذلك الثرى والدم الذي سكبته المسلمون أيام الحروب الماضية لم يكن لينضب وفي المسلمين أوردة تنبض .

أيها المسلمون : يساق هذا الحديث في الوقت الذي يعتقد فيه رواد الحضارة المعاصرة أنهم وصلوا بها - في الصناعة والمكتشفات والمواثيق للحقوق والمنظمات - أنهم وصلوا بها ذرا ترغد عيشهم وتكفل رفاهيتهم ، ولم يبق إلا سلام يعم هذا الكوكب ليتوج هذه المنجزات ويسعد بها البشر ..

ومن الذي يكره السلام ولا يريد السلام ؟ بل من الذي اعترض في الماضي أن يعيش اليهود والنصارى مع المسلمين في أرض الشام وفلسطين ومارسوا عبادتهم وبقيت كنائسهم ومعابدهم واختلطوا بالمسلمين وتبادلوا المصالح والمنافع ، بل وتصاهروا كما شهد التاريخ البعيد والقريب ؟

من الذي يكره السلام ولا يريد السلام .. وقد قدم العرب مبادراتهم في ذلك وما زالوا ؟ ولكن أن تُغتصب أرض وتُهجر أسر ويُنفى شعب ويُبعث بمقدسات ويُزور تاريخ وتُغير معالم

ويقع ظلم شديد بشعب ما زال يُسقى المر منذ سبعين عاما .. فإن ذلك كله عبث بريميل بارود لا يدرى متى يبلغ مداه .

إنك لتعجب من أن حماة حقوق الإنسان هم الراعون لمنتهكي الإنسانية والمتحدثون باسم احترام مقدسات الأمم وأديانهم هم المبررون للعابثين بقدسية الأقصى ومسجده ومعالمه .. وأن رافعي راية العدل والمساواة هم الراعون لمغتصبي الأوطان ومهجري الشعوب وسارقي التاريخ ، والأسوأ من ذلك أن يمارس باسم الدين وباسم الرب وباسم التوراة !

إن الذي يُمارسُ اليوم من قِبَل الصهاينة هو إحداث صراع ثقافة وحضارة ودين ، وتصرف يوقع العالم في حرج وخطر وينذر بشر لا يعلم مداه إلا الله ..

وعلى المخلصين من أمة الإسلام وعلى العقلاء من قادة العالم أن يتداركوا ما يجري من مسلسل التجاوزات والاعتداءات على الأرض والإنسان وممتلكاته التراثية والدينية والمعالم الإسلامية والحفريات الأرضية التي تنخر أساس مسجد عظّمه الأنبياء وقُدّسه رب السماء : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١١٤) ﴿٤١٩﴾ .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعنا بسنة سيد المرسلين .
أقول قولي هذا وأستغفر الله - تعالى - لي ولكم .

الخطبة

الثاني

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المين ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أيها المسلمون الواجب المتحتم في زمن الجدل والصراع هو اليقظة والاجتماع والعمل الجاد والائتلاف وترك الخلاف ..

لا يليق بأمة الإسلام أن تغرق في خلافات جانبية ونظرات إقليمية أو أنانية .. يجب أن تقدم مصالح الأمة الكبرى على كل مصلحة فرعية ، وأن تسمع نداءات الحق والعدل ومبادرات الحزم والعقل بأن تطرح الخلافات وتتوحد الأمة في وجه الأزمات : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا...﴾^{٤٢٠} .

على أهل العلم والثقافة والفكر أن يعنوا بما يحفظ للأمة بقاءها وتراثها ، بل وحياتها .. إن من العار أن ينطلي على الأمة تزوير التاريخ وطمس المعالم وسرقة المقدسات ونحن غافلون في ثقافة الروايات وتصنيف العبارات أو تراشق الاتهامات والطعن في الموروثات .. والطريق إلى فلسطين لا يمر عبر إشاعة الفوضى في ببلاد المسلمين ولا بزعة الأمة أو التخريب والتفجير والاعتداء على مصالح الأمة المسلمة ..

لن ننجح ما دمنا مختلفين ، ولن نتصر إن كنا متفرقين : ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون...﴾^{٤٢١} .

واعلموا - رعاكم الله - أن الجد منجح والعمل منتج ، وسيحصد كل زارع ما زرع .

هذا ، وصلوا وسلموا على خير البرية وأزكى البشرية رسول الله محمد بن عبد الله ..

420 سورة آل عمران

421 سورة التوبة

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين
إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل
إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

اللهم ارض عن الأئمة الخلفاء . اللهم ارض عن الأئمة المهديين والخلفاء الراشدين - أبي بكرٍ
وعمر وعثمان وعلي - وعن سائر صحابة نبيك أجمعين ، ومن سار على نهجهم واتبع
سنتهم يارب العالمين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ،
ودمر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمنا مطمئنا وسائر بلاد المسلمين .

اللهم آمنا في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا وولي أمرنا ،
اللهم وفقه لهداك ، واجعل عمله في رضاك ، وهب له البطانة الصالحة ، واجمع به كلمة
المسلمين يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم وفق ولي عهده لما تحب وترضى ، وأتم عليه الصحة والعافية ..
اللهم وفق النائب الثاني لما فيه الخير للعباد والبلاد ، واسلك بهم سبيل الرشاد ، اللهم كن
لهم جميعا موفقا مسددا لكل خيرٍ وصلاح .

اللهم ادفع عنا الغلا والوباء والربا والزنا والزلازل والخن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن .
اللهم احفظ ديارنا وآمن حدودنا وانصر المرابطين على ثغورنا ..

اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ، اللهم أحقن
دماءهم وآمنهم في ديارهم وأرغد عيشهم وأصلح أحوالهم واكبت عدوهم .

اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان يارب العالمين ، اللهم انصرهم في فلسطين ، اللهم انصر المرابطين في أكناف بيت المقدس ، اللهم اجمعهم على الحق يارب العالمين .
اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك .

اللهم يارب العالمين عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك .. يا من لا يهزم جنودك ولا يخلف وعده سبحانك وبحمدك .. اللهم إن الصهاينة قد بغوا وطغوا وأسرفوا في الطغيان .. اللهم هب لهم يدا من الحق حاصدة تكسر شكوقهم وتستأصل شأفتهم ، اللهم أنزل بهم بأسك ورجزك إله الحق ..

اللهم لا تقم لهم راية ، ولا تحقق لهم غاية ، واجعلهم لمن خلفهم آية ، اللهم اهزمهم وزلزلهم وانصرنا عليهم يارب العالمين .

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يرضيك آمالنا .
ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم إنك سميع الدعاء .

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت .. أنت الغني ونحن الفقراء .. أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم إن بالعباد والبلاد من الحاجة والأواء ما لا يكشفه إلا أنت .. اللهم فأعطنا ولا تحرمنا ، وزدنا ولا تنقصنا ، اللهم أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلته قوة على طاعتك وبلاغاً إلى حين .

عباد الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٩٠) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٩١) ﴿٤٢٢﴾ .

عنوان الخطبة : خطورة أذية المسلم

تاريخ إلقاء الخطبة : السادس عشر من جمادى الأولى من عام ١٤٣١هـ

- خطورة أذية المسلم -

الخطبة
أول

—

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله - تعالى - حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واعلموا أنكم غداً بين يدي الله موقوفون، وبأعمالكم مجزيئون، وعلى كسبكم مُحاسبون، وأن المصير إلى جنة أو نار: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾ ٤٢٣ .

عباد الله:

إن للمسلم عند الله حرمةً وقدرًا، ولجنابه احترامًا وحمايةً وخطرًا، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ إِرَاقَةِ دَمِ مُسْلِمٍ " حديث صحيح أخرجه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وهذا لفظُ البيهقي.

ولقد جاءت الشريعة بالآداب والتوجيهات والأحكام والحدود التي تُعظّم الحرمات وتحمي جناب المسلم أن يُمسَّ بأذى ولو كان لمشاعره وأحاسيسه، وقرّر الإسلام الأخوة مبدأ

يستوجبُ الإحسان وينفي الأذى مهما كانت صورته وأشكاله، قال الله - عز وجل - : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ (١٠) ﴿٢٤﴾ .

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " لا تحاسدُوا ولا تناجشُوا ولا تباغضُوا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عبادَ الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله، التقوى ها هنا - وأشار بيده إلى صدره ثلاثًا - بحسبِ امرئٍ من الشرِّ أن يحقرَ أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ دمه وماله وعرضه " رواه مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: " لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه " متفق عليه.

بل كانت حجة الوداع إعلانًا لحقوق المسلم وإشهارًا لمبدأ كرامته وتعظيم حرمة وقدره عند الله وتحريم أذيته بأي وجه من الوجوه في ميثاقٍ تاريخيٍّ نُودي به في أعظم محفل.

أيها المسلمون:

إن انتهاك هذه الحرمة التي عظَّمها الله، والتعدِّي على المسلمين بأذيتهم لمن أعظم الذنوب والآثام، وقد قال الله - عز وجل - : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** ﴾ (٥٨) ﴿٢٥﴾ .

وتزداد الجريمة إثماً إن كانت الأذية للصالحين والأخيار من المؤمنين، وفي الحديث القدسي يقول الله - عز وجل - : " مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ " رواه البخاري.

فمن المخذول الذي يتصدَّى لحرب الله، وقد قال - سبحانه - : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ (٣٨) ﴿٢٦﴾ وعلى قدر إيمان العبد يكون دفاع الله - تعالى - عنه، وإذا ارتقى العبد في الإيمان إلى مقام الولاية تأذن الله بالحرب لمن عاداه، وقد يكون المسلم الضعيف المغمور وليًّا لله وأنت لا تدري؛ فاحذر من أذية من تولَّى الله الدفاع عنهم.

قال ابن كثير - رحمه الله - : " وقوله: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا** ﴾ (٥٨) ﴿٢٧﴾ - أي: ينسبون إليهم ما هم براءٌ منه لم يعملوه ولم يفعلوه - ﴿ **فَقَدِ احْتَمَلُوا** ﴾

424 سورة الحجرات

425 سورة الأحزاب

426 سورة الحج

427 سورة الأحزاب

بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٥٨) ﴿٢٨﴾ وهذا هو البُهْتُ البَيِّنُ أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم .

عباد الله:

لقد بَلَغَتِ الشريعة أن حرَّمت ما يؤدي إلى مضايقة المسلم في مشاعره، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " **إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَجَاوَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ** " ، وفي رواية: " **فَإِنَّ ذَلِكَ يُؤْذِي الْمُؤْمِنَ، وَاللَّهُ يَكْرَهُ أذى الْمُؤْمِنِ** " أخرجه الترمذي ، وقال: حديث صحيح.

بل وصل الأمر إلى الجزاء بالجنة لمن أزال شوكة عن طريق المسلمين، قال - صلى الله عليه وسلم - : " **مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُحْنِنَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ؛ فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ** " ؛ رواه مسلم.

فانظر ثواب من كفَّ عن المسلمين أذى وإن كان يسيراً وإن لم يتسبب فيه؟
إن مجرد كفِّ الأذى لَهُوَ معروفٌ وإحسانٌ يُثَابُ عليه المسلم، قال - صلى الله عليه وسلم - : " **تَكْفُ شَرْكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ** " رواه مسلم.

ولما سُئِلَ النبي - صلى الله عليه وسلم - : أيُّ المسلمين خَيْرٌ؟ قال: " **مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ** " متفق عليه، وفي رواية: " **الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ** " .

قال ابن حجر - رحمه الله - : " قَتَضِي حَصْرَ الْمُسْلِمِ فِيمَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، والمراد بذلك: المسلم الكامل الإسلام، فمن لم يسلم المسلمون من لسانه ويده فإنه ينتفي عنه كمال الإسلام الواجب؛ إذ سلامة المسلمين من لسان العبد ويده واجبةٌ، وأذى المسلم حرامٌ باللسان واليد " .

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " **إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسُ فِي الطَّرَقَاتِ** " ، فقالوا: يا رسول الله! ما لنا بدٌّ في مجالسنا نتحدث فيها، فقال - عليه الصلاة والسلام - : " **إِذَا أَيْتُمُ إِلَّا الْجُلُوسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ** " ، قالوا: وما حقُّ الطريق يا رسول الله؟ قال: " **غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ** " متفق عليه.

فمن صور الأذى: مُضايقة المسلمين في طرقاتهم وأماكنهم العامة، ورمي النفايات فيها بلا مبالاة ولا احترام، يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " اتَّقُوا اللَّعَّائِينَ " قالوا: وما اللعنان يا رسول الله؟ قال: «الذي يتخلى في طريقِ الناسِ أو في ظلِّهم " رواه مسلم، ولفظ رواية أبو داود: " اتَّقُوا اللَّاعِنِينَ " .

وقد أخبر - عليه الصلاة والسلام - بأن إماطة الأذى عن الطريق صدقة وأنها من شُعب الإيمان، كما أخرج الطبراني وغيره بسندٍ صحيحٍ أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طَرِيقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ " ومن قواعد الإسلام العظام قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ " أخرجه الإمام أحمد، وابن ماجة. بل حتى من كان له قصدٌ صحيحٌ فإنه لا يجوز له إن كان سيؤذي المسلمين، وقد جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة والنبي - صلى الله عليه وسلم - يخطب، فقال - عليه الصلاة والسلام - له: " اجلسْ فقد آذَيْتَ " رواه أبو داود، وصححه ابن خزيمة، وابن حبان. وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكَرَاثَ فَلَا يَقْرُبَنَّ مَسْجِدَنَا؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ " أخرجه مسلم. فدلَّ على منع أذية المؤمنين ولو لم تكن متعمدة ولو كانت لغرض مشروع، فيكف بالأذى المتعمد في موافقة هوى النفس وشهواتها.

أيها المسلمون:

إن للأذية صوراً لا تكاد تنهاهى، وعلى المسلم أن يتجنبها جميعاً؛ خاصة ما ورد النص عليه تنبيهاً لخطره وتعظيماً لأثره، كما ورد في الغيبة والنميمة وأذية الجيران والخدم والضعفاء، قال - صلى الله عليه وسلم - : " مَنْ ظَلَمَ مَعَاهِداً أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئاً بغير طِيبِ نَفْسِهِ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " رواه أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

فإذا كان هذا في ظلم المعاهدين فكيف بمن ظلم إخوانه المؤمنين؟!

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قيل: يا رسول الله! إن فلانة تصلي الليل وتصوم النهار وتؤذي جيرانها بلسانها، فقال: " لا خيرَ فيها، هي في النَّارِ " أخرجه الإمام أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد»، وصحَّحه الحاكم، وابن حبان، وقال صلى الله عليه وسلم: " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوْذِ جَارَهُ " متفق عليه.

فَمِنَ الْإِيذَاءِ: السباب والشتام والغيبة والنميمة والقدح في الأعراض، والله - تعالى - يقول: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥)﴾ ٤٢٩ .

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: صعد النبي - صلى الله عليه وسلم - المنبر فنادى بصوتٍ رفيع، فقال: " يا معشرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفَضِّصِ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ؛ لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ " .

قال: ونظر ابن عمر يوماً إلى البيت أو إلى الكعبة، فقال: " ما أعظمك وما أعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة منك " رواه الترمذي بإسنادٍ صحيح.

بل ورد في «صحيح مسلم» من حديث عامر بن عمرو - رضي الله عنه - أن من أغضب مسلماً فقد أغضب ربه، وأنه على خطر من عقوبته وانتقامه حتى وإن كان المؤذي من أفاضل الناس وخيارهم.

أيها المسلمون:

احذروا أذية المؤمنين والإساءة إلى الناس أجمعين إلا بحقٍّ ظاهرٍ قام عليه الدليل البين السالم من المعارض من الكتاب والسنة والمأثور عن السلف الصالح من هذه الأمة ليكون لكم برهاناً قاطعاً وحُجَّةً دافعةً حين تختصمون إلى ربكم فتؤدّي الحقوق إلى أهلها.

إن أذية المؤمن ظلمٌ، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، والصبر على أذى الخلق أفضل من الدعاء عليهم: ﴿وَلَكِنَّ صَبْرَتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦)﴾ ٤٣٠ .

وإن من الأذى ما لا تكفره الصلاة ولا الصدقة ولا الصوم؛ بل لا يُغفر للظالم حتى يغفر له المظلوم، وهيئات أن يعفو المظلوم يوم تتطأير الصحف وتعز الحسنات، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أتدرون مَنْ المفلِس؟ " قالوا: المفلِسُ فِينَا مَنْ لَا دَرَهْمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فقال: " إِنَّ الْمَفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا،

وقذفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضربَ هذا؛ فُيعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإنَ فُينَتْ حسناته قبلَ أن يُقضى ما عليه أُخذَ منَ خطاياهم فطُرحتْ عليه ثمَّ طُرِحَ في النار " رواه مسلم.

ويعظَّمُ الإيذاء ويتضاعف الإثم وتشتد العقوبة كلما عظمت حرمة الشخص أو الزمان أو المكان أو المناسبة، ولئن كان الاستهزاء بالناس أذيةً وبليَّةً فإن الاستهزاء بالصالحين والعباد والمختسبين أشدَّ إثماً وأكثرَ خطراً، وهذا الهمز واللمز هو أول سلاحٍ أشهرٍ أمام الأنبياء والرسل، ولئن لم يخلُ عصرٌ أو مصرٌ من هذه الخطيئة فإنه يعظَّمُ الأسفُ ويشتد حين يكون شاهراً ظاهراً مُعلناً غير منكرٍ؛ إذ استباحة حرم حملة العلم والدين وجعل انتقاصهم ديدناً هو أمرٌ لم يحدث في بلاد الإسلام إلا أخيراً، وسيبقى الدين محترماً ما دام أهله محترمون، وإذا تسلَّط عليهم من دولهم في العلم والديانة فإن ذلك نذيرٌ نقصٍ وفتنة.

أيها المؤمنون:

وظلم ذوي القربى أشدُّ مضاضة، وقد أوصى النبي - صلى الله عليه وسلم - بالنساء في خطبة الوداع كما أوصى بهن وهو على فراش الموت، فويلٌ لمن آذى وصية النبي - صلى الله عليه وسلم - وظلمَ النساء، وويلٌ لمن آذت زوجها فإن الملائكة تلعنّها، إن أذيةً أحد الزوجين للآخر من أقبح صور الأذى، كما أن تسلَّط الرؤساء بالأذى على مرؤوسيههم وهضم حقوق العمال وتأخير مصالح الناس في أي مجالٍ هو داخلٌ في الوعيد الشديد بقول العزيز المجيد: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٥٨)﴾ ٤٣١.

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول قولي هذا وأستغفر الله - تعالى - لي ولكم.

الخطبة

الثاني

الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، أيها المسلمون:

فإذا كان إيذاء المسلمين ببعض الأمثلة التي مَصَّتْ يُعَدُّ كبيرةً من الكبائر وجريمة من المحرمات، فما بالكم بألوان من الأذى يتضرَّر منه ملايين المسلمين ويقع بلاؤه على مجموع الأمة؟! فإن الأذى كلما انتشرت دائرتها وتوسَّعت كان إثم مرتكبها أعظم وعقوبته أشد، وإذا كانت اللعنة تحقُّ على من يتخلَّى في طرق المسلمين وظلهم ويؤذيهم في طرقهم وهو لا يتعدَّى أفراداً معدودين فكيف بالذين يُؤذون المؤمنين في دينهم وعقيدتهم وتصوراتهم ويؤذون أُلوف المسلمين؟!

إنه أذى لله ورسوله كما قال الله - تعالى - في الحديث القدسي المتفق عليه: «يؤذيني ابنُ آدم»، وفي القرآن المجيد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧)﴾ ﴿٤٣٢﴾ .

كما أن من أذى المسلمين: خلط الحقائق، وتلبيس الوقائع، وتسميم الثقافة والوعي، وقل مثل ذلك في مجال القيم والأخلاق والسلوك.

كم يتأذى عموم الناس بما يُعرَض من مقروءٍ ومُشاهدٍ مما يصادم الذوق العام كما يصادم الفضيلة والفطرة فضلاً عن أصول الشريعة ومبادئها، أليس كل هذا أذى للمسلمين وتحدياً ظاهر لدينهم ومشاعرهم حتى أصبح من يريد الحفاظ على نفسه وأسرته من الوقوع في الانحراف يعاني الكثير والكثير؟

عباد الله:

صورة أخرى من صور الأذى: وهو استغلال حاجة الناس وفقيرهم والتحايل على الربا الذي غطَّى بسحابته السوداء بلاد المسلمين وضرب بأطنابه في تعاملاتهم ظلماً وعدواناً حتى دخل

على من لا يريده في عُقر داره ولو أن يصله غباره ابتداءً من المصارف والبنوك وانتهاءً بتجار التقسيط، حتى تكاثرت الديون وتضاعف العوز مع قلة استفادة المدين وانعدام بركة المال. إن على أصحاب المال والاقتصاد أن يتقوا الله فيما بين أيديهم فغداً - والله - سوف يُسألون، واستطراداً في ذلك حبذا لو توسّعت الدولة في بنوك التسليف الرفيعة بالإقراض الحسن لعل الربا وأشباه الربا يقلّ في المجتمعات المسلمة، ونعود لنكثر بركة المال.

وثمة جانب من جوانب الإيذاء العام في مجال المال والاقتصاد والذي يمارسه بعض التجار وأصحاب المصالح من الاحتكار ورفع الأسعار والتضييق على المسلمين في أرزاقهم ومعاشهم حتى أعمى الجشع بصائرهم، وخدّر الطمع مشاعرهم.

إن التجارة بابٌ كريمٌ للرزق، لكن ذلك لا يعني الاتكاء على الضعيف لاستنزاف آخر قطرة من دمه، وأسوأ من ذلك استدراجه بالديون وتحميله ما لا يحتمل؛ فلنستحضر دوماً قول الله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٥٨)﴾ ٤٣٣ .

هذا، وصلّوا وسلّموا على خير البرية وأزكى البشرية: محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي، اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغرّ الميامين، وارض اللهم عن الأئمة المهديين والخلفاء الراشدين المرضيين: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن سائر صحابة نبيّك أجمعين، ومن سار على نهجهم واتبع سنتهم يا رب العالمين.

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين، وأذلّ الشرك والمشركين، ودمّر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، اللهم آمناً في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، وأيد بالحق إمامنا ووليّ أمرنا.

اللهم وفق خادم الحرمين الشريفين لهداك، واجعل عمله في رضاك، وهبّي له البطانة الصالحة يا رب العالمين، اللهم وفق وليّ عهده لما تحب وترضى، اللهم أتمّ عليه الصحة والعافية، اللهم وفق النائب الثاني لما فيه الخير للعباد والبلاد، واسلك بهم جميعاً سبيل الرشاد، اللهم كن لهم جميعاً موفقاً مسدداً لكل خير وصلاح.

اللهم ادفع عَنَّا الغلا والوبا والربا والزنا والزلازل والخن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن.
اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان، اللهم اجمعهم على الحق والهدى، اللهم احقن
دماءهم، وآمنهم في ديارهم، وأرغد عيشهم، وأصلح أحوالهم، واكبت عدوهم.
اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان، اللهم انصرهم في فلسطين، اللهم انصر
المرابطين في أكناف بين المقدس، اللهم اجمعهم على الحق يا رب العالمين.
اللهم انصر دينك وكتاب وسنة نبيك وعبادك المؤمنين، اللهم عليك بأعداء الدين فإن لا
يُعجزونك.

ربنا آتنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النار.
اللهم اغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، ويسر أمورنا، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا.
اللهم فرِّجْ هَمَّ المهومين من المسلمين، ونفْسَ كرب المكروبين، وفُكَّ أسر المأسورين، واقضِ
الدين عن المدينين، واشف برحمتك مرضانا ومرضى المسلمين.
ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم إنك سميع الدعاء.
اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من
القائطين، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم إن بالعباد والبلاد من الحاجة والأواء ما لا يكشفه
إلا أنت، اللهم فأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تُنقصنا، اللهم أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلته
قوةً على طاعتك وبلاغاً إلى حين.

ربنا تقبَّل مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وتُبَّ علينا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.
سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة : مصدر التشريع

تاريخ إلقاء الخطبة : الحادي والعشرون من جمادى الآخرة من عام ١٤٣١هـ

- مصدر التشريع -

الخطبة

أول

ى

الحمد لله . الحمد لله الذي تقدس وتزه وتعالى ، حسنت أسماؤه وكملت صفاته
فبلغت الغاية حسنا وكمالا ، أنزل على خلقه الشرائع وبعث فيهم الرسل ووالى ، فمن
أعرض عما جاء عن الله فبست حاله حالا ، ومن اهتدى واقتفى فياحسن الجنة مستقرا له
ومآلا .. فهل الدين إلا اتباع ؟ وما جُعِل الأمر إلا ليطاع ولا النهي إلا للامتناع ، والشرع
كل الشرع مطاق ومستطاع .

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. عظم ربنا خلقا وأمرنا وجلالا .. أبان لنا الدين حراما وحلالا ، صلى الله وسلم وبارك على رسوله وعبدته محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أمته أتباعا وصحابة وآلا .

أما بعد ..

فاتقوا الله - تعالى - حق التقوى ، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) ﴿٤٣٤﴾ .

واعلموا - رحمكم الله - أن الدنيا دول قد دالت على عاد وثمود وأهل القرون الأولى ، وأن المال عارية والنفس عائدة إلى خالقها إما راضية مرضية أو ساخطة شقية ، ولنا بمن قبلنا أسوة ولمن بعدنا عبرة ؛ فطوبى لمن عمر آخرته وقصد رضا ربه .

اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل .. فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون .. اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم ..
اللهم يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك .

عباد الله .. أيها المسلمون : كلنا سائرون إلى الله - تعالى - مسافرون إلى الدار الآخرة ، وهناك تنشر الصحف وتوضع الموازين : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴾ (٣٧) ﴿ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (٣٨) ﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (٣٩) ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾ (٤٠) ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (٤١) ﴿٤٣٥﴾ ..

ولقد جاءت شريعة الله في هذه الدنيا لإخراج الناس من داعية أهوائهم حتى يكونوا لله عبادا ، وهذه هي حقيقة العبودية لله .. أن نستسلم له في شرعه وقدره وأن نتحقق من مراد

434 سورة آل عمران

435 سورة النازعات

الله لناخذ به لا لنتحيل عليه أو نتهرب منه ؛ إذ مقصد وجودنا هو تحقيق هذه العبودية لله : ﴿

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ ٤٣٦ .

وعبادة الله - تعالى - تتمثل في توحيده وطاعته وامتناله حكمه في أمره ونهيه .. وهل الطاعة إلا في الحلال والحرام ؟

أيها المسلمون : الحاكم بالحلال والحرام هو الله - تعالى - ونعرف حكم الله من كتابه وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - بفهم الصحابة - رضي الله عنهم - لا بالهوى والتشفي ، وإن الله - تعالى - اصطفى من هذه الأمة من حمل الشريعة خالصة نقية كما جاء بها المصطفى المعصوم - صلى الله عليه وسلم - وجعل اتباعهم سنة وهدى وترسم آثارهم سلامة ورشدا ، وأول أولئك وأولاهم هم صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهم الذين شهدوا التزليل وعلموا التأويل ، وهم أعلم بمراد الله ومراد رسوله ..

يليه علماء راسخون وأعلام بالسنة قائمون .. أذابوا عمر الشباب وشطرا من سن الكهولة في حلق العلم والتعلم .. ثنيا للركب في النهار ومجافاة للنوم في الليل ، يقطعونه بحثا واطلاعا وحفظا وتفقها .. يصاحب ذلك خشية تجل الأفتدة وتقوى تعمر القلوب ، ناهيك عن رحلاتهم لفجاج الأرض تحصيلا للعلم واستقصاء في الطلب ، ثم بعد ذلك كله لا يتصدى أحدهم للفتيا في مسألة من دين الله إلا بعد أن يشهد مائة من أهل العلم أنه بذلك أهل ..

وبهؤلاء حُفِظَت الشريعة واستقامت الملة ، واجتازوا بها قرونا من الكيد والعداء كما يجتاز المركب لجح البحر وعواصفه حتى وصلت إلينا الشريعة بعد خمسة عشر قرنا بيضاء نقية .

عباد الله : وفي هذه السنوات المتأخرة ظهرت بادرة تنبئ بالشر وتفتح باب السوء بكثرة المتسولين على حمى الشريعة بالخوض والتخوض في دين الله بلا ورع وازع ولا خوف

من الله رادع ، تطير بذلك وسائل إعلام وشبكات اتصال تروج الشاذ من الأقوال وتفتي بالرخص حتى أحدثت عند الناس الاضطراب وأودت بهم في مسالك الانحراف ..
ومن يفسد على الناس دينهم أولى بالعقوبة والمنع ممن يفسد دنياهم ، ولو كان كل قول معتبرا ما استقام للناس دين ولا عقيدة ؛ فإن لإبليس قولا ولفرعون مقالا ، ولكل إنسان رأي وفهم إذا لم يضبط بالشرع فلا حد لضلاله ..

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : " إن الناس لا يفصل بينهم إلا كتاب منزل أو وحي من السماء ، ولو رُدُّوا لأهوائهم فلكل واحد عقل " ..
وكم من معجب برأيه لا يدري أنه إمام في ضلالة .. عليه وزره ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ، وقد قال الله - تعالى - في فرعون وملئه : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ... ﴾ ٤٣٧ .

عباد الله : وفي خضم هذا التخوض وكثرة من يبدي في الشريعة حكما وفي الدين رأيا ؛ فإننا نقول كما قال الأولون : إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ، " إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم " .
وإذا وقفت غدا أمام الله فلن تُعذر باتباعك لمن تبرأ الذمة باتباعه ولا يوثق بعلمه ولا دينه ولا فقهه وورعه .. لم تأخذ عنه إلا ما وافق هواك واطرحت قول العالم الرباني الذي يخاف الله ويخشاه ويعلم كيف يتقيه ويعبده وكيف يصل إلى مرضاته وجنته .

إن الدين لله .. منه نزل وإلى جلاله يعود ، والله الذي له الخلق والأمر يقضي ما يشاء ويحكم ما يريد ، والحق في المسائل المختلف فيها واحد .. والحكم عند الله ثابت مهما اختلفت أقوال المفتين ، وليست تبرأ الذمة بمجرد أن تجعل بينك وبين النار مفتيا .. ولكن الواجب على المكلف أن يتحرى وأن يعرف مَنْ يسأل ليخرج من التبعة ويصيب حكم الله - عز وجل - ويحقق مراده - سبحانه - ..

والبلية كل البلية في القصد إلى الأخذ بأخف الأقوال في مسائل الخلاف وسؤال من ليس أهلاً للفتيا ، والله يقول : ﴿... فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣) ﴿٤٣٨﴾ فبسؤال غيرهم لا تبرأ الذمة ولا يخرج المكلف من التبعة.

إن حدود الله لا تستباح بزلة عالم ولا فتوى متعالم ، ومن تتبع الرخص فسق بإجماع العلماء وتحلل من ربقة التكليف ، ومن أخذ برخصة كل عالم اجتمع فيه الشر كله ، والبر ما سكنت إليه النفس واطمئن إليه القلب .. والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك .

أيها المسلمون : إن اللافت للنظر في المشهد العلمي اليوم ورغم وجود بقية من أهل العلم تترسم خطى الأسلاف وتعي ثقل التركة .. إلا أن حمى علم الشريعة غدا مستباحا في كثير من الأحيان حتى دهمه الدهماء واغتاله الغوغاء وتسارع للخوض فيه أنصاف المتعلمين وأرباعهم ، واجترأ عليه من لم تمس يده مختصرا فقهيا أو شرحا حديثيا ومن لم يسمع في حياته عن الأحكام التكليفية والوضعية ودلالات الألفاظ على الأحكام ومقاصد الشريعة وموارد الأحكام ومصادرها .. حتى إنك لترى أحدهم يعتمد على حديث منسوخ ويستدل بأثر ضعيف ويتكى على شبهة أجاب عنها العلماء ..

وأصبحت المسألة الشرعية التي لو عرضت على أبي بكر لجمع لها أهل بدر ولو سئل عنها أئمة العلم لتدافعوها .. أصبحت كثير من المسائل العلمية فريسة لصحفي أو عنوانا جاذبا لحوار فضائي أو فكرة لرسام هزلي ، وأصبح عرض كثير من أهل العلم وطلبته كلاً مباحاً ومرتعا خصبا للهمز واللمز ، واستمرأت هذا الأمر صحف ووسائل إعلام حتى أصبح لا ينكر ، وصار يتصدى للعلماء وفتاواهم من لا حظ له في العلم ، بل ولا حتى في الديانة .. ومع قناعتنا بأنه لا كهنونية في الإسلام ولا معصوم إلا سيد الأنام .. فإننا نعتقد في الوقت نفسه أن هذه سابقة خطيرة لا نعلم أن لها مثيلاً في عصور الإسلام السالفة .

إن مسائل العلوم الشرعية يجب أن تبحث حسب في أصولها وبين أهلها الفاهقين بها ..

إن المتطفل على مسألة شرعية ليس لها أهل كالمقحم نفسه في مسألة طبية بجهل ، بل إن علم الشريعة أشد خطراً وأعظم أثراً من علم الطب ؛ إذ تصلح بهذا الأبدان وذاك تصلح به الأديان ، وإذا تعين منع من لا يحسن التطب من مداواة المرضى فكيف بمن لم يعرف الكتاب والسنة ولم يتفقه في الدين ؟!

قال الإمام ابن حزم - رحمه الله - : " ولا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيها وهم من غير أهلها ؛ فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون ويفسدون ويقدرّون أنهم يصلحون "

إننا في الوقت الذي نحتاج فيه إلى خالص ديننا ويموت فيه كبار علمائنا ويتفلت بعض أبناء المسلمين من أصول الدين فضلاً عن فروعه .. إلا أننا نرى علماء الشريعة في أكثر ديار الإسلام قد تناوب على الخط من أقدارهم الأقزام وأصبح التنافس في التنقص منهم مهنة انتقام .

أيها المسلمون .. يأيها المسلمون في كل بلاد الإسلام : إن الوقوف إلى علماء الشريعة في هذا الوقت - وفي هذا الوقت بالذات - لو لم يكن الإسلام يستدعيه لكانت السياسة توجهه وتقتضيه ومصلحة الدنيا قبل الآخرة تومئ إليه وتستدعيه .

نعم .. أخطاء العلماء واردة وزلاتهم متصورة وشذوذاتهم مردودة وأخطاء العامة في فهم كلامهم أكثر وروداً وقصور فهم غير المختصين أكثر شيوعاً .. إلا أنه على كل الأحوال تبقى للعالم حرمة وللعلم حرمة ؛ فالعلماء هم نجوم الأرض يهتدى بهم في ظلمات الجهل .. إن ظهرُوا اهتدى وإن غابوا تحيروا ، خير من وطئ الثرى وأحسن المكلفين عاقبة إن قاموا بأمر الله ومن أسوئهم إن فرطوا وخالفوا .

إن العالم يجتهد فيخطئ ويصيب ويوفق وقد لا يحالفه التوفيق .. ولكن صواب العلماء أكثر من خطئهم وتوفيقهم أضعاف زللهم ، وهم في ذلك بين الأجر والأجرين ، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه ..

أما غير العالم فهو آثم وإن اجتهد مخطئ ولو أصاب لأنه ليس من أهل الفتوى ، فما له وللتكلم فيما لا يدريه .. والدخول فيما لا يعنيه ؟ وحق مثل هذا أن يلزم السكوت .

ويا أيها الناس : لا تشمتوا فيكم عدوا ولا حاسدا ولا تتقحموا أمرا لا يزيدكم الخوض فيه إلا فرقة ولا يزيد أفهامكم إلا بلبلة ولا نفوسكم إلا تنافرا ، كفوا فقد كُفِيتُم وانتهوا عن الاختلاف فقد نُهِيتُم ، وترسموا خطي من عز عليه دينه وغلت عنده ذمته فلم يسلمها إلا لمن يعتقد أنه يقوده إلى رضا الله وجنته ..

إن فتاوى العلماء لا تموت بموتهم ، ارضوا لأنفسكم ما رضي به القوم لأنفسهم فإنهم عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا ، ولقد تكلموا فما دونهم مقصر وما فوقهم محسّر ، وإنهم مع ذلك لعلى صراط مستقيم ..

واحذروا من حذركم منهم نبيكم - صلى الله عليه وسلم - بقوله : " سيكون في آخر أمتي أناسا يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آبائكم ؛ فإياكم وإياهم " أخرجهم مسلم .. قال الإمام النووي - رحمه الله - : " ولا يُتَعَلَّمُ إلا من كُمِلت أهليته وظهرت ديانتَه وتحققت معرفته واشتهرت صيانتَه " ..

وفي الأثر : " دينك دينك .. إنما هو لحمك ودمك ؛ فانظر عمن تأخذ ، خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا " ..

قال النخعي - رحمه الله - : " كان الرجل إذا أراد أن يأخذ عن الرجل نظر في صلاته وفي حاله وفي سمته ثم يأخذ عنه " .

ويا أهل العلم : استقيموا فقد سُبِقْتُم سبقا بعيدا .. فإن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتُم ضلالا بعيدا ، ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ..

أين الورع ؟ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧) ﴾

﴿ ٣٩ ﴾ ، ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٨) ﴿ ٤٠ ﴾ ، ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (٧٩) ﴿ ٤١ ﴾ ..
واخشوا يوما قال الله فيه : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٦٠) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦١) ﴿ ٤٢ ﴾ .

وليس كل ما يُعلم يقال ولا كل حق يذاع .. روى الإمام مسلم بسنده عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : "ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة " ..

فهذا أثر من معين حكمة أحد مبليغي الشريعة الكبار وفقهائها العظام وأحد أساطين علوم الإسلام .. فيه درس لكل عالم وحكمة لكل داع ؛ خصوصا عندما يضعف الدين في كثير من النفوس وتتأبى بعض العقول على التسليم للنصوص ..

إن العالم لا يعين الناس على الافتنان ، فكم ممن هو على شفا جرف هار ، والأمة اليوم في حاجة إلى التشييت لا التشيت وإلا الاجتماع لا الفرقة ..
وقبل ذلك وبعده فإن قلوبنا ملأى بالرضا عما جاء عن الله والتسليم بما صح عن رسول الله ، لا نطأئ بذلك رأسا ولا نتمحل له عذرا .. فكم طوت الأيام من ساخط وما زال الدين منتشرا وظاهرا ..

439 سورة آل عمران

440 سورة آل عمران

441 سورة البقرة

442 سورة الزمر

والبلاء مكتوب على الخلق ، والسعيد من ثبت ، والله الموعد ، ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ (٣٩) ﴿٤٣﴾ .

اللهم ألن قلوبنا لوحيك ، وذل جوارحنا لشرعك ، وأفض على نفوسنا من برد اليقين ما يجعل حياتنا مطمئنة وعن عواج الشكوك مستكنة ، واجعل مثوانا ومنقلبنا إلى الجنة ..

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير والموت راحة لنا من كل شر .

أقول قولي هذا واستغفر الله - تعالى - لي ولكم .

الخطبة

الثاني

الحمد لله . الحمد لله ولي الصالحين ، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين ..
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ..

أيها المسلمون : وفي معرض قضايا الأمة الكبرى فإنه لا يمكن لأحد أن يغفل عن مشهد الحصار في فلسطين والاحتلال المستمر والتحدي السافر للمبادئ والقوانين ، ويأبى القتل إلا أن يستمرروا في القتل ، ويوما بعد يوم يؤكدون على أرض الواقع ما وصفهم به القرآن وأنهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا .

فها هي سفائن الحرية المتجهة إلى غزة تقاد للأسر وحاملوا أمل الحياة لأهل غزة تسلب حياتهم .. ترى الأدوية في المراكب متناثرة وألعاب الأطفال مبعثرة كأنما هو حرام على أهل غزة أن يتداووا وجريمة أن يلعب أطفال غزة كما يلعب الصغار ..
ولسنا بصدد الوصف ، فقد رأى العالم كله ما جرى وأبصر ..

إن على العرب والمسلمين أن يعوا أن الحصار المفروض على غزة ليس حصارا على أهل غزة فحسب .. وإنما هو حصار على كرامة الأمة وإرادتها ، هو تحد لكل حر في العالم .. هو اختبار لدعاة الحقوق وحماها .. هو فضح لكل الهيئات والمؤسسات الدولية المعنية بالإنسان وكرامته .. هو صفقة لكل دولة حامية لذلك الكيان أو راعية لتلك الشراذم أو حتى مبررة لجرائمهم ومعتذرة لاعتداءاتهم ، " ومن أمن العقوبة أساء الأدب " .

إن فك الحصار عن أهل غزة فرض كفائي على الأمة وأمانة في عنق كل حر شريف في هذا العالم ، يجب ألا تدخر الأمة وسعا في ذلك وأن تستنفذ كل قواها السياسية والاقتصادية لرفع الظلم وفك الحصار وإنهاء الاحتلال ..
إن الرضا بهذه الحال مؤذن بعقوبة معجلة من الله ، وإنه لمؤشر على ضعف الإيمان ؛
فقد قال - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه أحمد : " وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ مَنْ بَاتَ شَبَعَانِ وَجَارُهُ إِلَى جَنْبِهِ جَائِعٌ وَهُوَ يَعْلَمُ " .

إن قهر الشعوب واضطهاد الأمم وتوالي المظالم من أقصر الأحوال عمرا وأسرعها رجوعا على الظالم ، وقد خلت من قبل المثالات ، ولنا في التاريخ عبر وآيات ..
إن استمرار هذه الحال مذكية للعداء بين الشعوب مميته لكل دعوة للسلم والتقريب مفسدة لكل نشاط يبشر بحسن النوايا بين الأمم ..

لا يمكن الهناء بمنتجات الحضارة أو التمتع برفاهيتها وطول الحرب تدق ودماء الأبرياء تسفك وأرضهم تسلب وتنتهك ، وشعوب الأرض تشعر بالتمييز والعنصرية والقادرون من دول العالم يعينون الظالم على ظلمه ويدينون الذبيح وهو يتشحط في دمه.

ومع هذا فلا بد من وقفة هنا نسجل فيها الشكر والتقدير لكل أحرار العالم وشرفاء الشعوب من كل عرق ممن انعتق من أسر الإعلام الصهيوني والتغليل العالمي ليعلن رفضه للظلم وشجبه للاعتداء ومطالبته بفك الحصار عن أهلنا في غزة ..

إن ذلك مما يبشر بالخير ، ولعلها بداية لصحوة الشعوب المغيبة عن الظلم الذي طال ليله وطال ويله واشتدت ظلمته ، وعند اشتداد الظلام ينبثق الصباح .. وعلى الإخوة في فلسطين أن يستزيدوا من وسيلة نصرهم وكسب ثقة العالم في اجتماع كلمتهم واتحاد صفهم بعد الصدق مع الله ربهم وترسم منهاج النصر الحق .. وحدّوا الصف وأجمعوا الأمر ، واتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم .

هذا ، وصلوا وسلموا على خير البرية وأزكى البشرية محمد بن عبد الله .. اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين ، وارض اللهم عن الأئمة المهديين والخلفاء المرضيين - أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - وعن سائر صحابة نبيك أجمعين ، ومن سار على نهجهم واتبع سنتهم يارب العالمين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حوزة الدين ، واجعل هذا البلد آمنا مطمئنا وسائر بلاد المسلمين .

اللهم آمنا في أوطاننا . اللهم آمنا في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا وولي أمرنا ، اللهم وفقه لهداك .. اللهم وفقه لهداك ، واجعل عمله في رضاك ، وهيء له البطانة الصالحة يارب العالمين ..

اللهم وفق ولي عهده لما تحب وترضى ، اللهم أتم عليه الصحة والعافية ، اللهم وفق
النائب الثاني لما فيه الخير للبلاد والعباد ، واسلك بهم جميعا سبيل الرشاد ، اللهم كن لهم
موفقا مسددا لكل خير وصلاح .

اللهم ادفع عن الغلا والوباء والربا والزنا والزلازل والخن وسوء الفتن ما ظهر منها وما
بطن ، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ،
اللهم احقن دماءهم وآمنهم في ديارهم وأرغد عيشهم وأصلح أحوالهم واكبت عدوهم .
اللهم انصر المستضعفين من المسلمين ، اللهم انصرهم في فلسطين ، اللهم انصر
المرابطين في أكناف بيت المقدس ، اللهم ارفع الحصار عن المحاصرين والضر عن المتضررين ،
 واجمع المسلمين على الحق يارب العالمين ، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك
المؤمنين .

اللهم عليك بأعداء الدين في كل مكان ، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك ،
اللهم عليك بالصهاينة المحتلين .. اللهم أنزل بهم بأسك ورجسك إله الحق .

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذب النار ، اللهم اغفر ذنوبنا
واستر عيوبنا ويسر أمورنا وبلغنا فيما يرضيك آمالنا .
ربنا اغفر لنا ووالدينا ووالديهم وذرياتهم إنك سميع الدعاء ، ربنا تقبل منا إنك أنت
السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .
سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب
العالمين .

عنوان الخطبة : خطورة الشهوات

تاريخ إلقاء الخطبة : السابع والعشرون من رجب من عام ١٤٣١هـ

— خطورة الشهوات —

الخطبة

أول

—

الحمد لله . الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله الجواد الجليل ،
له الشكر على ما أعطى وله الحمد على ما قضى وله الثناء الحسن الجميل ..
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا مثيل ، وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله صاحب الغرة والتحجيل المذكور في التوراة والإنجيل ، صلى الله وسلم وبارك عليه
وعلى آله وأصحابه أكرم صحب وأعظم جيل ، وعلى من سار على نهجهم واتبع السبيل .

أما بعد .. فياعباد الله احذروا لجة بحر الشهوات ولا تغتروا بسكونه ، وعليكم بالساحل ..
لازموا حصن التقوى فإن العقوبة مرة ، واعلموا أن الدنيا كلها بما لها من شرف ومجد لا
تعدو أن تكون حاجة الجسم البطن حاجة ما دون البطن حاجة أي حيوان أعجم في هذا
الوجود ؛ فاتقوا الله - رحمكم الله - ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ، ثم
اعلموا أنه لن يضر عبدا صار إلى رضوان الله وإلى الجنة ما أصابه في هذه الدنيا من بلاء ،
وأنه لن ينفع عبدا سار إلى سخط الله وإلى النار ما أصابه في هذا الدنيا من رخاء .. كل شيء
من ذلك كأن لم يكن : ﴿ ... فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥) ﴾ .

أيها المؤمنون : زين للناس حب الشهوات يحدوهم إليها حادي الفطرة ويسوقهم سائق الطبع
، وجاء الإسلام فلم يحرم أتباعه شيئا من طيبات الحياة ولكنه هذبها وباركها وزكاها ،

وجاء ليمنع من المستنقع الآسن وما يضر الإنسان في دينه أو دنياه ، وما منع الإسلام أتباعه شيئاً إلا وقد أباح لهم ما يحقق مصلحتهم وينأى بهم عن المفسدة .

عباد الله : ومع تعدد أبواب المباح واتساع آفاق الجائز إلا أن فئة من الناس تأبى إلا تقحُّم حمى الملك - جل جلاله - والتفلت من سياج الطهر والفضيلة .. يتهافتون على الشهوات تمألت الفراش على النار .. فكأنهم المعنيون بقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما أخرجه البخاري ومسلم : " مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَّاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا ، وَجَعَلَ يَحْجِزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا ، قَالَ : فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمِثْلَكُمْ .. أَنَا آخِذٌ بِحُجْرِكُمْ عَنِ النَّارِ : هَلُمَّ عَنِ النَّارِ .. هَلُمَّ عَنِ النَّارِ فَتَغْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ فِيهَا " .

عباد الله .. أيها المؤمنون : وفي معرض الحديث عن الشهوة يقول ربكم - تبارك وتعالى - : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴾ (٢٦) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (٢٧) ﴿٤٥﴾ .

أراد الله التخفيف عن عباده وهم يعانون عنت الشهوة وسطوة الهوى ؛ فجاءت شريعة الإسلام بتضييق فرص الغواية وإبعاد عوامل الفتنة وقطع أسباب التهييج والإثارة ، وإزالة العوائق دون الإشباع الطبيعي بوسائله المشروعة .. مع شغل الطاقة البشرية بهموم أخرى في الحياة حتى لا تكون تلبية نداء الشهوة هي المنفذ الوحيد ..

ودعا الإسلام أتباعه إلى المشرع الطاهر ؛ فأمر من استطاع الباءة أن يتزوج ، وأباح للمتزوج أن يعدد ، ونهى عن المغالاة في المهور ، وأمر الذين لا يجدون نكاحا بالاستعفاف حتى يغنيهم الله من فضله ، ووعد من استعف أن يعفه الله ومن أراد الزواج أن يعينه ، وندب إلى ما يخفف الشهوة من الصيام وتقليل الطعام ..

وحرم داعية الزنا وبريده - الخمر والمعازف - ونهى عن الاطلاع في البيوت ، وأمر بالاستئذان عن عند الدخول وأوجب غض البصر ، ونهى المرأة عن إبداء الزينة للأجنبي وعن الخضوع بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ، وحرم الله التبرج والسفور فقال - سبحانه - : ﴿... وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ...﴾ ٤٤٦ وقال : ﴿...وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ...﴾ ٤٤٧ .

فلا يقل أحد غير ما قال الله .. لا يقل أحد إن فتح باب الشهوات والاختلاط بين الجنسين والترخص في الحديث واللقاء والجلوس والعمل والتعليم أطهر للقلوب وأعف للضمائر وأعون على تصريف الغريزة المكبوتة وعلى ترقيق المشاعر والسلوك ، وحين يقول الله قولا ويقول خلق من خلقه قولا فالقول لله - سبحانه - وكل قول آخر هراء ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

ومنع الإسلام الخلوة بالأجنبية : " لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ لَا تَحِلُّ لَهُ فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ " واشترط على النساء المحرم في السفر ، وندبهن إلى القرار في البيوت ونهاهن عن الاستعطار عند الخروج : " أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ " ..

ونهى أن تباشر المرأة المرأة فتنتعها لزوجها كأنه ينظر إليها ، ونهى عن إشاعة الفاحشة في المؤمنين ، وتوعد من فعل ذلك في الدنيا والآخرة بالعذاب الأليم ..

ونهى الله عن مقاربة الزنا ويبيّن عقوبة فاعله : إن كان محصنا فالرجم بالحجارة حتى يموت ، وإن كان غير محصن فجلد مائة وتغريب عام ، وقال : ﴿... وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدُ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢)﴾ ٤٤٨

446 سورة الأحزاب

447 سورة الأحزاب

448 سورة النور

وقال عليه الصلاة والسلام : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن " ، وقال : " إذا زنا الرجلُ خرجَ منه الإيمانُ فكان عليه كالظُّلَّةِ ، فإذا أفلَعَ (أي تاب من الزنا) رجع إليه الإيمانُ " وأخبر عن الزناة أنهم في البرزخ وأنهم في ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع .. يوقد تحته نار وهم فيه عراة ، فإذا أوقدت ارتفعوا حتى يكادوا يخرجوا ، فإذا خمدت رجعوا فيها .. يفعل بهم ذلك إلى يوم القيامة ثم ينتقلون إلى عذاب أشد كما قال الله - عز وجل - : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ (٦٧) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾ (٦٨) ﴿ ٤٩ ﴾ .

فهل يقدم بعد ذلك مؤمن بالله واليوم الآخر على الزنا وقد علم وعيد الجبار - جل جلاله - ؟ وهل يتقدم خطوة واحدة في طريق الفاحشة وقد سمع ما أعد الله لمرتكبها في الآخرة ؟!

عباد الله .. أيها المسلمون : إن هذا الدين العظيم لا يريد أن يعرض أتباعه للفتنة ثم يكلف أعصابهم عنتا في المقاومة .. إنه دين وقاية قبل أن يقيم الحدود ويوقع العقوبات ، وهو دين حماية للضمائر والمشاعر والحواس والجوارح .. وربك أعلم بما خلق وهو اللطيف الخبير .

وفي ظل هذه التوجيهات الربانية تحيا البشرية في جو آمن عفيف طاهر نظيف ترف عليهم فيه أجنحة السلم والطهر والأمان ، وتأمين الزوجة على زوجها ويؤمن الزوج على زوجته ، ويؤمن الأولياء على حرماهم وأعراضهم ، ويؤمن الجميع على أعصابهم وقلوبهم .. حيث لا فاحشة تشيع ولا إغراء يتبجح ولا فتنة تظهر ولا تبرج ينتشر ولا تقع الأعين على المفاتن ولا تطغى الشهوات على الحرمات .

إنه لا يمكن قيام أسرة ولا استقامة مجتمع في وحل الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وإن الغرائز متى أثرت فلن يقر معها قلب ولن يسكن عصب ولن يطمئن بيت ولن يسلم عرض

ولن تقوم أسرة .. فيما الخيانة المتبادلة حينئذ وإما الرغائب المكبوتة وأمراض النفوس وقلق الأعصاب ، وهذا هو الميل العظيم الذي حذر الله عباده منه .. وهو يحذرهم ما يريده الذين يتبعون الشهوات ومن يطلقون الغرائز من عقاها بالكلمة والصورة والقصة والفيلم وبسائر أدوات التوجيه والإعلام .. إن إشاعة الفواحش واستثارة الغرائز هو أصل كل بلية وشر ، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة ، كما أنه من أعظم أسباب فساد أمور العامة والخاصة ، وماذا تجني الأمم والأفراد من ذلك سوى خراب النفوس وهيار الأخلاق وتحقير الاهتمامات وتلويث المجتمع وزعزعة قوائم الأسرة وتخطيم الإنسان وتدميره بما لا تبلغه أفضع الحروب ؟! ومتى ما دمر الإنسان فلن تقوم الحضارة على المصانع وحدها ولا على الإنتاج .

فيأتيها الناس ياعقلاء الأمة ياعلماءها يادعائها ويأولاة أمرها : هذه نذر السوء تتوالى ولغة الأرقام تخيف وترعب ، الفضيلة تشتكي .. العفاف يئن .. ارتفعت نسب الخيانات الزوجية وحالات الاغتصاب والشذوذ .. اغتيلت براءة الأطفال وارتد بعض الشيوخ إلى سني المراهقة ..

كانت الانحرافات الخلقية تتم في خفاء ثم صارت تبدو على استحياء ثم تسللت تبدو في البيوت عن طريق الشبكات والقنوات ثم صارت قانونا في بعض البلاد ، ثم انعقدت مؤتمرات عالمية تنادي إليها كما ينادى إلى الصلاة .. عجت الأرض إلى ربها والسموات ، وفزعت الملائكة إلى الله من هول ما رأت من ظلم الناس وفجورهم ، وإلى الله الشكوى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فمن للفضيلة ؟ من للعفة ؟ من للحياء ؟ من للشباب وهم عدة الأمة وأمل المجتمع ؟ إن الله يغار ، وغيره الله أن يزي عبده أو تزني أمته ، وإن سنن الله لا تحابي أحدا ، ومتى ظهر الزنا في قوم أذن الله بهلاكها ، ومتى ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواغيت والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا .

ولقد أحاط الله الفضيلة بسياج عظيم وحى حماها ، فلو أن الأمة الإسلامية أخذت بتوجيه القرآن لما اشتكى شبابها العنت ولما كان ما كان : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ٤٠٠ ..

قال طاووس : " إذا نظر إلى النساء لم يصبر " ..

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٢٤) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ٤٠١ .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .
أقول ما سمعتم ، وأستغفر الله - تعالى - لي ولكم .

الخطبة

الثاني

الحمد لله .. الحمد لله حق الحمد وأوفاه ، والصلاة والسلام على عبده ومصطفاه وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد أيها المؤمنون : إننا نحتاج إلى مبشرين بالفضيلة في زمن تفتحت فيه أبواب الشهوات وتسهلت الطرق إلى المعاصي وجاءت الفتن من كل جانب ودخلت على الناس في كل مكان .. دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها .. أفلام وروايات وصور وإعلانات ومواقع في الشبكات .. تهيج للغرائز وإثارة للشهوات وإيقاع في المحرمات ..

450 سورة النساء

451 سورة الأنفال

أصبح المؤمن الصابر على دينه كالفابض على الجمر خائفاً يكبح جماح الشهوة وينهى النفس عن الهوى .. يقاوم ضعفه الفطري وشهوته الطبيعية ويجاهد نفسه الأمارة بالسوء ؛ الشيطان يعدّه ويمنيه ويسول له ويزين ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن يميلوا به ميلاً عظيماً ، فكيف يسلم ؟ كيف يسلم من له عدو لا ينام عن معاداته ونفس أمارة بالسوء وهوى مردٍ وشهوة غالبية وشيطان مزين وضعف مستولٍ عليه ؛ فإن تولاه الله نجا وسلم وإن تخلّى عنه ووكله إلى نفسه .. اجتمعت عليه هذه القوى فكانت الهلكة.

ومع كل ذلك فإن الله - عز وجل - حين خلق الإنسان وركب فيه الشهوة وابتلاه بمخالفة الهوى وسلط عليه الشيطان لم يتركه هملًا ، بل رزقه من القوة ما يستطيع به الصمود وزوده من العدة ما يملك معه المقاومة ، وما أمر الله بشيء إلا أعان عليه وما هوى عن شيء إلا أغنى عنه .

إن طريق الجنة طريق طويل تتناثر فيه الأشواك والعقبات وتحفه المخاطر والمكاره ، وإنه لا بديل لسالكه عن الصبر البتة ، وهل التدين إلا في الصبر على نداء الشهوة ؟ وفي الذكر الحكيم : ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (١١١) ، ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ (١٢) .^{٤٥٢}

أيها المسلم : إن الدنيا مفازة .. فينبغي أن يكون السابق فيها العقل ، وإنما فضّل العاقل بتأمل العواقب فلا تؤثر لذة تفوّت خيراً كثيراً ، واعلم أن في ملازمة التقوى مرارات من فقد الأغراض والمشتهيات .. إلا أن العاقبة حميدة ..

في قوة قهر الهوى لذة تزيد على كل لذة وكل مغلوب بالهوى ذليل ، والصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على توجبه الشهوة ، والصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله

452 سورة المؤمنون

453 سورة الإنسان

، ما من عبد أطلق نفسه في شيء ينافي التقوى - وإن قل - إلا وجد عقوبة عاجلة أو آجلة ،
: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ...﴾ ٤٤ .

تذوق حلاوة الكف عن المعاصي فإنها شجرة تورث عز الدنيا وشرف الآخرة ، وابتعد عن كل ما يوقظ الشهوة فإنه لا أعظم فتنة من مقاربة الفتنة ، وقل أن يقاربها إلا من يقع فيها ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، وفي الحديث الصحيح : " وَيَحْكُ لَا تَفْتَحُهُ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحَهُ تَلِجُهُ " ، ومن قارب الفتنة بعدت عنه السلامة ، ومن ادعى الصبر وكل إلى نفسه ، ومن وكل إلى نفسه هلك .. ألم تسمع قول الكريم ابن الكريم ابن الكريم : ﴿... وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٣) ٥٥ .

إن القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله - تعالى - بقدر تعلقها بها ، وإن الرجل - والله - من إذا خلى بما يجب من الحرم وقدر عليه واشتد عطشه إليه تذكر نظر الحق - عز وجل - فاستحيا من إجماله همه فيما يكرهه ربه فذهب العطش : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٧) ٥٦ .

وإذا خلوت بريية فاستحي من نظر الحي القيوم ، واعلم أن من خان الله في السر هتك الله ستره في العلانية :

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١)﴾ ٥٧ .

454 سورة النساء

455 سورة يوسف

456 سورة المجادلة

457 سورة النازعات

لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة ، وإن النظر سهم من سهام إبليس مسموم ، ورب سهم أصاب مقتلاً ومعظم المصائب مبادها من النظر ، ورب نظرة لم تناظر ، ومن أطلق لحظاته دامت حسراته ، ومتى غص العبد بصره غص القلب شهوته ، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ..

وما من عبد يكف بصره عن محاسن امرأة - ولو شاء أن ينظر إليها لنظر - إلا أثابه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه ، وكل من حدثته نفسه بذنبه فكرهه ونفاه عن نفسه وتركه لله ازداد صلاحاً وبراً وتقوى ، ومن صدق الله في ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه ، ومن أخلص نجا : ﴿...كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢٤) ﴿٤٥٨﴾ .

وكلما قوي الداعي إلى الشهوة قويت مجاهدة النفس على الصبر فزاد أجر العبد عند الله ، إن الذي تشتهي نفسه المعاصي ويتركها لله - عز وجل - من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ، وإذا اشتد عطشك إلى ما تقوى فابسط أنامل الرجا إلى من عنده الري الكامل ، وسله الهدى والتقى والعفاف والغنى .

اللهم إنا نعوذ بك من شهوة إلى حرام . اللهم إنا نعوذ بك من شهوة إلى حرام ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك .

هذا ، وصلوا وسلموا على خير البرية وأزكى البشرية محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين ، وارض اللهم عن الأئمة المهديين والخلفاء المرضيين - أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - وعن سائر صحابة نبيك أجمعين ، ومن سار على نهجهم واتبع سنتهم يارب العالمين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين .

اللهم آمنا في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا وولي أمرنا .
اللهم وفقه لهداك ، واجعل عمله في رضاك ، وهب له البطانة الصالحة ..
اللهم وفق ولي عهده لما تحب وترضى ، اللهم أتم عليه الصحة والعافية ، اللهم وفق النائب
الثاني لما فيه الخير للعباد والبلاد ، واسلك بهم جميعا سبيل الرشاد ، وكن لهم موفقا لكل
خير وصلاح .

اللهم ادفع عنا الغلا والوبا والربا والزنا والزلازل والخن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن ،
اللهم أصلح أحوال المسلمين ، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم اجمعهم
على الحق والهدى ، اللهم احقن دماءهم وآمنهم في ديارهم وأرغد عيشهم وأصلح أحوالهم
واكبت عدوهم .

اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان ، اللهم انصرهم في فلسطين ، اللهم
انصر المرابطين في أكناف بيت المقدس واجمعهم على الحق يا رب العالمين .

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا
يعجزونك .

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ..
اللهم اغفر ذنوبنا واستر عيوبنا ويسر أمورنا وبلغنا فيما يرضيك آمالنا ، ربنا اغفر لنا
ولوالدينا وولديهم وذرياتهم إنك سميع الدعاء ..

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .
سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

عنوان الخطبة : سلامة الأسرة

تاريخ إلقاء الخطبة : الثامن عشر من شعبان من عام ١٤٣١هـ

— سلامة الأسرة —

الخطبة

أول

—

إن الحمد لله .. نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فاتقوا الله - تعالى - وأطيعوه ، وعظموا أمره ولا تعصوه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١) ﴿٤٥٩﴾ .

عباد الله : في رحاب الأسرة الهادئة والعائلة المتماسكة تنمو الخلال الطيبة وتستحكم التقاليد الشريفة ويتكون الرجال الذين يؤتمنون على أعظم الأمانات وتربي النساء اللاتي يقمن على أعرق البيوت ، ولا غرو أن يهتم الإسلام بأحوال الأسرة وأن يتعاهد نساءها بالوصايا التي تجعل امتدادها خيراً ونعمة .

وفي كتاب الله - تعالى - وفي سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - أوامر مؤكدة بين أفراد الأسرة كلهم من والد ووالدة وذي رحم قريب أو بعيد تزجي مسيرة الأسرة نحو البناء والسعادة ؛ إذ أن العناية بسلامة الأسرة هي وحدها طريق الأمان للجماعة كلها ، وهيئات أن يصلح مجتمع رثت فيه حبال الأسرة أو هت روابطها .

وقد نوه القرآن الكريم بجلال النعمة السارية في أوصال هذه القطعة من المجتمع الكبير ، فقال - سبحانه - : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ (٧٢) ﴿٤٦٠﴾ .

إن الزوجين وما بينهما من علاقة أو الوالدين وما يترعرع في أحضانها من بنين وبنات لا يمثلان أنفسهما فحسب ، بل يمثلان حاضر أمة ومستقبلها ؛ ومن ثم فإن الشيطان حين

يفلح في فك روابط الأسرة لا يهدم بيتاً واحداً ولا يصنع شراً محدوداً .. إنما يوقع الأمة جمعاء في شر بعيد المدى ..

وتأمل هذا الحديث لتعرف أن فساد الأسرة قرة عين الشيطان .. عن جابر - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " إِنَّ إِبْلِيسَ يَضْعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً ، يَجِيءُ أَحَدَهُمْ ، يَقُولُ : فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا ، فَيَقُولُ : مَا صَنَعْتَ شَيْئاً ، قَالَ : ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدَهُمْ ، يَقُولُ : مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ ، قَالَ : فَيُدْنِيهِ مِنْهُ ، وَيَقُولُ : نَعَمْ أَنْتَ " ، قَالَ الْأَعْمَشُ : أَرَاهُ قَالَ فَيَلْتَزِمُهُ " رواه مسلم .

أيها المسلمون : السكن والطمأنينة في البيوت نعمة لا يقدرها حق قدرها إلا المشردون الذين لا بيوت لهم ولا سكن ولا طمأنينة ، والتذكير بالسكن يمس المشاعر الغافلة عن قيمة هذه النعمة ..

نظرة الإسلام إلى البيت ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ... ﴾^{٦١} هكذا يريد الإسلام البيت مكاناً للسكينة القلبية والاطمئنان النفسي ، هكذا يريد مريحاً تطمئن إليه النفس وتسكن وتأمن .. سواء بكفايته المادية للسكنى والراحة أو باطمئنان من فيه بعضهم ببعض وبسكن من فيه كل إلى الآخر ، فليس البيت مكاناً للتراخ والشقاق والخصام .. إنما هو مبيت وسكن وأمن واطمئنان وسلام ؛ ومن ثم يضمن الإسلام للبيت حرمة ليضمن له أمنه وسلامه واطمئنانه ؛ فلا يدخله داخل إلا بعد استئذان ، ولا يقتحمه أحد بغير حق ، ولا يتطلع أحد على من فيه لسبب من الأسباب ، ولا يتجسس أحد على أهله في غفلة منهم أو غيبة ؛ فيروع أمنهم ويخل بالسكن الذي يريده الإسلام للبيوت .

عباد الله : الأسرة هي المأوى الطبيعي لكلا الجنسين والمستقر الوحيد الزكي لعلاقتهم ، والحاجة الجسدية عامل فطري وعاطفة مساعدة في تكوين الأسرة ، أما الأساس الكريم الراقي فهو الصحبة القائمة على الود والإيناس والتآلف ، وهذا الأساس هو الذي نوه

القرآن الكريم به عندما ذكر قصة الخليفة : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا...﴾ ٤٦٢ .

وهذا السكن معناه الاستقرار واطمئنان المرء إلى أنه مع شخص يزيد به ويستريح معه ويهدأ في كنفه عند القلق ويلتئم البشاشة معه عند الضيق .

وفهم الزواج على أنه رباط جسدي وحسب سقوط في التفكير وسقوط في الشعور .

إن الأمر أعلى من ذلك وأكبر ، وتدبر معي قول الله - عز وجل - : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)﴾ ٤٦٣ .

إن الناس قد تشغلهم تلك الصلة بين الرجل والمرأة ، ولكنهم قلما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجا وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر ، وجعلت في تلك الصلة سكناً للنفس وراحة للجسم والقلب واستقراراً للحياة والمعاش وأنساً للأرواح والضمائر واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء : ﴿... لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)﴾ ٤٦٤ فيدركون حكمة الخالق - سبحانه - في خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقاً للآخر ملبياً لحاجاته الفطرية يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار ، ويجدان في اجتماعهما السكن والاكتفاء والمودة والرحمة حتى يحققا الغاية العظمى : أن يتعاونوا على طاعة الله حتى يصلوا إلى الجنة .

لكن بناء البيوت على هذه الحقيقة الروحية يحتاج إلى كثير من الشقوف والتأديب .. أو بالتعبير الصحيح يحتاج إلى الخلق والدين .. يحتاج إلى الخلق والدين .

462 سورة الأعراف

463 سورة الروم

464 سورة الروم

إن العلاقات بين الزوجين عميقة الجذور بعيدة الآماد .. إنها تشبه من القوة صلة المرء بنفسه ؛ ومن ثم عني الإسلام بالمحافظة عليها والارتفاع بجوهرها وصيانة ظاهرها وباطنها :

﴿... هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ...﴾ ٤٦٥ .

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " **إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا** " رواه مسلم ..

وقال - صلى الله عليه وسلم - : " **كُلُّ مَا يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ بَاطِلٌ إِلَّا رَمِيَهُ بِقَوْسِهِ وَتَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ وَمُلَاعَبَتَهُ أَهْلَهُ فَإِنَّهُنَّ مِنَ الْحَقِّ** " أخرجه الترمذي وابن ماجه ..

فانظر كيف عد من الحق هذه الصلة الإنسانية الخاصة بين الزوجين .
وقال - صلى الله عليه وسلم - : " **الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ** " رواه مسلم .

وبهذا النصح أفهم الرجل أن من أفضل ما يستصحبه في حياته ويستعين به على واجباته الزوجة اللطيفة العشرة القويمة الخلق .. أو التي وصفها في حديث آخر بقوله : " **النَّيِّ تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ وَلَا تُخَالِفُهُ فِيمَا يَكْرَهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ** " رواه الترمذي .

إن هذه الزوجة هي دعامة البيت السعيد وركنه العتيد ، وإن رابطة هذه الأسرة تعلو في البقاء .. فإذا انتهت هذه الدنيا وتركها أهلها فرادى أو جماعات التأم شملهم مرة أخرى هناك في الدار الآخرة : ﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ** ... ﴾ ٤٦٦ .

وفي سبيل جمع الشمل يلتحق الأبناء المقصرون بآبائهم المجدين : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ** ... ﴾ ٤٦٧ .

465 سورة البقرة

466 سورة الرعد

467 سورة الطور

أيها المسلمون : ولن توجد بيئة أزكى ولا أجدى من الأسرة في تربية الأولاد ، ففي ظل الأمة الحالية والأبوة الكادحة - وهما من أوثق وأعمق المشاعر الإنسانية - تتم كفالتهم وتتفتق براعمهم وتستوي أعوادهم وترتقب ثمارهم ؛ لذلك كانت حماية الأسرة من أعظم الواجبات ، وكان تمهيد الطريق أمامها من أفضل القربات ، وما اشتكت المجتمعات من أفراد سوء إلا لنباتهم في أسرة متهاكمة أو مشتتة في الغالب .. أو لا أسرة .

عباد الله : لقد جاءت توجيهات الإسلام لبناء الأسر البناء الصحيح منذ البداية ؛ فأمر الله بالزواج وحث عليه وجعله من سنن المرسلين وهدى الصالحين ، وأمر بتزويج البنات والبنين ، وإعانة من لا يقدر على الزواج ، وحث على تيسيره وتسهيل طريقه ، ونهى عن كل ما يعوق تمامه ويعكر صفوه ..

وفي الاختيار وجه بما فيه المصلحة النامة الخلق والدين ، وفي حرية الاختيار الاستئذان والاستئثار ؛ فلا الرجل يُكره على أخذ من يكره ولا الفتاة ترغم على قبول من تبغض ، وقرر الإسلام مبادئ وتعاليم تفصل حق الرجل على المرأة وحق المرأة على الرجل .. قاعدتها : ﴿... وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ...﴾^{٤٦٨} ، ﴿... وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ...﴾^{٤٦٩} .

وهي تعاليم وفرت من الخير للأسر ما يملأ أرجاءها براً وتقوى ووداً وتعاوناً ، وفيها ضمانات موثقة للحياة الزوجية واستقرارها وضمانات أعظم لتسعد الحياة وينبت الأولاد نباتاً حسناً وينالوا من حظوظ الصحة النفسية ما يجعلهم أصلح بالاً وأسعد حالاً ، وجعلت على كل واحد من الزوجين تكاليف تناسبه ومسئوليات توائمه ..

عن ابن عمر - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " أَلَا كُتِبَ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ ، وَامْرَأَةُ الرَّجُلِ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ

468 سورة النساء

469 سورة البقرة

وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ ، وَالْعَبْدُ مَسْئُولٌ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ ، أَلَا وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" رواه البخاري ومسلم ، وهذا لفظ مسلم ..
وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
" إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا وَصَامَتْ شَهْرَهَا وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَتْ " رواه الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه .

وحسن الخلق في الأسرة من أمارات الإيمان ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت :
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ،
وَأَلَطْفُهُمْ بِأَهْلِهِ " رواه الترمذي ..

وقال - صلى الله عليه وسلم - : " خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي " رواه
الترمذي وابن ماجه بإسناد صحيح ..

وعن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه قال : " قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا حَقُّ زَوْجَةٍ
أَحَدِنَا عَلَيْهِ ؟ قَالَ : أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ وَلَا تَضْرِبَ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحَ
وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ " رواه أبو داود .

أيها المسلمون : معرفة كل من الزوجين بما له من حقوق وما عليه من واجبات والقيام
بذلك واحترام الطرف الآخر واحترام المواقع والمسئوليات باب التفاهم والرضا وسبب
للاستقرار والنجاح ..

فالرجل في شريعة الله رب البيت وقيّم الأسرة ، وهذه ميزة تكليف أكثر مما هي
تشريف ، والغرض منها أن يسير البيت وفق نظام سائد لا وفق مآرب متدافعة ورغبات
متنازعة ، ومن العبث أن تكون أي شركة من غير رئاسة مسئولة ..
وترك زمام البيت في يد المرأة وضع للأمور في غير نصابها أو هو تحميل العبء للكاهل
الضعيف ، والرجل أجدر من امرأته بحق إدارة البيت ورئاسة الأسرة ؛ فإن ما برأه الله عليه
من احتمال وصلابة ومقدرة واسعة على الكسب والنفقة ومدافعة أمواج الحياة .. كل ذلك

يجعله أولى بالترجيح : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ...﴾ ٤٧٠ .

والقوامة ليست تسلطاً ولا تعسفاً ولا ظلماً أو ترفعا ، بل هي الرعاية والحفظ والقيام بالمصالح وتحمل المسؤولية ، وإن الدعوة إلى عكس ذلك بدعوى المساواة أو الحرية هو قلب للفطرة ومعاكسة للطبيعة .

عباد الله : ولما كانت نفقات البيت من أهم ما يواجه الزوجان ومن أشد ما يعنت الرجل لأنه هو الذي يحمل العبء وربما كان لاختلاف الآراء فيما يجلب ويترك أثر سيء في نفسه وفي أهله .. بين النبي - صلى الله عليه وسلم - أن النفقة التي لا بد منها للبيت والتي يسعد البيت ببذلها ليست من المستهلكات الضائعة ، بل هي من الصدقات الباقية ، فقال : " دِينَارٌ أَنْفَقْتُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتُهُ فِي رَقَبَةٍ ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتُهُ عَلَى أَهْلِكَ ، أَفْضَلُهَا الدِّينَارُ الَّذِي أَنْفَقْتُهُ عَلَى أَهْلِكَ " رواه مسلم .

وهذا توجيه يستحق التأمل ؛ فإن من الناس من يضيع مصالح أهله أو يسيء تقديرها أو يمتنع عن سد ثغورها ، ومن النساء من تبالغ في إرهاق زوجها ، والجدل حول نفقات البيوت يكاد لا ينقطع ، والمطالب التي تعرض وترفض كثيرة ..

وفي بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو أشرف البيوت - حصل نقاش وجدال حول هذا ، والإسلام يكره أن تكون أمور النفقة سبباً في تعريض الأسرة كلها للمتاعب وتهديد مستقبلها ، يقول الله - عز وجل - : ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (٧)

٤٧١ ﴿

وهذا الأمر الإلهي جاء بعد جملة من الأوامر التي توصي بحسن الخلق وتُمسك بعروة التقوى ، وهي أوامر عرضت في سياق ما يمر بالبيوت من منازعات وما يُخاف على حبالها من انقطاع ؛ فبعد أن قال - سبحانه - : ﴿... فَأَمْسِكُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ ٤٧٢ .. قال - سبحانه - : ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)﴾ ٤٧٣ وقال : ﴿... وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ ٤٧٤ وقال : ﴿... وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ ٤٧٥ .

إذن عماد سعادة البيوت التقوى ثم التقوى ثم التقوى ؛ وهذا يفسر لك أيضا سر افتتاح سورة النساء بالأمر بالتقوى .

بارك الله لي ولك في القرآن العظيم ، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .
أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم .

الخطبة

الثاني

472 سورة

473 سورة

474 سورة

475 سورة

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فليعلم أنه لن يهب النسيم علياً داخل البيت على الدوام .. إن طبائع البشر تأبى هذا ؛ فقد يعتكر الجو وقد تثور الزوابع ، وارتقاب الراحة الكاملة وهم ، وانتظار اللذة الخالصة في الدنيا عجز ، وقلما عاش إنسان على حالة ثابتة من الرضا وانعدام العتاب ، ومن العقل توطين النفس على تحمل بعض المضايقات وترك التعليق المرير عليها أو ترتيب النتائج الكبيرة لوقوعها .

ولما كان الرجل في نظر الإسلام هو رب البيت ومالك زمامه فإنه مطالب بتصبير نفسه على ما لا يحب أحيانا ، نعم .. مطالب بإساعة بعض التصرفات الساذجة ؛ فإن نشدانه المثل الأعلى في بيته متعذر ومجيء امرأته وفق آماله كلها بعيد ؛ لذلك قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ " رواه البخاري ومسلم ..

وفي رواية عند مسلم : " إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ فَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ وَبِهَا عَوْجٌ ، وَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا وَكَسَرُهَا طَلَاقُهَا " وهذا ما يكرهه الإسلام .

ومن الرذائل النفسية تحقير نعمة الزوج وتقليل شكرها أو نسيان الرجل فضل المرأة وتضحيتها ، إن المرأة التي تبني سلوكها على جحد زوجها وكفر نعمته تخط لنفسها طريقاً إلى النار ، ونسيان الجميل شائع في خلاتق الناس رجالاً وإناثاً .

وقد عد النبي - صلى الله عليه وسلم - الجحود ذريعة لاستحقاق عذاب الله .. عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ ، قِيلَ : أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ ، قَالَ : يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا ، قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ " رواه البخاري .

وعلى الرجل ألا يسترسل مع مشاعر الضيق وألا يحبس نفسه مع الجانب الذي يسوؤه من زوجته ، بل يجب أن يذكر جوانب الخير الأخرى ، ولن يُعَدَم ما تطيب به نفسه من سيرتها ومعاملتها .. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لَا يَفْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ ، (أَوْ قَالَ غَيْرَهُ) " رواه مسلم .

فإن غلبته مشاعر التشاؤم وظن من نفسه أنه يكره فليعلم أن هذه المشاعر كثيراً ما تكذب وأن المرء قد يفرط في أسباب خيره ومصادر نفعه ؛ لذلك قال - تعالى - : ﴿ ... وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۖ ﴾ ٤٧٦ .

وتقصير أحد الشريكين ليس مبرراً للآخر أن يقصر في حق شريكه أو يقابله بالإساءة والعقوق .. على الزوجين أن يستحضرا المقاصد السامية في الحياة الأسرية من الإعفاف والسكن والتعاون على البر والتقوى وتربية النشء الصالح ، ولا يلتفتا إلى القشور : ﴿ ... وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ... ﴾ ٤٧٧ .

وإن هذه المعاني أولى بالاعتناء والبلاغ بدلاً من إشغال الناس بما يهدم ولا يبني من شئون الأسرة والمجتمع ..

على المصلحين والناصحين وأرباب الأقاليم والإعلام أن يعنوا أشد العناية بصلاح الأسر واستقرارها وقيام البيوت وشد بنيانها ، والله المسئول أن يحفظ على المسلمين دينهم وأمنهم وأن يصلح أحوالهم ويسعد أعمارهم .

هذا ، وصلوا وسلموا على خير البرية وأزكى البشرية محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين ، وارض اللهم عن الأئمة المهديين والخلفاء المرضيين - أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - وعن سائر صحابة نبيك أجمعين ، ومن سار على نهجهم واتبع سنتهم يارب العالمين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد مطمئناً وسائراً بلاد المسلمين .
اللهم آمنا في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا وولي أمرنا ..

اللهم وفق خادم الحرمين الشريفين لهداك ، واجعل عمله في رضاك ، وهيء له البطانة الصالحة ..

اللهم وفق ولي عهده لما تحب وترضى ، اللهم أتم عليه الصحة والعافية ، اللهم وفق النائب الثاني لما فيه الخير للبلاد والعباد ، واسلك به سبيل الرشاد ، وكن لهم جميعاً موفقاً مسدداً لكل خير وصلاح .

اللهم ادفع عنا الغلا والوبا والربا والزنا والزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن .

اللهم أصلح أحوال المسلمين . اللهم أصلح أحوال المسلمين . اللهم اجمعهم على الحق والهدى ، واحقن دماءهم ، وأرغد عيشهم ، وآمنهم في ديارهم ، وأصلح أحوالهم ، واكبت عدوهم .

اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان ، اللهم انصرهم في فلسطين ، اللهم انصر المرابطين في أكناف بيت المقدس ، اللهم اجمعهم على الحق يارب العالمين .

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك .

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .
اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يرضيك آمالنا .
ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم إنك سميع الدعاء .
ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ،
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عنوان الخطبة : عمل اليوم والليلة

تاريخ إلقاء الخطبة : : السابع من ذي القعدة من عام ١٤٣١هـ

— عمل اليوم والليلة —

نبذة مختصرة عن الخطبة:

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب — حفظه الله — خطبة الجمعة بعنوان: "عمل اليوم والليلة" ، والتي تحدّث فيها عن أهمية السنة واتباعها ، وبيان فضل الأذكار اليومية التي تُقال من الصباح إلى المساء ، والأذكار المُوظَّفة ، وحثّ على تأدية السنن المهجورة والمتروكة للتقرُّب إلى الله — جل وعلا — ، ومرافقة النبي — صلى الله عليه وسلم — .

الخطبة

أول

—

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يُضِل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فوصية الله تعالى للأولين والآخرين تقواه: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٤٧٨﴾ .

من أصلح سريره أصلح الله علانيته ، ويسر أموره ، وحببه إلى الخلق ، فالله الله في إصلاح السرائر ، فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح الظاهر.

أيها المسلمون:

إن أهم ما يعتني به المسلم في حياته اليومية: هو العمل بسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في أقواله وأفعاله ، وحركاته وسكناته ، حتى يُتم حياته كلها على سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الصباح إلى المساء ، وفي زمنٍ كثر فيه المدَّعون لمحبة النبي - صلى الله عليه وسلم - ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿٤٧٩﴾ .

وإن منزلة المؤمن تُقاس باتباعه للرسول - صلى الله عليه وسلم - ، فكلما كان تطبيقه للسنة أكثر كان عند الله أعلى وأكرم ، التمسك بالسنن تحصين للفرائض والواجبات ، وبابٌ لزيادة الأجور والحسنات ، وجنوحٌ إلى الأجل والأكمل.

إنه شرف الاتباع ، وحلاوة الاقتداء ، وحياة الوعي ، فلا تزيع به الأهواء ، وفوق ذلك: محبة الله الجليل ، " مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَّافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ " .

أيها المسلمون:

وهذه مقتطفات من سنن اليوم والليلة ، من التزمها كان في حفظ الله وكنفه ، وترقى في مراتب الصلاح والهدى حتى يكون مُنتهاها الجنة ، سنن ينبغي علينا تعلمها وتعليمها ، والتذكير والتواصي بها ، وتركية من تحت أيدينا بها من الأهل والأقربين.

عباد الله:

والمسلم يقتفي الهدي النبوي ، ويعمل بالسَّنَنِ الحمدي منذ أن يأوي إلى فراشه ، كما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يفعل ، فيتوضأ قبل النوم ، ويجمع كَفَّيْهِ ثم يَنْفُثُ فِيهِمَا فيقرأ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾^{٤٨٠} ، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾^{٤٨١} ، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾^{٤٨٢} ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات ، كما في "صحيح البخاري".

ويقرأ آية الكرسي؛ فمن قرأها " لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظًا ، وَلَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ " رواه البخاري أيضاً.

ويقول: " بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنِّي ، وَبِكَ أَرْفَعُهُ ، فَإِنْ أُمَسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا ، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ " رواه البخاري ومسلم.

ويقول: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك» ثلاث مرات؛ رواه أبو داود والترمذي. يقوله إذا وضع يده اليمنى تحت خده ، كما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يفعل.

480 سورة

481 سورة

482 سورة

وينام على جنبه الأيمن ويقول أيضاً: "سُبْحَانَ اللَّهِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ" ؛ رواه البخاري ومسلم.

ويقرأ آخر آيتين من سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ...﴾^{٤٨٣} إلخ الآيتين ، "مَنْ قَرَأَ بِهِمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ" ؛ رواه البخاري ومسلم. وإذا استيقظ من النوم مسح أثر النوم عن الوجه باليد ، وقد نصَّ على استحبابه النووي وابن حجر ، لحديث: فاستيقظ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده؛ رواه مسلم.

ويدعو بقوله: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانًا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ" ؛ رواه البخاري. وفي "الصحيحين": كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا استيقظ من الليل يشوص فاه بالسواك.

عباد الله:

ولدخول الخلاء سنن:

منها: الدخول بالرجل اليسرى ، والخروج بالرجل اليمنى ، ودعاء الدخول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ" ؛ متفق عليه. ودعاء الخروج: "غُفْرَانِكَ" ؛ أخرجه أصحاب السنن إل النسائي.

وللوضوء سننٌ أيضاً ينبغي تعلُّمها والحرصُ على تطبيقها:

ومن السنة: الاقتصاد في الماء؛ كان - صلى الله عليه وسلم - يتوضأ بالمُدِّ؛ متفق عليه. وصلاة ركعتين بعد الوضوء ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "مَنْ تَوَضَّأَ وَضُوءِي هَذَا ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" ؛ رواه البخاري ومسلم. وعند مسلم من حديث عقبة ابن عامر: "إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ" .

ومن السنن العظيمة: السواك ، قال - صلى الله عليه وسلم - : " لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ " ؛ رواه البخاري. وفي "السنن": " عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ " .

والسواك يُسنُّ للصلوات الخمس ، وللسنن الرواتب ، ولصلاة الضحى ، والوتر ، وعند دخول البيت ، وأول ما يبدأ به الرسول - صلى الله عليه وسلم - عند دخوله البيت هو السواك ، كما أَخْبَرَتْ بذلك عائشة - رضي الله عنها - ؛ أخرجه مسلم.

وكذلك عند قراءة القرآن ، وعند تَغْيِيرِ رائحة الفم ، وعند الاستيقاظ من النوم ، وعند الوضوء ، وقد قال - صلى الله عليه وسلم - : " السَّوَاكُ مَطَهْرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ " رواه الإمام أحمد.

وفي اللباس سنن:

منها: أن يقول: " بِسْمِ اللَّهِ " سواءً عند اللُّبْسِ أو عند الخلع ، قال النووي - رحمه الله - : "وهي مستحبةٌ في جميع الأعمال - أي: قول: بسم الله -" ، وكان - صلى الله عليه وسلم - إذا لبس ثوباً أو قميصاً أو رداءً أو عمامة يقول: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا هُوَ لَهُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا هُوَ لَهُ " رواه أبو داود والترمذي.

ثم البدء باليمين عند اللُّبْسِ ، لحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - : " إِذَا لَبِسْتُمْ وَإِذَا تَوَضَّأْتُمْ فَأَبْدُوا بِيَمَانِكُمْ " رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه بإسنادٍ صحيح.

وقال - صلى الله عليه وسلم - : " إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيُمْنَى ، وَإِذَا خَلَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ ... لِيُنْعِلَهُمَا جَمِيعاً ، أَوْ لِيُخْلَعَهُمَا جَمِيعاً " رواه مسلم.

أيها المسلمون:

ولدخول المنزل أيضاً سنن:

قال النووي: "يُستحبُّ أن يقول: بسم الله ، وأن يُكثِرَ من ذكر الله تعالى ، وأن يُسَلِّمَ" ، لحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - : " إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ ، قَالَ الشَّيْطَانُ : لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عِشَاءَ .. " رواه مسلم.

ويذكر دعاء الدخول ، لحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - : " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلَجِ وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ ، بِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا ، وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا ، وَعَلَى اللَّهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا ، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِهِ " رواه أبو داود .

فيستشعرُ التوكلُ على الله في دخوله وخروجه من البيت ، فيكون دائماً الصلة بالله .

ومن سنن دخول المنزل : السواك ، كما مضى في " صحيح مسلم " .

وكذلك : السلام ، لقول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ ﴾ ٤٨٤ .

أما الخروج من البيت فيقول : " بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، يُقَالُ لَهُ هُدَيْتَ وَكُفِّيتَ وَوُقِّيتَ ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ " رواه الترمذي وأبو داود .

عباد الله :

وللذهاب إلى المسجد سنن :

منها : التبكير في الذهاب ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا . وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهَجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ . وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوَا " متفق عليه .

ومن السنن : دعاء الذهاب إلى المسجد بالدعاء المعروف ، وكذا المشي بسكينة ووقار ، قال - صلى الله عليه وسلم - : " إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ وَلَا تُسْرِعُوا .. " رواه البخاري .

ومن السنة : الدعاء عند الدخول إلى المسجد ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ " رواه مسلم .

وعند أبي داود وابن ماجه: " إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ لِيَقُلْ: .. " الحديث.

قال أنس بن مالك - رضي الله عنه - : "من السنة إذا دخلت المسجد أن تبدأ برجلك اليمنى ، وإذا خرجت أن تبدأ برجلك اليسرى".

ثم تحية المسجد ، لحديث: " إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ " متفق عليه.

أما سنن الأذان فهي خمس سنن ، كما ذكر ذلك ابن القيم في "زاد المعاد":

الأولى: أن يقول السامع كما يقول المؤذن إلا في لفظ: (حي على الصلاة ، حي على الفلاح) ، فإنه يقول: " لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » رواه البخاري ومسلم.

وهذه السنة تُوجبُ لك الجنة ، كما ثبت أيضًا في "صحيح مسلم".

والسنة الثانية: أن يقول السامع: " وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، غُفِرَ لَهُ ذُنُوبُهُ " رواه مسلم.

والسنة الثالثة من سنن الأذان: أن يُصَلِّيَ على النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد فراغه من إجابة المؤذن ، قال - صلى الله عليه وسلم - : " إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا " رواه مسلم.

والسنة الرابعة: أن يقول بعد صلاته عليه: " اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ ، وَابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ " رواه البخاري.

وثمره هذا الدعاء: أن من قاله حلَّتْ له شفاعَةُ النبي - صلى الله عليه وسلم - .

والسنة الخامسة: أن يدعو لنفسه بعد ذلك ، ويسأل الله من فضله ، فإنه يُستجاب له ، لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " قُلْ كَمَا يَقُولُونَ - يعني: المؤذنين - فَإِذَا انْتَهَيْتَ ، فَسَلْ تُعْطَ " رواه أبو داود ، وحسنه الحافظ ابن حجر ، وصححه ابن حبان.

فاللهم وفقنا لاتباع السنة ، واجعلنا من أتباع نبيك محمد - صلى الله عليه وسلم -
المُترسِّمين هديَه ، المُقتفين أثرَه ، اللهم أوردنا حوضَه ، واحشُرنا في زمَرتَه ، وارزُقنا
شفاعتَه ، اللهم آمين ، اللهم آمين.

الخطبة

الثانية

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له الملك الحق المبین ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك
عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد ، فيا أيها المسلم:

هل تريد بيتاً في الجنة؟ استمع لهذا الحديث؛ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " مَا
مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّيَ لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ ؛ إِلَّا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي
الْجَنَّةِ أَوْ إِلَّا بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ " رواه مسلم.

وهي: أربع قبل الظهر ، وركعتان بعدها ، وركعتان بعد المغرب ، وركعتان بعد العشاء ،
وركعتان قبل الفجر.

ومن فضائل السنن: صلاة الضُّحَى ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: " أَوْصَانِي
خَلِيلِي - صلى الله عليه وسلم - بِصِيَامٍ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرَكَعَتَيِ الضُّحَى وَأَنْ أُوتِرَ
قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ " متفق عليه.

وأقلها ركعتان ، وأكثرها ثمان ركعات ، وقيل: لا حدَّ لأكثرها.

ولصلاة الليل شأنٌ عظيم ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ
رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ " رواه مسلم.

وللصلاة سننٌ قبلها ، وفيها ، وبعدها ، وكذلك أذكار الصلاة التي تُقال بعدها ، وأذكار اليوم والليلة ، والصباح والمساء.

أيها المسلمون:

ومن السنن التي علينا إشاعتها: السلام ، سُئِلَ الرسول - صلى الله عليه وسلم - : أيُّ الإسلام خير؟ قال: " **تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ** " رواه البخاري ومسلم.

ومن السنة لمن أراد أن يفارق أحداً من الناس: أن يأتي بالسلام كاملاً ، لحديث: " **إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ فَلْيَسْتَأْذِنِ الْأُولَى بِأَحَقِّ مِنَ الْآخِرَةِ** " رواه أبو داود والترمذي.

والابتسامة سنة ، قال - صلى الله عليه وسلم - : " **لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنَّ تَلَقَّى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ** " رواه مسلم.

والمصافحة ، قال - صلى الله عليه وسلم - : " **مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقَا** " رواه أصحاب السنن إلا النسائي.

وقال - صلى الله عليه وسلم - : " **الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ** " رواه البخاري ومسلم.

والله تعالى يقول: ﴿ **وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا** ﴾^{٤٨٥}.

عباد الله:

ولللطعام سننٌ يجمعها حديث: " **يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ** " رواه مسلم.

وأيضاً: حمد الله تعالى بعد الأكل " إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا " رواه مسلم.

وكان من دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد الطعام: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي ، وَلَا قُوَّةَ " وثمرة هذا الدعاء: " غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ، وحسنه الحافظ.

وكذلك: التنفُّس أثناء الشرب خارج الإناء؛ أي: على ثلاث مرات ، ولا يشربه مرة واحدة ، وكان - صلى الله عليه وسلم - يتنفَّس في الشراب ثلاثاً؛ رواه مسلم.

ألا فالزَمُوا سنة نبيكم ، واتَّبِعُوا هديَه تفوزوا وتُفْلِحُوا.

ثم صَلُّوا وَسَلَّمُوا على خير البرية ، وأزكى البشرية: محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي ، اللهم صلِّ وَسَلِّمْ وباركْ على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأزواجه أمهات المؤمنين ، وصحابته الغر الميامين ، وارضَ اللهم عن الأئمة المهديين ، والخلفاء المرضيين: أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليٍّ ، وعن سائر صحابة نبيك أجمعين ، ومن سار على نهجهم واتبع سنتهم يا رب العالمين.

اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين ، وأذِلَّ الشرك والمشركين ، ودمِّر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم آمناً في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا ووليَّ أمرنا ، اللهم وفقه لهداك ، واجعل عمله في رضاك ، وهبْ له البطانة الصالحة ، اللهم وفقْ وليَّ عهده لما تحب وترضى ، وأتمَّ عليه الصحة والعافية ، اللهم وفقْ النائب الثاني لما فيه الخير للعباد والبلاد ، واسلُك بهم جميعاً سبيل الرشاد ، وكن لهم مُوفِّقاً مُسَدِّداً لكل خيرٍ وصلاح.

اللهم ادفَع عنا الغلا والوبا ، والرِّبا والزنا ، والزلازل والمِحَن ، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بَطَن.

اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ، وأصلح أحوالهم ، واكبتِ عدوَّهم ، اللهم وانصر المُستضعفين من المسلمين ، اللهم انصر

المُستضعفين من المسلمين في كل مكان ، اللهم انصرهم في فلسطين ، اللهم اجمعهم على الحق يا رب العالمين.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يُعجزونك.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^{٤٨٦} .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم ، إنك سميع الدعاء.

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أعطنا ولا تحرمننا ، وزدنا ولا تنقصنا ، اللهم أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلته قوةً على طاعتك ، وبلاغاً إلى حين. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة : وقفة تأمل في ختام موسم الحج

تاريخ إلقاء الخطبة : الثالث عشر من ذي الحجة من عام ١٤٣١هـ

– وقفة تأمل في ختام موسم الحج –

نبذة مختصرة عن الخطبة:

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب – حفظه الله – خطبة الجمعة بعنوان: "وقفة تأمل في ختام موسم الحج"، والتي تحدّث فيها عن علامات قبول الحج، وحثّ الحُجَّاج وسائر المسلمين على ضرورة المحافظة على الأعمال الصالحة، وإتباع الحسنة الحسنة، وحثّ من الابتداع في الدين.

الخطبة

أول

—

الحمد لله ، الحمد لله الذي خلق وعزَّ ومَلَك ، خَشَعَتْ لعظمته صُمُّ الجبال ، وخضع كل إنسان وجانٌ ومَلَك ، دَحَا الأرض وسَمَك السماء ، فما أجهل ما دحا وأحسن ما سَمَك ، أحمدُه - سبحانه - وأشكره ، وأُثني عليه وأستغفره ، ما مَخَر في الماء الفُلك وما دارَ الفُلك ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مَلِكُ كل من مَلَك ، لبيكَ لا شريك لك ، إن الحمد والنعمة لك ، ما خابَ عبدٌ أمَلَك ، أنت له حيث سَلَك ، لولاك يا رب هَلَك .
وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، خيرٌ من صَلَّى وزَكَّى وصامَ ونسَكَ ، صَلَّى الله وسلَّم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، أيها المسلمون:

حُجَّاج بيت الله الحرام: اتقوا الله تعالى وأطيعوه ، وعظَّموا أمره ولا تعصوه ، فعَمَّا قليل يُقال: فلانٌ هَلَك ، فيا حسرتَه على ما قدَّم من شر ، ويا ندامته على الخير الذي ترك .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ٤٨٧ .

عباد الله ، حُجَّاج بيت الله الحرام:

يا من أفضتم إلى المزدلفة من عرفات ، وبُثُّم في منى ورميتم الجمرات ، يا من سُحِّم بين زمزم والمقام ، هذه هي مُتَرَّل آي الكتاب ، وتلك معالم التوحيد ، وها هنا خُتِمت الشرائع ، وارتضى الله لنا الدين ، لقد أفضتم بين هاتيك الربوع ، وسُحِّم بين تلك المشاعر وتيك الجموع ، إنها آثار الأنبياء ، وذكريات المرسلين ، وهذه رَحِمُ الأمة التي أُجِبَّت الصحابة والفاحين.

هنا معقل التوحيد ، وحول الكعبة نُشِرَ الشرك وأبطل التنديد.

يا معشر الحجيج:

أنتم الآن وفي هذه الساعة تقفون على الأرض التي هي مركز نشأة الأمة ، نشأتها جماعة ومُعتقداً ، وتكوُّنُها شريعة وسلوكاً ، فأَلَّتْ عاقبُها إلى كل خير ، وانتهى مجدها فوق كل مجد ، فإن أردتم وأنتم بينكم وبين تلك النشأة قروناً وأعصاراً ، إن أردتم إعادة الكرة ، وتلمس الطريق ، فهنا الآثار وهذا السبيل.

فتزودوا من هذا المشعر الدروس ، والتمسوا من هذه الشعيرة أسباب النهوض ، فهذه وقفة تأمل في ختام أيام الحج.

أيها المؤمنون:

إن أمتنا المسلمة ومنذ ما يزيد على قرنٍ من الزمان حين تقهقرت في شؤون الحياة ، وتفككت أجزاءها في عالم الدول ، لم يزل أفرادها يحلمون بالوحدة الجغرافية الكبرى ، ويعتقدون أنها السبيل الوحيد لاسترداد مجدٍ غابر ، واستعادة عزٍّ آثر ، ونُظِمَت في هذا السبيل القصائد الجياد ، وأُلِّفَت الكتب ، ورُصِفَت المقالات ، وأصبح الكُتَّاب والمُفكِّرون ينامون على هذا الحلم ويصحون.

وما في طَبَّهم رُقِيَّة إمام دار الهجرة: "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها".

وما في دوائهم: أن الذي ابتدأ مجد العرب ، ورسم سبيل رفعتهم: - صلى الله عليه وسلم - لم يبدأ بتوحيد العرب حتى وحد عقائدهم ، وكانت وحدة الشعوب نتيجةً لوحدة المعتقد. إن المسلمين إن لم يجمعهم الحق شعبهم الباطل ، وإذا لم تؤحدهم عبادة الرحمن مزقتهم عبادة الشيطان ، وإذا لم ياتلفوا على كلمة التوحيد فسيظلون في أمرٍ مريب ، فأين كثيرٌ من المسلمين وأين عقيدتهم التي امتحنت في هذه الفياح ، وما زالت معالمها قائمة في هذه الربوع ، وشواهدا تروى في هذه المشاعر.

لقد كان المسلم الأول يمرُّ على قول الله - عز وجل -: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾^{٤٨٨} فتحول بينه وبين الخلق جميعاً ، وتسُدُّ عليه طريق الرغبة في العباد كافة ، فتمرُّ به مصائب الناس جميعاً ، فلا يدل مخلوقاً على مكان ألمه ، ولا يكشف لغير الله عن موضع علته ، لقد كان يسمع قول الله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾^{٤٨٩} فينفي كل وساطة بينه وبين ربه ، ويجعل الصلة مباشرةً مع الله.

أيها المسلم:

لم يُنعم الله عليك نعمةً هي أوفى ولا أَمَنٌ ولا أَسْبَغَ من كونك مسلماً لله مع المسلمين ، هنيئاً لك إسلامك ، وانعم بإيمانك ، فقد هداك الله يوم ضلَّ غيرُك ، وأرشدك حين تاه سواك ، إلهك الله ، وإمامك نبي ، وشريعتك وحي ، وموعودك الجنة ، والدين يُسر ، فصلواتك أجور ، وقراءتك القرآن نور ، زكائك مطهرة ، وحجك مغفرة ، وصومك لله لا حدَّ لجزائه.

وضوؤك مكفّر للخطايا ، وتبسمك في وجه أخيك صدقة ، حسنُك بعشر ، وسيئُك بواحدة ، والحسنات يُذهبن السيئات ، أعمالُك يسيرة ، وأجورك كثيرة ، فاعرف قدر هذا

488 سورة

489 سورة

الدين ، وتمسك به مع المتمسكين ، فقد زهد في بعض أحكامه أناس ، وانتقص منه آخرون ، مع أن الله أكمله ، وامتن بذلك بآية المائدة ، فمن انتقص منه شيئاً بعد ما أكمله الله فقد ردّ على الله إكماله ، ولم يقبل منه امتنانه بذلك وإفضاله.

أيها المسلمون:

شريعة الله رحمة ، وأمرها يسيرة وإن كانت كثيرة ، والمشروع فيها بحر له ساحل ، فالزموا السنة واكتفوا بها ، وعليكم بالمشروع فقد كُفيتُم ، إياكم والبدعة؛ فإن كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، لا تشرعوا في الدين ما لم يأذن به الله ، إياكم والرأي في الدين ، وقد تدبّر بهذا الدين من هو خير منكم في سالف الأزمان ، فلم يزدوا فيه ولم يُضيفوا إليه.

إن خطر الابتداع في الدين يتمثل في تغيير وجه الإسلام الذي جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - حتى يحول على مر الزمان كأديان أهل الكتاب التي بدلوها فُنسِخت ، فيتغير وجه الدين يوماً بعد يوم ، ويتدبّر الناس بدين لم يأت به محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ولم يعرفه أبو بكر ولا عمر ولا الصحابة المهديون ، فهذا يستحب أمراً ، وذاك يُضيف شعيرة ، والآخر يرتضي سلوكاً ، وغيره يزيد عبادة ، فإذا نحن أمام إسلام بالاسم لا بالرسم ، ودين ليس استمداده من السماء؛ بل من العقول والأهواء.

فالله الله يا عباد الله؛ تمسكوا بأصل دينكم وأوله وآخره ، وأُسّه ورأسه: شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، واعرفوا معناها ، وأحبوها ، وأحبوا أهلها ، واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين.

فاتَّحدوا - أيها المسلمون - على التوحيد والسنة؛ فإنها الوحدة التي تغيظ الشيطان ، وتهدم خطط أوليائه من الإنس والجان ، ولا يزال الذين كفروا يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا.

أيها المسلمون:

إن وحدة الشعور بين المسلمين ، ومشاركتهم أماً وأملاً ، وفي السراء والضراء لمن أهم معالم الوحدة ، وقد قال - صلى الله عليه وسلم - : " **مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى** " رواه مسلم.

عباد الله:

إن الشعوب المسلمة تتفاوت غنى وفقراً ، وقدرةً وعجزاً ، وتعلماً وجهلاً ، فلا يكونن ذا الفرق مدعاةً لبطر القوي ، ولا جانباً لحسن الضعيف ، ليكن إحسان الظن مُقدِّماً عند الجميع ، وليعطف القوي على الضعيف ، ﴿ **وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾ (32) ^{٩٠} ليكن التكامل بين الشعوب المسلمة هاجس حكامها ، والتعاون في سبيل الرفعة هم حكامها ، والتصافي بين النفوس دأب عقلائها.

لقد وُحِّدَت المصالح أماً تباينت بهم اللغات ، واختلَفَت بهم الأعراق ، وكانت بينهم قبل عقود قليلة حروبٌ عظيمة ، وإباداتٌ كبرى ، فما منعهم ذلك أن يطوؤوا تلك الصخائف ، وينسوا تلك الضغائن والأحقاد ، في سبيل المصلحة الأعم ، والمستقبل الأفضل.

أفلسنا نحن العرب والمسلمين أولى بذلك؟! كفانا تنابُزاً واختلافاً ، وحسبنا فرقةً واتهاماً؛ فإن المرحلة لا تحتل ، وقد بلغ غيرنا في شؤون الحياة شأواً بعيداً ، وغدونا في مرتبة لا يؤبه بها بين الأمم ، وليس لها مدى في سباق الحضارات ، غاب منا التأثير حين عجزنا عن التغيير ، والله لا يُغيِّر ما بقوم حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم ، فإن هذه الحال لا يرضاها الله لنا ، وقد وصَفْنَا بأننا خير أمة ، ولا تليق بنا ونحن ملَّتنا أكرم ملَّة.

فالنهوض بهذه الأمة واجبٌ على أفرادها ، ولا نستطيع ذلك حتى نُحسِّن صلّتنا بالله أولاً ،
ثم نعمل مُخلصين جادّين ثانياً ، وأن تتكامل القدرات بين الشعوب المسلمة ثالثاً ، ﴿ وَإِنَّ
هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ (٥٢) ﴿ ٩١ ﴾ ، ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ
رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٤٦) ﴿ ٩٢ ﴾ .

بارك الله ولكم في الكتاب والسنة ، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة ، أقول قولي هذا
وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثاني

الحمد لله ، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، له الحمد ملء الأرض وملء السماوات ،
اللهم لك الحمد على ما يسّرْتَ من تمام الحجّ وكمالهِ ، وما أسبغتَ من النعمة والتوفيق ،
والتييسير والتسديد ، والأمن والأمان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلّى الله
وسلّم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد ، أيها المسلمون:

في هذا اليوم يرمي الحجّ الجمرات ، وبمغيب شمس هذا اليوم تُطوى صفحة أيام التشريق ،
وينقضي وقت نحر الأضاحي.

491 سورة المؤمنون

492 سورة الأنفال

وإذا أراد الحاج أن يرجع إلى بلده فيجب عليه أن يطوف بهذا البيت طواف الوداع ، ولا يلزمه سعي له ولا حلق ، ولئن انقضت هذه الأيام الفاضلة فإن عمر المؤمن كله خير ، هو مزرعة الحسنات ، ومغرس الطاعات ، والمؤمن لا يزيده عمره إلا خيراً ، وعبادة الله لا يحدّها زمان ولا مكان ، فربّ عابدٍ في ذرى جبال السند هو أقرب إلى الله من مُتعبٍ عند الكعبة ، وربّ مُصلٍّ عند جبل طارق تبلغ صلاته ما لم تبلغه صلاة مُصلٍّ في الروضة الشريفة؛ فإن معيار القبول هو إخلاص العامل لله ، ومُتابعته رسول الله ، وفضل الله واسع.

ومن علامة قبول الحسنة: الحسنة بعدها ، وعلامة الحج المبرور: أن تعود خيراً مما كنت ، ومن طهرت صحيفة عمله بالغفران فليحذر العودة إلى دنس الآثام ، فالتكثّر أشد من الجرح.

وليكن من الخير في ازدياد؛ فإن ذلك من علامة القبول.

ثم الصلوات الزاكيات ، والتسليمات الدائمات على أشرف خلق الله: محمد رسول الله ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغرّ الميامين ، اللهم ارض عن الأئمة المهديين ، والخلفاء المرضيين: أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وعن سائر صحابة نبيك أجمعين ، ومن سار على نهجهم واتبع سنتهم يا رب العالمين.

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين ، وأذلّ الشرك والمشركين ، ودمّر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم آمناً في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا ووليّ أمرنا ، اللهم وفقه لهداك ، واجعل عمله في رضاك ، وهبْ له البطانة الصالحة ، اللهم وفق وليّ عهده لما تحب وترضى ، اللهم أتمّ عليهم الصحة والعافية ، اللهم وفق النائب الثاني لما فيه الخير للعباد والبلاد ، واسلك بهم جميعاً سبيل الرشاد ، وكن لهم موفّقاً مُسدّداً لكل خيرٍ وصلاح ، وتولّ ثوابهم على ما يبذلونه لخدمة الحرمين الشريفين ، وللحُجّاج والمُعتمرين.

اللهم جازِ بالخيرات والحسنات من سعى في خدمة الحبيب.

اللهم اقبل من الحُجَّاج حُجَّهْم ، واستجِبْ دعاءهم ، اللهم اجعل حُجَّهْم مبرورًا ، وسعيهم مشكورًا ، وذنبهم مغفورًا ، وأعدهم إلى ديارهم سالمين ، اللهم تقبَّل منا ومنهم ، وثبِّتنا على الحق والهدى ، واختم لنا بخير يا أرحم الراحمين.

اللهم ادفَع عنا الغلا والوبا ، والرِّبا والزنا ، والزلازل والمِحَن ، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بَطَن.

اللهم أصْلِح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ، اللهم وانصر المُستضعفين من المسلمين في كل مكان ، اللهم انصرهم في فلسطين ، واجمعهم على الحق يا رب العالمين.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يُعجزونك.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) ﴾ ٤٩٣ .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم ، إنك سميع الدعاء.

اللهم لك الحمد ، اللهم لك الحمد ، اللهم لك الحمد على ما أسبغت علينا من نزول الأمطار ، اللهم اجعل ما أنزلته قوةً على طاعتك ، وبلاغاً إلى حين.

اللهم غمِّ برحمتك جميع أرجاء بلاد المسلمين ، يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الرابع

منبر الجمعة من الحرم المكي للعام
الهجري ١٤٣٢ هـ

عنوان الخطبة : مكانة الطفل في الإسلام

تاريخ إلقاء الخطبة : الثامن عشر من محرم من عام 1432هـ

— مكانة الطفل في الإسلام —

نبذة مختصرة عن الخطبة:

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب — حفظه الله — خطبة الجمعة بعنوان: "مكانة الطفل في الإسلام"، والتي تحدّث فيها عن الأطفال واهتمام الإسلام وعنايته بهم، وذكر نماذج من سيرة نبينا محمد — صلى الله عليه وسلم — تُدلّل على رحمته وتواضعه ومُداعبته ومُلاعبته وأخلاقه السامية — صلى الله عليه وسلم — مع الأطفال، وفي ذلك أعظم القدوة والأسوة لجميع أتباعه — عليه الصلاة والسلام —.

الخطبة —————

أول —————

—

الحمد لله، الحمد لله الذي لا يُحيط بحمده حامد، ولا يُحصي نعماءه مُحصٍ، ولا يُحيط بها راصِد، أنعمَ على خلقه فجعلهم ما بين مولودٍ ووالد، وهو الغني بذاته فلم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا ولم يكن له فيما مضى والد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد

أن محمداً عبده ورسوله أكرم نبي وأكرم عابد ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، أيها المسلمون:

فإن الوصية المبذولة هي التقوى ، فالزموها سرّاً ونجوى؛ يكن الله لكم في كل حال ، ويُعقبكم دوماً خيراً مآل .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾
٤٩٤

أيها المسلمون:

في دُورنا وتحت سقوف منازلنا أبشارٌ غصّةٌ وأجنحةٌ كثيرة ، وفي أغصان دوحنا أعوادٌ طريّةٌ وبراعم ناشئة ، إنها براعمٌ لم تُزهَر ، وزهورٌ بعدُ لم تُثمر؛ أولئك هم الأطفال ، ثمراتُ القلوب ، وقطع الأكباد ، أطفالنا عجزٌ تحت قُدرتنا ، ومسكنةٌ تنفياً قوتنا ، وهم مستقبلُ مرهونٌ بحاضرنا ، وحياةٌ تتشكّل بتربيتنا وتُصاغ بها ، وهم بعد ذلك كله هم بعضُ الحاضر وكل المستقبل .

الطفولة - أيها المسلمون - كهفٌ يأوي إليه الكبارُ فيغسلوا همومهم في براءة أطفالهم ، ويجتلوا جمال الحياة في بَسَمَات صبيانهم ، أفصحُ تعبيرٍ يستمطرُ الحنان تَأْتَاةَ طفل ، وأبلغُ نداءٍ يستجيشُ الحب لثغةً صغير ، ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٤٦) ﴾ ﴿ ٤٩٥ 》 .

وهم نعم بين أيدينا سائحة ، ومن غادية علينا ورائحة ، ولقد جاءت شريعة الله راعيةً للطفولة حقها ، مُحِيطَةً بحقوق الطفل المعنوية والحسية ، من حين كونه جنيناً إلى أن يبلغ مبلغ الرجال. **الراشي**

وبرزت العناية بالجانب النفسي والمعنوي بالطفل في سيرة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وتوجيهاته؛ فقد كان يُمازح الصبيان ، ويُؤاكل الأيتام ، ويمسح على رؤوسهم ، وقال: " **أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ** " وقال: " **مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ دَخَلَتْ أَنَا وَهُوَ الْجَنَّةَ كَهَاتَيْنِ** " - **وَأَشَارَ بِأَصْبُعَيْهِ** - وقال: " **لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا** " وأمر بكف الصبيان عن اللعب حين انتشار الشياطين ، واستعجل في صلاته حين سمع بكاء طفل ، ونهى أن يُفرّق بين الأمّة وولدها في البيع.

بل وسعت شريعته - صلى الله عليه وسلم - حتى أولاد البهائم؛ فأمر من أخذ فراخ طائر أن يرُدّها ، وقال: " **مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بَوْلِدَهَا ؟** " كما ورد النهي عن التفريق بين الشاة وولدها.

حتى إنه - صلى الله عليه وسلم - حفظ حق الجنين وإن كان نطفةً حراماً ، فأمر المرأة التي زنت أن تذهب حتى تضع طفلها ، وأخر إقامة الحدّ حفظاً لحق الوليد حين وضعت ولدها؛ فأمرها أن تعود حتى تستكمل سنتي رضاعته.

بل وفي أهم فروض الدين وأشدّها تعظيماً كان - عليه الصلاة والسلام - يُصلي وهو حاملُ أمّامة ابنة بنته زينب - رضي الله عنهما - ، ويُصلي وهو حاملُ الحسن ابن ابنته فاطمة - رضي الله عنهما - ، وحين سجد - عليه الصلاة والسلام - فركب الحسن على ظهره أطل لأجله السجود ، وحين سُئل عن ذلك قال: " **إِنَّ ابْنِي هَذَا ارْتَحَلَنِي ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ** " .

فلم تمنعه خشيتُه لربه ولا وقوفه بين يديه من ملاطفة الصغار ومراعاة مشاعرهم.

أيها المسلمون:

وهل الطفولة والأطفال في حاجةٍ للتذكير بحقهم واستشارة المشاعر نحوهم؛ رغم أن الفطرة داعية لذلك ، والطبع مُنْساقٌ وميَّالٌ كذلك؟!

يقال - بكل أسي - : نعم؛ فرغم كثرة ما أنتجتَه المدنية الحديثة من خيرٍ ، إلا أن ثمة أنماطاً سلوكية ، وظواهر لم تعد خفيةً أصبحنا نبيِّنُها في مجتمعاتنا ، وما كانت فيها من قبل.

فتحت ضغوط الحياة اليومية ، وكثرة الأمراض النفسية ، والجرأة على تعاطي المؤثرات العقلية؛ وُجدَ فئةٌ من الآباء والأمهات غاضِبٌ نبعُ الحب في قلوبهم ، وأسقطَ خريفُ القسوة أوراق الحنان من نفوسهم ، فاستُلِبَت من بين جوانحهم إنسانيتهم ، وكانت أول ضحايا ذلك الاستلاب هم الأطفال.

فكم بين جدران البيوت وأسوار المدارس من طفولةٍ مُنْتَهَكَةٍ ، وبراءةٍ مُغتالةٍ ، يتعرضُ الأطفال في صورها للضغط النفسي ، والعنف البدني ، والتعذيب الجسدي ، ترى ذا الخمسة أعوام يُقلِّب عينيْن ماؤهما الطُّهر ، وبريقهما البراءة ، يُقلِّبها في أبيه القادم إليه ، ويخفقُ فؤاده الغضُّ لمرأى أبيه ، مُنتظراً منه ضمةً أو قبلةً ، فإذا لسعُ النار يفجرُه ، أو الضرب العنيف يتلقَّفه ، وسلاحُ الطفل - ويا لسلاحه - أُناتٌ متقطعةٌ ، ورزفَراتٌ مُتَحَشِرجةٌ ، وقد غابَ المُعين والناصر.

واستعن - أيها السامع - بخيال شاعرٍ أو سُبُحات أديبٍ لتتصوَّر ما الذي يُحسُّه ذلك الطفل ويشعرُ به ، وكيف تُؤادُ في نفسه كل مباحج الحياة ، ويغضُّ في مُخيِّلته كل جميلٍ يبلغه خياله الحالم.

وثمة طفل لم تجد أمُّه المضطربة نفسياً ما تُفرِّغ فيه اضطرابها إلا جسد طفلها ، وكم يحدث في المجتمع من أمثال هذه الانتهاكات ، وكم تُمارَسُ هذه الوحشية داخل البيوتات ، ولا يشعر بها جيرانٌ ولا أهلٌ؛ فقد أساء آباء لأطفالهم ، وأدبَت زوجاتٌ أولادَ أزواجهن ، ولم يسلم الأطفال حتى من أذيةِ عاملات المنازل ، وعاش من عاش منهم مُشوَّه الإنسانية ، مُتَشَحِّحاً

بالعدوانية ، له مستقبلٌ قاتمٌ ، وربما احترف الجريمة والانحراف فحسِرَ نفسه ثم خسِرَه المجتمع.

أيها المسلمون:

إن هذه المظاهر ليست - بحمد الله - عامة ولا شائعة ، ولكنها توجد بقدرٍ غير قليل ، وإن من أعظم أنواع الاحتساب: أن يحتسب المجتمع في رفع الظلم عن هذه الفئة؛ خصوصاً إذا كان الظلم واقعاً من ذوي القُربى.

وظلمُ ذوي القُربى أشدُّ مضاضةً

على النفس من وقع الحسام المهند

يجب التفطن لصغارٍ من ابتُلوا بمرضٍ نفسيٍّ ، أو تورطوا بمؤثرٍ عقليٍّ؛ خصوصاً وأن الطفل المُعَنَّف والمُعَذَّب حين تصدُّفه قد لا تسمع منه تعبيراً يكشف ما أصابه ، وقد حفرَت تلك الاعتداءاتُ في نفسه أخاديدها ، وإن الطفل المُعَذَّب وإن عجزَ لسانُ مقاله عن الشكوى فإن لسان حاله سينطق بالكثير ، والصغير لا ينسى ، وجراحُ الطفولة لا تندمل ، وإن لم يتداركها الوُساة فيؤشك أن تنتهي إلى مقتل.

وإنها لظاهرةٌ حسنةٌ تلك المراكز والدُّور التي تُعنى بحماية الطفل ، وتوعية الآباء والأمهات ، والقائمون عليها على خيرٍ عظيم ، ينبغي دعمهم والتواصل معهم والإشادة بهم.

عباد الله:

وثمة صفحةٌ أخرى من كتاب مآسي الطفل ، عنوانها: الخلافات الزوجية؛ فعندما يحضر الشيطان بين زوجين ، ويتقصَّد كلٌّ منهما الإساءة إلى الآخر ، وعيون الأطفال تُشاهد وتترقَّب ، ونفوسهم تتوجَّد وتترِف ، ويرون إساءةً لفظيةً من الأب لأمهم ، أو إهانةً معنويةً

من الأم لأبيهم ، أو اعتداءً جسدياً من أحدهما على الآخر؛ فإن الطفولة - حينئذٍ - في هباء ، وثمة ساعتها عُقدٌ نفسية تنمو في خفاء ، ويخبو وهج الحياة لدى الطفل ، وينسحب ذلك على عدم مبالاته بالتعليم فلا يعنيه ، ويُعتم المستقبل في ناظره؛ فلا حلم يُداعبه ولا أمل يُلاغيه.

شاهت الأيام في عينيه ، وساءت معاني الأمومة والأبوة في ناظره ، والوالدان غير مُبالين ، يتنافسان أيهما الأسوأ ، وأيهما الذي ينتأ جرح طفلهما فلا يبرأ.

يا أيها الأزواج المتخاصمون:

إن الله - عز وجل - حدّد أوقاً لا يدخل فيها الأولاد على والديهم حتى لا تقع أعينهم على ما لا يُدركون من المباح؛ أفليس من باب أوّلَى أن نُشيعَ بأبصار الصغار ونصرف علمهم عن العلاقة السلبية بين والديهم ، فيعيشوا في بيئة نقية ، ونفسية رضية.

إن الخلاف له آداب ، والخصومة لها حدود ، ولا ضحية هنا للتجاوز إلا المتجاوز نفسه وأسرته ومستقبلهم جميعاً.

أما بعد الطلاق والانفصال فتثور مسألة نفقة الأطفال ، وزيارتهم لأحد الوالدين ، وكم في هذه المسألة من صورٍ مِداؤها الأسي ، وألوانها العناء؛ مع أن الله تعالى يقول: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ (٢٣٣) ﴿٤٩٦﴾ .

وكم طفل غُيب عن أمه ولا ذنب له إلا خلافٌ لم يكن طرفاً فيه ، ولكنه عُوقِب به ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: " مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " أخرجه أحمد ، وصحّحه الحاكم.

فبأيّ ذنبٍ يُحرّم الطفل حنان أمه أو لقاء أبيه وهو بضعةٌ منهما ، ولا غنى له بأحدهما عن الآخر مهما فعل الأول ، يجب أن يُمكن الطفل من رؤية والديه ، ومن الاتصال بهما متى

أراد دون مُحاسبةٍ أو مُضايقةٍ ، ولا يجوز بحالٍ أن يكون الانفصالُ بين الوالدين داعياً لأن يُربَّى الطفل على عقوق أحدهما أو عدم الإحسان إلى الآخر.

يا من وقع الطلاق بينهم من الآباء والأمهات! لا تنسوا الفضل بينكم ، واتقوا الله في أولادكم ، إن خلافاتكم حبلٌ ممدود طرفاه بأيديكم ، وفي وسطه عقدةٌ مُلتفةٌ على عنق الطفل ، فكلما اشتدَّ أحدُ الأبوين في الجذب استحكمت العقدة على عنق الطفل ، مع أن خلافات الأبوين في الغالب يكون المغلوب فيها خيراً من الغالب.

كم من أبٍ يتحائل في تقليل نفقة أولاده ، أو الهروب منها ، لا لشيءٍ إلا ليغيظ أمهم؛ فكيف يرجو برَّ أولاده بعد ذلك ، ويتأمل دعاءهم وصدقتهم عنه حين يكبرون؟!

أيها المسلمون:

ومن صور الإساءة المنتشرة: الصياحُ والصراخُ في وجه الطفل ، وتهديده وتخويفه ، وكثرة مُعاتبته وتعنيفه ، وهذا مما يتساهل فيه الآباء والأمهات ، والمُربُّون والمُربيَّات ، ويتصرفون بمشاعرهم الغاضبة دون إدراكٍ للعواقب المدمِّرة لنفسية الطفل.

والتعنيفُ والتخويفُ يُورث شخصيةً مهزوزةً ، ونفسيةً مُضطربةً ، ألا فاتقوا الله في وصيته: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ (١١)﴾ ^{٤٩٧} وليتق الله كلٌّ في رعيته؛ فكلُّ مسؤولٍ ومُحاسب.

اللهم بارك لنا في الكتاب والسنة ، وانفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثاني

الحمد لله حق الحمد وأوفاه ، والصلاة والسلام على رسوله ومُصطفاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صَلَّى الله وسلّم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أيها المسلمون:

خطأ الأطفال مغفور ، وذنوبهم مغفوّ عنه ، الله قد رفع عنهم قلم التكليف ، فارفعوا أنتم عنهم أساليب التعنيف ، قفّوا بين العنف والضعف في موقف الحزم ، واقدرُوا لحداثة السن ومحبة اللهو قدرها ، وإذا كان الطفل لا يُضربُ على الصلاة وهي عمود الدين إلا وهو في العاشرة من عمره وبعد أن يُؤمرَ بها مئات المرات؛ فكيف يُضربُ ابنُ سنتين وثلاث ، وابنُ خمسٍ وسبعٍ على شقاوةٍ فطرية ، أو لهُوٍ بريء؟!

ولكم في هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - قدوةٌ وأُسوةٌ؛ عن أس - رضي الله عنه - قال: " خدمتُ النبي - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين ، فما قال لي أفّ ، ولا لم صنعتَ ، ولا ألا صنعتَ " ؛ رواه البخاري. ولفظ أبي داود عن أنس قال: " خدمتُ النبي - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين بالمدينة وأنا غلامٌ ليس كل أمري كما يشتهي صاحبي أن أكون عليه ، ما قال لي فيها أفّ قط ، وما قال لي: لم فعلتَ هذا ، أو ألا فعلتَ هذا " .

قال الحافظ ابن حجر: "ويستفادُ من هذا: تركُ العتاب على ما فات؛ لأن هناك مندوحةً عنه باستئناف الأمر به إذا احتيجَ إليه ، وفائدة تزويه اللسان عن الزجر والدم ، واستئلاف خاطر الخادم بترك مُعاتبته ، وكل ذلك في الأمور التي تتعلّق بحظّ الإنسان ، أما في الأمور اللازمة شرعاً فلا يُتسامح فيها؛ لأنّها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

عباد الله:

إنه لا خلاف في مبدأ تصحيح خطأ الطفل إذا أخطأ ، ولكن يجب أن يكون التصحيح بأسلوب يبيّن ولا يهدم ، ويؤدّب ولا يُثرب ، ولنا في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسوة؛ عن عمر بن أبي سلمة قال: "كنتُ غلاماً في حجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وكانت يدي تطيشُ في الصحيفة ، فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ " قال: فما زالت تلك طِعمتي بعد؛ متفق عليه.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - أخذ تمرّة من تمر الصدقة فجعلها في فيه ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " كَخْ كَخْ ، اِرْمِ بِهَا أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ ؟! " رواه البخاري ومسلم.

وقوله: " كَخْ " بفتح الكاف أو كسرهما.

وروى الطبراني عن زينب بنت أبي سلمة أنها دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يغتسل ، قالت: "فأخذ حفنةً من ماء فضربَ بها في وجهي وقال: " وَرَأَيْكَ أَيُّ لَكَاعٍ " .

فانظر كيف علّم عمر بن أبي سلمة آداب الطعام ، وعلّم الحسن الورع ، وعلّم زينب الأدب في الاستئذان وعدم الاطّلاع على العورات ، وتأمل كيف كان التعليم بأسلوب يفهمه الصغار ، بكلمة واحدة ، أو جُمْلٍ صغيرةٍ مختصرة واضحةٍ يسهل حفظها وفهمها ، بلا إهانةٍ ولا تجريح ، ولا لومٍ ولا توبيخ ، ولا تقطيبٍ ولا تشريب؛ فضلاً عن ضرب الصغير أو الدعاء عليه ، وهذا أمرٌ خطير؛ فقد توافقت الدعوة ساعة إجابة فيندم الداعي حين لا ينفع الندم.

والنبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: " لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ لَا تَوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ " أخرجه مسلم.

وهذا أدبه - صلى الله عليه وسلم - حتى مع الكبار؛ قال معاوية بن الحكم - رضي الله عنه - وكان قد تكلم في الصلاة -: "فأبي هو وأمي؛ ما رأيتُ مُعلِّماً قبله ولا بعده أحسنَ تعليمًا منه ، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني ، قال: " **إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ ، لَا يَصْلَحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ** " أخرجه مسلم.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: خرجتُ مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في طائفةٍ من النهار لا يكلمني ولا أكلمه ، حتى جاء سوق بني قينقاع ، ثم انصرف حتى أتى خباء فاطمة ، فقال: " **أَتَمَّ لُكْعٌ؟ أَتَمَّ لُكْعٌ؟** " - يعني: حسنًا - ، فظننا أنه إنما تحبسُه أمه لأن تُغسله وتلبسه سخابًا ، فلم يلبث أن جاء يسعى ، حتى اعتنق كل واحدٍ منهما صاحبه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " **اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ ، وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ** " مخرج في "الصحيحين" ، وهذا لفظ مسلم. ولفظ البخاري: فجاء يشتد حتى عانقه وقبله.

وقال - صلى الله عليه وسلم - لرجلٍ كان لا يُقبلُ أولاده: " **أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ تَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ** " رواه البخاري.

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: " ما رأيتُ أحدًا كما أرحم بالعيال من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " ، قال: " كان إبراهيم مُسترضعًا له في عوالي المدينة ، فكان ينطلقُ ونحن معه فيدخل البيت فيأخذه فيقبله ، ثم يرجع " ؛ رواه مسلم .

وأخرج ابن حبان في "صحيحه" عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: " كان النبي - صلى الله عليه وسلم - ليدلّع لسانه للحسن بن علي ، فيرى الصبي حُمرة لسانه فيبهشُ إليه ؛ أي: يُسراع إليه.

وعن محمود بن الربيع قال: " عقلتُ من النبي - صلى الله عليه وسلم - مَجَّةً مَجَّهَا في وجهي وأنا ابنُ خمس سنين من دلوٍ في دارنا " ؛ متفق عليه.

هذا هو الهدى فاستنوا به ، وهذا هو الرسول فاقتدوا به.

ثم صلُّوا وسلِّموا على خير البرية ، وأزكى البشرية ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغرِّ الميامين ، وارضَ اللهم عن الأئمة المهديين ، والخلفاء الراشدين المرُضيِّين: أبي بكرٍ ، وعمر ، وعثمان ، وعليٍّ ، وعن سائر صحابة نبيك أجمعين ، ومن سار على نهجهم واتبع سنتهم يا رب العالمين.

اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين ، اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشرك والمشركين ، ودمِّر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم آمناً في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا ووليَّ أمرنا ، اللهم وفقه لهداك ، واجعل عمله في رضاك ، وهبْ له البطانة الصالحة.

اللهم إنا نحمدك ونشكرك ونُثني عليك لما أنعمتَ به من شفاء خادِم الحرمين الشريفين وسلامته وإسعادنا برؤيته ، اللهم قد أحبيناه لك ، وأطعناه فيك ، فاجمعنا به في أحسن حال ، وسلِّم لوطنه وأحبابه سليماً مُعافى ، وأتمَّ عليه الصحة والشفاء ، وادفع وارفع عنه كل بلاء ، وأطل عمره في طاعتك.

اللهم أسِغ عليه لباس الصحة والعافية ، وامننْ عليه بالسلامة والشفاء العاجل.

اللهم وفقه ونائبه لما فيه صلاح العباد والبلاد ، واسلُك بهم سبيل الرشاد.

اللهم ادفع عنا الغلا والوبا ، والرِّبا والزنا ، والزلازل والمِحَن ، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بَطَن.

اللهم أصلح أحوال المسلمين ، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ، اللهم احقن دماءهم ، وآمنهم في ديارهم ، وأرغد عيشهم ، وأصلح أحوالهم ، واكبتِ عدوهم ، اللهم وانصر المُستضعفين من المسلمين ، اللهم انصرهم في فلسطين ، اللهم انصرهم في فلسطين وفي كل مكانٍ يا رب العالمين ، واجمعهم على الحق والهدى يا رب العالمين.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يُعجزونك.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) ﴾ ٤٩٨ .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم ، إنك سميع الدعاء.

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قُرّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً.

نستغفر الله ، نستغفر الله ، نستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوب إليه.

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا غيثاً هنيئاً مريئاً سحاً طبقةً مُجَلِّلاً عاماً نافعاً غير ضار تُحيي به البلاد ، وتسقي به العباد ، وتجعله بلاغاً للحاضر والباد.

اللهم سقيا رحمة ، اللهم سقيا رحمة ، اللهم سقيا رحمة ، لا سقيا عذاب ولا بلاء ولا هدم ولا غرق.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة : حرمة دم المسلم

تاريخ إلقاء الخطبة : السابع عشر من صفر من عام 1432هـ

- حرمة دم المسلم -

نبذة مختصرة عن الخطبة:

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب - حفظه الله - خطبة الجمعة بعنوان: "حرمة دم المسلم"، والتي تحدّث فيها عن حرمة دماء المسلمين وعِظَم أمرها، وذكر الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك، مُشيرًا بذلك لمسألة الانتحار وأن عقابها يوم القيامة عظيم، مُحذّرًا شباب المسلمين من الولوغ في دماء المسلمين أو غير المسلمين بغير حقّ.

الخطبة أول

—

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضِلّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلّم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله تعالى حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿٤٩٩﴾ .
التقوى شعورٌ حيٌّ في داخلِك يُشعرك أن الله يراك ويُراقبك ويُحصي عملك، فاتقوا الله واعلموا أنكم مُلاقوه.

أيها المسلمون:

لله في خلقه إبداعٌ وتصويرٌ ، وله في ملكوته تكوينٌ مُذهِلٌ وتقديرٌ ، السماوات وعُمَارُها ، والأراضون وسكَّانُها ، والبحار وأعماقُها ، وكل ما جرى عليه قدر النشأة وإرادة التكوين ، كل أولئك بالغاتٌ من الحُسْنِ أعلاه ، ومن الجمال ذراه ، ومن الإبداع غايته ومُنْتَهَاهُ .
ألا وإن محلَّ الإنسان من ذلك الخلق ، وقدره من ذلك الإبداع هو محلُّ الجوهرة من التاج ، ومكان العُرة من الجبين ، الإنسان أحسنُ خلقِ الله تقويماً ، وأعدله تسويةً وأحكمه تركيباً ، وأعظمه حُرمةً وأكثره تكريماً ، ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (٧٠) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) ، ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ، ﴿ ٥٠٢ ﴾ .

الإنسان بُنيانُ الله ، وهو محلُّ التكليف من الخلق ، رُوحه وديعةُ الله فيه ، ودُمُه أمانةٌ تنسابُ في أوردته ومجاريه ، خلقه وسوَّاه ونفخَ فيه من روحه ، فأعظمُ الإثم وأشدُّ الحَوْبُ: أن يعتدي مُعتدٍ فيهِدِم ذلك البُنيان ، ويستلبَ تلك الروح ، ويُهْدِر ذلك الدم ، كائنًا من كان المُعتدي وكائنًا من كان المُعتدى عليه .

أما إذا كان المُعتدى عليه مُسلمًا قد لَهَجَ لسأئه بالشهادتين ، واطمأنَّ قلبه بالوحيين ، وذَلَّتْ جوارحه لأحكام الدين؛ فإنَّ العدوان عليه أشدَّ خطرًا ، وأعظمُ وزرًا ، لذا كانت حُرْمَتُهُ أَشَدَّ من حُرْمَةِ الكعبة ، وكان زوالُ الدين أهون عند الله من قتل رجلٍ مسلمٍ؛ رواه الترمذي ، والنسائي .

إن مكانة الفرد في الإسلام رسالةٌ مُقدَّسةٌ تترلَّت من رب العالمين: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (٩٣) ، ﴿ ٥٠٣ ﴾ .
وعيدٌ شديد لا يحتاج إلى شرح أو تعقيب .

500 سورة الإسراء

501 سورة الإنفطار

502 سورة التين

503 سورة النساء

أيها المسلمون:

لقد طال الأمدُ على الناس بعد الأنبياء ، وخبَّت في نفوسهم قيمة الإنسان وحرُمته ، فاسترخصوا الدماء ، واستسهلوا الاعتداء ، واحتقروا الإنسان؛ إما لطمع دنيوي ، أو تأوُل ديني ، أو دافع عنصري وقبلي ، أو حراكٍ سياسي ، وجماع ذلك كله: ضعف الدين في النفوس وبقايا جاهلية في العقول.

لقد جاء الإسلام يوم جاء والعربُ ترفُل في ثياب من الجهل ، حُرمة البهيمة عند بعضهم أشد من حُرمة الإنسان ، فلأجل ناقة البسوس امتدَّت حربٌ بين العرب لعقود ، وذهبت فيها كثيرٌ من الأرواح ، وانتقصت جراحٌ وسالت شعابٌ من الدماء ، وكانت الحرب بين الحيين من العرب تقوم بسبب بيتٍ من الشعر أو كلمة ، وقال قائلهم: وأمرُ الحرب مبدؤه كلام. وكان إذا قُتل الشريف في قومٍ لم يبرُد دمه إلا بالقصاص من عددٍ من قوم القاتل أو أشrafهم ، إلى هذا القدر كان التساهل في الدماء ، واسترخص الجناية والاعتداء.

وكلما خبت أنوار العلم في أمة ، وتضاءل الدين في نفوس أفرادها؛ كلما اقتبسوا من تلك الجاهلية شعلاً ، واستمدُّوا من جهلها جهلاً ، إلى أن جاء الإسلام فكرَّم الإنسان ، وجعل أول ما جعل معبوده الله ، وخلَّصه من عبادة الشجر والحجر ، ثم أسَّس وعظَّم مسألة الدماء؛ فأكد القرآن الكريمُ شريعةً غابرةً من شرائع بني إسرائيل ، فقال الله - عز وجل -:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (٣٢) ﴿٥٠٤﴾ .

لأن الاستهانة بحياة واحدٍ هي استهانةٌ بحياة الناس كلهم ، وقتل النفس الواحدة هو بمثابة قتل الإنسانية جمعاء ، فجعل الواحد يُساوي أمةً في حُرمة دمه ، بعكس الجاهلية التي جعلت الأمة من الناس تُساوي واحداً ، إلا إنه عند الإحياء جعل القرآن إحياء الواحد يُساوي إحياء أمة. وتوالَت النصوص وتتابعَت التشريعات تحفظُ للإنسان دمه ، وتحرمُ رُوحه وحقه في الحياة مُسلمًا كان أو كافرًا؛ بل إن أعظم ذنبٍ - وهو الشرك - أجمعت الأمة على أن لمن اقترَفه توبة منه - وهو الإسلام والتوحيد - ، في حين أن القاتل اختلف أهل العلم فيه هل له توبة أو لا؟ إلى هذا الحد بلغ الخطرُ في التعرُّض للإنسان قتلاً كان أو جرحاً ، قال رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - : " كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا الرَّجُلُ يَقْتُلُ الْمُؤْمِنَ مُتَعَمِّدًا ، أَوْ الرَّجُلُ يَمُوتُ كَافِرًا. " أخرجه أبو داود ، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ، وأخرجه النسائي أيضًا.

وقد كان ابن عباس وجمع من الصحابة - رضي الله عنهم - يرون أنه لا توبة لقاتل المؤمن عمداً.

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِْبْ دَمًا حَرَامًا " رواه البخاري.

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: "إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها: سفك الدم الحرام بغير حيلة"؛ رواه البخاري.

وفي التزويل العزيز: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩)﴾ ٥٥٠ .

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ بِالْدمَاءِ " ؛ أخرجه البخاري ومسلم.

وفي "الصحيحين" قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الشَّرْكُ بِاللَّهِ وَقَتْلُ النَّفْسِ.. " الحديث.

عباد الله:

ولأن الله اختصَّ بشأن هذه النفس وأمر الروح فلا يملك الإنسان أن يعتدي على نفسه ، أو يُزهِقَ روحه ، فهي وديعة الله ومملكه ، ليس لصاحبها إلا حراستها حتى تُستوفى منه ، فمن حاول الاعتداء على نفسه ولم يمت عُقوباً ، وإن مات فوعيدُهُ في الآخرة شديد ، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدُوًّا ظَلَمًا فَنُصْلِيهِ نَارًا (٣٠)﴾ ٥٠٦ .

إن الانتحار والإلقاء بالنفس للهلاك جريمة واعتداء تجاه الفطرة والإنسانية والدين ، عن جُنْدَب - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " **كَانَ بَرَجْلٌ جِرَاحٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَقَالَ اللَّهُ: بَدَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ** " رواه البخاري ومسلم.

وفي "الصحيحين" أيضاً: شهد النبي - صلى الله عليه وسلم - لقاتل نفسه بالنار مع أنه كان يُجاهِد مع المسلمين ، لكنه جَزَعَ من جراحه.

أيها المكروبون:

من خاف شيئاً أو أصابه بلاء ، أو نزلت به محنة أو اشتدت عليه كربة ، فلا يجوز له أبداً أن يقتل نفسه ، فإن فعل فإن مصيره إلى النار.

إن بروز ظاهرة الانتحار تستلزم من أرباب التربية والمُصلِحين وقفةً جادةً تجاه ملاحظة أصحابها وأسبابها ومُؤجِّجاتها؛ من ضعف الدين ، والانحراف ، والبطالة ، وتعاطي المسكرات والمُخدِّرات ، ومُثيرات الضغوط النفسية في الحياة ، يجب أن يُعالج كل ما يؤدي إلى اليأس والإحباط ، وأن تُربى النفوس على الإيمان بالله ، والاعتصام به ، واللجأ إليه ، وما يؤدي إلى الطمأنينة بالله ، ولا يكون ذلك إلا بالتركية بالإيمان.

عباد الله:

ولما اقتضت سنة الله في الكون أن يتعاطم الشر في بعض النفوس فلا تنتهي عن شرها إلا بالقتل ، وأن يصطرع الهدى والضلال فلا يحكم بينهم إلا السيف؛ كانت شريعة الله العادلة: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (١٧٩) ٥٠٧ القصاص إبقاءً على الحياة كلها ، وربط الأمر بالتقوى؛ لأنه بغير التقوى لا تقوم شريعة ، ولا يُفْلح قانون ، ولا يتحرَّج مُتحرِّج.

وما أكثر الأمراض النفسية والفكرية التي تظهر أو تخفى في سلوك الأفراد ، وقد شرعت سيرٌ وعباداتٌ متنوعة يستشفي بها الذين ينشدون العافية ، والذين يُؤثرون حياة الشرف والسلم ، فلا يبسطون أيديهم بالأذى ، ولا يلغون في دمٍ أو عرضٍ أو مال؛ فهل نعتذر لشخصٍ يهتك

الحُرْمَات؛ لأنه مُستطَار الشهوة ، أو نعتذر لسفَاكِ يُرخصُ الدماء؛ لأنه مُنحرف المزاج ، وإلا فلماذا إذا تُقتل الكلابُ المسعورة والذئابُ المُغتالة.

إن القاتل يُقتل ولا مسَاغ للجدال عنه ، وإن القصاص في النفس والأطراف شريعة قديمة عادلةٌ حكيمة: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ (٤٥) ٥٠٨ وكانت الشريعة حاسمةً في صيانة النفس بلا تهاونٍ ولا تساهل.

أيها المسلمون:

أحكام القصاص والمغازي والحروب من أدق الأحكام وأكثرها تفصيلاً ، وجُعِل أمرُها لأمراء المسلمين وقضاةهم ، واحتيط في أمرها أشد الاحتياط ، وكم غضب النبي - صلى الله عليه وسلم - وتبرأ من فعل بعض أصحابه حين اجتهدوا وتجاوزوا في مقاتلة المشركين ، وعاتب أسامة بن زيد عتاباً مُراً ، وقال: " أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ " حتى قال أسامة: وِدِدْتُ أَنِّي لَمْ أُسَلِّمْ إِلَّا حِينَئِذٍ؛ متفق عليه.

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " مَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ " أخرجه مسلم. ألا فليسمع ذلك وليعه شبابٌ أغرار جعلوا دماء المسلمين والمستأمنين مسألة خاضعة لنقاش سُفهاء وجُهلاء لم يتجاوزوا ربيع العشرين من أعمارهم ، فتنتلق رصاصة هنا وتنفجر عبوة هناك ، سالبة معها أرواحاً ومُحدثة جراحاً ، ويأملون بعد ذلك الأجر من الله ، وربما كُتِبوا في عداد الأشقياء وهم لا يعلمون.

ألا فاتقوا الله تعالى في الدماء ، واحذروا التهاون في إزهاق الأنفس والأرواح ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا

وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)
٥٠٩

بارك الله لي ولكم في الكتاب والسنة ، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة ، أقول قولي
وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثاني

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق
المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين
الطاهرين ، وصحابته الغر الميامين ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أيها المسلمون:

ولما كانت كثير من وسائل الإعلام تُربّي على العنف قتلاً وجرحاً وضرباً ، حتى إن كثيراً من
ألعاب الأطفال عبر الأجهزة والشاشات غصّت بتلك المشاهد والمظاهر وتفنن صناعاتها في جعل
الأطفال يعيشون اللعبة وأجواءها ، ولما كانت كثير من المجالس والقنوات تُثير النعرات
الجاهلية والعنصرية القبلية ، وتحشن الشباب بتمائز موهوم ، وتواريخ من صراعات عشائرية
طرفاها الجهل ، والمنتصرة فيها الجاهلية ، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " مَنْ
قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عَمِيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ
" أخرجه مسلم.

وقال - صلى الله عليه وسلم - : " سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ " رواه البخاري
ومسلم.

وقال - صلى الله عليه وسلم - : " إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا ، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ " . قلتُ: يا رسول الله! هذا القاتل ، فما بال المقتول؟ قال: " إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ " رواه البخاري.

ولما خَبَت كثيرٌ من قِيم الجمال في النفوس ، فأصبح التسامح ضعفاً ، والحلم هواناً ، وكنتم الغيظ ذلاً ، ولما أُمِنَت العقوبات في بعض قضايا الاعتداءات أو خَفَّتْ؛ قام سوق المتاجرة بالدماء ، ودخل سُماسرة العفو والصلح بأموال طائلة ومبالغ باهظة ، كان المجتمع بسبب ذلك كله بيئةً خِصبةً للاعتداءات ، وميداناً للمُشاحنات ، واجترأ فيه على الدم والجراحات.

إنه لمن المؤسف أن تتربى بعضُ النفوس على العدوانية والترُّبص بالآخرين ، وأن يحمل الشبابُ معهم أو في سياراتهم العصي والسكاكين ، وعدوهم كل من لا يُعجبهم ، فما إن يختلفوا مع أحد حتى تنشب المعارك ، وتُسال الدماء ، وتُوقَّع جراحات ، والملائكة تلعن من أشار إلى أخيه بحديدة ، وفي " الصحيحين": " مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا " وربما وصل الأمر إلى القتل.

وأروقة المحاكم ومراكز الأمن تئنُّ من مثل هذا ، فما مبعثُ هذه الظاهرة وأسبابها؟ وما هو طبُّها ودواؤها؟

إن المجتمع بأفراده ومؤسساته الحكومية والشعبية مسؤولٌ عن هذه الظاهرة ومعنيٌّ بها ، وهي مظهرٌ متخلفٌ وواقعٌ مُخجلٌ يجبُ أن تُبذل الجهود لحوه ، وتُغرَس معاني الأخوة والفضيلة ، والحب والتآلف ، والإحساس بالانتماء للمجتمع المسلم كالبیت الواحد ، ﴿وَإِنَّ هَذِهِ

أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً (٥٢)﴾ ﴿٥١﴾ .

هذا وصلُّوا وسلِّموا على خير البرية ، وأزكى البشرية: محمد بن عبد الله ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغرِّ الميامين ، وارض اللهم عن الأئمة المهديين ، والخلفاء المرصيين: أبي بكرٍ ، وعمر ، وعثمان ، وعليٍّ ، وعن سائر صحابة نبيك أجمعين ، ومن سار على نهجهم واتبع سنتهم يا رب العالمين.

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم آمناً في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا ووليَّ أمرنا ، اللهم وفقه لهداك ، واجعل عمله في رضاك ، وهبْ له البطانة الصالحة ، وأتمَّ عليه الصحة والعافية والشفاء ، وأسبغ عليه لباس العافية.

اللهم وفق وليَّ عهده والنائب الثاني لما فيه الخير العباد والبلاد ، واسلك بهم سبيل الرشاد ، اللهم كن لهم جميعاً موفّقاً مُسدِّداً لكل خير.

اللهم ادفع عنا الغلا والوبا ، والرِّبا والزنا ، والزلازل والمِحَن ، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم أصلح أحوال المسلمين ، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، واجمعهم على الحق والهدى ، اللهم احقن دماءهم ، اللهم احقن دماءهم ، وآمنهم في ديارهم ، وأرغد عيشهم ، وأصلح أحوالهم ، واكبت عدوهم ، اللهم وانصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان ، اللهم انصرهم في فلسطين ، وتحت كل سماء وفوق كل أرض يا رب العالمين ، اللهم اجمعهم على الحق يا رب العالمين.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يُعجزونك.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿٥١﴾ .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم ، إنك سميع الدعاء.

اللهم لك الحمد على ما أنعمتَ به علينا من نزول الغيث والأمطار ، اللهم زدنا ولا تنقصنا ، اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وبارك لنا فيما رزقنا ، واجعل ما أنزلته قوةً لنا على طاعتك وبلاغاً إلى حين.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة : صفات العلماء الربانيين

تاريخ إلقاء الخطبة : الثاني والعشرون من ربيع الأول من عام 1432هـ

– صفات العلماء الربانيين –

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب – حفظه الله – خطبة الجمعة بعنوان: "صفات العلماء الربانيين" ، والتي تحدّث فيها عن العلماء والدعاة الربانيين ، وأنهم أتباعُ الرسل ،

فلا بُدَّ أن يأخذوا نصيبتهم من الابتلاء ويصبروا ويصابروا على نشر الحق وقمع الباطل ،
وعدد صفاتهم للتأسي بهم ، مُستخرجاً ذلك من كتاب الله تعالى.

الخطبة

أول

—

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ،
من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضِلَّ فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلّم وبارك عليه ، وعلى آله
الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغرّ الميامين ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .
أما بعد :

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله؛ فهي الحصنُ الحصين ، والحِرزُ المكين ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) ﴿٥١٢﴾ .

اتقوا الله بفعل ما أمر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، تزودوا من الصالحات ، واستكثروا
من الحسنات ، ولا ينبغي لمؤمن أن يزهّد في قليلٍ من الخير أن يأتيه ، ولا في قليلٍ من الشرِّ
أن يجتنبه؛ فإنه لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها ، ولا السيئة التي يسخطُ عليه بها ، ﴿ وَإِنْ
كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (٤٧) ﴿٥١٣﴾ .

عباد الله:

في زمن الفتن والاضطراب ، وكثرة المخالفات والمعاصي ، وتسلبُ الفساق ، قد يتسلَّل
اليأسُ والقنوط إلى بعض النفوس ، فتضعف وتستكين ، وتتخاذل وتلين ، ناسيةً أن الدنيا
دار ابتلاءٍ وامتحان ، وأن طريق الدعوة والإصلاح طريقٌ طويلٌ شاقٌّ ، مملوءٌ بالإيذاء

512 سورة آل عمران

513 سورة الأنبياء

والابتلاء ، حافلٌ بالعوائق والمحيطات ، والصوارف والعقبات ، ناحٍ لأجله نوح ، ورُمي في النار الخليل ، وأُضجعَ للذبح إسماعيل ، وبيعَ يوسف بثمنٍ بخسٍ ولبثَ في السجن بضع سنين ، ونُشرَ بالمنشار زكريا ، وذُبحَ السيدُ الحصورُ يحيى ، وقاسى الضرَّ أيوب ، ولاقى محمدٌ - صلى الله عليه وسلم - من ألوان الأذى ما لاقى؛ أُوذيَ وكُذِّبَ ، وطُرِدَ وقُوتِلَ ، ومات من يُناصِره ويُوازِرُه ، حتى سُمِّيَ ذلك العام: عام الحزن.

بل رُمي - صلى الله عليه وسلم - في عِرْضِه ، لم تصفُ له الحياة من الكدر والتعب ، ومع ذلك يتجدد نشاطه في نشر رسالة ربه ، والتبشير بها ، وهو صابرٌ مُحْتَسِبٌ ، وبقيَ في كل الأحوال النبيَّ الناصح ، والرسولَ المبلِّغ ، والمُعلِّمَ الرحيم ، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ (٢١)﴾ ٥١٤ .

فالأمر الذي تُندَبون له أمرٌ عظيمٌ ، ومن قبلكم مرَّ الأنبياءُ بالشدائد والصَّعاب. أيها المسلمون:

والعلماء هم ورثة الأنبياء ، فلا بُدَّ أن يأخذوا نصيبهم من هذا الميراث ، ولا بُدَّ أن يُصيِّبه ما أصابَ مُورَثيهم من ألوان الأذى ، هذا هو الأمرُ المُطَرِّدُ في كل دعوة ، ومع أتباع الأنبياء في كل شريعة.

ولقد ضربَ الله لنا المثلَ بالربانيين من أتباع الأنبياء قبلنا ليربطنا نحن المؤمنين بموكب الإيمان ، ويُقرِّرَ قرابةَ المؤمنين للمؤمنين ، ويُقرِّرَ في أخلادهم أن أمر العقيدة كله واحد ، ويُعلِّمنا أدبَ الربانيين مع الله وهم يُعانون في سبيله ما يُعانون ، فقال - عز وجل - : ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا (١٤٦)﴾ ٥١٥ . ما ضَعُفَتْ نفوسهم لما أصابهم من البلاء والكره والشدة والجراح ، وما ضَعُفَتْ قواهم عن الاستمرار في الكفاح ، وما استسلموا للجزع ولا للأعداء.

هذا هو شأن المؤمنين المُنافِحين عن العقيدة والدين ، والله يحبُّ الصابرين ، هنيئاً للصابرين في ميادين الدعوة والإصلاح الذين لا تضعف نفوسهم ، ولا تتضعع قواهم ، ولا تلين عزائمهم ، ولا يستكينون أو يستسلمون ، ولا يتهرَّبون من الميدان ، ولا يتخلَّون عن المهمة

514 سورة الأحزاب

515 سورة آل عمران

، هنيئاً لهم محبة ربهم ، إنما المحبة التي تأسو الجراح ، وتمسح على القرح ، وتعوّض عن كل ما يُصيبهم في هذا الطريق.

إن الربانيين من أتباع الرسل قبلنا لم يطلبوا مقابل دعوتهم وجهادهم وصبرهم نعمة ولا ثراء؛ بل لم يطلبوا ثواباً ولا جزاءً ، لم يطلبوا ثواب الدنيا ، لقد كانوا أكثر أدباً مع الله وهم يتوجّهون إليه بينما هم يجاهدون في سبيله ، ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) ﴾^{٥١٦}.

فلم يطلبوا منه - سبحانه - إلا غفران الذنوب ، وثبيت الأقدام ، والنصر على الكافرين ، حتى النصر لا يطلبونه لأنفسهم إنما يطلبونه هزيمة للكفر وعقوبة للكافرين.

وهؤلاء الذين لم يطلبوا لأنفسهم شيئاً أعطاهم الله من عنده كل شيء ، أعطاهم كل ما يتمناه طلاب الدنيا وزيادة ، وأعطاهم كذلك كل ما يتمناه طلاب الآخرة ويرجونه ، ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨) ﴾^{٥١٧} شهد لهم - سبحانه - بالإحسان؛ فقد أحسنوا الأدب وأحسنوا الجهاد ، وأعلن حبّه لهم ، وهو أكبر نعمة وأكثر ثواب.

أيها المؤمنون:

هؤلاء هم الربانيون ، وهذه أخلاقهم أمام الابتلاء ، لذلك أضافهم الله إلى نفسه ، ونسبهم إلى ربوبيته ، فأكرم بها من نسبة ، وأعظم بها من إضافة.

عباد الله:

ولقد دعاكم ربكم إلى أن تتمدوا بهدي من سبقكم من الربانيين ، وأن تسيروا على خطاهم ، فقال - عز وجل - : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ (٧٩) ﴾^{٥١٨} كل مؤمن على وجه الأرض مأمور بأن يكون ربّانياً ، باتن يُطيع ربّه ف كل أمر ، ويحمده على كل حال ، ويذكره في

516 سورة آل عمران

517 سورة آل عمران

518 سورة آل عمران

كل حين ، وأن يكون لسان حاله ومقاله: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ (١٦٢)﴾^{٥١٩} .

المؤمن الرباني مع ربه - جل جلاله - في كل أمر يأمره به ، أو قضاء يُقدِّره عليه ، أو نعمة يمنحه إياها ، إن أمره الله بأمرٍ امتثل أمر ربه بإخلاصٍ واتباع ، وإذا نهاه عن شيءٍ اجتنب ما نُهيَ عنه بخضوعٍ ومحبةٍ وتسليم ، وإذا أصابته مصيبة فهو الصابر الشاكر لربه ، الراضي عن مولاه ، يعلم أن اختيار ربه له خيرٌ من اختياره لنفسه ، وأن رحمته به أعظم من رحمة أمه ، فيرضى ويُسلم.

وإذا فعل فاحشةً أو ظلم نفسه بادر إلى الله تائباً مُنيباً ، ووقف في مقام الاعتذار والانكسار ، عالماً بأنه لا يغفر الذنوب إلا الله ، ولا يقيه من السيئات أحدٌ سواه ، يعودُ برضاه من سخطه ، وبغفوه من عقوبته ، وإذا أنعم ربه عليه فهو الحامدُ الشاكر ينسبُ نعمة الله إلى الله ، ويُثني بها عليه ، ويستعملها فيما يُقربُ إليه ، ولا تزيده النعم إلا محبةً للمنع ، وكلما جدد له نعمةً أحدث له عبوديةً ومحبةً وخضوعاً وذلاً ، وكلما وقع في ذنبٍ أحدث لذلك توباً واعتذاراً وانكساراً ، وإذا منعه ربه شيئاً قَبِلَ ذلك بالرضا عنه - سبحانه - ، والثقة برحمته وحكمته؛ فهذا هو المؤمن الرباني ، وهذه هي حياته.

أيها المؤمنون:

لقد وصف الله الربانيين بالثبات في الجهاد ، والصبر على البلاء: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦)﴾^{٥٢٠} ووصفوا بتحكيم الشرعية: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّائِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ (٤٤)﴾^{٥٢١} ووصفوا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿لَوْ لَا

519 سورة الأنعام

520 سورة آل عمران

521 سورة المائدة

يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّخْتَ (٦٣) ﴿٥٢٢﴾ ووُصِفُوا بتعليم الكتاب والسنة ودلالة الخلق على ما دلَّهم عليه الأنبياء: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩)﴾ ﴿٥٢٣﴾ .

قال البخاري - رحمه الله - في باب: "العلم قبل القول والعمل": "وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ (٧٩)﴾ ﴿٥٢٤﴾ أي: حكماء فقهاء ، ويُقال: الرباني: الذي يُربِّي الناس بصغار العلم قبل كباره ، وقال ابن مسعود - رضي الله عنه -: حكماء علماء ، وقال ابن جبير: حكماء أتقياء".

إن هذا الخطاب يتَّجِه للمؤمنين عامة ، وللعلماء والصالحين خاصة ، والذين يتبوأون مراكز التوجيه ، ويتصدَّرون ساحات الجهاد في الحياة لا بُدَّ أن يأخذوا أنفسهم بالعزيمة ليُحسِنوا أداء دور الرسل ، فالرسل أولو عزمٍ ، وهو نداءٌ لدعاة الخير وشُدَّة الإِصلاح: أن خُذُوا الكتابَ بقوة ، استمسِكُوا بالذي أُوحِيَ إليكم فأنتم على صراطٍ مستقيم ، تحمَّلُوا العبءَ ، وانهمضوا بالأمانة في قوَّة وعزمٍ بلا ضعفٍ ولا قهأُون ، ولا تراجعٍ عن تكاليف الدعوة ، ولا انهمزام أمام مشاقَّ الطريق ، حتى تكونوا ربانيين.

ومن دعاء عباد الرحمن: ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)﴾ ﴿٥٢٥﴾ أي: قدوةً في الخير والصلاح والاستقامة والتقوى ، أئمةً في التقوى ، نأتمُّ بمن قبلنا ، ويأتمُّ بنا مَنْ بعدنا. وقد أمر اللهُ رسولَه محمدًا - صلى الله عليه وسلم - بالافتداء بالأنبياء قبله ، فقال - سبحانه -: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ (٩٠)﴾ ﴿٥٢٦﴾ وإن لم يكن المؤمنون على هذا المستوى من الأسوة حُرِّموا الاستخلاف في الأرض ، قال إبراهيم - عليه السلام -: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ ﴿٥٢٧﴾ قال الله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤)﴾ ﴿٥٢٨﴾ .

522 سورة المائدة

523 سورة آل عمران

524 سورة آل عمران

525 سورة الفرقان

526 سورة الأنعام

527 سورة البقرة

528 سورة البقرة

وإن الذي يُسابقُ في المِلذَّاتِ لن يرقى في سُلَمِ الطاعات ، فلم نُخلَقْ للخلود في الدنيا ولا للإخلاد إلى الأرض ، وإنما خُلِقنا - والله - لأمرٍ عظيم ، فلا تُغرِّتكم الحياة الدنيا ، ولا تُلهيَنَّكم عن الآخرة؛ فأتباعُ الأنبياء لا يُزاحمون على طلب المتاع والتعلق بالدنيا. ولا تياسوا من كثرة الهالكين أو تسلطُ الفاسقين ، ﴿ **عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا (٣٣) ﴿٥٢٩** .

إن المسلمين منذ فجر الرسالة لم يصفُ لهم الجو ولا خلاهم الطريق ، والابتلاء سنة ماضية ، وكل استرخاء أو تحاذل سيستغلُّه شياطين الجن والإنس للنيل من الحق والانحراف بالخلق. إن الصلاح هو تركية النفس ، والإصلاح هو تركية المجتمع ، والمسلم الحقيقي هو الذي يتعهد نفسه بالتقوى ، ويُقبل في الوقت نفسه على المجتمع ليؤازر الحق ويعوق الباطل. والجهاد الهائل الذي قام به خاتم الأنبياء هو صنع أمة راجحة الكفة في كل ميدانٍ من ميادين الحياة ، إن الله أنزل عليه الوحي وشرَّفه هذا القرآن ، ثم كلفه أن يفتح بهذا القرآن أقفالاً ، وأن يُنير به آفاقاً ، وعن طريق المسجد ربطَ الناسَ بالله ، ورصَّ صفوفهم لتتماسك بعدُ في ميادين الحرب والسلام ، مُعليةً كلمات الله ، وكلماتُ الله لا يُعليها رجالٌ صغار ، إنما يُعليها رجالٌ كبار ، وإن رفع الناس إلى مستوى الوحي - أعني: مستوى الفهم والتنفيذ - جهْدٌ هائلٌ لا يقدرُ عليه إلا الأقلُّون ، وهم الربانيون أتباع الأنبياء.

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " **إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْعَرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْعَابِرَ مِنَ الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ** " ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ ، قَالَ : " **بَلَى ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ** " ؛ متفق عليه.

وفي عصرنا هذا توجد ألف طريقة لخدمة الإسلام وإنعاش الأمة المغمى والمغمى عليها ، وتشيت أقدامها على الطريق التي مرَّت به مراكبُ السلف ، ولا تصح هذه الطرق إلا بعد رفع أمتنا إلى مستوى الوحي ، وتصحيح إنسانيتها ، وفتح عينها المغلقة كي تمشي على سَنَاه

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴾ (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤) ﴿٥٣٠﴾ .

بارك الله لي ولكم في الكتاب والسنة ، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة ، أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثانية

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .
أما بعد ، أيها المسلمون:

أيها المصلحون الربانيون: إن الأمة اليوم بحاجة إلى أن تُسير حياتها على الإيمان بالله وحده ، وهو ما تواصت به جميع الرسالات السماوية ، قال الله - عز وجل - : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢٥) ﴿٥٣١﴾ .

وثانياً: على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإخلاص في ذلك ، وهو ما شرعه الله لكل الأمم على اختلاف الأزمنة ، قال الله - عز وجل - : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (٥) ﴿٥٣٢﴾ .

ومما لا شك فيه أن الصلاة شعيرة عظيمة لتصفية النفس الإنسانية ، ووصلها بالسماء ، وأن الزكاة فريضة لدعم التكافل الاجتماعي ، وإقرار الأخوة.

وثالثاً: حراسة الفضيلة وإشاعتها ، وكُره الرذيلة ومحو برائثها ، وهذه هي حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي شاعت في كل دين ، وكُلِّف بها جمهور المؤمنين ، وقد لعن

530 سورة الإنسان

531 سورة الأنبياء

532 سورة البينة

الله أقوامًا قبلنا بقوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٩) ٥٣٣

ثم نحتاج أيضًا إلى معاملة البشر كافةً بضميرٍ رحيمٍ وخُلُقٍ فاضلٍ ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧) ٥٣٤ يتلو ذلك: إشاعة العدالة والرحمة والسلام في الأرض ، وهذه تعاليم شاعت في الكتب السماوية كلها تلَقَّفَتْهَا القلوب الحية من البشر ، وتروَّت بها النفوس النبيلة من كُبراء الناس وأمرائهم؛ لذا فقد كان الحكم والسلطان في منطق البشر واحةً للناس في مهامهِ بيدائهم ، ومنهلاً رِقْراً يُطْفِئُ في المهجير ظمأهم ، فالحكم والسلطان مرحةٌ للناس وعافيةٌ لهم ، وويلٌ للناس ثم ويلٌ لهم إن جاءهم البلاء من تلك العافية ، وانفجر عليهم العذابُ من تلك المرحمة.

وإن من واجب العلماء الربانيين: دلالة الأمة على الحق في زمن الفتن ، وطمأننتها حالة الخوف ، وتسكينها عند الاضطراب ، وتصبيرها عند البلاء ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢٠٠) ٥٣٥ .

هذا وصلُّوا وسلِّموا على خير البرية ، وأزكى البشرية: محمد بن عبد الله ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغرِّ الميامين ، وارضَ اللهم عن الأئمة المهديين ، والخلفاء المرصيين: أبي بكرٍ ، وعمر ، وعثمان ، وعليٍّ ، وعن سائر صحابة نبيك أجمعين ، ومن سار على نهجهم واتبع سنتهم يا رب العالمين.

اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشرك والمشركين ، ودمِّر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين. اللهم من أرادنا وأراد بلادنا بسوءٍ أو فرقة فرَّد كيدَه في نحْره ، واجعل تدبيره دماراً عليه.

533 سورة المائدة

534 سورة الأنبياء

535 سورة آل عمران

اللهم آمِنَّا في أوطاننا ، وأصلِح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأَيِّد بالحق إمامنا ووليَّ أمرنا ، اللهم وفِّقه لهداك ، واجعل عمله في رضاك ، وهبْ له البطانة الصالحة ، اللهم لك الحمد على ما أنعمتَ به من شفاء خدام الحرمين الشريفين وعودته لأهله ووطنه ومُحبِّيه ، اللهم بارِك في عمره وعمله ، وسدِّد رأيَه ، وبارِك خطوَه ، وأتمِّ عليه الصحة والشفاء ، وأسبِغ عليه لباسَ العافية ، اللهم ارفع به لواء الدين ، ووحد به كلمة المسلمين.

اللهم وفق وليَّ عهده والنائبَ الثاني لما فيه الخير للعباد والبلاد ، واسلِّك بهم سبيل الرشاد ، وكن لهم جميعاً مُوفِّقاً مُسدِّداً لكل خيرٍ وصلاح.

اللهم ادفَع عنا الغلا والوبا ، والربا والزنا ، والزلازل والمِحَن ، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بَطَن.

اللهم أصلِح أحوال المسلمين ، اللهم أصلِح أحوال المسلمين ، اللهم أصلِح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ، اللهم احقن دماءهم ، وآمن روعاتهم ، واحفظ ديارهم ، واكبتِ عدوهم ، وانصرهم على من تسلَّط عليهم.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يُعجزونك.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ٥٣٦ .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم ، إنك سميع الدعاء.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة : نعمة الأمن في ظل توحيد الله

تاريخ إلقاء الخطبة : عشرون من ربيع الآخر من عام 1432هـ

– نعمة الأمن في ظل توحيد الله –

نبذة مختصرة عن الخطبة:

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب – حفظه الله – خطبة الجمعة بعنوان: "نعمة الأمن في ظل توحيد الله"، والتي تحدّث فيها عن الأمن والأمان الذي أنعم الله به على بلاد الحرمين، وحثّ المسلمين للحفاظ عليه وعدم ترك الفرص للأعداء لاستغلال هذه الفتن التي تمر بالبلاد لزعة الأمن وإزالة الاستقرار، ووجّه النصح للمسلمين عامة بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – وهدى العلماء وطلبة العلم، فإن في ذلك النجاة والفلاح في الدارين.

الخطبة

أول

—

الحمد لله ، الحمد لله الذي له المحامدُ فمن ذا يُحيطُ بحمده ، والشكرُ له فالفضلُ كل الفضل من عنده ، وتمجّد الله فأعظم بالله وأعظم بمجده ، وتبارك الله وعزّ الله وتقدّس الله وتعالى الله ، لا يهتدي من الخلق أحدٌ إلا من يهده ، ولا يضلُّ منهم إلا من يُشقه الله ويُرده ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سقانا الله من حوضه وورده ، وصلى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابه العُرّ الميامين ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

اللهم لك الحمد ، اللهم لك الحمدُ بما رزقنا وهديتنا وأنقذتنا وفرّجتَ عنا ، لك الحمدُ بما أنعمتَ به علينا في قديمٍ أو حديثٍ ، أو سرّاً أو علانية ، أو عامةٍ أو خاصة ، اللهم لك الحمدُ كُبتَ عدوّنا ، وبسطتَ رزقنا ، وأظهرتَ أماننا ، وجمعتَ فرقنا ، وأحسنْتَ مُعافاتنا ، ومن ك ما سألناك ربنا أعطيتنا ، فلك الحمدُ كثيراً كما تُنعمُ كثيراً.

اللهم لك الحمدُ حتى ترضى ، ولك الحمدُ إذا رضيت ، ولك الحمدُ بعد الرضى ، ولك الحمدُ بالحمدِ كلها.

أما بعد ، أيها المسلمون:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى؛ فهي الحرزُ المكين ، والحبلُ المتين ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿٥٣٧﴾ .
عباد الله:

ونحن في مُنسلخِ الثُلث الأول من القرن الخامس عشر من الهجرة ، وفي وسط جزيرة العرب وقصبة بلاد المسلمين على هذه الأرض؛ حيث انزلت من ها هنا أزمّة وقرون مرّت ثم لحقت

بالماضي البعيد ، طَوَّتْ تلك الأزمنة أُمَّا ودولاً ، وأحداثاً وحروباً ، وغِنَى وفقراً ، وأمناً وخوفاً .

ثم انتهت تلك الأزمنة ، وانطَوَّتْ تلك القرون لتُولدَ هنا على هذه الأرض بلادٌ شِعَارُهَا التوحيد ، ونِظَامُهَا الشريعة ، وتحْمِلُ اسم المملكة العربية السعودية ، قامت في زمن غُربة الدين ، وتقهر شأن المسلمين ، في زمنٍ كانت أكثرُ دول الإسلام تحت نِيرِ الاستعمار ، وسيطرة فكر المُستعمر ، قامت باسم الله ، والنزَمَتْ بشرع الله ، وحَمَلَتْ على عاقبتها همَّ الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولم تنسَ نصيبَها من الدنيا ، ورماها الشرق والغربُ بكيدة على مدى ثلاثة قرون ، وفي مراحلها الثلاث فتعود في كل مرة أقوى مما كانت ، وأكثر عزيمة وإصراراً على تمسُّكها بمبادئها التي قامت عليها .

وخلال فترة حكمها الطويل كتبَ من كتبَ ، وأرجَفَ من أرجَفَ ، وراهنَ من راهنَ على عدم امتلاكها على مُقوِّمات البقاء .

وما مُقوِّمات البقاء؟!

مُقوِّماتُ البقاء عندهم: تنحية الدين ، وتعدُّد الأحزاب ، والحرياتُ المُتجاوزةُ حدود الشريعة ، وحققيتها: فوضى دينية وأخلاقية تُوصَف بالحرية ليس إلا .

ويشاء الله في هذه الأيام أن تهبَّ العواصفُ على بلاد العرب وتميلُ بمن تميل ، ولما اقتربت العاصفةُ من حِمَى هذه البلاد إذا هي نسيماً رقيقاً رخياً ، وإذا أهلُ هذه البلاد أشدَّ لُحمةً وأقوى تماسُكاً ، ويفخرُ حاكمُها بشعبه ، ويغيبُ الشعبُ بحاكمه ، وفي "صحيح مسلم": «خيارُ أئمتكم الذين تُحبُّوهم ويُحبُّونكم ، ويُصلُّون عليكم وتُصلُّون عليهم ، وشرارُ أئمتكم الذين تُبغضونهم ويُبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم» .

ويخطبُ الملكُ ، ويتبدئُ بعد شكر الله بشكر العلماء وطلبة العلم ، العلماء وطلبة العلم تلك الحلقة التي وصلت دوام الدولة بابتدائها ، وثباتها بنشأتها؛ حيث قامت هذه الدولة أول ما قامت بقيام عالمٍ ، وثبتت بثبات علماء ، والحُكَّام فيما بين ذلك يقومون بدورهم على بصيرة من الله ، وعلى هديٍّ من كتابه .

أيها المسلمون:

وبعد ثلاثة قرونٍ من قيام الدولة السعودية؛ هلُمَّ لتساءل: لماذا بقيت هذه البلاد آمنةً في زمن الخوف ، ولماذا اغتنت وهي في صحراء قفر وأرض فقر ، ولماذا اجتمع الناس فيها واثقفوا في زمن التفرُّق والخلاف؟!

إن لذلك أسباباً شرعية تردُّفها أخرى دنيوية: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (٨٢) ، ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (٤١) .^{٥٣٩}

لقد وفق الله هذه البلاد ، ومنذ أن قامت في دورها الأول بلزوم جماعة المسلمين والتمسك بالإسلام الذي جاء به نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - عن رب العالمين ، وقفوا أثر آل البيت وعموم الصحابة والتابعين ، مما جعل للإسلام في هذه الديار بقاءً بقاءً ، وهيمنةً بصفاء ، وستبقى هذه البلاد قائمة ما أقامت التوحيد ، منصوراً ما نصرت السنة ، عالية ما أعلنت العدل ، ولن نخاف عليها من نقصٍ إلا إذا نقصت من عرى الدين ، ولن نخشى إلا ذنوبنا وتقصيرنا مع ربنا.

إن الإسلام الذي قامت عليه هذه البلاد هو الإسلام الذي قبلته أجيال الأمة على مر القرون ، يُسلمه سلفهم إلى خلفهم ، وعلماؤهم إلى متعلمهم ، نافين عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، ولأجل هذا كانت هذه البلاد بحكَّامها وعلمائها في مرمى سهام المتربِّصين ، وإفك الكاذبين.

لقد نال علماء هذه البلاد الكثير من الطعن والتكفير ، كما نال حُكَّامه صنوف من اللُمر والتشكيك في المواقف السياسية ، والمبادرات والقرارات في محاولة للحد من تأثيرها الإيجابي في العالم ، ولإقصائها عن الريادة في أمور الدين وفضاء السياسة ، وهو الأمر الذي هو قدرها وقدرها ، ويُمليه عليها مكائنها ومكانتها ، وتتطَّلع إليه قلوب المستضعفين قبل عيونهم أُملاً في لممة شمل ، وتطلُّعاً لمداواة جرح ، ورغبة في سد حاجة ، ومواقفها وسيرتها شاهدة على الجمع لا على التفريق ، ورأب الصدع لا شق الصفوف.

538 سورة الأنعام

539 سورة الحج

وإن أي زحزحة لها عن هذا النهج هو إضافة إلى أنه خللٌ ديني فهو خيانةٌ وطنية ، وتفكيكٌ للعقدة التي ربطت الراعي بالرعية ، وهو توهيةٌ للحبل الممدود إلى السماء ، وإلى الله في عليائه؛ حيث نستلهم منه الصبر والنصر ، والحفظ والعون في زمنٍ كثرت عواصفه وعواذيه ، وحُسادُه وأعداؤه؛ فهل يعي ذلك من يُريد تحريكَ مركب الوطن ليُجافي شاطئَ الاهتداء؟! حفظها الله قائمةً بالإسلام منافحةً عنه.

أيها المسلمون:

وعودًا على العلماء وطلبة العلم ، وعلى ما وفق الله إليه خدام الحرمين الشريفين من حفظ جنابهم ، وإجلال مكانتهم ، وحمايتهم من السُّفهاء وضعيفي البصيرة؛ فإن دورهم يتأكد في استمرارهم في حراسة الدين والدولة؛ ذلك أن أكثر ما بزغ من فتنٍ داخلية على مدى القرن الماضي كان سببه انحرافٌ في المعتقد ، تبعه ارتباطٌ مشبوهٌ بالخارج ، ثم يجدُ العدو في بعض ضِعاف نفوس أولئك من يمتطيهِ ويستخدمُهُ في زعزعة الأمن ، والاستنجاد بقوى أجنبية ، ويُزَيِّنُ له الاستمداد من مرجعيات طامعةٍ ببلاد العرب كارهةٍ للعروبة.

فعلى العلماء وطلبة العلم أن يقوموا بدورهم على الوجه الصحيح ، ليس في مناظرة أولئك والرد عليهم فحسب؛ بل بدعوتهم وتأليفهم ، وتبصيرهم بالهدى ، وكسبهم مواطنين صالحين ، والصبر على ذلك ، وأن يتخصَّص علماء شرعيون في مُحاورتهم ودعوتهم. إن دعوة أولئك وهدايتهم للحق لو لم يكن الإسلام يُوجبُه ويقتضيه لكانت السياسة تُطلبُه وتستدعيه.

أيها المسلمون:

وَيُزَيِّنُ الْبَاطِلَ لِلْمُغْفَلِينَ تَمْزِيقَ الْمَجْتَمَعِ إِلَى أَشْيَاعٍ وَأَحْزَابٍ وَفِرْقٍ وَمِزَعٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (١٥٩) ﴿٤٠﴾ ويقول - سبحانه

:- ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٍ بَمَا لَدَيْهِمْ فَرَحُون (٣٢)﴾^{٥٤١}.

أيها المسلمون:

ونحن في بلاد الحرمين الشريفين في المملكة العربية السعودية لسنا في معزلٍ عن العالم ، ولا بُعدٍ عن الحُساد والأعداء ، وليست الأحوال واحدة ، ولا المواطن مُتماثلة ، وإن كان في العامة من قد يجهل أو يُستغل؛ فإن هذه الظروف تستدعي العزم والحزم ، والتصريح دون التلميح أن جناب الأمن والدولة والدين والوطن والاجتماع ووحدة الصف ليست مجالاً للمُساومة ، ولا عُرضةً للمناقشة ، إنما ليست مجرد خطوطٍ حمراء؛ بل هي خنادقٌ من تعرض لها فيجب أن يحترق ، فما دون الحناجر إلا الأيادي ، ولنا فيمن حولنا عبرة ، والعقل من اتَّعَظَ بغيره. بلادنا - بحمد الله - أُسِّسَتْ على تقوى من الله ، وشريعة من كتاب الله ، وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فهما دستورنا المستور ، ومنهاجنا المأثور ، وفي كل مناسبة يُؤكِّدُ ولَاةُ أمرنا على التمسُّكِ بهما والالتزام بمناهجهما.

ولا شك أن الخطأ واردٌ والتقصير حاصل ، لكن الخطأ لا يُعالج بالخطأ ، والمنكر لا يُزال بما هو أشد منه نُكْرًا ، ودرءُ المفساد المُتيقِّنة أولى من جلبِ مصالحٍ مظنونة ، والإصلاح لا يكون بسلوك سبيل المُفسدين.

وقد منَّ الله علينا برغد العيش ، والأمن في الأوطان ، والسلامة في الأديان ، وفجر كنوز الأرض ، وأسبغ علينا نعمه الظاهرة والباطنة بما لا يكاد يُشبهه شيءٌ على وجه الأرض ، ﴿وَمَنْ يَبْدُلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢١١)﴾^{٥٤٢}.

عباد الله:

وتأسيساً على ما سبق؛ فقد جاءت أوامر الملك الأخيرة تأكيداً لما سار عليه حُكَّامُ هذا البلد من نُشْدانِ رغد العيش للناس ، وحفظ أديانهم وحراستها على وجهٍ لا يُعرف له اليوم مثيل ، مما يستدعي تكرار الحمد والشكر لله المنعم ، ثم الشكر والدعاء لولاة أمر هذه البلاد؛ كيف وقد طلب خادمو الحرمين منكم الدعاء له ، فاللهم ارفع درجته ، وأعلِ بالحق كلمته ، وأطل

541 سورة الروم

542 سورة البقرة

في طاعتك عُمره ، وسدّد رأيه وعمله ، وأتمّ عليه نعمتك ، وأسبغ عليه عافيتك ، وأجري الخير على يديه ، وصلّ اللهم على محمد.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ (٦٧) ﴿٥٣﴾ وقال - سبحانه -: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَّى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٧) ﴿٥٤﴾ .

بارك الله لي ولكم في الكتاب والسنة ، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثاني

الحمد لله عزيز الشان ، عظيم السلطان ، لا يقع في الكون حادثٌ إلا بعلمه وتقديره وصُنْع وتديره ، ولا يخرج عن قدر الله شيءٌ في السماوات ولا في الأرض ، الأسباب والنتائج من صنعه وتقديره ، والوسائل والحوادث من خلقه وتديره ، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (١٨) ﴿٥٥﴾ وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله. أما بعد ، أيها المسلمون:

لا يخفى ما يُمرُّ به العالم اليوم ، وبلاؤنا الإسلامية خاصة؛ من حركاتٍ سياسية ، واضطراباتٍ شعبية ، وفتنٍ مُتلاطمة تتشابه صورها ، وتختلف أسبابها وأهدافها ، تتدافع الحوادث وتتسابق حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

والله وحده يعلم مآلات الأمور ومصائر الأمم وخبايا الدهور ، ظروفٌ وأحوال تتسارع أحداثها ، وتتسابق أخبارها ، وتدعُ الحليم حيراناً ، والمُعافي من عافاه الله ، فتقن لا يدري

543 سورة العنكبوت

544 سورة القصص

545 سورة الأنعام

القاتل فيها لم قتل ، ولا المقتول فيم قُتل ، هَرَجٌ ومرَج ، وخوفٌ وقلق ، يستدعي من العقلاء حزمًا ، ومن العامة فطنةً وفهمًا ، وكم من خائضٍ بلا علم ، ومُتكلِّمٍ بلا فهم ، قد يُذكي نار الفتنة وهو لا يشعر.

الفتنُ - أيها المسلمون - تُقبِلُ أول ما تُقبِلُ ثائرة الغبار ، كثيرة الضجيج ، مُشْتَبِهَةٌ الحقائق ، مُختلطة الوقائع ، لا يتبين فيها الطريق إلا من نور الله بصيرته ، وأصلح سريرته ، والتزم منهاج النبوة في التعاطي مع الأحداث ، والله يحبُّ البصرَ النافذَ عند ورود الشبهات ، والعقلَ الكاملَ عند ورود الشهوات.

وفي الفتن قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : **" العِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ "** رواه مسلم. والدعاء مطلبٌ مُلِحٌّ؛ قال - صلى الله عليه وسلم - : **" تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ "** وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا خافَ قومًا قال: **" اللَّهُمَّ! إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ "** رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح.

وقد نهى الله عن نشر الشائعات ، وأمر بردَّ الأمور إلى الشريعة والعلماء ، فقال - سبحانه -: **﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (٨٣) ٥٤٦**.

يجبُ أن يتدخل أهلُ الحلِّ والعقد من أهل الرأي والحلم والعلم والخبرة والدراية من تبين لهم وجه الصواب في هذه الفتن والنوازل ، ليقولوا كلمتهم ، ويصدعوا برأيهم ، ولا تُرهيبهم سَطوة السلاطين ، ولا ضغط الجماهير ، يجبُ تلافي الأضرار والأخطار ، ومنعُ استشرار هذه الفتن واستمرارها ، والسعيُّ إلى تحقيق المصالح ودرء المفسدات ، وتقدير شرِّ الشرِّين وخير الخيرين ، وعلماء كل بلدٍ أدري بحالهم ، أما حين يعتزلُ العلماءُ والعقلاءُ الفتنة فلن تستقيم أمورُ الناس ، صحيحٌ أن من اعتزلَ الفتن سلِمَ بيقين ، ولكن لمن يُتركُ الناس ووسائل الإعلام تقود الأمة إلى مستقبلٍ مجهول؟!

عباد الله:

الواجبُ الصبرُ والمُصابرة ، ولزوم جماعة المسلمين ، والحفاظة على أمن بلاد المسلمين ووحدهما ، وألا يكون المسلم معولَ هدمٍ يُوقِعُ الفتنة من حيث يشعر أو لا يشعر ، والله الله

في الدماء ، إنها صيحة استنكارٍ ونكير ، وتخويفٌ بالله وتذكير ، من جوار الكعبة الشريفة وزمزم والمقام ، ألا يُسْفَك دم ، ولا تُثار فتنة ، واحذروا أن تتجه الرماح لصدور أهليكم ومواطنيكم.

نداءٌ إليكم من أمام الكعبة الشريفة؛ حيث إهراق دم المسلم أعظم من هدمها ، ولا يزال المسلم في فسحةٍ من دينه ما لم يُصَب دمًا حرامًا.

ثم اعلّموا - رحمكم الله - أن أمة نزل البلاء في نواحيها ، واستهدفتها العدو في دينها وأراضيها يجب أن تكون أبعد الناس عن اللهو والترّف ، وأن تصرّف جهودها وطاقاتها للتقرب إلى خالقها وباريها ، وأن تُخلصَ الله الدين ، وتُقلعَ عن المعاصي والشهوات ، وتُجرّ الذنوب والمنكرات ، وأن تأخذ على يد السفهاء ، ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٥٠) ﴿٥٧﴾ .

هذا وصلُّوا وسلِّموا على خير البرية ، وأزكى البشرية: محمد بن عبد الله ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغرّ الميامين ، اللهم ارضَ عن الأئمة المهديين ، والخلفاء المرّضيين: أبي بكرٍ ، وعمر ، وعثمان ، وعليٍّ ، وعن سائر صحابة نبيك أجمعين ، ومن سار على نهجهم واتبع سنتهم يا رب العالمين.

اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين ، اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين ، وأذلّ الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم من أرادنا وأراد بلادنا بسوءٍ أو فرقة فرّد كيده في نحره ، واجعل تدبيره دمارًا عليه.

اللهم آمنا في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا ووليّ أمرنا ، اللهم وفقه لهداك ، واجعل عمله في رضاك ، وهبْ له البطانة الصالحة.

اللهم لك الحمدُ على ما أنعمتَ به من شفاء خادم الحرمين الشريفين ، وعودته لأهله ووطنه ومحبّيه ، اللهم بارك في عُمره وعمله ، وسدّد رأيه ، وبارك خطوه ، وأتمّ عليه الصحة والعافية والشفاء ، وأسبغ عليه لباس العافية.

اللهم وحّد به كلمة المسلمين ، وارفع به لواء الدين ، اللهم وفق وليّ عهده والنائب الثاني وإخوانهم وأعوانهم لما فيه الخير للعباد والبلاد ، واسلّك بهم سبيل الرشاد ، اللهم كن لهم جميعاً مُوفّقاً مُسَدِّداً لكل خير وصلاح.

اللهم ادفع عنا الغلا والوبا ، والرّبا والزنا ، والزلازل والمِحَن ، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بَطَن.

اللهم أصلح أحوال المسلمين ، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ، اللهم أصلح أحوال إخواننا في ليبيا وفي اليمن وفي تونس وبلاد الشام وفي مملكة البحرين ، اللهم أصلح أحوال إخواننا في مملكة البحرين ، وفي كل مكان. اللهم احقن دماءهم ، وآمن روعاتهم ، واحفظ ديارهم ، واجمعهم على الحق والهدى. اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان ، اللهم انصرهم في فلسطين ، واجمعهم على الحق يا رب العالمين.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يُعجزونك.

اللهم اكفنا شرّ الأشرار ، وكيدَ الفُجّار ، وشرّ طوارق الليل والنهار.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿٥٤٨﴾ .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسرّ أمورنا ، وبلّغنا فيما يُرضيك آمالنا ، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم ، إنك سميع الدعاء.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة : آداب النوم والاستيقاظ

تاريخ إلقاء الخطبة : الثامن عشر من جمادى الأولى من عام ١٤٣٢هـ

— آداب النوم والاستيقاظ —

نبذة مختصرة عن الخطبة :

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب — حفظه الله — خطبة الجمعة بعنوان: "آداب النوم والاستيقاظ" ، والتي تحدّث فيها عن الآداب الشرعية القولية والعملية في النوم والاستيقاظ مما صحَّ عن النبي — صلى الله عليه وسلم — .

الخطبة

أول

—

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضِلَّ فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عزَّ عن الشبيه وعن النَّدِّ وعن المثل وعن النظر ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) ﴿٥٤٩﴾ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفيّه من خلقه ، صلى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .
أما بعد :

فأوصيكم - أيها الناس - ونفسي بتقوى الله التي لا يقبلُ غيرها ، ولا يرحمُ إلا أهلها ، ولا يُثيبُ إلا عليها؛ فإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل ، ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧) ﴿٥٥٠﴾ واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى ، واعلموا أنكم غداً مُحَاسِبُونَ ، وبأعمالكم مَجْزِيُّونَ ، وأن أجسادكم لا تصبر على حرّ النار ولا تقوى .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) ﴿٥٥١﴾ .

أيها المسلمون :

لم يترك النبي - صلى الله عليه وسلم - خيراً إلا دلّنا عليه ، ولا باباً للجنة إلا عرّفنا طريقه ، ولا سبباً للسعادة والهناء إلا أرشدنا له وحثنا عليه ، وفي ذات الوقت ربّانا على لزوم السنن ، وعلمنا الآداب ، وأرادنا أن نكون على مُراد الله في كل الأحوال؛ في منامنا ويقظتنا ، في محراب التعبّد أو في ميدان السعي للدنيا ، أن يكون حالنا ومُنقلبنا لله ، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) ﴿٥٥٢﴾ وهذه هي غاية العبودية ، والعبودية هي الغاية .

أيها المسلمون :

549 سورة الشورى

550 سورة البقرة

551 سورة الحشر

552 سورة الأنعام

لا يخلو الإنسان أن يكون في حال يقظة أو حال نوم ، يتقلب بينهما كما يتقلب الليل والنهار ، والنوم حال عجيب من أحوال الإنسان ، وآية من آيات الله العظام ، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (٢٣) .^{٥٥٣} .
ويشكل النوم جزءاً كبيراً من اهتمام الناس ، فيتخذون له الفرش والأثاث ، ويتهيأون له بالوسائل والأحوال ، ويتحكم في أوقاتهم ومعاشهم ، وإذا اختلف بزيادة أو نقص أثر على صحة الإنسان بدنياً ونفسياً ، وبذل للعلاج الكثير من الأموال ، والإنسان يمضي ثلث حياته في النوم.

ومن هنا جاءت الآداب النبوية والسنن الحمديدية بالإرشاد والتوجيه ، حتى يكون منامنا طاعة ونومنا عبادة ، والتزام هذه السنن سبب للأجر ، ومعين على القيام لصلاة الفجر ، والنشاط في سائر اليوم ، والبعد عن الوسواس والأحلام المزعجة ، والأمراض النفسية. وهذه السنن والآداب - على أهميتها وعظيم أجر فاعلها - قد أعرض كثير من المسلمين عنها جهلاً أو تكاسلاً ، أو زهداً فيما عند الله من ثواب.

وإليكم - أيها المسلمون - طائفة مما صحَّ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من سنن النوم وآدابه ، فيها الخير والسعادة في الدنيا والآخرة:

فأول ذلك: ما ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من التبكير في النوم ؛ فعن أبي بَرزَةَ - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا " ؛ أخرجه البخاري ومسلم.

ثم الوتر قبل النوم لمن خشى ألا يقوم آخر الليل؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: " أوصاني خليل - صلى الله عليه وسلم - بثلاث: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتي الضحى ، وأن أوتر قبل أن أرقد " ؛ أخرجه مسلم.

ومن الآداب: إطفاء النار ، وتخمير الإناء ، وإغلاق الأبواب؛ عن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " أَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ بِاللَّيْلِ إِذَا رَقَدْتُمْ ، وَغَلِّقُوا الْأَبْوَابَ ، وَأَوْكُوا الْأَسْقِيَةَ ، وَخَمِّرُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ - وأحسبه قال: وَلَوْ بَعُدَ تَعَرُّضُهُ عَلَيْهِ " ؛ أخرجه البخاري ومسلم.

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " لا تَتْرُكُوا النَّارَ فِي بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ " ؛ أخرجه البخاري ومسلم.

وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: احترق بيت بالمدينة على أهله من الليل ، فحدث بشأهم النبي - صلى الله عليه وسلم - ، قال: " إِنَّ هَذِهِ النَّارَ إِنَّمَا هِيَ عَدُوٌّ لَكُمْ ، فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ " ؛ أخرجه البخاري ومسلم.

ومن الآداب: عدم النوم على مكانٍ مُرتفعٍ بلا حواجز؛ عن علي بن شيبان - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " مَنْ بَاتَ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لَهُ عَلَيْهِ حِجَارٌ فَقَدْ بَرَّتْ مِنْهُ الدِّمَّةُ " ؛ أخرجه أبو داود ، وله عدة شواهد.

ومن الآداب: غسل اليد والفم من أثر الأكل والدَّسَمِ ونحوه؛ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " مَنْ نَامَ وَفِي يَدِهِ غَمَرٌ وَلَمْ يَغْسِلْهُ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ " ؛ أخرجه أبو داود.

ومن السنن: الوضوء قبل النوم؛ عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ " ؛ أخرجه البخاري ومسلم.

ويُسَنُّ الوضوء أيضاً حتى ولو كان الإنسان جُنُباً؛ عن ابن عمر - رضي الله عنه - أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيْرُقَدْ أَحَدُنَا وَهُوَ جُنُبٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرْقُدْ وَهُوَ جُنُبٌ " ؛ أخرجه البخاري ومسلم.

ومن آداب النوم: نفصُ الفراش والتسمية؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ ، فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ ، وَلْيُسَمِّ اللَّهَ تَعَالَى ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا خَلْفَهُ بَعْدَ عَلَى فِرَاشِهِ " ؛ أخرجه البخاري ومسلم.

ويُحَرِّصُ المسلم على التستر حتى لا تنكشف عورته وهو نائم؛ عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " لَا يَسْتَلْقِينَ أَحَدُكُمْ ثُمَّ يَضَعُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى " ؛ أخرجه مسلم.

ومن الآداب: تباعد النائمين عن بعضهم؛ فعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه قال:

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " **مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ** " ؛ أخرجه أحمد وأبو داود.
ومن السنن: كتابة الوصية؛ فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " **مَا حَقَّ أَمْرِي مُسْلِمٍ ، لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ ، يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ** " ؛ أخرجه البخاري ومسلم.

وقد نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن النوم على البطن ، وقال: " **إِنَّهَا ضَجْعَةُ أَهْلِ النَّارِ** " ، وقال: " **إِنَّهَا ضَجْعَةُ يُبْغِضُهَا اللَّهُ - عز وجل -** " ؛ رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح.
وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجلاً مضطجعا على بطنه ، فقال: " **إِنَّ هَذِهِ ضَجْعَةُ يُبْغِضُهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ** " ؛ أخرجه الترمذي.
أيها المسلمون:

ومن السنة: النوم على الشَّقِّ الأيمن؛ فعن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " **إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ** " ؛ أخرجه البخاري ومسلم.

ومن السنة: وضع اليد تحت الخد؛ فعن حذيفة - رضي الله عنه - قال: كان - صلى الله عليه وسلم - إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده؛ أخرجه البخاري.
عباد الله:

هذه بعض السنن العملية ، وإليكم طائفة أخرى من الأدعية والأذكار التي صحّت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وحرّى بكل مسلم أن يحفظها ويتلوها ويجعلها وردّه وطمأنينة قلبه ، وذكرُ الله مطلوبٌ عند النوم؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " **وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تَرَةً** " أخرجه أبو داود.

ومن هذه الأذكار: قراءة آية الكرسي؛ ففي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - الطويل ، قال: " **إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرُبَكَ**

شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ، ذَاكَ شَيْطَانٌ " أخرجه البخاري ومسلم.

ومن الذكر قبل النوم: التسبيحُ ثلاثًا وثلاثين ، والحمدُ ثلاثًا وثلاثين ، والتكبيرُ أربعًا وثلاثين ، وفيه حديثُ علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وشكوى فاطمة - رضي الله عنها - ما تلقى من الرّحى مما تطحن ، وطلبتِ خادمًا ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى خَيْرٍ مِّمَّا سَأَلْتُمَاهُ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبَّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَسَبَّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمَا مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ " أخرجه البخاري ومسلم.

عباد الله:

ومن الدعاء الذي كان يقوله - صلى الله عليه وسلم -: ما رواه حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا أوى إلى فراشه قال: " بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا " وإذا قام قال: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا ، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ " أخرجه البخاري.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلْفَهُ عَلَيْهِ بَعْدَهُ ، ثُمَّ لِيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ ، ثُمَّ يَقُولُ : بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتَ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ ، إِنْ أَمْسَكَتْ نَفْسِي فَأَرْحَمَهَا ، وَإِنْ أُرْسَلَتْهَا فَأَحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ " أخرجه البخاري ومسلم.

وعن ابن عمر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول إذا أخذ مضجعه: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَانِي وَآوَانِي وَأَطْعَمَنِي وَسَقَانِي ، وَالَّذِي مَنَّ عَلَيَّ فَأَفْضَلَ ، وَالَّذِي أَعْطَانِي فَأَجْزَلَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، اللَّهُمَّ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ وَإِلَهُ كُلِّ شَيْءٍ أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ " أخرجه أبو داود ، وصححه ابن حبان والنووي.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - قال: يا رسول الله! مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ . قَالَ : " قُلْ : اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي ، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَشَرِّكَهِ . " قَالَ : " قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ " ؛ أخرجه أبو داود.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أتت فاطمة النبي - صلى الله عليه وسلم - تسأله خادماً ، فقال لها: " قولي: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ " ؛ أخرجه مسلم.

وعن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أراد أن ينام توسد يمينه ويقول: " اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَجْمَعُ عِبَادَكَ " ؛ أخرجه أحمد والترمذي ، وعندهما عن حفصة أيضاً.

وعن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا أوى إلى فراشه قال: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا ، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِي " ؛ أخرجه مسلم.

وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقول عند مضجعه: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ ، إِنَّكَ تَكْشِفُ الْمَغْرَمَ وَالْمَأْثَمَ ، اللَّهُمَّ لَا يُهْزَمُ جُنْدُكَ ، وَلَا يُخْلَفُ وَعْدُكَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ " ؛ أخرجه أبو داود.

وعن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ، ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ " ؛ أخرجه البخاري ومسلم.

أيها المسلمون:

وقد يعرضُ للمسلم ما يُخيفُه ويُفزعُه ، فإذا وجدَ ذلك فليستعِذْ بالله ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ النَّوْمِ ، فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ؛ فَإِنَّمَا لَنْ تَضُرَّهُ»؛ أخرجه أبو داود ، وحسنه الترمذي وابن حجر.

وللرؤيا والأحلام آدابٌ وسُننٌ؛ عن أبي قتادة - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: " الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ ، وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلْمًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا ، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ " ؛ أخرجه البخاري ومسلم.

وعن جابر - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا ، فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا ، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا ، وَيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ " ؛ أخرجه مسلم.

الله بَارِكْ لَنَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ، وَانْفَعْنَا بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْحِكْمَةِ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى لِي وَلَكُمْ.

الخطبة

الثاني

الحمد لله وليّ المؤمنين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عُدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المسلمون:

وإذا انتبه المسلم من الليل فيُسنُّ له أن يذكر الله تعالى ويدعوهُ ، فإنه حريٌّ بالإجابة؛ عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي أَوْ دَعَا اسْتَجِيبَ لَهُ فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قَبِلَتْ صَلَاتُهُ " ؛ أخرجه البخاري.

وعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَبِيتُ عَلَى ذِكْرِ طَاهِرٍ فَيَتَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ ، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ " ؛ أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

ومن السنة: قراءة آخر سورة آل عمران إذا قام ليلاً؛ عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال في حديثه: فنام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ، ثم استيقظ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجلسَ فمسحَ النومَ عن وجهه بيده ، ثم قرأ العشر آياتِ خواتيم سورة آل عمران؛ أخرجه البخاري ومسلم. ومن السنة: السواكُ بعد النوم؛ عن حذيفة - رضي الله عنه - قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا قام من الليل يشوصُ فاهُ بالسواك؛ أخرجه البخاري ومسلم.

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يُوضَعُ له وَضُوؤُهُ وَسِوَاكُهُ ، فإذا قام من الليل تَحَلَّى ثم استاك؛ أخرجه أبو داود.

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان لا ينامُ إلا والسواكُ عنده ، فإذا استيقظَ بدأ بالسواك؛ أخرجه أحمد.

ومن السنة: الذكرُ بعد الاستيقاظ؛ عن حذيفة - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول: "اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا" وإذا استيقظ قال: ؛ أخرجه البخاري.

ومن السنة أيضاً: غسلُ اليد ثلاثاً قبل استعمالها؛ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا فِي وَضُوئِهِ ، فَإِنْ أَحَدُكُمْ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ " ؛ أخرجه البخاري.

عباد الله:

ومن أراد النشاطَ وانسراحَ الصدر وطيبَ النفس بعد الاستيقاظ من النوم؛ فليبادر إلى ذكر الله ، ثم إلى الوضوء والصلاة؛ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ ، كُلُّ عُقْدَةٍ يَضْرِبُ مَكَانَهَا عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِذَا تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَتَانِ ، فَإِذَا صَلَّى انْحَلَّتِ الْعُقَدُ كُلُّهَا ، وَأَصْبَحَ طَيِّبَ النَّفْسِ نَشِيطًا ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانًا " ؛ أخرجه البخاري ومسلم.

أيها المسلمون:

هذه أربعون حديثاً مما ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وفي الصحيح كثيرٌ غيرها ، أسأل الله تعالى أن ينفع بها قائلها وسامعها ، وأن يُعيننا على تطبيقها والتزامها.

اللهم وفقنا لهذا ، واجعلنا نخشاك كأننا نراك ، واجعلنا مُتَّبِعِينَ لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم - ، اللهم أوردنا حوضه ، وارزُقنا شفاعته ، واحشُرنا تحت لوائه.

اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشرك والمشركين ، ودمِّر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم من أرادنا وأراد بلادنا بسوءٍ أو فرقةٍ فردَّ كيده في نحره ، واجعل تدبيره دماراً عليه.

اللهم آمناً في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا ووليَّ أمرنا ، اللهم وفقه لهذا ، واجعل عمله في رضاك ، وهبْ له البطانة الصالحة ، وأتمِّ عليه الصحة والعافية ، اللهم وحِّد به كلمة المسلمين ، وارفع به لواء الدين ، اللهم وفق ولىَّ عهده

والنائب الثاني وإخوانهم وأعوانهم لما فيه الخير للعباد ، واسئلك بهم جميعاً سبيل الرشاد ، وكن لهم جميعاً موقفاً مُسدداً لكل خير وصلاح.

اللهم ادفع عنا الغلا والوبا ، والربا والزنا ، والزلازل والمحن ، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ، اللهم أصلح أحوال إخواننا في ليبيا واليمن وبلاد الشام وفي كل مكان ، اللهم احقن دماءهم ، وآمن روعاتهم ، واحفظ ديارهم ، واجمعهم على الحق والهدى.

اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان ، اللهم انصرهم في فلسطين ، واجمعهم على الحق يا رب العالمين.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يُعجزونك ، اللهم اكفنا شرّ الأشرار ، وكيدَ الفجّار ، وشرّ طوارق الليل والنهار.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿٥٤﴾ .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسرّ أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم ، إنك سميع الدعاء.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة : شرف الانتساب للسلف الصالح

تاريخ إلقاء الخطبة : الرابع والعشرون من جمادى الآخر من عام ١٤٣٢هـ

- شرف الانتساب للسلف الصالح -

نبذة مختصرة عن الخطبة:

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب - حفظه الله - خطبة الجمعة بعنوان: "شرف الانتساب للسلف الصالح"، والتي تحدّث فيها عن تعريف المنهج السلفي، وأنه: منهج الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام والقرون المفضّلة وأتباعهم ومن سار على نهجهم، وذكر شيئاً من مزاياهم، وبين أن الطريق الموصّل إلى مرضاة الله هو الأخذ بالكتاب والسنة على نهج سلف الأمة.

الخطبة
أول

—

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عزّ عن الشبيه وعن النّدّ وعن المثل وعن النظير، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)﴾ ٥٥ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُّ محمد - صلى الله عليه وسلم -، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعة، وكلُّ بدعةٍ ضلالة، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

ألا وإن خير الوصايا بعد المحامد والتحايا: الوصية بتقوى الله العظيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ٥٥٦ .

من اتقى الله كان معه ، وأحبه وتولاه ، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (١٢٨) ٥٥٧ ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٧٦) ٥٥٨ ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٧٦) ٥٥٩ .

فإذا حظي العبدُ بمعية الله هانت عليه المشاق ، وانقلبت المخاوف في حقه أمناً ، فبالله يهون كل صعب ، ويسهل كل عسير ، ويقرب كل بعيد ، وبالله تزول الهموم والغموم ، وتزاح الأكدار والأحزان؛ فلا هم مع الله ، ولا غم ولا حزن.

وإذا كان الله معك فمن تخاف؟! وإذا كان عليك؛ فمن ترجو؟!

أيها المسلمون:

الحضارة الإنسانية بمكتشفاتها ومُخترعاتها غالباً ما يكون آخرها خيراً من أولها بخلاف أديان الناس ومعتقداتهم؛ فإن مُتدبني كل دين صحيح يكون أولهم خيراً من آخرهم ، وسلفهم أهدى من آخرهم ، ذلك أن الحضارة بدأت تحبو ، في حين أن الأديان وُلدت واقفة ، والحضارة تراكم معرفي ، أما الدين فهو وحي مُتزلّ وهدى مُحكم. والفرق بين الأتباع الأوائل لكل دين صحيح وبين مُتأخريهم كمثل الفرق بين الماء عند منبعه والماء عند مصبه بعدما جرى وخالط ما خالط من الشوائب.

لذا فإن خير يهود: أنبياءهم وأخبارهم الأولون ، وخير النصارى: عيسى ابن مريم وحواريوه ، وخير المسلمين: محمد - صلى الله عليه وسلم - وصحابته المرضيئون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.

وكلما غبرت أمة أو قرن من الناس طوي معهم علمٌ ورُفِع معهم فضل ، مُصدّق ذلك ما ورد في وصية الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه قبل الرحيل: "مَنْ يَعِشْ

556 سورة آل عمران

557 سورة النحل

558 سورة آل عمران

559 سورة آل عمران

مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " .

وإذا شئتَ أن تعرفَ قُربَ أهلِ دينٍ من دينهم فانظر إلى قُربهم من سلفهم ، فكلما اقتربوا اهتدوا ، وكلما جفوا ضلُّوا ، أما إن لعنَ خلفُ أمةٍ سلفهم فإنه لا خيرَ فيهم؛ فهم دسيسةٌ عدوٌّ ، وصنيعةٌ كائد.

قال الإمام أحمد - رحمه الله - : "إذا رأيتَ الرجلَ يذكرُ أحداً من الصحابةِ بسوءٍ فأتَّهمه على الإسلام".

ولأجل هذا زخرتْ مُصَنَّفَاتُ الأئمةِ بالحثِّ على التمسُّكِ بِحُجَجِ السلفِ عندِ الاتِّباعِ وفهمِ نصوصِ الوحيين؛ فهو أمانةٌ من الانحراف ، وضمانةٌ من الضلال.

أيها المسلمون:

يتأكَّدُ الحديثُ عن المنهجِ الحقِّ في وقتٍ تعدَّدت فيه المرجعيَّاتُ ، وتباين الاستمداد ، وقلَّ العلماء ، ونَدَرَ الناصحون ، حين تكثُرُ الشُّبُه ، ويُلبَسُ الحقُّ على أهله ، ويُحوَّلُ بينهم وبينه دعاةُ الضلالةِ وعداةُ الهدايةِ وأدعياءُ العلم ، وهم أقربُ إلى الضلالِ وإن تباكوا على الإسلامِ ورسوله والآل.

وحين أدرك العدوُّ هذه الحقيقة سعى لفصل خلف هذه الأمة عن سلفها ، وإيغار قلوب متآخريها على مُتَقَدِّمِها ، وتشويه سيرهم وتواريحهم.

عباد الله:

ولأن الأمم تُؤتَى - في الغالب - من جهلِ أبنائها؛ فقد أكمل بعضُ من نُحَسِنُ بِهِم الظنَّ من جهلةِ الأمةِ مشروعَ عدوهم ، فانتسبوا للسلف وتسمَّوا باسمهم ، وأنشأوا جماعاتٍ ومُنظَّماتٍ اختطفَت ذلك الاسمَ الشريف واستأثرت به ، ثم ارتكبت باسمه انحرافات ، وافتعلت خُصومات.

ولم يُفَوِّتْ عدوُّهم تلكَ الفرصة فدفع بعمالئه ليركبوا معهم المِوجَةَ ، ويوسَّعوا الهُوَّةَ بالانتساب للسلف الصالحين ، ونصَّبوا أنفسهم مُمثِّلين للسلفية ، فحُمِلَ خطوهم على صوابها ، وغُلِّبَهم على وسطيّتها واعتدالها ، حتى صار الإسلام يُعادى باسمِ مُحاربةِ السلفية

، وصار الإعلامُ يصفُ المتطرفين والإرهابيين بأنهم سلفيون ، ووُصِفَت عودةُ الأمة لدينها الصحيح بالسلفية المتطرفة تنفيراً وتشويهاً للتدين ، وأصبحت السلفية سبباً وجريمةً يلاحقُ أربابها ، ويتبرأ منها أصحابها الذين هم أصحابها ، ﴿وَكَاُنُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (٢٦)﴾ ٥٦٠ .

يا أيها المسلمون:

سلفكم هو محمدٌ - صلى الله عليه وسلم - وصحابته والقرون المفضلة؛ فبأي كتاب وجدتموهم يقتلون المسلمين ، أو يخونون المستأمنين ، أو يدعون من دون الله الأئمة والصالحين ، أو يتبركون بالأضرحة وقبور السالفين ، أو يُثيرون الفتن بين المسلمين؟! سلفكم - يا أيها المسلمون - حريصون على جمع الكلمة ، ووحدة الصف ، وتنقية الدين من تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، سلفكم كانوا أهدي طريقاً ، وأقوم مسلكاً ، وأتبع للكتاب والسنة ، وأعلم بالوحي؛ فكانوا حقاً مسلمين.

الانتسابُ للسلف ليس دعوى يدعيها شخصٌ أو جماعة ، أو يتبنّاها حزبٌ أو منظمة؛ بل هي طاعةٌ واتباع ، ووحدةٌ واجتماع ، ونبذٌ للفرقة والاجتماع.

منهج السلف الصالح هو الإسلام الأول الذي عرفه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، هو النهجُ الذي قاتلَ لأجله خالدٌ وسعد ، واستشهد في سبيله حمزة ومُصعب ، هو الجادةُ الذي سلكها ابنُ مسعودٍ وابنُ عباس ، وهو السبيلُ الذي ترسمه الحسنُ البصري والنخعي والشعبي ، وهو الفجاءُ التي طرَقها أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ، هو الطريق الذي خطا فيه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ، وأولئك كل أولئك وكثيرٌ غيرهم على منهجهم ، سيرهم محفوظة ، وآثارهم معلومة ، وكتبهم مُسطرةٌ ومخطوطة.

فالسعيدُ من تمسك بما كان عليه السلف ، واجتنب ما أحدثه الخلف ، وما أسهل الاتباع وأيسر الاهتداء إن عافى الله من دعاة الضلالة.

وقد شهد الله تعالى بقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)﴾ ٥٦١ .

عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ.." الحديث؛ أخرجه البخاري ومسلم. أيها المسلمون:

إن منهج السلف الصالح هو المنهج الذي يُمثل هذا الدين العظيم في شموله وصفائه كما يُمثل المسلمين في اجتماعهم واتلافهم ، إنه اسمٌ ينتظم الإسلام كله كما ينتظم جميع المسلمين الثابتين على الإسلام الذي كان عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، فهو شريعة الله في صفائها ، وهو عقيدة الحق في نقائها ، لا يحقُّ لجماعةٍ أو فردٍ أن تحتقره. فالذي يرسم حدودَ هذا المنهج هو القرآن الكريم ، والذي يُحدِّد معالمه سنة النبي الخاتم ، وهو الأمانة من كل خلافٍ واختلاف ، بذلك المنهج تُعرفُ الحادثات من الدين فتُتقى ، ويُعرفُ الأدعياء في علم الشريعة فيُحذرون ، ويُعرفُ الشاقُّون لصف الأمة ووحدها فيُجتنبون ، ويُعرفُ المُخلصون المُهتدون فيُتبعون.

تكمُن أهميةُ نهج السلف الصالح في كونه التطبيقَ العمليَّ الأول للإسلام ، تحت سمع وبصر رسول السلام - عليه الصلاة والسلام - ، وتمثله التابعون بعد ذلك تحت سمع وبصر الصحابة المشهود لهم بالخيرية والاصطفاء ، وكذلك تابعوهم؛ فمن الذين يُزايِدُ على ذلك النهج ، ومن يجرؤ أن يدَّعي أن الحق خلافه؟!

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)﴾ ٥٦٢ .

بارك الله لي ولكم في الكتاب والسنة ، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثانية

الحمد لله وكفى ، خلقَ خلقه واصطفى منهم من اصطفى ، وجعل خيرتهم أنبياءهم ومن ترسم سبيلهم واقتفى ، وتبارك الله مثير الطائعين لأمره ، ومن خالف منهم إن شاء عذب أو عفا ، وأشهد أن إله إلا الله وحده لا شريك له ولا مثيل ولا شبهة ولا كفا ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى ، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه ومن منتهجهم اقتفى .

أيها المسلمون:

منهج السلف منهجٌ شاملٌ في النظر والاستدلال ، في التلقي والاستمداد ، والارتباط بالنص الشرعي ، وفي نبذ المحدثات في السلوك والتعبّد ، ولا يكادُ يخلو أحدٌ من المنتسبين إليه في كل مكانٍ من خللٍ في الفهم أو في التطبيق ، إلا أن الخلاف في امتثال هذا المنهج في بعض الفروع وجزئيات لا يجوز أن يكون داعياً إلى تصنيف المخالف ، أو نبذه باسمٍ يقطعُ نسبته إلى السلف؛ فإن الأصل في كل مسلمٍ لم يتلبس بشيءٍ من الأصول البدعية المحدثّة أنه على نهج السلف وإن وقع في معصيةٍ أو خالف في مسألةٍ اجتهادية ، ومن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة ، وشعارُ المخالف: مُفارقة الكتاب والسنة وإجماع المسلمين.

أيها المسلمون:

لقد تسرّب الوهنُ للأمة بقدر ما تسرّب إليها من البدع والمحدثات ، والانحراف عن الطريق الحق ، وضعف الاستمداد من الوحيين ، وإذا كان المسلمون يلتبسون اليومَ طريقاً للنهوض

فليس لهم من سبيلٍ إلا وحدة جماعتهم ، ولا سبيل إلى وحدة الجماعة إلا على الإسلام الصحيح ، والإسلام الصحيح مصدره القرآن والسنة ، وهذه خلاصة الاتجاه السلفي . عودةً بالإسلام إلى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، فلا تلتبس عليكم السُّبُل ، ولا تُضِلَّنكم الأهواء ، ولا يصدَّنكم كثرة الأعداء أو سَطوة الأذعياء .

اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه . هذا وصلُّوا وسلِّموا على خير البرية ، وأزكى البشرية: محمد بن عبد الله ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابتهم الغرِّ الميامين ، وارضَ اللهم عن الأئمة المهديين ، والخلفاء المرصَّيين: أبي بكرٍ ، وعمر ، وعثمان ، وعليٍّ ، وعن سائر صحابة نبيك أجمعين ، ومن سار على فمهم واتبع سنتهم يا رب العالمين . اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين ، اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشرك والمشركين ، ودمِّر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين . اللهم من أرادنا وأراد بلادنا وديننا بسوءٍ أو فرقة فرَّد كيدَه في نحْره ، واجعل تدبيره دماراً عليه .

اللهم آمناً في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا ووليَّ أمرنا ، اللهم وفقه لهداك ، واجعل عمله في رضاك ، وهبْ له البطانة الصالحة ، وأتمِّ عليه الصحة والعافية والشفاء ، وأسبغ عليه لباس العافية .

اللهم وحدَّ به كلمة المسلمين ، وارفع به لواء الدين ، اللهم وفق وليَّ عهده والنائب الثاني لما فيه الخير للعباد والبلاد ، واسلِّك بهم سبيل الرشاد ، وكن لهم جميعاً مَوْفِّقاً مُسَدِّداً لكل خير وصلاح .

اللهم ادفع عنا الغلا والوبا ، والرِّبا والزنا ، والزلازل والمِحْنَ ، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بَطَن .

اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ، اللهم احقن دماءهم ، وآمن روعاتهم ، واحفظ ديارهم .

اللهم انصر المُستضعفين من المسلمين في كل مكان ، اللهم انصرهم في فلسطين ، واجمعهم على الحق يا رب العالمين.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يُعجزونك.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿٥٦٣﴾ .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم ، إنك سميع الدعاء.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

خطبة الجمعة : تأملات في معنى التشهد

من المسجد الحرام: التاسع والعشرون من رجب من عام ١٤٣٢هـ

— تأملات في معنى التشهد —

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب - حفظه الله - خطبة الجمعة بعنوان: "تأملات في معنى التشهد"، والتي تحدّث فيها عن شرح وتفسير معاني التشهد في الصلاة، وبيان السنن الواردة والأدعية المأثورة في آخر الصلاة قبل السلام.

الخطبة

أول

—

إن الحمد لله وله بعد الحمد التحايا الزاكيات، وهو المستعان فمن غيرُهُ يُرْتَجَى عند الكروب ودهم الملمات، وعليه التكلان فحسبنا الله وهو حسب الكائنات، وأشهد أن لا إله إلا الله وله تُرْجَى كل تحية، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المجلول على أكرم سجيّة، صلى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وذريته أكرم ذرية، وعلى صحابته ذوي النفوس الرضيّة، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم - أيها الناس - ونفسي بتقوى الله - عز وجل - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿٥٦٤﴾.

من اتقى الله وقاه، وكفاه وأسعده وآواه، وتقوى الله خير الزاد ذخراً، وعند الله لأتقى مزيد.

أيها المسلمون:

مذ كان الأدب في الناس والناس يكسبون به فعالمهم وكلامهم عند مخاطبة العظماء وملاقاتهم، وخير الناس خلقاً أحسنهم أدباً، ودين الإسلام يُعلّمنا في الصلاة التي هي عمود الدين وشرف العبادات لله رب العالمين أن نتوسّل إلى الله بأجل التحايا، وأن تلهج ألسنتنا بأطيب العبارات وأزكى الكلمات، ومن أعظم من الله، ومن أكرم منه - جلّ في علاه -!؟

وتأمل كيف تتحرك جميع أعضاء المصلي وجوارحه في الصلاة عبوديةً لله خشوعاً وخضوعاً ، فإذا أكمل المصلي هذه العبادة وقبل أن يُسلم انتهت حركته ، وختمها بالجلوس بين يدي الرب تعالى جلوساً تذلل وانكسار وخضوع لعظمته - عز وجل - كما يجلس العبد الذليل بين يدي سيده.

وجلوس الصلاة أخشع ما يكون من الجلوس وأعظمه خضوعاً وتذلاً ، فأذن للعبد في هذه الحال بالثناء على الله - تبارك وتعالى - بأبلغ أنواع الشاء ، وهو: التحيات لله والصلوات والطيبات.

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: كنا إذا جلسنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده ، السلام على فلان وفلان ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " لا تقولوا السلام على الله ؛ فإن الله هو السلام ، ولكن قولوا : التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فإنكم إذا قلتم أصاب كل عبد في السماء أو بين السماء والأرض أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو به " ؛ رواه البخاري ومسلم.

أيها المسلمون:

من عادة الناس إذا دخلوا على ملوكهم أن يحيوهم بما يليق بهم تعظيماً لهم وثناءً عليهم ، والله أحقُّ بالتعظيم والثناء من كل أحدٍ من خلقه ، وفي التشهد يجمع العبد أنواع الشاء على الله - عز وجل - وأجمل عبارات الأدب والتحية ، والتحيات جمع تحية ، والتحية هي التعظيم ، فكل نوعٍ من أنواع التحيات الطيبة فهو لله ، والتحيات على سبيل العموم والكمال والإطلاق لا تكون إلا لله - عز وجل - ، وهو - سبحانه - أهلٌ للتعظيم المطلق ، فالعظمة والملئ والبقاء لله.

والصلوات؛ أي: والصلوات لله ، وهو شاملٌ لكل ما يُطلق عليه صلاة لغةً أو شرعاً من الدعاء والتضرع والرحمة ، فالصلوات كلها لله ، لا أحد يستحقها سواه ، والدعاء أيضاً

حقُّ الله - عز وجل - ، كما قال - سبحانه - : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٦٠) ﴿ ٥٦٥ .

فكل الصلوات فرضها ونفلها لله ، وكل الأدعية لله .

والطيبات: هي الأعمال الزكية ، ما يتعلَّق بالله وما يتعلَّق بأفعال العباد؛ فما يتعلَّق بالله فإن له من الأوصاف أطيبها ، ومن الأفعال أطيبها ، ومن الأقوال أطيبها ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا " ؛ أخرجہ مسلم .

فهو - سبحانه - طيبٌ في كل شيء ، في ذاته وصفاته وأفعاله .

وله أيضًا من أعمال العباد القولية والفعلية الطيب؛ فإن الطيب لا يليق به إلا الطيب ، ولا يُقدَّم له إلا الطيب ، وقد قال - عزَّ اسمه - : ﴿ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾ (٢٦) ﴿ ٥٦٦ فهذه سنة الله - عز وجل - ، لا يليق به إلا الطيب من الأقوال والأفعال من الخلق ، ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (١٠) ﴿ ٥٦٧ .

فكانت الطيبات كلها له ومنه وإليه ، له مُلكًا ووصفًا ، ومنه مجيئها وابتدائها ، وإليه مصعدُها ومُنْتهاها .

ولما أتى بهذا الشاء على الله تعالى التفت إلى شأن الرسول الذي حصل هذا الخير على يديه فسلم عليه أتم سلامٍ مقرونًا بالرحمة والبركة ، فيقول المُتَشَهِّدُ : " السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ " والسلامُ اسم الله - عز وجل - ؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ " ؛ رواه البخاري . وقال - عز وجل - : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ ﴾ (٢٣) ﴿ ٥٦٨ .

فيكون المعنى: أن الله تعالى يتولَّى رسوله - صلى الله عليه وسلم - بالحفظ والكلاءة والعناية .

565 سورة غافر

566 سورة الحشر

567 سورة فاطر

568 سورة الحشر

والسلام أيضاً بمعنى: التسليم ، كما قال - عز وجل - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) ﴾^{٥٦٩} فهو دعاء وتحية.

ثم يُسَلِّمُ المُتَشَهِّدُ على نفسه وعلى من معه من المُصَلِّين والملائكة الحاضرين ، وقيل: بل جميع أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وذلك بقوله: " السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ " وعبادُ الله الصالحون: هم كل عبدٍ صالحٍ في السماء والأرض من الآدميين والملائكة والجن من الأحياء والأموات ، وعبادُ الله: هم الذين تعبدوا الله؛ أي: تذللوا له بالطاعة امتثالاً لأمره واجتناباً لنهيهِ ، وأشرفُ وصفٍ للإنسان أن يكون عبداً للإنسان لا عبداً لهواه ، فإذا سمع أمر ربه قال: سمعنا وأطعنا.

وعبادُ الله الصالحون هم الذين صلحت سرائرهم وظواهرهم بإخلاص العبادَةِ لله ومُتَابَعَةِ رسوله - صلى الله عليه وسلم -.

ثم ختمَ هذا المقام بعقد الإسلام ، وهو: التشهُّدُ بشهادة الحق والتوحيد: «أشهد أن لا إله إلا الله» ، ولا إله إلا الله كلمةُ التوحيد التي بعثَ الله بها جميعَ الرسل ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥) ﴾^{٥٧٠} . ومعناها: لا معبود حقَّ إلا الله.

ثم يقول المُتَشَهِّدُ: «وأشهد أن مُحمداً عبده ورسوله» ، فرسولُ الله الخاتم هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، بعثه الله - عز وجل - بمكة أم القرى وأحب البلاد إلى الله ، وهاجر إلى المدينة ، وتوفي فيها - صلى الله عليه وسلم -.

فهو عبدُ الله ، ليس له في العبادة شرك ، وقد أمره الله تعالى أن يقول: ﴿ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ (٥٠) ﴾^{٥٧١} وقال له في آية أخرى: ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ

569 سورة الاحزاب

570 سورة الأنبياء

571 سورة الأنعام

اللَّهُ أَحَدٌ وَلَكِنْ أَجَدٌ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ (٢٣) ﴿٥٧٢﴾ فهو

عبدٌ من العباد ، لكنه أفضلهم ، ورسولٌ من الرسل ، لكنه أشرفهم .

وهو - صلى الله عليه وسلم - أشد الناس خشيةً لله وأقومهم تعبدًا لله ، حتى إنهم كان يقوم مُصلّيًا حتى تتورّم قدماه ، فيقال له: لقد غفر الله من ذنبك ما تقدّم وما تأخر ، فيقول: " أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا " ؛ رواه مسلم .

ومعنى: ورسوله؛ أي: مُرسَله ، أرسله الله - عز وجل - وجعله واسطةً بينه وبين الخلق في تبليغ شرعه؛ إذ لولا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما عرفنا كيف نعبد الله - عز وجل - ، فكان - عليه الصلاة والسلام - رسولاً من الله إلى الخلق ، ونعم الرسول ، ونعم المُرسَل ، ونعم المُرسَل به ، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - هو رسولٌ مُرسَلٌ من الله ، وهو أفضل الرسل خاتمهم وإمامهم ، لما جُمِعوا له ليلة المعراج تقدّمهم إماماً مع أنه آخَرهم مبعثاً - عليه الصلاة والسلام - ، كما روى ذلك الإمام أحمد .

أيها المسلمون:

هذا ما يقوله المُصَلّي حين يجلسُ في التشهُّد في الركعة الثانية من صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وأما الجلوس للتشهُّد الأخير قبل السلام فيأتي بهذا التشهُّد أيضاً ، ويزيدُ عليه الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فيقول بعد الشهادتين: " اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ " .

وفي "الصحيحين" عن كعب بن عُذرة - رضي الله عنه - قال: خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلنا: قد عرفنا كيف تُسَلِّم عليك ، فكيف تُصَلِّي عليك؟ قال: " قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ " .

وفي "الصحيحين" أيضاً عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله! كيف تُصَلِّي عليك؟ قال: " قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ " .

. وفي رواية عند مسلم: " كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ . وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ " .

ومعنى: صلّ على محمد؛ قيل: إن الصلاة من الله: الرحمة ، وقيل: ثناؤه عليه في الملائكة الأعلى ، كما أخرج البخاري مُعلّقاً بصيغة الجزم ، ولفظه: صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة. وآل محمد: هم قرابته المؤمنون من بني هاشم ومن تفرّع منهم ، وقيل: المقصود: أتباعه على دينه.

كما صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ؛ أي: كما أنك - سبحانه - سبقَ الفضلُ منك على آل إبراهيم فألحقَ الفضلَ منك على محمدٍ وآله.

وباركَ على محمدٍ وعلى آل محمد؛ أي: أنزلَ عليه البركة ، وهي: كثرةُ الخيرات ودوامها واستمرارها ، ويشملُ البركةُ في العمل والبركةُ في الأثر.

إنك حميدٌ مجيدٌ: حميدٌ؛ أي: حامدٌ لعباده وأوليائه الذين قاموا بأمره ، ومحمودٌ يُحمد - عز وجل - على ما له من صفات الكمال وجزيل الإنعام.

وأما المجيد: فهو ذو المجد ، والمجدُّ هو العظمةُ وكمال السلطان ، فتأمل جمال هذه التحيات وكمالها وحُسْنُها وجمالها ، وتدبّر معانيها حين تزدلفُ بها إلى ربك في جلوس التشهد وأنت خاشعٌ مُتأدّب.

فالحمدُ لله الذي هدانا إليها ، وأنعمَ بها علينا.

اللهم بارِكْ لنا في الكتاب والسنة ، وانفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثاني

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، وأشهد أن إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أيها المسلمون:

وقد جاءت السنة بالترغيب في الدعاء بعد التشهد وقبل السلام ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لابن مسعود بعد ما علمه التشهد: " **ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ مَا شَاءَ** " . وفي

"الصحيحين": " **ثُمَّ يَتَخَيَّرُ أَحَدُكُمْ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ ، فَيَدْعُو بِهِ** " .

والأفضل أن تأتي أولاً بالدعاء الوارد في السنة ثم تدعو بعد ذلك بما تحب من خيرَي الدنيا والآخرة ، وقد جاءت السنة بأدعية تُقال في هذا الموضع؛ منها:

ما جاء في "الصحيحين" عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " **إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ فَلْيَتَعَوّذْ بِاللّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ** " .

وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يُعلِّمُ أصحابه هذا الدعاء كما يُعلِّمهم السورة من القرآن ، ولذلك فإن هذا الدعاء في هذا الموضع مُستحبٌ استحباباً شديداً؛ بل إن من العلماء من قال بوجوبه .

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يدعو في الصلاة: " **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَمِنَ الْمَغْرَمِ** " ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: **مَا أَكْثَرَ تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ ! فَقَالَ: " إِنْ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ : حَدَّثَ فَكَذَبَ ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ " ؛ متفق عليه .**

والمراد بفتنة المحيا: جميع الفتن الواقعة في الحياة مما فيها اختبارٌ للمرء في دينه؛ كفتنة المال ، وفتنة النساء ، وفتنة الأولاد والجاه ، وجميع فتن الشُّبهات والشهوات .

وأما فتنة الممات: فهي سؤال الملكين للميت في قبره عن ربه ودينه ونبئه ، لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: " **إِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ مِثْلَ أَوْ قَرِيبَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ** " ؛ رواه البخاري .

ومن فتنة الممات: ما يحدثُ عند الاحتضار من سوء الخاتمة وإغواء الشيطان للإنسان ، قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ " .
وأشد ما يكون الشيطان حرصًا على إغواء بني آدم في تلك اللحظات ، والمعصوم من عصمه الله .

والمرادُ بفتنة المسيح الدجال: ما يحصلُ به من الإضلال والإغواء بما معه من الشبهات ، وخصّه بالذكر مع أنه من فتنة الحيا؛ لعظم فتنته .
والمأثم: هو كل قول أو فعل أو نية يَأْتُمُّ بها الإنسان .
والمغرم: هو كل ما يغرمه الإنسان بسبب دين أو جناية أو مُعاملَةٍ ، ونحو ذلك .
ومما ورد من الدعاء أيضًا: " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي " ؛ أخرجهُ مسلم .
ومما ورد أيضًا: " اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ " . أوصى النبي - صلى الله عليه وسلم - مُعَاذًا أَنْ يَقُولَهُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ .
ومما ورد من الدعاء: " اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " . أوصى النبي - صلى الله عليه وسلم - أبا بكرٍ أَنْ يَقُولَهُ فِي الصَّلَاةِ ، كما في "صحيح البخاري" .
والأولى أن يُقال في أحد موضعَي إجابة ادعاء في الصلاة ، وهما: السجود ، أو بعد التشهُّد وقبل السلام .

وبعد ذلك يدعو المسلم بما شاء من خيرَي الدنيا والآخرة .
اللهم فقّهنّا في الدين ، واجعلنّا من أتباع سيد المرسلين .
هذا وصلُّوا وسلّموا على خير البرية ، وأزكى البشرية: محمد بن عبد الله ، اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغرّ الميامين ، وارضَ اللهم عن الأئمة المهديين ، والخلفاء المرصّيين: أبي بكرٍ ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وعن سائر صحابة نبيك أجمعين ، ومن سار على نهجهم واتبع سنتهم يا رب العالمين .

اللهم أعِزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذِلَّ الشرك والمشركين ، ودمِّر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم من أرادنا وأراد بلادنا بسوءٍ أو فرقةٍ فرَّدَ كيده في نحره ، واجعل تدبيره دماراً عليه .
اللهم آمناً في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا ووحي أمرنا ، اللهم وفقه لهداك ، واجعل عمله في رضاك ، وهبى له البطانة الصالحة.

اللهم وحد به كلمة المسلمين ، وارفع به لواء الدين ، اللهم وفقه ونائبه لما فيه الخير للعباد والبلاد ، واسلك بهم سبيل الرشاد ، وكن لهم جميعاً موقفاً مُسدِّداً لكل خير وصلاح .
اللهم ادفع عنا الغلا والوبا ، والربا والزنا ، والزلازل والمحن ، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن .

اللهم أصلح أحوال المسلمين ، اللهم أصلح أحوال المسلمين ، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ، اللهم احقن دماءهم ، وآمن روعاتهم ، واحفظ ديارهم ، وأرغد عيشهم ، واجعل كل قضاء قضيتَه لهم خيراً .
اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان ، اللهم انصرهم في فلسطين ، واجمعهم على الحق يا رب العالمين .

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يُعجزونك .

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿٥٧٣﴾ .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم ، إنك سميع الدعاء .

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم .
سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

عنوان الخطبة : تقوى الله بصيام رمضان

تاريخ إلقاء الخطبة : الخامس من رمضان من عام ١٤٣٢هـ

— تقوى الله بصيام رمضان —

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب — حفظه الله — خطبة الجمعة بعنوان: " تقوى الله بصيام رمضان " ، والتي تحدّث فيها عن شهر رمضان وما فيه من عِظات وعِبَر ، وذكر أبرز الأعمال التي يملأُ بها المسلمُ فراغه ووقته في هذا الشهر المبارك ، وأشار إلى أهمية الالتفات إلى إخواننا المنكوبين والعطف عليهم.

الخطبة

أول

—

الحمد لله ، الحمد لله الذي أفاض علينا من خيره ولم يزل يُفيض ، يده سحّاء الليل والنهار ، لا تُعجزها نفقة ولا تغيض ، له المحامد والمكارم فلا يُحيط بحمده نشر ولا قريض ، أحمده تعالى أشكره ، وأثني عليه وأستغفره ، تفضل علينا بسيد الشهور ، ويسر لنا فيه ما نحوز به عظيم الأجر ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم البعث والنشور .

أما بعد:

فالوصية المبذولة الكبرى هي الوصية بالتقوى؛ بها تكفير الذنوب ، والنجاة من الخطوب ، ومعرفة الحق حين التباس الدروب ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢٩) ﴿٥٧﴾ .
ترفعوا عن هذه الدنيا كما زهد فيها الصالحون ، وأعدوا الزاد لنقلة لا بد لها أن تكون ، واعتبروا بما تدور به الأيام والسنون ، وتنبهوا فالغفلة قد تناهت ، والفتن عاصفة قد تدانت ، ورحم الله من تدارك نفسه ، فشتان بين من عصى الله وخالف أمره وبين من قطع عمره في معاملة ربه وذكره ، ولزم الوقوف ببابه ، ومرغ خده على أعتابه ، فيا خجلة الخطّائين ، ويا ندامة المفرطين .

أيها المسلمون:

شهرُكم المُعظَّم قد حلَّ ، وفرصتُكم في التزوُّدِ حانتَ ، والعبْدُ في هذا الشهرِ إما مُوفِّقٌ أو مخذولٌ ، أما وقد مضى من شهرنا ليالي ، فستمرُّ أيامه سِراعًا ، وتمضي تِباعًا ، وسيكون من شأنِ المُوفِّقينَ تحصيلُ وافرِ الأجورِ ، والسعادة في الدنيا وفي يومِ النُّشورِ .

وسيبكي أقوامٌ أَسَى وندماً على ضياعِ الليالي وفواتِ الأوقاتِ ، ولاتِ ساعة ندمٍ ولا بكاء ، فاستبقوا الخيراتِ ، وتداركوا الأيامَ بالباقياتِ الصالحاتِ ، وقد صحَّت الأخبارُ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه الشيخان - أن " مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " ، وأن " مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " ، وأن " مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " .

وصحَّ عن المصطفى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ " .

فكم رَغِمَتْ أنوفٌ ألهتها شهواتُها والأهواءُ ، ويا أيها الراكبون خلف سراب الدنيا قد حبستَ الأشغالُ أنفاسَهم ، ويا أيها اللاهثون وراء متابعة الأخبار ، الباحثون عن كل تفاصيل الأنباء وإشاعاتها ، وإلى اللاهين بالمسلسلات والقنوات السادرين في غفلة المُوبقات ، قد أعشتَ الشاشاتُ أبصارَهم؛ إنما فرصتُكم لتتوقفوا قليلاً ، وإنه شهرُكم لتهدأ فيه الأنفاسُ ، ويطمئن القلبُ ، وتووبَ الروحُ إلى بارئها ، تبحثُ عن السعادة في جنبات المسجد ، ومن خلال آي القرآن ، وتأنسُ بالجلوس للأُسرة والأولاد .

ليكن شأنُكم التقلُّلُ من أعراض الدنيا ، والإحسانُ إلى الأقربين ، وإدامة ذكر الله ، وتحقيقَ التقوى التي شرعَ الله الصيامَ لأجلها: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) ﴾ ٥٧٥ .

يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرُفْثُ وَلَا يَصْخَبُ ، فَإِنْ سَاءَ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ ، فَلْيَقُلْ : إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ " ؛ رواه البخاري ومسلم .

فهذا توجيهُ لما يجبُ أن يكون عليه الصائم من كمال النفس ، وطيب الروح ، وتأثير التقوى؛ لأن رمضان يصلُّ النفوس بالله فيُشرقُ عليها من لدنه النور حتى تذوق حلاوة الإيمان ، ومن ذاق حلاوة الإيمان لم يعرفِ البغضاء ولا الشر ولا العُدوان .

وإذا تحققت التقوى في القلوب فإنه تمحو الغش من نفوس أهلها محوًا ، ويملؤها خوفُ الله ورجاؤه فتعفُّ نفوسهم عن الحرام ، وتغضُّ أبصارهم عن المحارم ، وتقفُّ ألسنتهم عن الكذب؛ لأنها جرت بذكر الله واستغفاره ، وهانت عليهم الدنيا حين أرادوا الله والدار الآخرة ، فغداً الناسُ آمنين أن يغشَّهم تاجر ، أو يعتدي عليهم فاجر .

أيها المؤمنون:

الصومُ الحقُّ يسوقُ المؤمنَ إلى تقوى الله سوقًا ، ويحدِّوه إلى العمل الصالح ، والسعي والمسارعة إلى الحسنات تداركًا للزمن الفاضل ، ومبادرةً قبل الفوات؛ بيدَ أن المشاهد في الحال أن رمضان لا يعدُّو عند الكثيرين أن يكون توقُّفًا عن الطعام والشراب فحسب من غير زيادة عمل ، ولا مزيد ورع ، والله تعالى يقول: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٨٣) ﴿٥٧٦﴾ . فإن لم يزدد إيمانك ، وتكثُر أعمالك ، وينتهي عصيائك ، فراجع نفسك لئلا تكون من المفرطين.

وإذا آمنَ الإنسانُ بالله العظيم ، وأيقنَ باليوم الآخر والحساب والجزاء دفعه ذلك إلى استرضاء ربه والاستعداد للقاءه والاستقامة على صراطه ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٨٣) ﴿٥٧٧﴾ بدأ بالإيمان وختم بالتقوى.

ومن الضلال أن يهبط الإنسانُ بحقيقة الدين ، فيجعل الإسلامَ كلمة لا تكاليفَ لها ، وأمانًا لا عملَ معها ، فلا يقوم إلى واجب ، ولا ينتهي عن محرم ، فيكون من الذين اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا وغرَّتهم الحياة الدنيا.

وما من آية في كتاب الله ذكرت الإيمان مجردًا؛ بل عطفت عليه عملَ الصالحات أو تقوى الله أو الإسلامَ له؛ بحيث أصبحت صلة العمل بالإيمان آصرة لا فكاك عنها ، وكثيرًا ما يُشار إلى الإسلام وحقيقته الشاملة بمظاهر عملية محدودة ، ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا

الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ
مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ﴿٥٧٨﴾ .

بل إن العلامة التي ينصّبها القرآن دليلاً على فراغ النفس من العقيدة ، وخراب القلب من
الإيمان هي في النكوص عن القيام ببعض الأعمال الصالحة ، ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ
(١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣)﴾ ﴿٥٧٩﴾ .

يتقرر هذا - أيها المسلمون - في مشهد الضعف العام والتواني عن الأعمال ، وهناك أناسٌ
مزَّقَت المعاصي صِلَتهم بالله شرَّ مُمزَّق ، وظَلَّت أهواؤهم تجنحُ بهم بعيداً عن الله حتى نسوا
الله أتم نسيان ، ولم يعرفوا قدرَ رمضان .

وإنكم - أيها المسلمون - تعرفون تاريخ أممٍ هَلَكَتْ بسوء عملها ، وتعرفون أن الله نقم
على قوم لوط لارتكابهم الفاحشة ، وعلى قوم شعيب لبخسهم المكيال والميزان ، وقد عرفتم
مصائر أولئك الفاسقين؛ فهل أمئنا وحدها هي التي تريد أن تتركب السيئات دون حذرٍ أو
وجل ، إن الإسلام ليس بدعاً من الشرائع السابقة فيوجبُ الإيمان دون العمل؛ بل إن القرآن
الكريم ليقصُّ علينا عبر السابقين لتتَّعِظَ منها ، ثم لنسمع قولَ الله بعد ذلك: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ
الْمُجْرِمِينَ (١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٤)
﴿٥٨٠﴾ هكذا نمتحن ، ونراقب تصرفاتنا ، ويكلفنا الله بالإيمان والعمل جميعاً ، ثم ينظر
وفاءنا بما حُمِّلنا من أعباء .

وقد خاطبَ الله بني آدم بهذه الحقيقة الجليلة ، وأفهمهم أن نجاتهم في الصلاح والتقوى لا في
النفاق والدعوى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى
وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٦)﴾ ﴿٥٨١﴾ .

578 سورة البلد

579 سورة الماعون

580 سورة يونس

581 سورة الأعراف

فرمضان شهرٌ يُثَمِّرُ التقوى والعملَ الصالح لا مجردَ الإمساك عن الأكل والشرب ، و«من لم يدع قولَ الزور والعملَ به والجهلَ فليس لله حاجةٌ أن يدع طعامه وشرابه» ، ومن كان صادقاً فليجعل رمضان شهرَ عبادةٍ وخشوعٍ وتوبةٍ وإنابةٍ ، يلتزم فيه الأدب ، ويرتفع عن الدنيا والريِّب ، ويستحضر العبودية بصيامه ، ويعمر وقته بالقربات ، ويستزيد من الطاعات ، ما بين تلاوةٍ للقرآن ، وتدبرٍ لآياته ، أو صدقةٍ وصلّة ، وإحسانٍ وبرٍّ ، وذكرٍ لله تعالى بأنواع الذكر مع الخشوع والسكينة.

ويعضي النهارُ كله على ذلك ، فإذا كان الأصيلُ ودنا الغروب تجلّى رمضان على الكون بوجهه ، فهشّت له وجوهُ الناس ، وهتفت باسمه الشّفاة ، وانظر إلى رمضان وقد سكّن الدنيا ساعة الإفطار ، وأراح أهلها من التكالّب على الدنيا والازدحام على الشهوات ، وضمّ الرجل إلى أهله ، وجمع الأسرة على أطيّب مائدةٍ وأجمل مجلس ، وأنفع مدرسة. ثم يتلو ذلك قيامُ الليل وتلاوة القرآن والدعاء والتضرّع والإنابة والاستغفار ، فيا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر.

تقبّل الله منا ومنكم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴿٥٨٢﴾ .

بارك الله لي ولكم في الكتاب والسنة ، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثاني

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، وأشهد أن إله إلا الله الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد ، أيها المسلمون:

في كل عام نترقب هذا الشهر لنستريح من وعناء الدنيا وصخبها ، ولتستروح قلوبنا وتبتل نفوسنا وقد ألحفها جفاف السنين ، وأرهقها عصف الحياة ، يعود شهر الخير لتتصافح الأيادي المتباعدة ، وتتصل الحبال المقطوعة ، وتنتهي حكايات من الشقاق غصت بها أروقة المحاكم ، وشقيت بها دوائر الأسر والأحياء والمجتمعات ، ويؤذن حادي الصفح أن حي على الصفاء ، فتألف القلوب المتباينة وتجلو الأخوة الإسلامية بأعظم رابطة ، فتبدو الأخوة في أكمل صورها.

يعد شهر رمضان لتعود معه الذكريات الجميلات ، ويفتح أبواب الفأل في حياة الأمة وقد غصت من الضياع والمشكلات ، وفي القلب غصة من الجراح الداميات ، والنفوس المزهقات ، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

تتعلق فيه القلوب بشأن الدعاء ، وتعلنه في كل ليلة جهاراً شعيرة من شعائر هذا الشهر العظيم ، ويسر به عباده في سجدهم وصلواتهم وهم يؤمنون أن الغيب بيد الله ، وأن الأمر كله بيده ، وهو على كل شيء قدير ، ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٨) ٥٨٣ ويكون مشهد الدعاء من أبلغ مشاهد هذا الشهر وأكثرها تأثيراً ، وقد قال - تبارك في اسمه - في ثنایا آیات الصيام: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (٦٠) ٥٨٤ ولا غالب في هذه الأزمات إلا الله ، فهو المستعان وإليه الملتجأ وبه المعتصم ، ففرؤوا إلى الله ،

583 سورة الأنعام

584 سورة غافر

﴿واعتصموا بالله هو مولاكم فنعمة المولى ونعم النصير﴾ (٧٨) ﴿٥٨٥﴾ و ﴿اصبروا وصابروا وربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ (٢٠٠) ﴿٥٨٦﴾ .

أيها المسلمون:

يعودُ شهر الصيام ويذكرُ المسلمُ جُوعه به جوعة إخوانه ، فيقتطعُ من ماله دراهم ، ومن طعامه لُقيماتٍ يُشارك بها الجوعى والمحرومين ، ويُنمي بها فضيلة الإحسان إلى عبيد الله ، ويشكر المنعم المتفضل - سبحانه - ، وأنت ترى الجوع يضربُ بعضَ الناس بقسوة ، وما أَرْضُ الصومال عنا ببعيد.

فاستبقوا الخيرات - أيها المؤمنون - ، وتبوءوا من الجنة الدرجات ، فاليوم عملٌ ولا حساب ، وغداً حسابٌ ولا عمل ، ومن خاف يوم الحساب فليطعم جوعة ، ويسدَّ خلة ، وفي صفات أهل الجنة: ﴿يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا غَاسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) ﴿٥٨٧﴾ وفي الأمن من يوم الفزع الأكبر يقول الحق - سبحانه -: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٧٤) ﴿٥٨٨﴾ .

هذا وصلُّوا وسلِّموا على خير البرية ، وأزكى البشرية: محمد بن عبد الله ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابتهم الغر الميامين ، وارضى اللهم عن الأئمة المهديين ، والخلفاء المرصيين: أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعن سائر صحابة نبيك أجمعين ، ومن سار على نهجهم واتبع سنتهم يا رب العالمين.

585 سورة الحج

586 سورة آل عمران

587 سورة الإنسان

588 سورة البقرة

اللهم أعِزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذِلَّ الشرك والمشركين ، ودمِّر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم من أرادنا وأراد بلادنا بسوءٍ أو فُرقةٍ فَرُدَّ كيدَه في نحره ، واجعل تدبيره دماراً عليه.
اللهم آمناً في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا ووليَّ أمرنا ، اللهم وفقه لهداك ، واجعل عمله في رضاك ، وهبْ له البطانة الصالحة ، اللهم وفقه ونائبه لما فيه الخير للعباد والبلاد ، واسلك بهم سبيل الرشاد.

اللهم ادفع عنا الغلا والوبا ، والربا والزنا ، والزلازل والمحن ، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم أصلح أحوال المسلمين ، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ، اللهم احقن دماءهم ، اللهم احقن دماءهم ، وآمن روعاتهم ، واحفظ دينهم وأعراضهم وديارهم وأموالهم.

اللهم كن للمظلومين والمضطهدين والأسارى والمنكوبين ، اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان ، اللهم انصرهم في فلسطين ، اللهم انص المرابطين في أكناف بيت المقدس ، اللهم اجمعهم على الحق يا رب العالمين.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يُعجزونك ، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يُعجزونك.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿٥٨٩﴾ .

اللهم آتِ نفوسنا تقواها ، وزكِّها أنت خيرٌ من زكَّاها ، أنت وليُّها ومولاها.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمُعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم ، إنك سميع الدعاء.

اللهم وفقنا للصالحات ، وكفر عنا السيئات ، وتقبل صلاتنا وصيامنا ودعاءنا ، وصالح

أعمالنا إنك أنت السميع العليم ، وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة : ﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾

تاريخ إلقاء الخطبة : الحادي عشر من شوال من عام ١٤٣٢هـ

— معنى قوله تعالى: ﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ (٢٠٨) ﴿ ٥٩٠ —

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب — حفظه الله — خطبة الجمعة بعنوان: "معنى قوله تعالى: ﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ (٢٠٨) ﴿ ٥٩١ والتي تحدّث فيها عن الدين الإسلامي ومعناه ومزاياه ، وأهمية الإيمان بالله وأسمائه وصفاته واليوم الآخر ومدى تأثير ذلك على القلوب ، ثم حذّر من سلوك سبيل الأمة المغضوب عليها لئلا يحدث ما حدث لهم.

الخطبة —————

أول —————

—

590 سورة البقرة

591 سورة البقرة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يُضِلّ فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صَلَّى الله وسلّم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد ، أيها المسلمون:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله في السرّ والعلانية؛ فهي العُدّة ، وهي مهبطُ الفضائل ومُتَرَلِّ الحامد ، وهي مبعثُ القوة ومِعراجُ السموّ ، والرابطُ الوثيقُ على القلوب عند الفتن ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) ﴿ ٥٩٢ .

عباد الله:

في لفتح هجير الحياة وعند متاهات الدروب وفقد الاتجاه ، فإن الساري بحاجةٍ إلى ضوءٍ يُؤويه ، وماءٍ يسقيه ، ومنارٍ يُرشدُه ويهديه ، ذلكم - أيها المسلمون - : هو الوحي الخالد ، والنور التالِد ، والذي قال فيه ربُّنا: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (٩) ﴿ ٥٩٣ ؛ أي: التي هي أحسنُّ وأكملُ وأجملُ وأفضلُ؛ فمن أراد الهدى فليلزم كتابَ الله ، وليتدبّر عِظاته ، ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢٩) ﴿ ٥٩٤ .

أيها المسلمون:

ومن جميل الهدايات ، وعظيم الآيات: ما خاطبكم به ربُّكم في كتابه العزيز بقوله - سبحانه -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (٢٠٨) ﴿ ٥٩٥ .

قال ابن كثير - رحمه الله - في "تفسيره": "أمر الله عباده المؤمنين المصدّقين برسوله أن يأخذوا بجميع عُرى الإسلام وشرائعه ، والعمل بجميع أوامره ، وترك جميع زواجره. وعن ابن عباس

592 سورة آل عمران

593 سورة الإسراء

594 سورة ص

595 سورة البقرة

- رضي الله عنهما - في قوله: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ (٢٠٨)﴾^{٥٩٦} : يعني: الإسلام ،

وقوله: ﴿كَافَّةً﴾: أي: اعملوا بجميع الأعمال ووجوه البر".

هذا هو التفسير الذي نقله ابن كثير والقرطبي وغيرهما - رحمهما الله - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - .

عباد الله:

هذه الدعوة الكريمة من الله تعالى للمؤمنين تُشِيرُ إلى حاجة النفوس إلى التذكير والتأكيد أن تلتزم بجميع شرائع الإسلام ، ومع وجود أصل الإيمان في المجتمع المسلم إلا أنه قد يوجد من يحتاج لهذه الدعوة ليتجرّد ويستسلم لله ، وتتوافق خطراتهم واتجاهاتهم ، مع ما يُريده الله منهم وما يقودهم إليه نبيهم من غير تردّد ولا تفلّت ، وهذا هو معنى الإسلام؛ الاستسلام لله والانقياد له بالطاعة.

وحين يستجيب المسلم لهذا النداء فإنه يدخل عالم السعادة ، والسلم والسلام ، والثقة والاطمئنان ، والرضا والاستقرار ، فلا حيرة ولا قلق ، ولا نزاع ولا ضلال.

أيها المسلمون:

وأول ما يُفيضُ السلامُ على القلب من صحة توحيده لله وإيمانه به وبقينه عليه وإفراده بالعبادة ومعرفة أسمائه وصفاته ، يعلم أن الله إلهٌ واحدٌ يتَّجِهُ إليه بكلِّيته ، وجهةً واحدةً يستقرُّ عليها قلبه ، فلا تتفرّق به السُّبل ، وتلتبسُ به الأهواء ، وتتكاثرُ عليه الآلهة ، فيعبدُ ربًّا ونبيًّا ، أو يدعو كلَّ يومٍ وليًّا ، فكأنَّ كلَّ مشهدٍ كعبة ، وكلَّ ضريحٍ ربٌّ يُدعى. فهل هذا من الإسلام؟!

إن المؤمنَ بإسلامه لله وحده يعيشُ عقيدةً صافيةً ، وفكرًا نقيًّا ، وحياةً مُستقرّةً ، ويعلم من صفات الله ما تطمئنُّ به نفسه ، ويسكنُ به قلبه ، فالله تعالى هو القويُّ القادر ، والعزيزُ القاهر ، والوليُّ الناصر.

فإذا التجأ إليه المؤمنُ فقد التجأ إلى القوة الحقيقية في هذا العالم ، وقد أمن من كل خوفٍ واطمأن بالله واستراح ، ويعلم أن الله يُجيبُ المضطرَّ إذا دعاه ، ويكشفُ السوءَ ، ويُفرِّجُ الكُرْبَاتِ ، ويشفي الأسقام ، ويُذهبُ الآلامَ والأحزانَ؛ فالمؤمنُ في كنفِ الله آمنٌ وادِعٌ ، يتقلَّبُ في الطمأنينة والرضا ، يُفيضُ الإيمانُ بالأسماء والصفات على قلبه بردًا وسلامًا. والإيمانُ باليوم الآخر يجلبُ الطمأنينة والسلام ، وينفي القلقَ والإحباطَ ، أو الإحساسَ باليأس ، ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٨٧) ﴿ ٥٩٧ ﴾ ذلك أن لجميع العالمين يومًا يجتمعون فيه ، كلُّ العالمين ، ﴿ إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) ﴿ ٥٩٨ ﴾ وهناك الحساب ، ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿ ٥٩٩ ﴾ (٨) .

ومن كمال عدل الله أن يُثيبَ المحسنين ، ويُحاسبَ المسيئين ، ويقتصِّرَ للمظلوم ، وإذا علمَ المسلمُ أن الدنيا ليست النهاية ، وأن لا شيء يضيعُ ، فعند ذلك يصبرُ ويحتسِبُ ، ويعملُ ويجتهدُ ، حتى ولو لم يلقَ من الناس شكرًا ، فإن الله لا يُضيعُ أجرَ من أحسنَ عملًا. أيها المسلمون:

والإيمانُ بالآخرة أيضًا حاجزٌ دون الصراع المحموم بين البشر على حُطام الدنيا ومتاعها ، هذا التنافس الذي تُنسى فيه القيمُ ، وتُنتهكُ الحُرُماتُ ، في لهاثٍ خلف الشهوات والرغبات ، إن الإيمان بالحساب والجزاء يلبسُ المؤمنَ رداءَ التجمُّل في هذا السِّباق ، ويوقفُه عند الأدب والحياء ، والحدود والحقوق. فما أجمل الطمأنينة والسلام في هذا الإسلام!

عباد الله:

597 سورة يوسف

598 سورة مريم

599 سورة الزلزلة

ودخول المؤمن في السلم كافة دخوله في كل شرائع الإسلام ، كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما - ، والتزامه بها ، ويربطه بالحقيقة التي من أجلها خلق الناس ، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ ٦٠٠ .

والعبادة ليست مجرد فرض يؤدي في المسجد فحسب؛ بل إنها منهج حياة ، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ (١٦٣) ﴾ ٦٠١ عبادة بأداء الواجبات ، واجتناب المنهيات ، عبادة في كسبك وإنفاقك ، وفي عملك ونشاطك؛ فاتق الله في كل تصرفاتك وتعاملاتك ، لا تقصر في واجب ، ولا تتفحم في مُحَرَّم. أيها المسلمون:

والتكاليف التي يفرضها الإسلام كلها من الفطرة ، ولا تتجاوز طاقة الإنسان ، ولا تتجاهل طبيعته ، وهي يسر وسماحة ، ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ (٧٨) ﴾ ٦٠٢ إن أحكام الله تعالى وشريعته وحدوده ومحارمه جاءت منظومة متكاملة لحفظ الضرورات الخمس ، ولتحيط الإنسان بضمانات ثورته الطمأنينة والسلام ، لقد جاء الإسلام بكل ما يحفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال.

وأيضاً ما يحفظ ترابط المجتمع وتماسكه ، وشرع ما يؤدي إلى التكافل والتعاون ، ودعا لإطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، وأذاب الحواجز الأرضية ليجمع الناس على أصيرة العقيدة وأخوة الإيمان ، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ (١٠) ﴾ ٦٠٣ .

وفي آداب هذا المجتمع: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ (١١) ﴾ ٦٠٤ .

وفي "الصحيحين" يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرْضُهُ " .

600 سورة الذاريات

601 سورة الأنعام

602 سورة سورة الحج

603 سورة الحجرات

604 سورة الحجرات

أرأيتم كيف يكون الدخول في شرائع الإسلام كافة؟!

أيها المسلمون:

إن هذا النداء بالدخول في شرائع الإسلام كافة يصنع مجتمعاً طاهراً عفيفاً لا تشيع فيه الفاحشة ، ولا تروج فيه الفتنة ، ولا تتلف في الأعين على العورات ، ولا تطفئ فيه الشهوات ، تحكمه توجيهات ربانية ، يسمع قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٩) ﴿ ٦٠٥ ﴾ ويسمع التشديد والوعيد الشديد لمن يرمي المؤمنات ، ويقذف العفيفات المحصنات ، إن باب الأعراض بابٌ مُحترَم لا يجوزُ التهاون فيه ولا الترفق بلصوصه ، وفي حكم القرآن على الزانين: ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) ﴿ ٦٠٦ ﴾ .

ولحماية هذا الباب وسدّ مداخل الشيطان يقول الله - عز وجل - : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ (٣١) ﴿ ٦٠٧ ﴾ .

ففي ظل هذه التوجيهات يأمن الناس على حرماقتهم وأعراضهم ، وتسلم قلوبهم ، فلا تقع الأبصار على المفاتن ، ولا تقود العيون القلوب إلى المحارم ، فإما خيانة وفواحش ، وإما رغبات مكبوتة ، وأمراض نفوس ، وفساد قلوب ، بينما المجتمع المسلم العفيف آمن ساكن ، ترف عليه أهداب السلم والطهر والأمان ، وفي التوجيه الكريم أمر الله بتزويج الشباب والفتيات ، والأمر للوجوب.

عباد الله:

605 سورة النور

606 سورة النور

607 سورة النور

وهذا المجتمعُ المُستسلمُ لله تُكفَلُ فيه الحرياتُ والكراماتُ ، والأموالُ والحقوقُ والحرماتُ بحكم التشريع بعد كفالتها بالتوجيه الربّاني المطاع؛ فلا يُراق دَمٌ والقصاصُ حاضر ، ولا يضيع حقٌّ أو مالٌ والحدودُ قائمة ، ومن لم تزجره المواعظ زجرته الحدود.

هذه بعضُ معالم المجتمعِ المُطمئنِ المُستسلمِ لله ، وبعضُ معاني السلم الذي دَعَتِ الآيةُ إلى الدخول فيه كافة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (٢٠٨) ﴿٦٠٨﴾ .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثاني

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) ﴾ ﴿٦٠٩﴾ وأشهد أن إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الله تعالى لما دعانا للدخول في السلم كافة حذرنا من اتباع خطوات الشيطان؛ إذ ليس إلا طريقان: إما الدخول في السلم ، وإما اتباع الشيطان ، إما هُدًى ، وإما ضلال ، ليس للمسلم أن يخلط أو يتخير ، والشيطانُ عدوٌّ مبين ، ﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ

608 سورة البقرة

609 سورة الكهف

فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ٦١٠ له القوة والغلبة ، والقدرة والقهر ، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٦٣﴾ ٦١١ .

ثم قال تعالى: ﴿سَلِّ بْنِ إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٢١١﴾ ٦١٢ إنه أسلوب من أساليب البيان في القرآن ، فقد ضرب الله مثلاً بالأمة المغضوب عليهم مُحذراً ما صنعوا ، أو نسلك ما سلكوا من التبديل والتغيير ، والتحايل على الشريعة ، والمجادلة فيها ، ورد بعض أحكامها ، مع وضوح الآيات والبراهين ، وقد كانوا في نعمة ما جاء به الأنبياء ، وما بدلت البشرية هذه النعمة إلا بدّل الله حالها سقّاماً ، وعاجلها بشقوة الدنيا قبل نكال الآخرة ، ولك أن تقرأ في هذا التبديل ما يُعانيه العالم اليوم من القلق والحيرة ، والتراعات والحروب ، والقهر والتظالم ، ولهم في كتاب الله أسباب السعادة لو كانوا يعلمون .

هذا وصلُّوا وسلِّموا على خير البرية ، وأزكى البشرية: محمد بن عبد الله ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابتهم الغر الميامين ، وارض اللهم عن الأئمة المهديين ، والخلفاء المرصيين: أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعن سائر صحابة نبيك أجمعين ، ومن سار على فمّهم واتبع سنتهم يا رب العالمين .

اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشرك والمشركين ، ودمّر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين .

اللهم من أرادنا وأراد بلادنا بسوءٍ أو فرقة فرّد كيده في نحره ، واجعل تدبيره تدميراً عليه . اللهم آمناً في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا ووليّ أمرنا ، اللهم وفقه هُداك ، واجعل عمله في رضاك ، وهبْ له البطانة الصالحة ، اللهم وحد به كلمة المسلمين ، وارفع به لواء الدين ، اللهم جازه بالخيرات والحسنات على خدمة الحرمين

610 سورة البقرة

611 سورة النور

612 سورة البقرة

الشريفين ، وبارك جُهدَه وعزمَه على توسِعة المَطاف وتهيئته للطائفين ، والتوسِعة واليسير به على المسلمين ، اللهم وفقه ونائبه لما فيه الخير للعباد والبلاد ، واسلُك بهم سبيل الرشاد. اللهم ادفَع عنا الغلا والوبا ، والربا والزنا ، والزلازل والمِحَن ، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بَطَن.

اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ، اللهم احقن دماءهم ، اللهم احقن دماءهم ، وآمن روعاتهم ، وسدَّ خُلَّتَهم ، وأطعم جائعهم. اللهم انصر المُستضعفين من المسلمين في كل مكان ، واجمعهم على الحق يا رب العالمين. اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يُعجزونك.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿٦١٣﴾ .
اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم ، إنك سميع الدعاء.
رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا صِيَامَنَا وَقِيَامَنَا وَدَعَاءَنَا وَصَالِحَ أَعْمَالِنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.
سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة : فضائل وأحكام البلد الحرام

تاريخ إلقاء الخطبة : السادس عشر من ذي القعدة من عام ١٤٣٢هـ

- فضائل وأحكام البلد الحرام -

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب - حفظه الله - خطبة الجمعة بعنوان " فضائل وأحكام البلد الحرام " والتي تحدّث فيها عن بعض فضائل وأحكام البلد الحرام وبيت الله الحرام، وما ميّزه على غيره من الأماكن، وما فضّله بزمّنٍ فاضلٍ وهو الأشهر الحُرَم، وعذكر عِظَم حُرمة الدماء المعصومة، وأشار إلى الفتن التي وقعت مُؤخراً في المملكة، ووجّه النداءات إلى العقلاء إلى ضرورة الانتباه على العواقب الوخيمة لهذه الفتن، ووجوب الضرب على أيدي المدبّرين لها والمنفّذين.

الخطبة

أول

—

الحمد لله جعل بيته الحرام مثابة للناس وأمنًا، هداانا لأقوم السُّبُل وشرع لنا أفضل الشرائع فضلاً منه ومنًا، أحمدته تعالى وأشكره، وأثني عليه وأستغفره حرّم الحُرُمات أنفُسًا وأشهرًا وبقاعًا، وتابع مواسم الخيرات علينا تِباعًا، وجعل خير الناسِ أحلّصهم الله وأشدّهم لنبّيه تأسّيًا واتباعًا، وجعل أبعدهم عنه أجفاهم لهديه وأكثرهم ابتداءً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمدُ كل الحمد ربُّ علا ذاتًا وقهرًا وقدرًا، وله الشكرُ إعلانًا وإسرارًا وجهرًا، وأشهد أن محمدًا عبدُ الله ورسوله علّم أمتّه العبادات وأوضح لهم المناسك، ودلّهم على طرق الخير وأبان لهم المسالك، له حُجّة لا يزيغ عنها إلا هالك، بشرّ به الأنبياء قبله، وهداه ربُّه لخير قبلة، فقال - سبحانه -: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ (١٤٤)﴾ ^{٦١٤} اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغرّ الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله تعالى حقّ تقواه، وسارعوا إلى مرضاته واستعدّوا ليوم لقاءه؛ فإن اليومَ عملٌ ومُهلة، وغداً حسابٌ وجزاء، وسيلقى كلُّ عاملٍ ما عمل، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاخْشَوْا يَوْمَ

لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٣٣) ﴿٦١٥﴾ .

أيها المؤمنون:

تستقبل الأمة موسمًا عظيمًا من أيام الله تعالى، وركنًا من أركان الإسلام العظام، موسمٌ تُغفرُ فيه الذنوبُ والخطايا، وتُقَالُ فيه العثرات وتُقبلُ الدعوات، موسمُ الحجِّ إلى بيت الله العتيق، شعارُ الوحدة والتوحيد، وموسمُ إعلان العهود والمواثيق وحفظِ الحقوق والكرامات، وحقنِ الدماء وعصمةِ النفوس والأموال، وما فاضت به الوصايا في خطبة الوداع.

وها هي طلائعُ الحجاج تُضيءُ مُحِيَّاهم أباريقُ الحرم، وينتظمُ عقدُهم في رحابه الطاهرة، آمين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً، يحيطون رحالهم عند بيت الله العتيق، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا (٩٧)﴾ ﴿٦١٦﴾ .

مُلبِّين النداء القديم المتجدد: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٦) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ (٢٧)﴾ ﴿٦١٧﴾ ويؤدُّون ركنَ الإسلام الخامس، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا (٩٧)﴾ ﴿٦١٨﴾ ويلبُّون بالتوحيد: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ

615 سورة لقمان

616 سورة آل عمران

617 سورة الحج

618 سورة آل عمران

لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، يأملون من الله القبول، ويرجون رحمته ويخافون عذابه.

يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ ، وَالْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا " ؛ متفق عليه.

وفي "الصحيحين" أيضاً يقول الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم - : " مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ " - أي: نقيًا من الذنوب والخطايا. -

وأخرج ابن حبان في "صحيحه" عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالْحَاجُّ ، وَالْمُعْتِمِرُ وَقَدْ لَلَّهِ دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ ، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ " .

وفي رحلة الإيمان الخالدة مُضاعفةُ الصلوات، وتكثير الحسنات، وإجابة الدعوات، ومواقفُ الرحامات في منى ومزدلفة وعرفات.

وإذا ذكرت تلك الصعودات فاذكر حين يُباهي الله بِجُجَاجِ بيته ملائكةَ السماوات، ويقول - سبحانه - : " هَؤُلَاءِ عِبَادِي جَاءُونِي شَعْتًا غُبْرًا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، اشْهَدُوا أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ " فيعتقهم من النار، ويكتبُ لهم السعادةَ الأبديةَ.

أيها المسلمون:

الحديثُ عن الحجِّ وفضله يحدُّو الأرواحَ، ويبعثُ الأشواقَ لإجابة نداء الرحمن لحجِّ بيت الله الحرام، فيا خسارة من قعدت به همته واستولَى عليه كسله، فلم يلحق بركب الإيمان، قال - عليه الصلاة والسلام -: " **تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ ، يَعْنِي الْفَرِيضَةَ ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا يَغْرِضُ لَهُ** " ؛ أخرجه الإمام أحمد.

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: " لقد هممتُ أن أبعثَ إلى الأنصار فينظروا من كانت له جِدَّةٌ فلم يُحجَّ فليضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين " ؛ قال المنذري: إسناده حسن.

فبادروا بالحجِّ - أيها المسلمون -، واغتنموا أعماركم قبل أن يُحالَ بينكم وبين ما تشتهون فتعجزون أو تموتون.

عباد الله:

وفي الحجِّ شرفُ الزمان والمكان؛ فالمكان: بلدُ الله الحرام، والزمان: عشرٌ مُعظَّمةٌ في أشهرٍ مُحرَّمة: ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ (١٩٧)** ﴾^{٦١٩} وهذه البقعة عظمُ الله حُرمتها غاية التعظيم، وجعل إجلالها من التقوى

وسبباً للتقوى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (٣٢) ﴿٦٢٠﴾ وحرم تنفير صيدها وعضد شوكرها فضلاً عن قطع شجرها وقتل صيدها؛ فكيف بحمرة المسلم فيها؟

حتى إن مجر رادة الشر في الحرم موجب للعذاب؛ قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ (٣٦) ﴿٦٢١﴾ .

وفي وصف أشهركم هذه يقول الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ (٣٦) ﴿٦٢٢﴾ .

قال ابن كثير - رحمه الله -: "كان الرجل يلقي قاتل أبيه في الأشهر الحرم فلا يمدُّ إليه يده ."
وقال أيضاً: "إن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئةً ووزراً من الظلم فيما سواها ."

إذا كان الأمر كذلك؛ فإنه لا ذنبَ بعد الشرك أعظم من قتل النفس المؤمنة، وسفك الدم
الحرام في الشهر الحرام ظلماً وعدواناً.

620 سورة الحج

621 سورة التوبة

622 سورة التوبة

لقد سبق الإسلام كل المحاولات البشرية لإيجاد منطقة آمنة وزمن آمن، وإن شئت فقل: زماناً ومكاناً مُحَرَّمًا متروك السلاح يأمنُ الناسُ فيه وينعمون بالسلام، وهذا من أعظم مقاصد الإسلام الذي قصدَ إلى إشاعة الأمن والسلام، فالواجبُ على المسلمين أن يستشعروا هذه الحرمة، ويُعظّموا الأشهر الحُرْم، خصوصاً بعد عام عصفت فيه الفتنة واضطربت الأحوال، وأزهقت أنفس واختلطت أمور.

ومن الناس من تشابهت عليهم الأزمنة، واختلفت في أفهامهم الأمكنة؛ فكأنما الأشهر الحُرْم حلٌّ لأشدّ المحرّمات - وهي الدماء -، وكأنما البلادُ في بعث الفتنة بها سواء، وكأننا نعيشُ زمنَ الخبر النبوي المُتحقّق في آخر الزمان -: (يكثُرُ الهرج - وهو القتل -، ولا يدري القاتلُ فيمَ قُتل، ولا المقتولُ فيمَ قُتل، وهي فتنة الرافدُ فيها خيرٌ من القاعد، والقاعدُ خيرٌ من الماشي).

وغفلَ المخدولُ عن قول الله - عز وجل -: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣)﴾ ٦٢٣

أيها الناس:

لقد حانَ الوقتُ لإلقاء السلاح، وحقنِ الدماء، والاستجابة لأصول الحقوق التي وصّى النبي - صلى الله عليه وسلم - بها في حجة الوداع، وأرسى قواعدها بقوله: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرامٌ كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا).

آن الأوان لأن يُراجع المعنيون واقِعهم، وأن يحترموا الأشهر الحرم، وأن تتغلب المصالح على
المفاسد، ومكاسب الأمة على مصالح الأفراد؛ صيانةً للنفوس والحقوق، وحال العباد والبلاد،
والله لا يحب الفساد.

الواجب على القادة والعلماء القيام بما يستطيعون لوقف التزيف الهادر من دماء المسلمين
وأرواحهم؛ فهي من أولى مقتضيات الأخوة والموالات، والتناصر واجب بين المسلمين: ﴿وَإِنْ
اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ (٧٢)﴾ ﴿٦٢٤﴾ .

وفي الحديث المتفق عليه: " انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا " . فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ
إِذَا كَانَ مَظْلُومًا ، أَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ ؟ قَالَ : تَحْجِزْهُ عَنِ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ
نَصْرُهُ .

إن التزايدات قطعت أوصال المسلمين، وجعلت الأمة الواحدة أمما متناكرة، ولن نستعيد مكانتنا
ونصون رسالتنا إلا إذا صححنا انتماءنا، وأصغينا إلى قول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢)﴾ ﴿٦٢٥﴾ .

واليوم نرى في أنحاء بلادنا الإسلامية لعبة العدو القديمة المتجددة: فرق تسد، وأشغلهم
بأنفسهم كي لا يشغلوك، وليس هناك وتر أكثر حساسية لبدء العزف عليه من وتر الطائفية؛
كوتر الطائفية والمذهبية والحزبية ، وما أكثر المتسارعين فيها، والمتساقطين.

ولو سألتَ أشدَّ الخائضين فيها : كيف بدأت تلك الفتنة؟ ولمصلحة من؟ لم تجد جوابًا، وقديماً قيل: إن أنجح المؤامرات هي التي لا يعلمُ الساعون فيها أنها مؤامرة.

لقد تعايشَت الطوائفُ قرونًا في ظلِّ الإسلام، يُولَدُ أحدهم في بلاد المسلمين على ملته ويموتُ عليها، لم يُجبره أحدٌ أن يُغيِّر دينه ومُعتقده؛ فلماذا ثارت هذه النِّعراتُ في هذا التوقيت بالذات؟ ولماذا يخدمُ دهماءُ الناس وُسطاؤُهُم تجارَ الفتنِ من حيث لا يشعرون؟

اللهم جنِّبنا والمسلمين شرَّ الفتنِ ما ظهرَ منها وما بطن.

اللهم بارِكْ لنا في الكتاب والسنة، وانفَعنا بما فيهما من الآيات والحِكمة، أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثاني

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وأبانَ طريقَ الإيمان، وأشهد أن إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صَلَّى الله وسلَّم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد، أيها المسلمون:

الاعتزازُ بالوطن وحفظُ أمنه والحرصُ على تماسكه ومكاسبه هو أمرٌ تنساقُ له الفطرُ السليمة، وتوجبُه العقولُ الراشدة؛ فضلاً عما هو مُتقررٌ في أحكام الشريعة وأول الدين، خصوصاً في أوقات الفتن والأزمات، ويشتدُّ العتبُ ويستوجبُ العقوبةَ من أخلَّ بأمن الوطن إذا كان باعِثه على ذلك نُشْدانُ الصلحةِ الذاتية وطلبُ الكسبِ الشخصي.

أما إذا كان الباعِثُ مصحَّةً مُصدِّرةً من الخارج، ورغبةً من الرغبات العابرة للحدود؛ فإنه يجتمعُ في المنساقِ لها - إضافةً لما سبق - خيانةٌ للوطن، وتُكرانٌ للأهل، فهو بمثابة من يقطعُ الشجرةَ التي أظلتَه، ويُعكِّرُ الماءَ الذي سقاه.

فكيف إذا عُلِمَ أن المحرِّكَ لتلك الفتنة قومٌ تميَّزَ تاريخُهم في الفتن بأن وقودَ فتنهم رجالٌ من أرضٍ غير أرضهم، ومن جنسٍ سوى جنسهم، وعرقٍ لا ينتمي لعرقهم، ثم سُرعان ما يتخلَّون عمَّن غرَّروا بهم، ليواجهوا مصيرَهم بمفردهم، وربما واسوهم باللسان، وليس وراء اللسان شيءٌ.

فيا أيها الإخوة، ويا مواطنينا في المملكة وفي بلاد العرب والمسلمين:

أسوقُ إليكم نداءً تغلبُ الشفقةُ فيه العتبُ، وتغالبُ الرحمةُ فيه الغضبُ، إنه لم يعد من الخافي أن موقدي تلك الفتن هم قومٌ يؤمنون بعنصرهم أكثر من إيمانهم بالدين، وأن نُصرتهم وجهادهم هو لجنسهم وشعبهم وتاريخهم الداهِبُ، لا لله ولا لفلسطين.

وتاريخهم في السنوات الأخيرة شاهدٌ على مواقفهم المشينة في إيقاد الفتن في بلاد العرب وشقّ الصفوف، وما أمرُ العراقِ عنا ببعيد.

فيا مواطنينا:

إن كان من ثورةٍ فلتكن على المعتقدات التي تُصنع وتُعلبُ خارجَ الحدود ليتشرَّب بها أناسٌ تُسلبَ بها أيانهم وأموالهم وولاؤهم، ليكونوا أدواتٍ في أيدي أعدائهم، إن كان من انتفاضةٍ فلتكن للعقل ليتحرَّر من رِقِّ التبعيةِ وإِسارِ الشعوبيةِ، ويرى نورَ الله الذي يملأ الكونَ، نورُ الله الذي انبثقَ من الحجاز، وأشرقَ به محمدٌ - صلى الله عليه وسلم -، وحملَ مشاعله الصحابةُ الأخيارُ، والتابعون لهم بإحسان.

وأنعمَ الله على المملكة العربية السعودية فورثت ذلك النور، وحملت تلك المشاعلَ، مُقتفيةً أثرَ الكاب والسنة، راعيةً للحرمين الشريفين، جامعةً لرابطة المسلمين، ساعيةً للسَّلم والوحدة، نابذةً للشقاق والفرقة مُحترمةً الحقوق مهما اختلفت المشارب؛ فلا طائفية ولا عنصرية، وكلُّ له حقوقٌ وعليه واجبات.

ويا أيها المغرَّ بهم:

إنه ما فتى الأغرابُ يُحاولونَ قطعَ صِلتكم بسلفِ الأمة ويُنحُوهم من أن يكونوا مصدرًا لتلقي الهداية ليملؤوا ذلك الفراغ بما يُوغِرُ صدوركم على سلفكم وأهلكم وبلدكم، وبما يُشعركم بالغرابة في دياركم وما أنتم بالغرباء، وبما يُشعركم بالبُعد عن مواطنيكم وما أنتم بالبعيد، وثمره ذلك كله تُقطفُ من وراء الحدود، وليس لكم من ذلك كله شيء.

إن الرائد لا يكذبُ أهله؛ فكيف يبيعُ وطنه، ويُدمرُ خيراته وممتلكاته، وينشرُ
الفوضى بين أهله، وهو الخاسرُ الأولُ والأخيرُ؟!

إن الإصلاح لا يكون بالفساد، والبناء لا يستقيم بالهدم، والرَّغْدُ لا يأتي بإخلال الأمن.

إن أهواءً وأوهاماً تملأ الجوّ بالشحناء، ولو صدقت النيات، وأُغْلِقَت الأفواه التي تستمرئُ
الوقية والإفك؛ لتلاشت أنواعُ من الفرقة لا مساعاً لوجودها.

نُناشِدُ العُقلاء أن يقطعوا الطريقَ على تجارِ الفتن ولُصوصِ الإثارة ومُصْطَادي المصالح في
المذابح، وإن ظهروا بلبُوسِ المُشفِقِ ومُسُوحِ الناصح!

فكم من فتنٍ لم يتبيّن خائضُها إلا عند إدبارِها وقد ناله منها ما ناله؟!

ولنا في مُبادَرة العُقلاء من الناس أمل، ولدينا في حَزَمِ رجال الأمن عند الحاجةِ ثقة، والله مولانا
وعليه توكلُّنا، فنعم المولى ونعم النصير.

ومن الله أماننا، وعليه اعتمادنا، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٦٤) ﴿٦٢٦﴾ .

اللهم جنِّبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على خير البرية، وأزكى البشرية: محمد بن عبد الله، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغرِّ الميامين، اللهم ارضَ اللهم عن الأئمة المهديين، والخلفاء الراشدين: أبي بكرٍ، وعمر، وعثمان، وعليٍّ، وعن سائر صحابة نبيك أجمعين، ومن سار على نهجهم واتبع سنتهم يا رب العالمين.

اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين، ودمِّر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم من أرادنا وأرادَ بلادنا بسوءٍ أو فرقة فرَّدَ كيده في نحره، واجعل تدبيره دماراً عليه.

اللهم آمناً في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، وأيدِّ بالحق إمامنا ووليَّ أمرنا، اللهم وفقه هُداً، واجعل عمله في رضاك، وهبْ له البطانة الصالحة، وأتمِّ عليه الصحة والعافية والشفاء.

اللهم وحِّد به كلمة المسلمين، وارفع به لواء الدين، اللهم جازه بالخيرات والحسنات على خدمة الحرمين الشريفين والعناية بالحُجَّاج والمُعتمرين، اللهم وفقه ونائبه لما فيه الخير للعباد والبلاد، واسلك بهم سبيل الرشاد.

اللهم ادفَع عَنَّا الغلا والوبا، والربا والزنا، والزلازل والمِحَن، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم أصلح أحوال المسلمين، اللهم أصلح أحوال المسلمين، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان، واجمعهم على الحق والهدى، اللهم احقن دماءهم، وآمن روعاتهم، وسدَّ خلَّتهم، وأطعم جائعهم.

اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان، اللهم انصرهم على من ظلمهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام، اللهم اجمعهم على الحق يا رب العالمين.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يُعجزونك.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢٠١) ﴿٦٢٧﴾ .

اللهم اغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، ويسر أمورنا، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم، إنك سميع الدعاء.

اللهم احفظ الحجاج والمعتمرين، ويسر لهم أداء مناسكهم آمين، يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام.

نستغفرُ الله، نستغفرُ الله، نستغفرُ الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوبُ إليه.

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا غيثاً هنيئاً مريئاً سحاً غدقاً طبقاً مُجلاًلاً عاماً نافعاً غيرَ ضار، تُحيي به البلاد، وتسقي به العباد، وتجعله بلاغاً للحاضر والباد.

اللهم سُقِيَا رَحْمَةً، اللهم سُقِيَا رَحْمَةً، اللهم سُقِيَا رَحْمَةً لَا سُقِيَا عَذَابٍ وَلَا بَلَاءٍ وَلَا هَدْمٍ وَلَا غَرَقٍ.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

عنوان الخطبة : وصية الله لحجاج بيته الحرام

تاريخ إلقاء الخطبة : الثامن من ذي الحجة من عام ١٤٣٢ هـ

- وصية الله لحجاج بيته الحرام -

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب - حفظه الله - خطبة الجمعة بعنوان: "وصية الله لحجاج بيته الحرام"، والتي تحدّث فيها عن بعض الوصايا الإلهية والتوجيهات النبوية لحُجَّاج بيت الله الحرام ومُعتمريه وزائريه، وقد أرشد فيها إلى بعض التعليمات الواجب التنبُّه لها من الحُجَّاج والمُعتمرين.

الخطبة

أول

—

الحمد لله ، الحمد لله فالق الإصباح ، والحمد لله بكرةً وعشيًّا وفي الغدوِّ وفي الرِّوَّاح ،
الحمد لله الذي وفدَ له الحَجِيجُ من كل ناحيةٍ وساح ، وجعل الحجَّ والمشاعرَ مزادةً للتقوى ،
ومهوًى للنفوس ، ومنهلاً للأرواح ، وجعل بيته المعظمَ حرماً لا يُستباح ، وجمًى لا يُعضدُ
شوْكُه ، ولا يُنفرُ صيدهُ ، ولا يُشهرُ به سلاح ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده الأحد الحميد
لا شريك له ولا شبيه ولا نديد ، وأشهد أن محمداً عبداً الله ورسوله سيِّدُ من حجَّ البيتَ

وطاف ، صلى الله عليه وعلى آله وعلى صحابته الأسلاف ، ومن اتبعهم واستن بهمديهم من التابعين والأخلاف ، وسلم يا رب تسليماً كثيراً.

أما بعد ، أيها المسلمون:

وصية الله للأولين والآخرين تقوى الله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ (١٣١)﴾ ٦٢٨ ووصية الله لحجاج بيته تقوى الله: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧)﴾ ٦٢٩ .

أيها المسلمون:

حُجَّاج بيت الله الحرام! شكر الله سعيكم ، وبارك خطوكم ، وأدام سعدكم ، قد وطئتم أرض الحرم ، وتلبستم بالنسك الأعظم ، واكتحلت عيوتكم بمراى الكعبة المشرفة ، وبلغتم هذا البيت العتيق ، وشرعتم في مناسك الحج ، فلكم ترف التهاني ببلوغ هذه الأمانى ، والله المسؤول أن يَتِمَّ حَجَّكُمْ وَيُسِّرَ أَمْرَكُمْ وَأَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْكُمْ.

فلله ما أهنأكم! والنبى - صلى الله عليه وسلم - يقول: " مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ " - أي: نقياً من الذنوب والخطايا -؛ رواه البخاري ومسلم.

وفي "الصحيحين" أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال: " الْحَجَّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ ، وَالْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا " .

فيا لها من منحة تطرب لها النفوس المؤمنة ، وهون في سبيلها كل المتاعب والصعاب.

أيها المسلمون في كل مكان:

حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ! أَيُّكُمْ هَذِهِ أَيَّامٌ عَظَّمَ اللَّهُ أَمْرَهَا ، وَشَرَّفَ قَدْرَهَا ، وَأَقْسَمَ بِهَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ - جَلَّ شَأْنُهُ -: ﴿ وَالْفَجْرِ (١) وَلَيْالٍ عَشْرٍ (٢) ﴾ ٦٣٠ .

وَقَالَ عَنْهَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ " يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ ، قَالُوا : وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَالَ : « وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ » ؛ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: " فَأَكْثَرُوا فِيهَا مِنَ التَّهْلِيلِ ، وَالتَّكْبِيرِ ، وَالتَّحْمِيدِ " .

اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ .
كَبِّرُوا لِيَبْلُغَ تَكْبِيرُكُمْ عَنَانَ السَّمَاءِ ، كَبِّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ يَسْتَحِقُّ الثَّنَاءَ ، أَكْثَرُوا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، وَتَزَوَّدُوا مِنْ سَاعَاتِ هَذِهِ الْأَيَّامِ وَلِيَالِهَا ، فَهِيَ التَّجَارَةُ الرَّابِحَةُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَفَحَاتِ فَاسْتَكْثَرُوا مِنَ الصَّالِحَاتِ ، وَتَطَهَّرُوا مِنْ دَنَسِ الْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ ، إِنَّ الْعُمَرَ لَا يَعُودُ ، وَالْمَوْسِمَ لَا يَدُومُ ، ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ (١٩٧) ﴾ ٦٣١ .

عِبَادَ اللَّهِ ، حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ:

هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الثَّامِنُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، وَفِي ضُحَاهُ يُحْرَمُ مَنْ يُرِيدُ الْحَجَّ وَيَذْهَبُ إِلَى مَنَى فَيُصَلِّي بِهَا الظُّهْرَ فِي وَقْتِهَا قَصْرًا وَالْعَصْرَ فِي وَقْتِهَا قَصْرًا وَالْمَغْرِبَ فِي وَقْتِهَا وَالْعِشَاءَ فِي وَقْتِهَا قَصْرًا ، وَيَبِيتُ بِمَنَى هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، فَإِذَا صَلَّى بِهَا الْفَجْرَ وَطَلَعَتْ شَمْسُ الْيَوْمِ التَّاسِعِ تَوَجَّهَ إِلَى عُرَفَاتٍ وَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ جَمْعًا وَقَصْرًا ، ثُمَّ يَقِفُ عَلَى صَعِيدِ عُرَفَاتٍ مُكَثِّرًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، مُتَذَلِّلًا بَيْنَ يَدَيْهِ يَسْأَلُهُ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَيُلِحُّ فِي الدُّعَاءِ وَالرَّجَاءِ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ؛ فَإِنَّ الْحَجَّ عُرْفَةَ ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

630 سورة الفجر

631 سورة البقرة

وقال أيضاً: " خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " ؛ رواه الترمذي .

وفي ساحة الغفران في عرفات تخشع القلوب ، وتذرف العيون ، تُسكب العبرات ، تُقال العثرات ، وتُرفع الدرجات ، ويُباهي الله مُحجَّاجه ملائكة السماوات ، ويقول - سبحانه - : " انظروا إلى عبادي ، جاءوني شعثاً غبراً مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ " .

عباد الله:

ومن لم يكن حاجاً فيُستحبُّ له صيامُ يومِ عرفة مُحْتَسِباً أَنْ يُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ ، كما قال ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الذي رواه مسلم .

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ ، فَيَقُولُ : مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ " ؛ رواه مسلم .

فإذا غربت الشمسُ ، انصرفَ إلى مُزْدَلِفَةَ بسكينةٍ ووقارٍ ، وصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ والعشاءَ جمعاً ، ويقصرُ العشاءَ ، ويبيتُ مُزْدَلِفَةَ تلك الليلة ، ويُصَلِّي بِهَا الْفَجْرَ ، ويُكثِرُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمِنْ الدُّعَاءِ حَتَّى يُسْفِرَ جَدًّا ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ إِلَى مَنْى قُبَيْلِ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَيَجُوزُ لِلضَّعْفَةِ مِنَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ وَنَحْوِهِمُ الْإِنْصِرَافُ مِنْ مُزْدَلِفَةَ بَعْدَ نِصْفِ اللَّيْلِ ، وَيَتَحَقَّقُ ذَلِكَ بِغُرُوبِ الْقَمَرِ .

فإذا وصل الحاجُّ إِلَى مَنْى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقْبَةِ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ مُتَعاقِبَاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ ، ثُمَّ يَنْحَرُ الْهَدْيَ إِنْ كَانَ عَلَيْهِ هَدْيٌ ، ثُمَّ يَحْلِقُ رَأْسَهُ أَوْ يَقْصُرُهُ ، وَالْحَلْقُ أَفْضَلُ ، ثُمَّ يَتَوَجَّهَ لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ إِنْ تيسَّرَ لَهُ يَوْمَ الْعِيدِ وَإِلَّا بَعْدَهُ ، فَيَطُوفُ طَوَافَ الْإِفَاضَةِ ، ثُمَّ يَسْعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، فَإِنْ كَانَ قَارِئًا أَوْ مُفْرِدًا وَقَدْ سَعَى قَبْلَ الْحَجِّ بَعْدَ طَوَافِ الْقُدُومِ فَيَكْفِيهِ سَعْيُهُ ذَلِكَ ، وَمَنْ قَدَّمَ شَيْئًا أَوْ آخَرَ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِ يَوْمِ النحر ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ .

ثم يعودُ إلى مِنَى ، ويبسُتُ بها ليالي أيام التشريق ، ويرمي الجِمارَ الثالث في كل يومٍ بعد زوال الشمس ، ثم إن شاء تعجَّلَ في يومين ، وإن شاء تأخَّرَ لليوم الثالث عشر - والتأخَّرَ أفضل - ، ثم لا يبقى عليه إلا طوافُ الوداع عندما يُريدُ السفرَ من مكة.

أيها المسلمون:

ولقد كان للنبي - صلى الله عليه وسلم - مواطنٌ يُكثِرُ فيها من الدعاءِ حريًّا بالمسلم أن يتحرَّرها ، وأن يحرِّصَ عليها؛ منها: يوم عرفة - وبالأخصَّ آخرَ النهار - ، وبعد صلاة الفجر بُمُزدلفة حتى يُسفرَ جدًّا ، وبعد رمي الجمرة الأولى ، وبعد رمي الجمرة الثانية من أيام التشريق ، وكذا الدعاء فوق الصفا والمروة.

فاجتهدوا في تمام حجِّكم ، واتقوا الله فيما تأتون وتذرُّون ، وأخلصوا لله في عملكم وقصدِكم ، واتَّبِعُوا الهدى والسنة ، واجتنبوا ما يخرِمُ حجَّكم أو يُنقصُه ، وعليكم بالرفقِ والسكينة والطُمأنينة والشفقة والرحمة بإخوانكم المسلمين - سيِّما في مواطن الازدحام ، وأثناء الطواف ، ورمي الجِمار ، وعند أبواب المسجد الحرام -.

واستشعروا عِظَمَ العبادة وجلالة الموقف ، جعل الله حجَّكم مبرورًا ، وسعيكم مشكورًا ، وذنبكم مغفورًا.

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثاني

الحمد لله ، الحمد لله الذي جعل مواسمَ الخيرات مربحًا ومغنمًا ، وأيام البركات إلى جناته طريقًا وسلماً ، وأشهد أن إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد ، أيها المسلمون:

لقد بُني هذا البيتُ العتيقُ مؤسسًا على التوحيد ولأجل التوحيد: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا (٢٦)﴾ ٦٣٢ .

ومنذ أن دخلت النُّسكُ وأنت مُعلنٌ للتوحيد: "لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إن الحمدَ والنعمةَ لك والملك ، لا شريك لك".

وفي ثنايا آيات الحج يقول الله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١)﴾ ٦٣٣ .

وفي حديث جابر - رضي الله عنه - في صفة حجِّ النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " ثم أهلَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالتوحيد: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ "؛ رواه أبو داود.

فأخلصوا دينكم لله ، وتفقدوا أعمالكم ومقاصدكم.

عباد الله:

وفي مناسك الحجِّ تربيةً على إفراد الله بالدعاء والسؤال والطلب ، مع التوكل عليه واللجوء إليه ، والاستغناء عن الخلق والاعتماد على الخالق: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨)﴾ ٦٣٤ لا نبيًّا ولا وليًّا ، ولا مكانًا ولا رسمًا.

632 سورة الحج

633 سورة الحج

كما لا يجوز أن يُحوَّل الحُجُّ إلى ما يُنافي مقاصده ، فلا دعوة إلا إلى الله وحده ، ولا شعار إلا شعار التوحيد والسنة.

أيها المسلمون:

والحُجُّ عبادة فريدة تجمع ملايين البشر المتدفقين لأداء النُّسك شوقاً ، التاركين لدنياههم طوعاً؛ فأَيُّ مشهدٍ أبهى من هذا التجمع الإيماني العظيم ، فيه اجتماعُ الأمة وائتلافها ، وتظهر قيمها وأخلاقها ، ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ (١٩٧) ٦٣٥ .

قيم التسامح والإخاء والبعد عن الخلاف والمراء ، قيم المساواة والعدل والأخوة والمحبة ، قيم القناعة والبساطة في تجرُّد الحاج من متاع الدنيا في لباسه ومسكنه ومناحه ، يتربى على ترك الترفه ، ويتحمل المشقة والتضحية.

من الحج نستلهم المراجعات السلوكية لكثير من القيم والأخلاق.

حُجَّاج بيت الله العتيق:

الحجُّ جهادٌ ، ولا بدَّ في الجهاد من مشقة ، وتركُ الترفه مقصودٌ ، وعلى الحاج أن يصبرَ ويحتسبَ في إتمام حجه كما أمر الله آخِذاً نُسكَه من رسول الله.

ومن الخُذلان أن يتتبع الإنسان الرُّخص ويزهد في السنن ، ويرجع بحجٍّ مُشوّه ، ويتنازل عن كمال النُّسك ، ولا يتنازل عن نقص الخدمات في الطعام والشراب والسكن ، والله تعالى يقول: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (١٩٦) ٦٣٦ اجعلوا هذه الآية شعاركم.

حُجَّاج بيت الله الحرام:

634 سورة الجن

635 سورة البقرة

636 سورة البقرة

تعلّموا أحكامَ مناسِكِكُمْ ، واسألوا عن عباداتكم ، وتحروا صحةَ أعمالكم قبل إتيانها ،
تفرّغوا لما جئتم لأجله ، واشتغلوا بالعبادة والطاعات؛ فإن ما عند الله لا يُنالُ بالتفريط.

أكثرُوا من الدعاء والتضرّع ، والهجوا بذكر الله في كل أحوالكم؛ فنييكم - صلى الله عليه
وسلم - يقول: " إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوْفُ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَرَمْيُ الْجِمَارِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ
اللَّهِ " ؛ رواه أبو داود ، والترمذي.

وربُّكم تعالى يقول: ﴿ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا
هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ
أَشَدَّ ذِكْرًا (٢٠٠) ﴾ ٦٣٧ .

حُجَّاج بيت الله الحرام:

تبذلُ الدولةُ برجالها وأجهزتها ومُؤسَّساتها الحكومية وغير الحكومية جهودًا هائلةً لخدمتكم
وتيسير حجِّكم ، والنظامُ وُضِعَ لمصلحتكم ، والجهودُ كُلُّها لأجلكم ، فالتزموا التوجيهات
، واتَّبِعُوا التعليمات ، وابتعدوا عن مواطن الزحام ، وتعاونوا مع رجال الأمن والأجهزة
الحكومية.

لا تُغلقوا الطرقات ، ولا تجلسوا في الممرات ، واستشعروا ما أنتم فيه ، وكونوا على خير
حالٍ في السُّلُوكِ والأخلاق ، والزَمُوا السكينة والوقار ، واجتهدوا وسدّدوا وقاربوا ،
وأبشروا وأملوا؛ فإنكم تقدّمون غدًا على ربِّ كريمٍ.

تَمَنَّ عَلَى ذِي الْعَرْشِ مَا شِئْتَ إِنَّهُ

جَوَادٌ كَرِيمٌ لَا يُخَيِّبُ سَائِلًا

تَقَبَّلَ اللَّهُ حُجَّكُمْ ، وَأَعَانَكُمْ عَلَى تَمَامِ التُّسُكِ ، وَأَحَاطَكُمْ بِحِفْظِهِ وَرِعَايَتِهِ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ ، وَأَزْكَى الْبَشَرِيَّةِ: مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ، وَصَحَابَتِهِ الْغُرَّ الْمَيَامِينَ ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْأَئِمَّةِ الْمُهَدِّدِينَ ، وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ: أَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَعَنْ سَائِرِ صَحَابَةِ نَبِيِّكَ أَجْمَعِينَ ، وَمَنْ سَارَ عَلَى فَهْجِهِمْ وَاتَّبَعَ سَنَّتَهُمْ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ ، اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَأَذِلِّ الشُّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ ، وَدَمِّرْ أَعْدَاءَ الدِّينِ ، وَاجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مَطْمَئِنًّا وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَنَا وَأَرَادَ بِلَادَنَا بِسُوءٍ أَوْ فُرْقَةٍ فَرُدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ ، وَاجْعَلْ تَدْبِيرَهُ دِمَارًا عَلَيْهِ.

اللَّهُمَّ آمِنًا فِي أَوْطَانِنَا ، وَأَصْلِحْ أَمْتَنَا وَوَلَاةَ أُمُورِنَا ، وَأَيِّدْ بِالْحَقِّ إِمَامَنَا وَوَلِيَّ أَمْرِنَا خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ ، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُ لِهَذَا ، وَاجْعَلْ عَمَلَهُ فِي رِضَاكَ ، وَهَيِّئْ لَهُ الْبِطَانَةَ الصَّالِحَةَ ، اللَّهُمَّ وَحِّدْ بِهِ كَلِمَةَ الْمُسْلِمِينَ ، وَارْفَعْ بِهِ لَوَاءَ الدِّينِ ، اللَّهُمَّ جَاوِزِ بِالْخَيْرَاتِ وَالْحَسَنَاتِ عَلَى خِدْمَةِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَالْعَنَايَةِ بِالْحُجَّاجِ وَالْمُعْتَمِرِينَ ، وَأَتِمِّمْ عَلَيْهِ الصَّحَّةَ وَالْعَافِيَةَ ، اللَّهُمَّ وَفِّقْ وَلِيَّ عَهْدِهِ وَسُدِّدْهُ وَأَعِزَّهُ عَلَى مَا حُمِّلَ ، وَاجْعَلْهُ مَبَارَكًا مُوَفَّقًا لِكُلِّ خَيْرٍ وَصَالِحٍ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَمِيرِ سُلْطَانِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَارْحَمْهُ ، وَتَجَاوِزْ عَنْهُ ، وَأَسْكِنْهُ فَيْسِحَ جَنَّاتِكَ.

اللَّهُمَّ ادْفَعْ عَنَّا الْغَلَا وَالْوَبَا ، وَالرَّبَا وَالزَّنَا ، وَالزَّلَازِلَ وَالْمِحْنَ ، وَسُوءَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ ، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ ، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، اللَّهُمَّ اجْمَعْهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى ، اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَهُمْ ، اللَّهُمَّ احْقِنْ

دماءهم ، وآمن روعاتهم ، وسُدَّ خَلَّتْهم ، وأطعم جائعهم ، اللهم انصرهم على من ظلمهم.

اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان ، واجمعهم على الحق يا رب العالمين ، اللهم انصر المسلمين في فلسطين على الصهاينة المحتلين.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يُعجزونك.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿٦٣٨﴾ .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم ، إنك سميع الدعاء.

اللهم احفظ الحجاج والمعتمرين ، اللهم احفظ الحجاج والمعتمرين ، اللهم احفظ الحجاج والمعتمرين ، ويسر لهم أداء مناسكهم آمين ، وتقبل منا ومنهم أجمعين.

اللهم وفق رجال الأمن والعاملين لخدمة الحجاج ، وجازهم بالخيرات والحسنات يا رب العالمين.

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، غيثاً هنيئاً مريئاً سحاً طبقةً مجللاً عاماً نافعاً غير ضار ، تُحيي به البلاد ، وتسقي به العباد ، وتجعله بلاغاً للحاضر والباد.

اللهم سقيا رحمة ، اللهم سقيا رحمة ، اللهم سقيا رحمة ، لا سقيا عذاب ولا بلاء ولا هدم ولا غرق.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلاماً على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة : ثبات الإسلام واستقراره

تاريخ إلقاء الخطبة : الثاني والعشرون من ذي الحجة من عام ١٤٣٢ هـ —

— ثبات الإسلام واستقراره —

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب — حفظه الله — خطبة الجمعة بعنوان: "ثبات الإسلام واستقراره" ، والتي تحدّث فيها عن دين الإسلام ومدى ثبات مبادئه ورُسوخ معامله ،

مُقارَنَةً بواقِع من لم يَتَمَسَّكَ به ولم يَنْتَهِج مَنَاهِجَه ، وَذَكَرَ في ثَنَايَا خُطْبَتِه بما أَفْسَدَ دِينُ
الإِسْلَام؛ من السَّحَرِ وَالكَهَانَةِ ، وَالغُلُوِّ وَالتَّطَرُّفِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

الخطبة
أول

—

الحمد لله ، الحمد لله الذي أتمَّ على عباده حجَّ بيته الحرام ، ويسرَّ لهم السعيَ في ربوعِ درَجَ
فيها الأنبياءُ - عليهم السلام - ، فتلك عرفاتٌ ومِنَى وهذا زمزمٌ وذاك المقام ، معالمٌ
للإسلام ، ورُسُومٌ لأنبياءٍ وأديانٍ غيَّرتَ بها السُّنُونُ والأَيَّامَ ، وبقيتَ معالمٌ تُذَكِّرُ اللاحِقَ
بالسابقِ من الأَنَامِ ، استحضارٌ للأزمنة ، واستنطاقٌ للأمكنة بما مرَّ على ثراها من أنبياء ،
وبما أنزلت على جبالها من سُور ، وأُرسيت عقائد ، وشُرع على سُفوحها من شرائع ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ختمَ الله به
النبوَّات فَنِعَمَ الخِتَامُ ، صَلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركْ عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله تعالى حقَّ التقوى ، واستمسِكُوا من الإسلام بالعروة الوثقى ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿٦٣٩﴾ .

أما بعد ، أيها المسلمون:

حجَّاج بيت الله الحرام! في هذه الحياة نُظِّمُ ومناهجُ وأفكار ، وبنائاتُ سامقةٌ تراها كأعالي الأشجار ، وحين تهبُّ الرياحُ العواصفُ وتثورُ الزلازلُ القواصفُ تنهارُ الصورُ الزائفةُ ، وتسقطُ البناياتُ المشيَّدةُ وينكشفُ عيُّها وخلُّها.

والتأملُ اليوم يرى تسارعًا في امهياراتٍ مُتعدِّدة؛ في المال والاقتصاد ، والحكم والسياسة ، والأفكار والمناهج ، ويرى حيرةً كُبرى لأرباب المال ، ودهاقنة السياسات ، ثم يلتفت فيرى بناءَ الإسلام ثابتًا مُستقرًّا ، أصله ثابتٌ وفرعه في السماء.

حين تتأمل مبادئ الإسلام في كل الجوانب ترى قِيَمًا راسخةً البُنيان ، عصيةً على الذوبان؛ في العقيدة والفكر ، والعبادة والتشريع ، والأخلاق والسلوك ، صالحةً لكل زمانٍ ومكان ، وهو تأملٌ يجبُ على المسلم أن يتذكَّر فيه فضلَ الله عليه ، ويستشعرَ قيمةَ دينه وإنعامَ الله به عليه.

أيها المسلم:

لم يُنعم الله عليه نعمةً هي أوفى ولا أَمَنٌ ولا أَسبغُ من كونك مُسلمًا لله مع المسلمين ، لا تسجدُ لشجرٍ أو حجر ، ولا تذللُ لحيوانٍ أو جهاذٍ أو بشر ، ولا تعبدُ غيرَ الله ، فاهنأ بإسلامك ، وانعم بإيمانك؛ فقد هداك الله يوم ضلَّ غيرُك ، وأرشدك حين تاهَ سِواك ، وأعد التأمل والمراجعة مُستمسكًا بأساس دينك وقاعدة إيمانك ، عارفًا فضلَ إسلامك وعاقبة توحيدك ، مُستبشِّرًا بقول النبي - صلى الله عليه وسلم - لمُعاذٍ - رضي الله عنه -: " مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ ، إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ " ؛ رواه البخاري.

وعنه: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ " ؛ رواه البخاري ومسلم.

أيها المسلمون:

ولهذا التوحيد معالمُ رسمها النبي - صلى الله عليه وسلم - وأوضحَ أعلامها ، ولهذه البُشرى شواهدُ بينها وأرسي أركانها ، حريٌّ بالمسلم أن يستمسكَ بعُرْزِها ، وأن يحذرَ التفريقَ حتى لا يَحْبَطَ عمله ، أو يَضِلَّ سعيه؛ فكم من تائه وهو لا يدري ، وكم من ضالٍّ يظنُّ أنه مُهتدي؟!

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن معاذًا - رضي الله عنه - قال: بعثني رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى اليمن ، فقال: " إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ . فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ . فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ . فَإِنْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ " ؛ أخرجه البخاري ومسلم.

لقد جعلَ أصولَ الإيمان: التوحيدَ ، ثم الصلاةَ ، ثم الزكاةَ ، ثم حفظَ الحقوقَ ومبدأَ العدلِ المطلق.

أيها المسلمون:

لقد كَرَّمَ الله الإنسانَ ، وشرعَ له ما يربُّأ به عن الخرافات أو التعلُّق بالأوهام ، وجعله حُرًّا لا يتعلَّقُ إلا بالله خالقِهِ ، وجعل التعلُّقَ بغير الله يُنافي التوحيدَ اعتقادًا وعملاً؛ فعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: " لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحَدِّثًا ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ " ؛ رواه مسلم.

كما حذَرَ من النذر لغير الله ، وجعله من عملِ المُشركين؛ قال الله تعالى في كتابه المبين: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ

لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦) ﴿٦٤٠﴾ .

ومن معالم هذا التوحيد: الاستعاذة والاستجارة بالله وحده دون سواه؛ قال - سبحانه - ﴿: وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ (٦) ﴿٦٤١﴾ .

ومن محاسن الدين القويم: أن المسلم لا يدعو ولا يرجو إلا الله ، فليس بين المسلم وبين ربه وسائط؛ قال الله تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ (٥٥) ﴿٦٤٢﴾ ، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٦٠) ﴿٦٤٣﴾ .

فسمي الدعاء عبادة ، وأمر رسوله بإخلاصه له ، فقال: ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾ (١٤) ﴿٦٤٤﴾ وقال: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٠٦) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٠٧) ﴿٦٤٥﴾ وقال - سبحانه - لمن دعا غيره: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١٧) ﴿٦٤٦﴾ وقال - سبحانه - ﴿: وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ (٦) ﴿٦٤٧﴾ .

سورة الأنعام	640
سورة الجن	641
سورة الأعراف	642
سورة غافر	643
سورة الزمر	644
سورة الانعام	645
سورة العنكبوت	646
سورة الأحقاف	647

بل سَمَّى الله دعاءَ غيره شركًا؛ قال - سبحانه -: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِيرِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)﴾ ٦٤٨ .

عباد الله:

إن مما أفسد الدين وحرف الدين: الغلو والتطع، والمبالغة بغير علم، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ"؛ أخرجه الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه بإسناد صحيح. ولمسلم: "هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ". قالها ثلاثاً.

والله تعالى يقول: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ (١٧١)﴾ ٦٤٩ .

ومن الغلو: الغلو في تعظيم الأولياء والصالحين أو تعظيم آثارهم، وقد حذر النبي - صلى الله عليه وسلم - من ذلك، فقال: "لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ"؛ رواه البخاري.

وعن شقيق عن عبد الله - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ"؛ رواه الإمام أحمد.

عباد الله:

دين الإسلام كله حسن، وما هـى الله عن شيء إلا لضرره على الأفراد والمجتمعات مما يُبطل الإيمان ويُوَبِّقُ الإنسان؛ كالسحر وإتيان الكهّان؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ حَيْثُ

أَتَى (69) ﴿٦٥٠﴾ وقال: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾
 (١٠٢) ﴿٦٥١﴾ وقال - سبحانه - : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾
 (١٠٢) ﴿٦٥٢﴾ .

وكم تعلّق بهذه الأوهام أناسٌ أضاعوا دينهم ودنياهم ، وانحدرت عقولهم إلى دركٍ من الخرافات جعلوها ديناً ومنهجاً. فالحمدُ لله الذي كرّمنا بالإسلام.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ الشِّرْكَ بِاللَّهِ ، وَالسَّحَرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْعَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ " ؛ رواه البخاري ومسلم.

وعند مسلم: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يَقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ». وعند أبي داود: « مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ " .

أيها المسلمون:

ومن معالم الدين الحسان: الارتقاء بالحبّة والعواطف والولاء والتناصر في وقتٍ سفّلت بأهل الدنيا مبادئهم ، فأصبحت المحبّة والمؤااة لأجل الدنيا ومصالحها؛ عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ،

650 سورة طه

651 سورة البقرة

652 سورة البقرة

أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ " ؛ رواه البخاري ومسلم.

أيها المسلمون:

الدينُ دينُ الله والشرعُ شرعُه ، والواجبُ على من بلغه كلامُ الله وسنةُ رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يتبعَ الحقَّ ويطرحَ ما سِواه ، ولا يتركَ القرآنَ والسنةَ لقولِ أحدٍ مهما كان ، والله تعالى يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦٣) ٦٥٣ .

وقد ذمَّ الله الذين أطاعوا أشياخهم في مُخالفة أمر الله ورسوله ، فقال الله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (٣١) ٦٥٤ .

قال عديُّ بن حاتم - رضي الله عنه - : لما سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ هذه الآية ، قلتُ: يا رسولَ الله! إنا لسنا نعبدُهم. قال: " أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتَحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ؟ ". فقلتُ: بلى. قال: " فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ " ؛ أخرجه الإمام أحمد ، والترمذي.

اللهم بارِكْ لنا في الكتاب والسنة ، وانفعنا بما فيهما من الآيات والحِكمة ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثاني

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، يُنعم بالحسنات ويعفو عن السيئات ، وأشهد أن إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله شهادةً عليها الحيا والممات ، اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أيها المسلمون:

وتوحيد الاعتقاد يستتبع توحيد العمل ، فيجب على المسلم أن يحبّ ربّه ويخلص له ويعوّل عليه ، وأن تكون مشاعر نفسه وخلجات قلبه متّجهةً إليه لا تعدّوه إلى سواه ، المسلم لا يدعو إلا الله ، ولا يعبد غيره ، ولا يطيع إلا أمره ، ولا ينفذ إلا حكمه ، يحلّ ما أحلّ ، ويُحرّم ما حرّم ، ويقف عند ما حدّ ، ويتحرّك وفق ما طلب.

المسلم مُنتصبُ القامة أمام كلّ حيٍّ ، فلا يحني ظهره إلا لله ، ومعرفته لعظمة الخالق الأحَد ولهيمنة الله التامة على الناس والكون تجعل مشاعر الرغبة والرغبة مُستقيمةً في نفسه ، فلا تنحرف ولا تضطرب.

ومن أجل ذلك كان امتلاء القلب بعقيدة التوحيد أساساً لخلال القوة والعزّة لا ينفك عنها مؤمنٌ صادق.

عباد الله ، حُجّاج بيت الله الحرام:

وفي كلّ ختامٍ يستحضر المسلم أن معيار القبول هو إخلاص العامل لله ، ومُتابعتُه رسول الله ، وفضل الله واسع ، ومن علامة قبول الحسنة الحسنّة بعدها ، وعلامة الحجّ المبرور: أن تعود

خيرًا مما كنت ، ومن طهرت صحيفة عمله بالغفران فليحذر العودَ إلى دَسِّ الآثام؛ فالنكثَةُ أشدُّ من الجرح ، وليكن من الخير في ازدياد ، فإن ذلك من علامة القبول.

ثم الصلواتُ الزاكياتُ ، والتسليماتُ الدائماتُ على أشرفِ خلقِ الله: محمد بن عبد الله ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغرِّ الميامين ، وارضَ اللهم عن الأئمة المهديين ، والخلفاء المرضيِّين: أبي بكرٍ ، وعمر ، وعثمان ، وعليٍّ ، وعن سائر صحابة نبيك أجمعين ، ومن سار على فمهم واتبع سنتهم يا رب العالمين.

اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين ، اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشرك والمشركين ، ودمِّر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم من أرادنا وأراد بلادنا بسوءٍ أو فرقة فرُدَّ كيده في نحره ، واجعل تدبيره دمارًا عليه.

اللهم آمِنَّا في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا ووليَّ أمرنا خادمَ الحرمين الشريفين ، اللهم وفقه هُداك ، واجعل عمله في رضاك ، وهَيِّئْ له البطانة الصالحة ، اللهم وحد به كلمة المسلمين ، وارفع به لواء الدين ، اللهم جازه بالخيرات والحسنات على خدمة الحرمين الشريفين والعناية بالحُجَّاج والمُعتمرين ، وأتمَّ عليه الصحة والعافية ، اللهم وفق وليَّ عهده وسدَّده وأعنه على ما حُمِّل ، واجعله مباركًا موفقًا لكل خيرٍ وصالح.

اللهم ادفَع عنا الغلا والوبا ، والربا والزنا ، والزلازل والمِحَن ، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بَطَن.

اللهم أصلح أحوال المسلمين ، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ، اللهم احقن دماءهم ، اللهم احقن دماءهم ، اللهم احقن دماءهم ، وآمن روعاتهم ، وانصرهم على من ظلمهم ، اللهم سُدَّ خَلَّتْهم ، وأطعم جائعهم.

اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان ، واجمعهم على الحق يا رب العالمين ،
اللهم انصرهم في فلسطين على الصهاينة المحتلين.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا
يُعجزونك.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿٦٥٥﴾ .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، ربنا اغفر
لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم ، إنك سميع الدعاء.

اللهم اقبل من الحُجَّاج حُجَّتْهم ، وأجب دعاءهم ، اللهم اجعل حُجَّتْهم مبروراً ، وسعيهم
مشكوراً ، وذنبهم مغفوراً ، وأعدهم إلى ديارهم سالمين ، اللهم تقبل منا ومنهم ، وثبتنا
وإياهم على الحق والهدى ، واختم لنا بخير يا أرحم الراحمين.

نستغفرُ الله ، نستغفرُ الله ، نستغفرُ الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوب إليه ، اللهم
أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين
، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا غيثاً هنيئاً مريئاً سحاً طبقاً مجللاً نافعاً عامّاً ،
اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم تُحيي به البلاد ، وتسقي به العباد ، وتجعله بلاغاً للحاضرِ
والبادِ.

اللهم سقيا رحمة ، اللهم سقيا رحمة ، اللهم سقيا رحمة ، لا سقيا عذاب ولا بلاء ولا هدم ولا غرق.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

الفصل _____ ل

ال _____ خام

س _____

منبر الجمعة _____ عة من الحرم المكي للعام

الهجري ١٤٣٣ هـ

عنوان الخطبة : صيانة الأخلاق والقيم

تاريخ إلقاء الخطبة : الثامن والعشرين من محرم من عام ١٤٣٣ هـ

— صيانة الأخلاق والقيم —

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب — حفظه الله — خطبة الجمعة بعنوان: "صيانة الأخلاق والقيم"، والتي تحدّث فيها عن الأخلاق ووجوب التمسك بها، وأنها سبب قيام الدول والشعوب، وانهارها سبب في انهيار الشعوب ودمارها وحصول الخسران في الدنيا والآخرة، وشدد على ضرورة التنبيه للإعلام وما ينشره من هتك للحياء والحشمة، وإشاعة للفواحش والمنكرات قولاً وفعلاً، مقروءةً ومسموعةً ومرئيةً، ولم ينسَ في ختام خطبته أن يُشيد بالدور الفعّال لخادم الحرمين الشريفين في بثّ روح التعاون بين دول المنطقة.

الخطبة

أول

—

الحمد لله، الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وجعله قيماً، وجعل مشموله أوامراً ونواهي وأخباراً وقيماً؛ تزكيةً لعباده ولتكون الأمة الخاتمة خير أهل الأرض أمماً، وأشهد أن

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أما بعد:

فإن خيرَ الحديثِ كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هدي محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - ، وشرَّ الأمور مُحدثاتها ، وكلُّ بدعةٍ ضلالة .

ثم إن خيرَ الوصايا: ما وصَّى الله به في كتابه فقال - سبحانه - : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ (١٣١) ﴾ ٦٥٦ .

أيها المسلمون:

هَنَاتُ الحياةِ لدى الأممِ والأفرادِ ، وكرِيمُ العاقبةِ للدول والشُعوبِ تكون في ظلالِ قِيَمِها وتحت وارِفِ أخلاقِها ، وفخرُ كلِّ أمةٍ أو جماعةٍ بعد صلاح دينِها سُمُو قِيَمِها وتسامي فضائلِها؛ بل إن النبيَّ محمدًا - صلى الله عليه وسلم - حصرَ بعثته في تَتِمِمْ مكارِمِ الأخلاقِ ، فقال: " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ " ؛ رواه الإمام أحمد .

أيها المسلمون:

لئن كانت الأديانُ روحَ الأممِ فإن القِيَمَ أجسادُها ، فلا جسدَ بلا روحٍ ، ولا روحَ بلا جسدٍ ، ولئن كانت الأديانُ غيْثَ السماءِ فإن القِيَمَ نَبْتُ الفِطْرِ ، فإذا التَقَى فيضُ السماءِ بكرِيمِ الفِطْرِ كُمِلَتِ الخِلالُ وحصلَتِ الخيريَّةُ؛ قال - صلى الله عليه وسلم - : " خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا " ؛ رواه البخاري .

فالقيَمُ نبتةٌ في الإسلام تحضنُها الفِطْرَةُ ، وثرويتها الديانة ، فإذا فسدت الفِطْرَةُ وغاضَ نبعُ الدين لدى البشر ذُبِلَت تلك النبتة ، واستحالَ زهرُها شوْكَاً ، وغُصِنُها حطباً.

ولقد كان في الجاهلية أفرادٌ لم تقوَ ظُلْمَةُ الجهل في مُجتمعهم أن تغتالَ بقيَّةُ نورٍ في نفوسهم؛ فمن من لم يشربِ الخمرَ أبداً ، ومنهم من لم يزنِ ، ولم يكذبِ ، ولم يُخلفِ الوعدَ ، ومنهم من يغضُّ طرفه عن جارتِه حتى يُواريَ جارتَه مثواها.

وكانت تلك المكارمُ أشبهَ ببقايا شموعٍ تحتضرُ في دُجَى الليل المُعتمِ حتى أشرقت شمسُ الرسالة ، فامتلاً ما بين الخافقين نوراً وضياءً ، وتدَفَّقَت القِيَمُ بين الناسِ تدفعُها إليهم آياتٌ من الوحي وتوجيهٌ من النبوة.

ولم يكن عجباً أن تتضمن أولُ سورةٍ نزلت من القرآن إشارةً إلى رذيلةٍ تذيبُ القِيَمَ في النفوس والمُجتمعات ، ألا وهي: الطُغيان ، ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى (٧)﴾ ٦٥٧ .

فإذا استغنى الإنسانُ بماله أو جاهه أو سُلطانِه تجاوزَ حدَّه وغاضَ العدلُ والشرفُ وكريمُ الخلال ، ولن ترى مُحارباً للقيَمِ في مُجتمعات المسلمين إلا ووسيلتهُ هي بعضُ ما أغناه الله به من المالِ أو الجاهِ.

أيها المسلمون:

القيَمُ كما أنها إرثٌ جميلٌ فيجبُ أن تكون حاضراً مُصاناً ، فتَهوِينُها في نفوسِ الناسِ شرٌّ ، والتقليلُ من شأنها خُذْلانٌ ، وإحلالُ غيرها مكانها خيانةٌ ، وكلما كانت القِيَمُ مُوغلةً في القِدم ، مسطورةً في التاريخ كانت أنقى وأبقى؛ لأنها في الغالبِ إرثٌ دينيٌّ تمثَلَتْها قرونٌ فاضلةٌ؛ إذ لا يأتي زمانٌ إلا والذي بعده شرٌّ منه.

ولئن درجَ بعضُ المخذولين على التهوينِ من القِيمِ باعتبارها من الرجعية ، ويدعون لأنَّ يحلَّ محلَّها قِيمُ العالمِ الجديد؛ فإنَّ هذه دعوةٌ ترفعُ عنها كفارُ قريشٍ ومُشركو العربِ.

أيها المسلمون:

حضاراتُ الأممِ تنهضُ بنهضةِ الأخلاق ، وتنهارُ بانحيارها؛ كم من أمةٍ كانت قويةً ، فدبَّتْ مساوئُ الأخلاقِ بين أفرادها فدبَّ فيها الضعفُ.

وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتْ

فإن ذهبتْ أخلاقُهم ذهبوا

وصلاحُ أمرِ الأممِ مرجعُه إلى الأخلاقِ المبنيةِ على المبادئِ والقِيمِ ، ولا تحيا أمةٌ بلا قِيمِ.

وإذا أُصيبَ القومُ في أخلاقهم

فأقيم عليهم مآثما وعويلاً

القِيمُ هي الخصائصُ والصفاتُ النابعةُ من عقيدةِ الأمة ، والتي تُوجهُ سلوكَ الجماعة ، وهي أساسُ للحِفاظِ على النظامِ والاستقرارِ في المجتمع ، ووازعٌ بين الحلالِ والحرامِ ، والخطأِ والصوابِ.

وإن القِيمَ التي تسودُ أيَّ مجتمعٍ تُعدُّ مؤشراً على نُضجهِ وإدراكه لدوره في الحياة ، وطريقاً إلى الإبداع ، وإن الطريقَ إلى الإبداعِ والنجاحِ يُمرُّ على القِيمِ والمبادئ ، وديننا الإسلاميُّ هو دينُ القِيمِ الساميةِ المُستقاة من السماء ، ومن رسولِ السماء.

القيم الإسلامية ناشئة من الدين والخوف من الله ، فهي ثابتة في النفس ، راسخة في القلب ، لا تبدل بتبدل المصالح والأهواء ، ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ (٧١) ٦٥٨ فينتج ذلك الإخلاص ، والأمانة ، والشعور بالمسؤولية ، وخشية الله قبل خشية الناس ، وعندها تصلح الأحوال في كل المجالات.

الصدق ، والإخلاص ، والتعاون ، ومعرفة قيمة الوقت ، وتقدير المصلحة العامة ، واحترام الأنظمة والقوانين ، والإصغاء إلى صوت الضمير ، هذه القيم هي روح النهضة وقوامها ، فإذا لم تعتن بها الحكومات والمدارس والمربون كانت النهضة جسماً لا روح فيه. في المجتمع المسلم يجب أن تبرز قيمة الصبر ، والثقة بنصر الله ، والشجاعة ، والثبات ، والنصرة ، وأن تسود في المجتمع قيم العدل والإحسان ، والتكافل والتعاون ، والحب والتآخي ، والتثبت وحسن الظن ، والكرم والسماحة ، والرفق واللين ، والأمانة والعفة ، والإنصاف ، وأداء الفرائض ، والامتناع عن المحرمات ، والتعلق بالآخرة.

ولكل خلق أثر في نهضة الأمم ، وفقدته سبب في انهيارها؛ فبالعدل تُنصر الأمم ، وبالحبة والإخاء والتكاتف والتآزر والإحسان تقوى المجتمعات ، وبالتقوى والورع وبالهمة والجِدِّ ، والبُعد عن أسافل الأمور ومُحَقَّرات الأعمال تنهض الأمم وتسود.

ولقد ربى النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه على قيم القرآن ، فارتقوا في سلم الأخلاق ، وأشرفوا على الدنيا حتى نالت أيديهم النجم ، وجلسوا على ناصية الشمس.

أيها المسلمون:

وإذا كانت هذه الأخلاق مُستحبة عند جميع الأمم ، فإنها واجبة عند أهل الإسلام؛ بل هي أساس في عقيدتهم ، يتواصى بها العلماء في كتبهم ومُصنَّفاتهم.

قال أبو العباس ابن تيمية - رحمه الله - في بيان منهج السلف: "ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ويعتقدون معنى قوله: " أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا " ويندبون إلى: أن تصل من قطعك ، وتُعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، ويأثرون ببر الوالدين ، وصلة الأرحام ، وحسن الجوار ، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل ، وينهون عن الفخر والحياء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق ، ويأثرون بمعالى الأخلاق ، وينهون عن سفاسفها".

عباد الله:

إن الإسلام لم ينتشر في كثير من البلاد بسيف ولا سلاح ، وإنما نشرته أخلاق المسلمين ، وقيم التجار الصالحين ، إنها قيمنا الإسلامية التي قبسها منا الآخرون فانتجوا بها ونجحوا ، ومن قرأ التاريخ وتأمل مصارع الغابرين وجد أن الانحلال الأخلاقي ، والفساد السلوكي ، والغش والخيانة ، والترف والرخاوة والتلهي بالنعيم ، والأثرة والأنانية هي السُم الذي يسري في كيان الأمم حتى يصرعها في نهاية الطريق.

وإن الغيور على دينه وأمته ، الناصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ليتقطع قلبه أسفاً ، ويتحرق خوفاً ووجلاً حين يرى قيم الأمة تتحطم على يد إعلام هابط يدنس ثوب الحياء والحشمة بمشاهد التعري والفجور ، ويهدم صرح الجِدِّ والهمة بنشر ثقافة اللهو والطرب ، والتفاهة والعبث.

ويحزن الغيور أن يرى بين أفراد المجتمع المسلم هوى متبعاً ، وشحاً مطاعاً ، ودنيا مؤثرة ، وأصبحت القيم الدخيلة التي لا تنسجم مع فطرتنا وعقيدتنا تحل محلها؛ فالفردية والأنانية ، وحب المادة ، والركض وراء الشهوات ، والتخلي عن معاني الإنسانية أصبح لها حضور في المجتمع.

والخوف كل الخوف أن تتحلل الفضائل والسلوكيات وتذوب في المجتمع وأن ينساها الجيل ، وربما يتنازل عنها مقابل الماديات والمدنية المزعومة ، وهي قيم وثوابت؛ بل هي هوية الأمة.

إن الراصد والمتأمل يرى ظواهر سلبيةً مُخيفةً في الأخلاق والسلوك ، وهي مؤشرات لوجود خللٍ ينبغي تداركه قبل فوات الأوان؛ حيث لا يمكن التدارك.

فيا أيها المصلحون ، ويا أهل التربية والتعليم! الأخلاق الأخلاق ، والقيم القيم ، أدركوا سفينة المجتمع قبل أن تغرق؛ فإن السفينة إن ملأها الماء لا يغرق من خرقها وحده ، وإنما يغرق الجميع ، والنار إن شبت في البيت لا تَحرق من أضرَمها وحده ، وإنما تُحرق الجميع ، والفجور إن انتشر لا يهلك الفاجر ، وإنما يهلك الجميع ، ولا تثبت قدم حضارة الأمم إلا على ظهر المبادئ والقيم ، فإذا انهارت القيم زلت القدم ، وسقطت الأمم.

إن الحفاظ على قيم الحياء والعفاف هو صمام الأمان للمجتمع إزاء الكوارث الخلقية التي أصابت العالم في مقتل.

عباد الله:

القيم والمبادئ قيمٌ مطلقة لا مساومةَ عليها ، ولا تنازل عنها لأي ظرف؛ بل إن الظروف تطوَّع لها ، وتموت شعوبٌ وهي تُكافح عن مبادئها ، وتُناجح أممٌ لتبقى قيمها ، وتحمل في سبيل ذلك نفس الأرواح ، وهدر المال ، وهدم الديار.

تجب العناية بالتربية الأخلاقية للشباب لحمايتهم من الانجراف في مُستنقع الشهوات ، ومن الغرق في حمئة الرذيلة ، والتنبه إلى الإعلام المُستهتر والمُسخر لهدم الأخلاق ، ونسف الفضائل ، والدعوة إلى شرع الشهوات بما ينشر من الصور والأفكار ، وبما ينال من أصحاب الشرف والفضيلة.

حتى تطبّع الناس بما كثرت ملامستهم له مما يُعرض في الأفلام والمسلسلات ووسائل الإعلام المختلفة ، ومنها: الخلط في قضايا المرأة ودعاوى الانفلات تحت شعارات الحرية والتحرر ، وليست إلا انقلاباً على المبادئ والقيم ، وإغراقاً للمجتمع في مُستنقع الأوحال.

أيها المسلمون:

وفي ظلّ التواصل المعرفيّ المنفتح تتلقّف العقولُ الأفكارَ الوافدةَ الغريبةَ ، وسُرعان ما تتعايشُ هذه العقولُ مع هذه الأفكار والرؤى ، وليس التعجّب من ورود الأفكار إلى عقولِ الناس ، ولكن العجب هو قبولُ الناسِ لهذه الأفكارِ الغريبةِ الشاذّة ، واعتناقها بمجرد تلقّيها ، وهذا يدلُّ على خللٍ كبيرٍ في الفَناعات ، وانفصامٍ بين التلقين والتربية ، يجب أن نتجاوزَ مرحلةَ التلقينِ إلى مرحلةِ غرسِ المبادئِ والتربيةِ عليها.

إنه خطرٌ مُقلقٌ نواجهه كلَّ يومٍ ، صراعٌ قويٌّ بين المبادئِ والقيمِ وبين الدّخيلِ على هذه القيمِ ، يكادُ يُزعزعُ قناعاتِ الناسِ بهذه المبادئِ بما يملكُ من قوةٍ تأثيريّةٍ ، وبسيطرتها على كثيرٍ من المنافذِ الإعلاميّةِ ، وبها يتسلّلُ إلى مشاعرٍ وأحاسيسِ الناسِ فيعبثُ فيها كيف يشاءُ ، ويقودُها حيثما أرادَ ، مُستغلاً ولعَ الناسِ بالدنيا ، وجهلهم بحقيقةِ الأمور ، وانبهارهم بزيفِ الحضارةِ الماديةِ ، وانخداعهم بانحغالِ الناسِ إليها ، ناسينَ أن الأكثريةَ ليست معياراً للحكم على صحةِ المبدأ ، ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠٣) ، ﴿ وَإِنْ تُطِغْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١١٦) .

فالجمهرة والغوغائية لا تُغيّرُ من حقائقِ الأمور ، ولا تُصيرُ القبيحَ حسناً ، والمبادئُ إنما تستمدُّ صحتها من ذاتها ، فتوازنها وتكاملها وتناسقها وانسجامها مع الفطرة ، وعدمُ اعتراضها أو تصادمها مع شريعةِ ربّها يمنحها القيمةَ والاعتبارَ؛ فهي مبدأٌ بهذا الأساسِ.

والمبادئُ الزائفةُ ليس لها قيمةٌ حيث بُنيت على جُرفٍ هارٍ؛ إذ تستمدُّ قيمتها من عقولٍ محصورةٍ الزمانِ والمكانِ ، ملوّثةٍ بالأهواء ، مُشوّهةٍ في الاعتقادِ.

659 سورة يوسف

660 سورة الأنعام

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٢) ﴿٦٦١﴾ .

بارك الله لي ولكم في الكتاب والسنة ، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثانية

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، وأشهد أن إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .
وبعد ، أيها المسلمون:

قيمة نبيلة تحتضن كثيراً من القيم ، وتنتج كثيراً من المكاسب ، وهي: الوحدة والاتحاد؛ إذ هي قوة إضافية للفرد والجماعة تُعزز الثقة بالنفس وبالقيم والدين لئلا تبتلع مُتغيّرات السياسة والأخلاق الكيانات المتفرقة ، فالوحدة مطلب شرعي ، ومكسب سياسي ، وقوة اقتصادية ، وحصانة أمنية .

وقد وفق الله خادم الحرمين الشريفين للدعوة إليه ، ووفق قادة الدول الخليجية للترحيب به ، سائلين الله - عز وجل - أن يُيسر تمامه وقيامه؛ إذ هي رغبة لشعوب تلك الدول وأمنية من أمانهم ، وهي خطوة مهمة في درب الجِد الطويل ، وغصّة في حلق كل مُتربصٍ وشاني .

وإنها لدعوة مباركة ، ونداء مُخلص ، وبادرة موفقة ينبغي لكل مسؤول بحسبه أن يساهم في تحقيقها ، ويُدلل من عقباتها ، ويبني ما استطاع من صرحها؛ فمن رأى فرحة تلك الشعوب بمشروع الاتحاد لم يهنّ عليه التخاذل في تحقيقه.

فشكر الله لخدام الحرمين الشريفين تلك الدعوة ، وشكر لقادة الخليج ذلك الترحيب ، وأجرى الله الخير على أيديهم لشعوبهم ، وجعلهم حُرّاً للقيم والنفوس والأوطان.

ثم الصلوات الزاكيات ، والتسليمات الدائمات على أشرف خلق الله: محمد رسول الله ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغر الميامين ، اللهم ارض عن الأئمة المهديين ، والخلفاء الراشدين: أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وعن سائر صحابة نبيك أجمعين ، ومن سار على نهجهم واتبع سنتهم يا رب العالمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمّر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم من أرادنا وأراد بلادنا بسوءٍ أو فرقة فرّد كيده في نحره ، واجعل تدبيره دماراً عليه.

اللهم آمناً في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا ووليّ أمرنا ، اللهم وفقه لهداك ، واجعل عمله في رضاك ، وهبى له البطانة الصالحة ، اللهم وحد به كلمة المسلمين ، وارفع به لواء الدين ، اللهم وفق وليّ عهده وسدّده وأعنه على ما حمّل ، واجعله مباركاً موفقاً لكل خيرٍ وصالح.

اللهم ادفع عنا الغلا والوبا ، والربا والزنا ، والزلازل والمحن ، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ، اللهم احقن دماءهم ، وآمن روعاتهم ، وسدّ خللتهم ، وأطعم جائعهم ، واحفظ أعراضهم.

اللهم عليك بالطغاة الظالمين ، اللهم عليك بهم فإنهم لا يُعجزونك.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

اللهم انصر المُستضعفين من المسلمين في كل مكان ، واجمعهم على الحق يا رب العالمين ،
اللهم انصرهم في فلسطين على الصهاينة المُحتلين ، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا
يُعجزونك.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿٦٦٢﴾ .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، ربنا اغفر
لنا ولوالدينا ولولديهم وذرياتهم ، إنك سميع الدعاء.

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من
القانطين ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا غيثاً هنيئاً مريئاً سحاً غدقاً طبقاً مُجللاً
نافعاً عامماً ، اللهم نافعاً عامماً ، نافعاً غير ضار ، تُحيي به البلاد ، وتسقي به العباد ،
وتجعله بلاغاً للحاضر والباد.

اللهم سقيا رحمة ، اللهم سقيا رحمة ، اللهم سقيا رحمة ، لا سقيا عذاب ولا بلاء ولا هدم
ولا غرق.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة : أسباب العقوبات العامة

تاريخ إلقاء الخطبة : الرابع من ربيع الأول من عام ١٤٣٣ هـ

— أسباب العقوبات العامة —

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب — حفظه الله — خطبة الجمعة بعنوان: "أسباب العقوبات العامة"، والتي تحدّث فيها عن أسباب العقوبات العامة التي يُترلّها الله على الأمم، وذكر من أعظمها: الشرك بالله، والظلم، وانتشار الفواحش، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من الأسباب، ودلّل على ذلك بالأدلة من الكتاب والسنة.

الخطبة
الأولى

—

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلّل لا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمدٍ - صلى الله عليه وسلم -، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة.

ثم إن خير الوصايا: الوصية بتقوى الله تعالى، فما جاورت قلباً إلا سلّم، ولا خالطت عقلاً إلا رجح، وما تلبس بها أحدٌ إلا صلح، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا

(٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

(٧١) ﴿٦٦٣﴾ .

أيها المسلمون:

كل البشر يسعون إلى الحياة الهائلة السعيدة ، ويسخرون كل إمكاناتهم وطاقاتهم لتجنب أسباب الشقاء والعذاب؛ فضلاً عن الفناء والهلاك ، فإذا تحقق لهم خيرٌ حافظوا عليه بكل الوسائل وخافوا من فواته أو نقصه.

وكم من أمةٍ كانت آمنةً مطمئنةً تُجبي إليها ثمرات كل شيء ، ويأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، لم يخفق فيها قلبٌ من خوفٍ ، ولم تتصور نفسٌ من جوعٍ ، فانقلبت أحوالها في طرفة عين ، فإذا بالنعمة تزول ، وإذا بالعافية تتحول ، وإذا بالنقمة تحلُّ.

وكم حكى الزمان عن دول وأمم وأفرادٍ وجماعات أتت عليهم عقوبات تستأصل شأفتهم ، وتمحو أثرهم ، لا ينفع معها سلاحٌ ولا تُغني معها قوةٌ ، وكلُّ أحدٍ من البشر له مدفعٌ ومنه حيلةٌ ، ولا ملجأ من ربنا ولا منجاة منه إلا إليه ، فهو القويُّ القاهر ، والعزيزُ القادر ، وهو العظيمُ الذي لا أعظم منه.

ولله مع خلقه أيامٌ وسُننٌ؛ فأين ثمود وعاد؟ وأين الفراعنة الشداد؟ أين من قَدُّوا الأرضَ ونحتوا الجبال ، وحازوا أسباب القوة واحتاطوا للنوائب؟ لما نسوا الله أوقع بهم بأسه ، فصاروا بعد الوجود أثراً ، وأصبحوا للتاريخ قصصاً وعبراً ، ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٦٦٤﴾ .

عباد الله:

إن سنة الله لا تُحابي أحداً ، وليس لفردٍ ولا لمجتمعٍ حصانةٌ ذاتيةٌ ، وحين تُقصرُ أمةٌ في توقي أسباب المصائب العامة فإن عليها أن تتقبل نتيجة التقصير ، والسعيد من اتَّعَظَ بغيره ، وليست أمةٌ بمنأى عن العذاب إذا عقدت أسبابه ، ولا في مأمنٍ من العقاب إن سلكت سبيله وفتحت للذنوب أبوابه ، ولذلك أكثر الله تعالى من وعظ هذه الأمة بمصارع الأمم الغابرة ، وحذر الآمنين من مكره الذين لا يُقدِّرون الله حقَّ قدره ، ولا يقفون عند فهمه وأمره ، فقال - عز وجل - : ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ (٤٧) ﴾ وقال - عز وجل - : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) ﴾ .

إن الأمن من مكر الله كبيرة من الكبائر؛ عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: "الكبائر: الإشراك بالله ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله ، والياس من روح الله"؛ رواه الطبراني والبيهقي.

ولهذا كان أعرف الخلق بربه وأخشاهم له - صلى الله عليه وسلم - " إِذَا رَأَى غَيْمًا وَرِيحًا عَرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، النَّاسُ إِذَا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرَحُوا بِهِ رَجَاءً أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ ، فَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتُهُ عَرَفْتُ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةَ ؟ ، فَقَالَ : " يَا عَائِشَةُ ! مَا يُؤْمِنُنِي أَنْ

يَكُونُ فِيهِ عَذَابٌ ، عَذَّبَ قَوْمٌ بِالرَّيْحِ ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا: ﴿ هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا ﴾ (٢٤) ٦٦٧ " ؛ متفق عليه.

أيها المسلمون:

لقد أخبر - عليه الصلاة والسلام - عن أنواع المصائب التي كان يخشى أن تنزل بأمته ، وحذّرهم من أسباب نزولها ، فقال: " خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ ، لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ ، حَتَّى يُعْلِنُوا ، بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ ، الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَصَّتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ، إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ ، وَشِدَّةِ الْمُنُونَةِ ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنَعُوا الْقَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَيْمَتُهُمْ بَكِتَابِ اللَّهِ ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهَمٍ بَيْنَهُمْ " ؛ أخرجه ابن ماجه ، والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي.

فظهور الفاحشة في واقع المسلمين وفي وسائل الإعلام ، والتطيف في المعاملات ، ومنع الزكاة ، وخيانة الأمانة ، ونقض العهود ، وتحكيم الهوى ونبد الشريعة؛ تلك هي أكبر أسباب المصائب العامة التي إذا نزلت بقوم لم يسلم من وطأها أحد.

ومن أسباب العقوبات العامة: ما أخبر عنه المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بقوله: " يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَقَذْفٌ وَمَسْخٌ " ، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَتَى ذَاكَ ؟ قَالَ : " إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَازِفُ ، وَكَثُرَتِ الْقِيَانُ ، وَشَرِبَ الْخُمُورُ " ؛ رواه الترمذي.

قال ابن القيم - رحمه الله - : " المسخ واقع في هذه الأمة ولا بُدَّ ، وهو في طائفتين: علماء السوء الكاذبين على الله ورسوله ، الذين قلبوا دين الله وشرعه ، فقلب الله تعالى صُورَهُم

كما قلبوا دينه ، والمجاهرين المتهتكين بالفسق والحارم ، ومن لم يُمسح منهم في الدنيا مُسح في قبره أو يوم القيامة".

أيها المؤمنون:

إن المسؤولية في المجتمع على كل فرد فيه ، وجاء الأمر باتقاء المصائب العامة مُوجَّهاً إلى كل أحد ، كل بحسبه ، قال الله - عز وجل - : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً (٢٥) ﴾ ٦٦٨ .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : "أمر الله المؤمنين ألا يُقرُّوا المنكر بين ظهرانيهم ، فيُعَمِّهم الله بالعذاب ، يُصيبُ الصالحين منهم ما أصاب الناس ، يهلكون مهلكاً واحداً ، ويصدرون مصادر شتى ، يبعثهم الله على نياتهم".

عباد الله:

إن اتقاء هذه المصائب العامة لا يكون إلا بتوقِّي أسبابها ، والظلم من أعظم أسباب العذاب العام ، فبسببه هلكَت الأمم السالفة والقرون الخالية ، وبسببه تسقط الدول ، وتهلك القرى ، ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (٥٩) ﴾ ٦٦٩ ، ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١) ﴾ ٦٧٠ .

٦٦٨ سورة الأنفال

٦٦٩ سورة الكهف

٦٧٠ سورة الأنبياء

والله - عز وجل - يُمَهِّلُ وَلَا يُهْمِلُ ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (١٠٢) ٦٧١ » ؛ أخرجه البخاري .

فاحذروا ظلم العباد وهضم حقوق العُمَّال والضعفاء ، فضلاً عن المظالم العامة التي يطال ضررها الكثيرين .

ومن الظلم : خذلان المظلوم والتخلي عن نصرته ؛ فإن ذلك مؤذنٌ بالعقوبة ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ " ؛ أخرجه الترمذي ، وقال : حديثٌ صحيحٌ .

وأشدُّ الظلم ما يُسبِّبُ فواتَ الدين أو النفس أو العرض أو المال .

أيها المؤمنون :

والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر أمانةٌ من العذاب ، ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (١١٧) ٦٧٢ فما أعظم بركة المصلحين ، وما أقبح أثر الناس عليهم !

ومن سنة الله في عباده : أن المنكر إذا فشا فيهم ولم يُغيِّروه فإن العقوبة تشملهم والعذاب يُعمَّهُم ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ ، فَلَا يُنْكِرُوهُ ، فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ عَذَّبَ اللَّهُ الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ " ؛ أخرجه الإمام حمد ، وحسنه الحافظ ابن حجر .

وعن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا ،

671 سورة هود

672 سورة هود

وَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَسْفَلُهَا ، فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيْبِنَا خَرْقًا فَاسْتَقَيْنَا مِنْهُ وَلَمْ تُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ، فَإِنْ تَرَكَوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا " ؛
أخرجه البخاري.

وعن زينب بنت جحش - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ. فَتُحِ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ" وَحَلَقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامَ، وَالَّتِي تَلِيهَا.

قَالَتْ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ. إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ " ؛ متفق عليه ، واللفظ للبخاري.

وأخرج الإمام أحمد ، والترمذي وحسنه من حديث حذيفة بن اليمان أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَنْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ عِنْدِهِ ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ " .

وقال - عليه الصلاة والسلام - : " مَا مِنْ قَوْمٍ يَعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا ثُمَّ لَا يُغَيِّرُوا إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ " ؛ أخرجه الإمام أبو داود.

عباد الله:

ومن أسباب العقوبات العامة: كُفْرَانِ النَّعَمِ ، ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (١١٢) ٦٧٣ الجوع والخوف شبح يُرْعِبُ كُلَّ الْأَحْيَاءِ ، ولقد قال: ﴿

فَكَفَرْتَ بِأَنْعَمِ اللَّهِ (١١٢) ﴿٦٧٤﴾ ولم يقل: كَفَرْتَ بِاللَّهِ؛ ذلك أن كُفْران النِّعَم سبب الجُوع والخوف ، وسبب الفتن والاضطراب في الأمن والمعيش ، وإنما تثبت النعمة بشكر المنعم.

وإن الله تعالى أعطى فأجزل ، وأنعم فتنفصل ، ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا (٣٤) ﴿٦٧٥﴾﴾ وقد وعد - سبحانه - وأوعد ، فقال - وهو القادر - : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧) ﴿٦٧٦﴾﴾ .

ومن كُفْران النِّعَم: الإسراف والتبذير ، وإهانة الطعام ، والطغيان ، والتباهي بما يجلب سخط الله ومقتته.

أيها المسلمون:

ومن أسباب العقوبات العامة: الغفلة والإغراق في اللهو والعبث؛ جاء في "المُسند" عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ " . ثم تلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) ﴿٦٧٧﴾﴾ .«

قال الحسن - رحمه الله - : "مكر بالقوم - ورب الكعبة - ، أعطوا حاجتهم ثم أخذوا". وقال قتادة: "بغت القوم أمر الله ، وما أخذ الله قوماً قط إلا عند سكرتهم وغررتهم ونعمتهم".

674 سورة النحل

675 سورة إبراهيم

676 سورة إبراهيم

677 سورة الأنعام

فلا تغترُّوا بالله ، إنه لا يغترُّ إلا القومُ الفاسِقون ، وحاذروا الترف ، والركونَ إلى الدنيا والتسابقَ فيها؛ فإنه الداءُ الذي أهلكَ الأممَ السابقة ، وهو ما حذَّرَ النبي - صلى الله عليه وسلم - أمته منه ، حين حذَّرها من فتنة الدنيا والتسابق فيها ، فقال: " **فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ** " ؛ متفق عليه.

وقال: " **إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا** " ؛ متفق عليه.

ومن أعظم أسباب العقوبات العامة: انتشارُ الفواحش والزنا ، وأسبابُ الفسوق المؤدية إليها ، قال الله - عز وجل - : ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا** ﴾ (١٦) ﴿٦٧٨﴾ وقال - صلى الله عليه وسلم - : " **لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاغُوتُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضُوا** " ؛ أخرجه ابن ماجه ، والحاكم وصححه.

فحافظوا على أمنكم - أيها المؤمنون - ، وحاذروا غضبَ الجبار ، وتوقَّوا أسبابَ غضبه لعلكم تتقون.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثاني

الحمد لله على إحسانه ، والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

عباد الله:

والسبب الذي ترجع إليه كل أسباب العقوبات العامة بعد الشرك بالله: هو الذنوب والمعاصي؛ فهي التي تُزيل النعم ، وتُحِلُّ النقم ، وتُحدث في الأرض أنواعاً من الفساد في الماء والهواء ، والزرورع والثمار ، والمساكين والأرزاق ، والأمن وسائر الأحوال ، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١)﴾ ، وقال - سبحانه - : ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ مَّكَّانَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٦)﴾ وقال - سبحانه - : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ (٤٠)﴾ وقال - عز من قائل - : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠)﴾ .

وما المعاصي إلا خراب للديار العامرة ، وسلب للنعم الظاهرة والباطنة ، فبادروا بالتوبة والاستغفار؛ فذلك أمان من العذاب ، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ

مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ٦٨٣ الاستغفار سبب لرحمة الله ولطفه ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ
اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٤٦) ٦٨٤ .

وكذا الإيمان والتقوى ، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ﴾ (٩٦) ٦٨٥ أما إذا غيّر العباد أو بدّلوا فإن سنن الله لا تُحابي.

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجاءة نقمتك ، وجميع سخطك.

هذا؛ وصلّوا وسلّموا على النبي المصطفى والرسول المجتبي ، اللهم صلّ وسلّم وبارك على
عبدك ورسولك محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغر الميامين ، اللهم ارض عن
الأئمة المهديين ، والخلفاء الراشدين: أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وعن سائر
صحابه نبيك أجمعين ، ومن سار على نهجهم واتبع سنتهم يا رب العالمين.

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين ، وأذلّ الشرك والمشركين ، ودمّر أعداء الدين ، واجعل هذا
البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم من أرادنا وأراد بلادنا بسوءٍ أو فرقة فرّد كيده في نحره ، واجعل تدبيره دماراً عليه.

اللهم آمناً في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا ووليّ أمرنا ، اللهم
وقّقه لهذا ، واجعل عمله في رضاك ، وهبّ له البطانة الصالحة ، اللهم وحدّ به كلمة
المسلمين ، وارفع به لواء الدين ، اللهم وفق وليّ عهده وسدّده وأعنه على ما حمّل ،
واجعله مباركاً موفقاً لكل خيرٍ وصلاح.

اللهم ادفع عنا الغلا والوبا ، والرّبا والزّنا ، والزلازل والمحن ، وسوء الفتن ما ظهر منها
وما بطن.

683 سورة الأنفال

684 سورة النمل

685 سورة الأعراف

اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ، اللهم احقن دماءهم ، وآمن روعاتهم ، وسد خللتهم ، وأطعم جائعهم ، واحفظ أعراضهم.

اللهم عليك بالطُّغاة الظالمين ، اللهم عليك بهم فإنهم لا يُعجزونكَ.

اللهم كن لإخواننا في سورية ، اللهم أصلح أحوالهم ، واحقن دماءهم ، وآمن روعاتهم ، يا حيُّ يا قيُّوم ، يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان ، واجمعهم على الحق يا رب العالمين ، اللهم انصرهم في فلسطين على الصهاينة المحتلين ، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يُعجزونكَ ، اللهم عليك بالطُّغاة والظالمين ، اللهم عليك بهم فإنهم لا يُعجزونكَ.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿٦٨٦﴾ .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم ، إنك سميع الدعاء.

نستغفرُ الله ، نستغفرُ الله ، نستغفرُ الله الذي لا إله إلا هو الحيُّ القيُّوم ونتوبُ إليه ، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين

، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا غيثاً هنيئاً مريئاً سحاً طبقاً مُجَلِّلاً عَامّاً نافِعاً غيرَ
ضارٍّ ، تُحْيِي به البلاد ، وتسقي به العباد ، وتجعله بلاغاً للحاضرِ والبادِ .

اللهم سقيا رحمة ، اللهم سقيا رحمة ، اللهم سقيا رحمة ، لا سقيا عذابٍ ولا بلاءٍ ولا هدمٍ
ولا غرقٍ .

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وَثُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ .

سبحان ربِّكَ ربِّ العزة عما يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

عنوان الخطبة : الشام .. فضلها وتاريخها

تاريخ إلقاء الخطبة : الثاني من ربيع الآخر من عام ١٤٣٣ هـ

– الشام .. فضلها وتاريخها –

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب – حفظه الله – خطبة الجمعة بعنوان: "الشام .. فضلها وتاريخها" ، والتي تحدّث فيها عن الشام وفضلها من الكتاب والسنة ، وذكر بعض الدلائل النبوية عنها ، ثم أشادَ بصبر وجلد أهلها على مرّ العصور ، ونبّه إلى ضرورة التحلّي بالصبر على هذا الابتلاء مُعدّداً بعض فضائل الصبر.

الخطبة

أول

—

الحمد لله ، الحمد لله الذي تحوّل بأمره الأحوال ، يُدالّ الأيام فكم من دُول أدلّ عليها ثم أدالَ ، وكم من زُمرة تسلّطت وظنّت خلودَ سلطانها فرلّت ثم زالت ومُلْكُها زال ، أحمدُ ربّي – سبحانه – وأُثني عليه وأشكّره وأتوبُ إليه وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله الكبيرُ المتعال ، يُمهّلُ من غير إهمال ، وهو شديدُ المحال عظيمُ النّكال ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أكرمُ الرسل وأتمّ الرجال ، صلّى الله وسلّم وبارك عليه وسلّى على الصّحب والآل.

أما بعد:

فإن خيرَ الحديثِ كتابُ الله ، وخيرَ الهدي هديُّ محمدٍ – صلى الله عليه وسلم – ، وشرُّ الأمور مُحدثاتها ، وكلُّ مُحدثَةٍ بدعة ، وكلّ بدعةٍ ضلالة.

ثم إن خير الوصايا: الوصية بتقوى الله تعالى ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ ٦٨٧ .

أيها المسلمون:

حين دحا الله الأرض وأجرى يد الخلق على الخليقة ، جعل فيها بلادًا وذرأً فيها بشرًا ، ثم اصطفى الله من هذه البلاد بلادًا ، ومن البشر بشرًا ، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ (٦٨)﴾ ٦٨٨ فكانت مكة والمشاعر وطيبة الطيبة ، وكان شامًا منها بلاد الشام. واصطفى الله من البشر أنبياءه ورسله ، وقضى لبلاد الشام حظًا وافراً منهم ، فجعل أرضها مدرج الأنبياء ، ومُتَرَلَّ الوحي من السماء ، هي أرض الحشَر والنشَر ، وحين يبعث الله المسيح ابن مريم في آخر الزمان لا يتزل إلا فيها ، عند المنارة البيضاء شرقي دمشق؛ رواه مسلم.

طوبى للشام! ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها ، إنها بلاد باركها الله بنص الكتاب والسنة؛ فهي ظئر الإسلام وحاضنته ، وعاصمته حيناً من الدهر ، سَطَّرت على أرضها كثير من دواوين الإسلام ، ودُفِن فيها جموع من الصحابة ومن علماء المسلمين. كم ذرقت على ثراها عيون العباد ، وعُقدت في أفيائها ألوية الجهاد ، وسال على دفتريها بالعلوم مداد ، وجرت على ثراها دماء الشهداء: صحابة وأخياراً وأصفياء ، وتداول الحكم فيها ملوك وسلاطين ، أضافوا للمجد مجدداً وللعز عزاً.

كُسرت على ربها حملات صليبية تقاطرت عليها مائتي عام ، قارب أعداد الجند فيها سكان بلاد الشام كلها.

إذا عُدَّت حضارات الإسلام ذُكرت الشام ، وإذا ذُكر العلم والفضل والفتوح ذُكرت الشام ، هي أرض الأنبياء ، وموئل الأصفياء ، وما زار النبي - صلى الله عليه وسلم - بلاداً خارج الجزيرة إلا بلاد الشام.

وفي آخر الزمان عندما تكون الملحمة الكبرى يكون فسطاط المسلمين ومجمع راياتهم بأرض الغوطة فيها مدينة يُقال لها: دمشق ، هي خير مساكن الناس يومئذٍ؛ كما أخرجه الطبراني من قول النبي - صلى الله عليه وسلم - .

ولقد أدرك الصحابة - رضي الله عنهم - دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - : " اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا " ؛ رواه البخاري.

وقوله - صلى الله عليه وسلم - : " إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ ، لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورَةً عَلَى النَّاسِ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ " ؛ رواه الترمذي.

فلم يلبثوا بعد رحيله - صلى الله عليه وسلم - إلا قليلاً ، حتى توجَّهت قلوبهم إلى الأرض التي بارَكها الله ، ووصَّى بها رسولُ الله ، فحفقت إليها بيارقُ النصر ، ورفرفت في روابيها ألويةُ الجهاد ، وسطَّرت ملامحُ من نور ، ونشرَ الإسلامُ رِداءه على الشام ، تُزجيه طلائعُ الإيمان ، يتقدَّمهم خالدُ بن الوليد ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة ، وعمرو بن العاص ، ويزيدُ بن أبي سفيان ، والقعقاعُ بن عمرو ، وضرارُ بن الأزور ، وفيهم ألفُ صحابيٍّ منهم مائةٌ ممن شهدَ بدرًا ، وتوالى عليها الصحبُ الكرامُ.

قال الوليدُ بن مُسلم: "دخلت الشامَ عشرةَ آلافِ عينٍ رأت رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم -".

عيونٌ بعد طُهر المدينة ترى نظرةَ الشام ، ولا غرو؛ فقد اختارها النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه ، ووصَّى بها الخُلصَ من أصحابه؛ قال - صلى الله عليه وسلم - : " سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ تَكُونُوا جُنُودَ مُجَنَّدَةٍ ، جُنْدٌ بِالشَّامِ ، وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ ، وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ " ، فَقَالَ ابْنُ حَوَالَةَ : خَيْرٌ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ ، قَالَ : « عَلَيْكَ بِالشَّامِ ، فَإِنَّهُ خَيْرُهُ لِلَّهِ مِنْ أَرْضِهِ ، يَجْتَبِي إِلَيْهِ خَيْرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ ، وَاسْقُوا مِنْ غُدْرِكُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ " ؛ أخرجه الإمام أحمد ، وأبو داود.

وصارت الشامُ عاصمةَ الإسلام ، قامت فيها أولُ ممالك الإسلام وأعدلُ ملوك الإسلام ، شَعَّ منها نورُ العلم ، وبُسِطَ فيها رِداءُ العدل ، ونُشِرت فيها قِيمُ الحق والحرية ، وسَطَّرَ المسلمون هنالك أروعَ الأمثلة في حُسن الجوار ، وكرم التعامل مع الآخرين.

وحفظَ المسلمون لأهل الأديان ذِمَّهم ، وتركوا لهم مذاهبهم ومعابدهم ، فعاش الناسُ في تسالُمٍ وأمانٍ ، أحرارًا في أرضهم ومعتقدهم ، ونالت الشامُ بركةَ العدل ، فرغدَ عيشها ، ووفَّرَ رزقها ، حتى قال عُمرُ بنُ عبد العزيز وهو مُترَبِّعٌ على عرشها: " انشروا الحبَّ على رؤوس الجبال حتى لا يُقال: جاعَ طيرٌ في بلاد المسلمين " .

وتكسَّرت على رُباها جيوشُ التَّتر ، وعلا فيها نورُ الإسلام وانتصر ، حتى صارَ السائلُ يسألُ ابنَ تيمية - رحمه الله - : " هل المقامُ بالشام لظهور الإسلام بها أفضل أم بمكة والمدينة؟ " . ثم مضى الدهرُ ، ودالت الأيام ، وظهرَ على الأمر فيها من بظهوره استحالت حالها؛ فما الشامُ بالشامِ التي تعهد ، صَوَّحَ نبتُها ، وذبلَ زهرُها ، وضاقَ بأهلها العيشُ ، وترحَّلَ الأمنُ من مرابعها ، واقتطَعَ الأعادي جزءًا من أراضيها ، وما زال في أرض الشام العلماءُ والصالحون ، ومنهم من تفرَّقَ في الديار؛ تفرَّقوا عن أوطانهم مطرودين ، تُلاحِقُهُم يَدُ الظلمِ والبغي ، عيُونُهُم تفيضُ بالدمع ، والغرباءُ أكثرُ ما يكونون شفقةً على أهلهم وديارهم ، وهم يرون في الشاشات أماكن يعرفونها من بلادهم ، لهم فيها ذكرياتٌ وشجونٌ ، تقصِفُها الطائرات ، وتدكُّها المدافع .

أيها المسلمون:

الشامُ تركَةُ الفاتحين من الصحابة والتابعين ، ووديعةُ المُتقدِّمين من المسلمين للمُتأخِّرين ، تاريخُها مُلهم ، وحاضِرُها مؤلم ، وأهلُها لهم في الصبر حكايا تطول عسى صبرُهم إلى خيرٍ يؤول .

وإننا في الوقت الذي نستحضر فيه ذلك المجد وذلك التاريخ القديم لنقفُ على جُرحَيْنِ غائرين في بلاد الشام ، دمياً فاعتلت بترفهما الأمة ، كِلا الجُرحَيْنِ رطبٌ ، ومع ذلك تعملُ المناجلُ فيهما عملها: جُرحُ فلسطين ، وجُرحُ سوريا ، وبينهما ندوبٌ هنا وهناك ، وهي أيامٌ تمحيصٍ وابتلاءٍ .

أيها المسلمون:

كيف يستطيع إنسان في هذه الأيام أن يتجاوزَ مذابحَ القِيمِ في شامِنَا الحبيب وهو يرى غدرَ القريب ، وخذلانَ البعيد ، وخيانةَ الراعي للرعيّة ، مُقدّراتُ الشعب ومُكتسباته تُوظَّفُ لسحقه وإذلاله ، وسلاحه الذي يدفعُ به غائلةَ العدوِّ عاد على أوداجِ الشعبِ ذبحاً وتقطيعاً ، تُسحقُ الأمةُ لمصلحةِ أفرادٍ ما بالوا بها يوماً ، لقد كُشِفَ المستورُ ، وترنّحتِ الشعارات ، وتبيّن أن العدوَّ الذي وراء الحدود أرحمُ أحياناً من العدو الذي في داخل الحدود.

نساءً وأطفالاً لم يحملوا حتى الحجر ، نثرت صواريخُ الغدر حجارةً منازلهم ، وتشظّت تحت الرُّكام أجسادهم ، ترى الأذرعُ مبتورة ، والأجسامُ تحت رُكامِ المنازل مقبور ، في صورٍ تُنبئُ عن مقدارِ خواءِ نفوسٍ مُرتكبيها من الإنسانية والمثل ، وتجردُ أفعالهم من الشّيمةِ والثّبلِ ، جرت دماءُ الشاميين جريانَ دجلةِ والفُرات ، ليس على عدوّ ظاهرٍ؛ بل على يدٍ مُدّعي بعثِ العروبة وحِراسةِ العرب على وجهٍ لا يحتملُ العُذر ولا تسترُهُ المُبرّرات.

أيها الشاميون الكرام:

سلاحكم له كرامةٌ ، فلا يُدنّس بالنّيلِ به من إخوانكم ، وقوتكم ذخراً للعرب ، فلا تتقوؤا بها على أهليكم ، واجعلوا سلاحكم لأهلكم حامياً ، وعن أرضكم مُدافعاً ، لا عُذرَ لكم أمام الله والتاريخ أن تعود فوهات البنادق على صدوركم ، ويُذيقَ بعضكم بأسَ بعضٍ ، ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (٩٣) ﴿٦٨٩﴾ وحدوا الصفوف ، واجمعوا الكلمة ، واستعينوا بالله واصبروا.

عباد الله:

إن فضلَ الشام وكونها ثغرَ الإسلام يُحتّمُ على المسلمين التنادي لثُصرة أهلها ودفعِ البغي عنهم ، ورفعِ الضّيم عنهم ، ولقد جعل النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - صلاحَ الشام معياراً لصلاحِ الأمةِ كلها ، مما يُحتّمُ على المسلمين - كلِّ المسلمين - أن يدفعوا بما استطاعوا لكي لا تُغيّر يدُ الفسادِ وجهَ الشام الجميل ، وتبقى كما تاريخُها إيمانٌ وعلمٌ وحضارةٌ ونورٌ ، لا يُجوعُ فيها طيرٌ كما أراد عمرُ ، ولا يُروّعُ فيها بشرٌ؛ وفاءً للصحابة الفاتحين ، والعلماء الأماجد الذين توسّدوا ثرى الشام في رَقدةِ الدنيا الأخيرة ، وقياماً بحقّها كفاءً ما وهبته العرب والمسلمين.

ولقد نادى العقلاء الغيورون على مصالح الأمة ، وارتفع صوت خادِم الحرمين الشريفين من أول ساعة يُنادي بتحكيم الحق والعدل ، والمنطق والحكمة والعقل ، وتقديم المصالح العامة العليا على المصالح الشخصية حقناً لدماء المسلمين ، وحفظاً لوحدة صفّهم وأراضيهم ، ودفعاً للخلافات الطائفية والمذهبية ، وثباتاً على مواقف الدين والأخلاق ، ووقف - حفظه الله - صادقاً بكلمة الحق والعدل مع إخوانه وأصدقائه الغيورين.

فسدّد الله المساعي ، وأصلح الشان ، وجعل العواقب إلى خير .
وإنّا لنؤمّل في صُبح يطوي الليل الخانق ، وتنفس له الأزهار ، وتشرق به شمس الخلاص ، والأمل بالله كبير أن تعود إلى بشرها الأيام ، والسماء تُرجى حين تحتجب .
عسى الله أن يُبدّل ليّلكم صُبحاً ، وخوفكم أمناً ، ولأعكم عافيةً ، وأن يُوليّ عليكم خياركم ، ويكفيكم شرّاً شراركم ، ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢١) ﴿ ٦٩٠ 》 .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم .

الخطبة

الثاني

الحمد لله الوليّ الحميد ، يخلق ما يشاء ويحكم ما يريد ، وهو العدل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، بيده العطاء والمنع ، والابتلاء والمُعافاة ، - سبحانه وتعالى وتقدس - لا تخرج أفعاله وأوامره عن الحكمة والرحمة والمصلحة ، ونحن عبيده بنو عبيده بنو إمامه ، ماضٍ فينا حكمه ، عدلٌ فينا قضاؤه ، وهو - سبحانه - أحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين ، لا يقضي لأوليائه قضاءً إلا كان خيراً لهم ، ساءَ لهم ذلك القضاء أو سرّهم ، وله الحكمة البالغة المحمودة في كل ما يجري على المؤمنين حتى وإن كان القضاء في ظاهره بلاءً وشرّاً ، فإن في

طَيَّاتِهِ مِنَ الْحَكَمِ وَالْمَصَالِحِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ ، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢١٦) ﴿٦٩١﴾ .

وإذا أيقن المؤمنون بهذه الحقيقة ، وتعرفوا أوجه الخير والرحمة فيما يُصِيبُهم؛ امتلأت قلوبهم بالثبات والصبر ، وبالرجاء والأمل والثقة بوعده الله ، والاطمئنان إلى حسن تدبيره واختياره ، ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (١٩) ﴿٦٩٢﴾ .

إن الجرح غائر ، والمصاب عظيم ، والألم شديد ، ولكن الوعي الذي أحدثه هذا الدمار في الأمة كبير ، ولئن اشتكت الشام؛ فلقد تداعى لها جسد الأمة بالحُمى والسهر ، وظهر التلاحم بين المسلمين ، وسرت الحياة في جسداهم الواحد ، وضجت المساجد بالدعاء ، واستيقظت في الأمة مشاعر دفينه ، مشاعر كادت أن تنطمس ، وكادت أن تقضي عليها شهوات الحياة ، ولطالما حاول أعداء الإسلام تخديرها بالملهيات ووسائل الترفيه - زعموا -

وإذ بها تستيقظ من جديد ، وتتأجج في القلوب ، وهي ترى دماء الأجيال تجري على أرض الشام المباركة ، وعاد الناس عودة صادقة إلى الدين ، وبان صدق الصادقين ، وظهر خذلان الخاذلين ، واهتزت ثقة العالم بمنظّمته الدولية ، وتبين أنها لا تتحرك إلا وفق مصالحها الأنانية ، لا يؤثر في قلوب أربابها صرخ الأبطال ، وأنين الجرحى والمُعذّبين.

واستيقنت قلوب المؤمنين بقول الحق - سبحانه - : ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٦٠) ﴿٦٩٣﴾ .

رُوي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه أنشد:

ولا تجزع إذا ما نابَ خطبٌ
فكم لله من لطفٍ خفيٍّ

691 سورة البقرة

692 سورة النساء

693 سورة آل عمران

وكم يُسرّ أتى من بعد عُسرٍ
ففرَجَ كُرْبَةَ القلبِ الشَّجِيّ

وكم أمرٌ تُساءُ به صباحًا
وتأتيكِ المسرَّةُ بالعشيّ

إذا ضاقت بك الأحوالُ يومًا
فثق بالواحدِ الفردِ العليّ

أيها المؤمنون:

إن الله تعالى يُريدُ منّا عند كل مُصيبةٍ أو نازلةٍ أن نُكفِكَفَ العَبَرَاتِ ، وأن نَمسَحَ الأَحْزَانَ ،
وأن نُجَدِّدَ التَّوْبَةَ ، وألا هِنَ ولا نِيَّاسَ ، وأن نُدَافِعَ القَدَرَ بالقدرِ ، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا
وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩) ﴿٦٩٤﴾ .

معاشر المسلمين:

إن التعرُّفَ على أوجهِ الخيرِ والرحمةِ في هذه الأحداثِ ، والرضا بقضاءِ الله - عز وجل -
والتسليمُ لقدره لا يعني التواكُلَ والعجزَ ، والرضا بالفسادِ والذلَّةَ والمهانةَ ، وتركُ الأخذِ
بأسبابِ النصرِ والعِزَّةِ والكرامةِ ، ولكنَّه يُقَوِّي اليقينَ بوعدِ الله - سبحانه - ، والثقةَ بنصره
، والاطمئنانَ إلى قضائه وتدبيره .

الابتلاءُ رفعةٌ وتطهيرٌ وتمحيصٌ ، والشهادةُ اختيارٌ واصطفاءٌ ، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى
﴾ (٣٦) ﴿٦٩٥﴾ .

الألمُ يُولِّدُ الأملَ ، وبقدر ما يشتدُّ الكربُ يحصلُ اليقينُ بقُربِ الفرجِ ، واعلم أن النصرَ مع
الصبرِ ، وأن الفرجَ مع الكربِ ، وأن مع العسرِ يسراً .

بالصبر يكون المدد من السماء ، ﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ (١٢٥) ﴿٦٩٦﴾ .

وبالصبر يذهب أذى الأعداء ، ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ (١٢٠) ﴿٦٩٧﴾ .

ولقد أثنى الله على الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، فقال - سبحانه - : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (١٧٧) ﴿٦٩٨﴾ .

إنه لا بُدَّ من الصبر ولا بديل عنه ، لا بدَّ من الصبر على ما تُشيرُه الأحداثُ من الألم والغَيْظ ، ومن اليأس أحياناً والقنوط ، لا بُدَّ من الصبر ومن المُصابرة ، مُصابرة الظالمين الذين يُحاولون جاهدين أن يفلُّوا من صبر المؤمنين .

وإذا كان الباطل يُصِرُّ ويصبرُ ويمضي في الطريق ، فما أجدرَ أهلَ الحقِّ أن يكونوا أشدَّ إصراراً ، وأعظمَ صبراً ، ﴿ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١٠٤) ﴿٦٩٩﴾ .

فيا أهل الشام! ﴿ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٢٨) ﴿٧٠٠﴾ .

إن الله - عز وجل - قد تكفَّلَ لنبيه بالشام وأهله ، من تكفَّلَ الله به فلا ضيعةَ عليه ، وإن وصفَ الشام في الكتاب والسنة بالبركة لمُبشِّرٍ بأنه لن يطولَ فيها أمدُ الفتنِ والطُّغيان؛ لأنها موطنُ بركةٍ وأمنٍ وإيمانٍ

ولقد كان الشامُ مقبرةً لأعداءِ الأمةِ والكِبَارِ؛ ففيها انكسرَ الصليبيون والتتار ، وفيها يُغلبُ الروم - كما في حديثِ المَلَحمةِ الكُبرى - ، وفيها يهلكُ الدجَّالُ ومن تبعه من اليهود ، وقد جعل النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - فسادَ الشامِ مُؤذِناً بذهابِ الخيرِ من الأمة ، وجعل

696 سورة آل عمران

697 سورة آل عمران

698 سورة البقرة

699 سورة النساء

700 سورة الأعراف

صلاحها مُبَشِّرًا بصلاح أمرِ الأمةِ كلها ، وها هي اليوم تحيُّ البُشريات والليالي بالأمانِ حافلات.

وإننا لنُقَسِّمُ بالله - عز وجل - جازمين مُوقنين بما عوَدَنا ربُّنا من نُصرة أوليائه والدفاع عنهم إذا أخذوا بأسبابِ النصر ، بأن الكربَ والشدةَ لن تطُولَ على قومٍ أنزلوا حاجتهم بالله ، وهتفوا: يا الله ، ما لنا غيرُك يا الله! والله تعالى يقول: ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١٠١) ٧٠١ ، ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٧) ٧٠٢ ، ﴿ وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَالِبُونَ ﴾ (١٧٣) ٧٠٣ ، ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ (٤٠) ٧٠٤ ، ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (٥١) ٧٠٥ .

أيها المؤمنون:

إن انتظار الفرج من أعظم العبادات ، وإن اليأس من رحمة الله من كبائر الذنوب ، وعلى المؤمنين نيملاً قلوبهم الفأل بقرب الفرج واليقينُ بنهاية الظالمين ، ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ (٨٤) ٧٠٦ .

ولقد يُريد الله لعباده نصراً وفرجاً أعظم مما يظنون ، وتمكيناً أدوم مما ينتظرون ، ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (٣) ٧٠٧ . هذا؛ وصلُّوا وسلِّموا على النبي المصطفى والرسول المجتبي ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمدٍ وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغرِّ الميامين ، اللهم ارضَ عن الأئمة المهديين ، والخلفاء الراشدين: أبي بكرٍ ، وعمر ، وعثمان ، وعليٍّ ، وعن سائر صحابة نبيِّك أجمعين ، ومن سارَ على نهجهم واتبع سنتهم يا رب العالمين.

701 سورة آل عمران

702 سورة الروم

703 سورة الصافات

704 سورة الحج

705 سورة غافر

706 سورة مريم

707 سورة الطلاق

اللهم أعِزَّ الإسلام والمسلمين ، وأَذِلَّ الشرك والمشركين ، ودمِّر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم من أرادنا وأراد بلادنا بسوءٍ أو فُرقة فُرَّدَ كيدَه في نحْرِه ، واجعل تدبيرَه دمارًا عليه يا قويُّ يا عزيزُ.

اللهم آمِنّا في أوطاننا ، وأصلِح أئِمَّتِنَا وولاة أُمُورنا ، وأَيِّد بالحق إِمَامَنَا ووَلِيَّ أَمْرنا ، اللهم وفقه هُداكَ ، اللهم وفق خادِمَ الحرمين الشريفين هُداكَ ، واجعل عملَه في رِضاكَ ، وهبْ لَه البِطانَةَ الصالحة ، اللهم وحِّد به كلمةَ المسلمين ، وارفع به لواءَ الدين ، اللهم وفقه ووَلِيَّ عَهده وسدِّدْهم وأعِنْهم ، واجعلْه مُبارَكين مُوقِّعين لكل خير وصَلاح.

لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ
السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، عَزَّ جَارُكَ ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ ، وَتَقَدَّسَتْ
أَسْمَاؤُكَ ، اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا يُهْزَمُ جُنْدُكَ ، وَلَا يُخْلَفُ وَعْدُكَ ، وَلَا يُرَدُّ أَمْرُكَ ، سُبْحَانَكَ
وَبِحَمْدِكَ.

اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم أصلح أحوالهم في سوريا ، اللهم اجمعهم على الحقِّ واهدى ، اللهم احقن دماءهم ، وآمن روعاتهم ، وسدّ خلتهم ، وأطعم جائعهم ، واحفظ أعراضهم ، واربط على قلوبهم ، وثبّت أقدامهم ، وانصرهم على من بغى عليهم ، اللهم فكّ حصارهم ، اللهم فرجك القريب ، اللهم فرجك القريب .

اللهم إنا نستودِعُكَ إخواننا في سوريا ، اللهم إنا نستودِعُكَ دماءهم ، ونستودِعُكَ
أعراضهم ، ونستودِعُكَ أعراضهم يا مَنْ لا تضيعُ ودائعهُ ، اللهم إنا نستتِرُ نصرَكَ على
عبادك المُستضعفين المظلومين ، اللهم انتصرِ لليتامى والثَّكالى والمظلومين ، اللهم رُحماك بهم
رُحماك يا أرحم الراحمين ، ويا ناصرِ المظلومين.

اللهم عليك بالطُّغاة الظالمين ، اللهم عليك بهم فإنهم لا يُعْجزونكَ ، اللهم إنا نستترُ بِطُشْكِ
على القومِ المجرمين.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان ، واجمعهم على الحق يا رب العالمين.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿٧٠٨﴾ .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم ، إنك سميع الدعاء.

نستغفرُ الله ، نستغفرُ الله ، نستغفرُ الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوبُ إليه.
اللهم أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا غيثاً هنيئاً مريئاً سحاً غدقاً طبقاً مُجلاًلاً عامّاً نافعاً غيرَ ضارٍّ ، تسقي به العباد ، وتُحيي به البلاد ، وتجعله بلاغاً للحاضرِ والبادِ.
اللهم سقياً رحمة ، اللهم سقياً رحمة ، اللهم سقياً رحمة ، لا سقياً عذابٍ ولا بلاءٍ ولا هدمٍ ولا غرقٍ.

ربَّنَا تقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وثُب علينا إنك أنت التواب الرحيم.
سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة : لماذا الخوف من الإسلام؟

تاريخ إلقاء الخطبة : الرابع عشر من جمادى الأولى من عام ١٤٣٣ هـ

— لماذا الخوف من الإسلام؟ —

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب - حفظه الله - خطبة الجمعة بعنوان: "لماذا الخوف من الإسلام؟"، والتي تحدّث فيها عن الإسلام وفضله في نشر الخير والعدل للناس جميعاً، وفيها إيقاظٌ لذوي الأرباب والعقول بقراءة التاريخ الإسلامي قراءةً صحيحةً حياديّةً للتعرف على عظم الإسلام وشأن أهله منذ خمسة عشر قرناً، وقد أثار سؤالاً يُرجى من السياسيين والإعلاميين وغيرهم الجواب عليه، ألا وهو: لماذا الخوف من الإسلام؟.

الخطبة أول

—

الحمد لله، الحمد لله جعل دين الإسلام خاتمة الأديان وأتمّه، وجعل من انضوى تحت لوائه من خير أمة، الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلّل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا مُعقّب لحكمه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله تعالى حقّ التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿٧٠٩﴾.

اتقوا الله وارجئوه، وخافوه واخشوه حقّ خشيته؛ فليس الخائف من الله من يعصِرُ عينيه، إنما الخائف من ترك شهوته من الحرام وهو يقدرُ عليه، ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٤٦) ﴿٧١٠﴾.

عباد الله:

في حديث قصة بيعة العقبة ، لما اجتمع النبي - صلى الله عليه وسلم - سرًا بالأنصار ليُبايعوه على النصرة ، روى لنا كعب بن مالك - رضي الله عنه - قال: كان أول من ضربَ على يدِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - البراء بن معرور ، ثم تتابع القوم ، فلما بايعنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صَرَخَ الشَّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ الْعَقَبَةِ بِأَنْفَذِ صَوْتٍ سَمِعْتُهُ قَطُّ : يَا أَهْلَ الْجُبَابِجِ - وَالْجُبَابِجُ : الْمَنَازِلُ - هَلْ لَكُمْ فِي مُذَمَّمٍ وَالصُّبَاةِ مَعَهُ ، قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ !؟

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " هَذَا أَرَبُ الْعَقَبَةِ ، هَذَا ابْنُ أَرْيَبٍ ، اسْمَعْ أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ ، أَمَا وَاللَّهِ لَأَفْرُغَنَّ لَكَ .. " الحديث؛ رواه الإمام أحمد ، وغيره.

أيها الناس:

هذه أولُ صيحةٍ تخويفٍ من الإسلام ، ابتدأها شيطانٌ من شياطين الجنِّ ، وصوَّرَ في شائعته وذائعته تلك أن هذه الولادة المبكرة لكيان الإسلام إنما هي اجتماعٌ لحرب الناس. وعلى امتداد القرون التالية لم يزل في الإنس من يرث تلك الدعوى ويذيعها إما عن جهلٍ أو تجاهلٍ ، ولم يزل الخوفُ من الإسلام والتخويفُ منه حاضرًا في القرارات العالمية والمحافل الدولية؛ فضلاً عن وسائل الإعلام.

وما زال السياسيون والإعلاميون يُصِرُّون على تثبيت صورة الإسلام أنه ثقافةٌ عداونية ، وأن التسامحَ ثقافة الغرب ، ولو نظروا بعدلٍ وإنصافٍ لرأوا في أصول الإسلام ومبادئه أكملَ القيمِ والمثلِ في العدلِ والتسامحِ.

إن لهذه الفرية - التي هي الخوفُ من الإسلام - آثاراً سلبيةً على المسلمين وعلى غيرهم؛ فهي تهدمُ جسورَ الثقةِ والتعاونِ ، وتُحطِّمُ العلاقاتَ الدوليةَ وقيامَ المصالحِ بين بني البشرِ ، وتُغذي جذورَ العداوةِ والإهرابِ ، وتُمثِّلُ تهديداً وإنكاراً للحقوقِ المتساوية ، والتفرقة على أسسٍ دينيةٍ وعنصريةٍ ، إضافةً إلى المضايقاتِ والعُنْفِ ، والقُيُودِ على الحرية الشخصية ، كما أنه تشويهٌ للحق الذي جاء من عند الله.

ووصل الأمرُ بسببِ فريةِ التخويفِ من الإسلام إلى التحريضِ وإثارةِ الأحقادِ الدينية ، وتعدّي البعض إلى تدنيسِ وإهانةِ المقدَّساتِ الإسلامية ، وانتهاكِ الحُرُماتِ الدينية؛ بتطاوُلٍ على حُرمةِ

النبيّ - صلى الله عليه وسلم - ، أو امتيّهان للقرآن الكريم ، وسنّ القوانين ضدّ مظاهرِ حجابِ المرأة ونقابها ، ونشرِ رسوماتٍ ساخرةٍ بالصُّحفِ ووسائلِ الإعلامِ تُسيءُ إلى المسلمين ، وربطِ صُورِ المسلمين ومظاهرهم بموضوعاتٍ تتحدّثُ عن الإرهاب .
ولا يزالُ انتماءُ فردٍ أو شعبٍ إلى الإسلامِ سببًا في فشلِ قضاياه ، وضياعِ حقوقه ، وردّ مطالبه .

فالخوفُ من الإسلامِ وراءَ مظلمةِ فلسطين ودفاعِ القوّى عن الغاصِبِ ستّين عامًا ، وتبريرِ الظلمِ المستمرِّ ، واسترخاضِ دماءِ الفلسطينيين ، ومُصادرةِ أراضيهم .
والخوفُ من الإسلامِ وراءَ مواقفِ الرّيبةِ والعداءِ لكلِّ مُحاولاتِ الشعوبِ لاختيارِ قرارها التي تعيشُ به ، وإنك لتأسى حين تجدُ الكثيرين ينظرون بتسامحٍ كبيرٍ إلى دياناتٍ وثنيّةٍ ، ولكن في حالةِ الإسلامِ فإن ردّ الفعلِ تجاهه لا يكونُ عادةً عقلائيًا ، وإنما يكونُ عاطفةً سلبيةً عارمةً .
وقد يتمُّ التأخُّرُ في نُصرةِ المكروبين ، والتردُّدُ في إنقاذِ المظلومين ممن ظلمهم لا لشيءٍ إلا الخوفُ من قيامِ قائمةٍ للإسلامِ ، ولا شكَّ أن للموروثاتِ الثقافيةِ أثرًا في تكوينِ هذا الاتجاهِ لدى الآخرين ضدّ الإسلامِ ، يُغذّيه الإعلامُ المغرضُ ، والسياساتُ الجائرةُ ، حتى حذرَ الأمينُ الحاليُّ للأممِ المتّحدة - مُنصفًا - بقوله : "إن موجةَ التخويفِ من الإسلامِ ترقى إلى مرتبةِ المناهضةِ العنصريةِ لهذا الدين" . ولقد قالَ مثلها من قبلُ سلفه على منبرِ الأممِ المتّحدة .
إن على عُقلاءِ العالمِ أن يقفوا بإنصافٍ وعدلٍ أمامَ هذه القضيةِ الخطيرةِ ، والتي لا تُجدي سوى مزيدٍ من الصّراعاتِ والخلافِ ، وإن الجهلَ بالإسلامِ وتعاليمه وأخلاقيّاته سببٌ رئيسٌ للخوفِ منه ، والإنسانُ يخافُ ما يجهلهُ .

أيها الناس :

إننا حين نُقرّرُ ما سبقَ فإننا لا نُقرّره في سياقِ التجييشِ أو نتيّ الجراحِ ، وإنما ليعلمَ الكثيرُ من بُسْطاءِ العالمِ والأحرارِ مُقدارَ تغييبِ وعيهم عن حقائقِ التاريخِ وسياقِ الحوادثِ ، وأنهم كثيرًا ما يقفون في الموقفِ الخطأ الذي لا يتسقُ مع ما يُفاخرون به من قيمٍ ومُثلٍ وصلَ لها الإنسانُ في ألفيته الثالثة .

لماذا الخوفُ من الإسلامِ؟

فلم يكن المسلمون مسؤولين أبدًا عن اشتعال حربين عالميتين قُتل في الأولى سبعة عشر مليونًا من البشر ، وفي الثانية خمسين مليونًا عدا المصابين ، والدمار الهائل في البيئة والمقدّرات البشرية.

ولم يستعمر المسلمون العالم ، ولم يُسخروا شعوبه لاستتِرافِ خيرات تلك الشعوب ليستمتع بها المستعمر ، ولم يُقيم الإسلام في تاريخه الطويل محاكم تفتيش لإجبار الناس على تغيير دينهم؛ بل إنه على امتداد خمسة عشر قرنًا من بسط الإسلام سلطانه لم يزل في بلاد أصحاب ملل ونحل لهم فيه معابد وكنائس لم يتعرّض لها أحدٌ ، ولا زالت تلك الأقليات مُتعايشة مع المسلمين على أرض الإسلام حتى اليوم.

ولك أن تنظر في المواقف العالمية اليوم لترى كيف تُغلب المصالح الضيقة على المبادئ والقيم ، وكيف يُسوَّغ القضاء على شعوب لأنهم مسلمون ، أو خشية أن يحصل المسلمون على حقوقهم الإنسانية في بلدهم وليس خارجة!

إنه لموقفٌ مُخجلٌ أن يُبادَ شعبٌ ويمتنع العالم عن القيام بواجبه الدولي والأخلاقي؛ لأنهم مسلمون أو سُنّة!

هل هذه قيم؟ هل هذه مبادئ؟ ثم يتهم الإسلام بعد ذلك بالتمييز العنصري ، وهذا يهزُّ ثقة العالم أن العلاقات الدولية المعاصرة قائمة على المصالح القومية لا على الأخلاق والمبادئ والقانون إذا لم يتفق مع المصالح.

وفي المئة عام السالفة ، والتي نشأت بها منظمات تُعنى بالإنسان وحقوقه ، وتحترم ثرواته وأراضيه لم يُسجَل التاريخ أن بلدًا مسلمًا غزا بلدًا غير مسلم ، في حين أن العكس حاضِرٌ بكلّ ألم في المشهد العالمي ، حتى إن الشبهة أو مُجرّد التهمة كافٍ لغزو بلدٍ مسلمٍ وقتل مليون من أبنائه ، ونهب ثرواته ، وتدمير مُقدّراته ، والاعتداء على تاريخه وحضارته ، ثم يتبيّن أن الشبهة غير صحيحة ، ويُمّر الحال بغير اعتذار ولا تعويض.

لقد نجح الإعلام العالمي في تصوير انتفاضة الذبيح بأنها همجية ، فانشغل الناس بلوم الذبيح ونسوا الذابح!

لماذا الخوف من الإسلام؟

وهو يدعُو البشرَ أن يتراحَموا فيما بينهم ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١) ﴿٧١١﴾ .

لقد أُلغى الإسلامُ الطبقيَّةَ والعنصريَّةَ في المجتمع ، في حين أن أقوى وأكبر دولةٍ غربيةٍ في الحاضرِ لم يصلِ عُمرُ إلغاءِ الطبقيَّةِ والعنصريَّةِ فيها خمسين عامًا ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (١٣) ﴿٧١٢﴾ .

لماذا الخوفُ من الإسلام؟

وأولُ حقوقٍ للإنسان أُرسيت كانت تحت رايته ، إن الإسلام هو المنهجُ الأشدُّ وضوحًا وصراحةً في نقضِ الاستبدادِ والتجبرِ والطغيان ، ليس من الناحيةِ السياسيةِ فحسب؛ بل لأنه يعدُّ هذه الجرائمَ مناقضةً لجوهرِ الدينِ الحقِّ ، وهو توحيدُ الله - عز وجل - ، وفي القرآن منهجٌ متكاملٌ لنقضِ التجبرِ والطغيان وإبطالِهما.

لماذا الخوفُ من الإسلام؟

وقد حفظَ حتى للحيوانِ حقَّه ، فلا يُكَلَّفُ فوقَ طاقته ولا يُجَاعُ ، ولا يُفَرَّقُ بينَ شاةٍ وولدها ، ولا تُؤخذُ فراخُ طائرٍ من عُشه.

لماذا يخافُ الناسُ من الإسلام؟ أيخافونه لأنه يُحرِّمُ عليهم مُتَعِ الحياةِ وزينتها وجمالها؟! كلا ، فالإسلامُ شدَّدَ التَّكْيِرَ على الذين يُحرِّمونَ زينةَ الله التي خلقها للناس ، ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ (٣٢) ﴿٧١٣﴾ إن الإسلامَ قد كفَّلَ حقَّ الحياةِ ومُتَعِها ومباهجها لكلِّ أحدٍ ، فلا خوفَ من الإسلام ولا جَزَع.

لماذا الخوفُ من الإسلام؟

وقد قفَزَ بالحضارةِ في فترةٍ من التاريخ قفَزَاتٍ كان لها ما بعدها ، وأكملت أُممٌ بعدها المسيرَ. لماذا يُصوِّرُ الإسلامُ على أنه يحملُ بُذُورَ العُنفِ والتعصُّبِ ، بينما التسامُحُ والخُلُقُ الكريمُ مبدأٌ إسلاميٌّ أصيلٌ؛ بل وردَ في القرآن الكريم ذكرُ الرحمةِ والرأفةِ والعفوِ والصفحِ والمغفرةِ والصبرِ

711 سورة النساء

712 سورة الحجرات

713 سورة الأعراف

أكثر من تسعمائة مرة ، عدا ما أثر عن النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -؛ فهل يوجد دين ، أو ثقافة أعطى عناية كهذه في التربية على التسامح؟!

على أن التسامح لا يعني الذل والهوان ، أو الخنوع للظلم ، والاستكانة للظالمين؛ بل إنه توازنٌ يُعبرُ عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنْ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣) ﴿٧١٤﴾ .

والتسامح بمعنى: البرِّ ومُقابلة السيئة بالحسنة أمرٌ مطلوبٌ ومرغوبٌ ما لم يترتب عليه إعاقة على الظلم ، أو خذلانٌ للمظلوم ، أو انتهاكٌ لمبدأ العِزة لله ولرسوله وللمؤمنين. لقد جاء الإسلام بحسن الخلق ، وبكل تفاصيل السلوك الحسن تجاه الإنسان والبيئة ، كما جاء مُنسجماً بين الجانب الروحي والجانب المادّة.

عباد الله:

إن حقيقة الأمر أن التخويف من الإسلام صناعةً اصطنعها أقوامٌ عمدوا لصدّ الناس عن الإسلام ، أو اللغو في حقائقه وقيمه ، وشعائره وشرائعه؛ لأغراضٍ سياسية وعنصرية ، وأهواءٍ شهوانية ، وإلا لو ترك الناس وشأنهم لو تركوا لفطرتهم وضمائرهم وعقولهم المستقلة ، لو تركوا دون تحريضٍ أو تعبئة ضدّ الإسلام لما خافوا منه قطّ.

إن الإسلام ليس دين العرب وحدهم ، وخيره ليس حكراً على المسلمين وحدهم؛ بل هو رحمةٌ لكل الناس ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧) ﴿٧١٥﴾ .

والواجب على المسلمين أن يتمسكوا بمبادئه وقيمه ، وأن يُبينوا للناس حقيقته تمثلاً وتطبيقاً ، ودعوةً مُخلصةً ، وليس ادّعاءً وتصنعاً.

ولا خوف على الإسلام؛ فالله حافظ دينه ، لكنّ الخوف على من فرط فيه أو قهوان ، أو صدّ عنه وأعرض ، ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٤٣) ﴿٧١٦﴾ .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثانية

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد ، أيها الناس:

يُساق ما سبق ، وقتوات الفضاءِ ثُمطرنا بمشاهدِ القتلِ والترويع ، والتي تجري على شامنا الحبيب "سوريا" ، وقد أَمِنَ سَفَاحُهَا من انتِهاضِ الأُمم - خصوصاً الغربي والشرقي منه - ، ولم تُعدْ نشرُ تلك المشاهدِ تُزعِجُه؛ بل ربما احتسبها دعايةً لإرهابِ شعبه ، لم يُعدْ كلُّ ذلك يُزعِجُه ما دام أن طاغيةَ الشامِ حذَرَ أن يخلُفه المسلمون في الحكم ، واقتنعت أُممٌ بذلك التحذير ، ولم يدرِ المغرُّرُ بهم من أُمم الأرض أن المسلمين - والسنة منهم خصوصاً - لن يكونوا خَلَفَه فحسب؛ بل كانوا هم سلفَ حزبه لقرون.

وكانت أعزَّ ما كانت الشامُ وأرغد ، وآمن وأرقى حينما كانت تحت حُكم المسلمين ، وما عرفت الشُّوم إلا بظهور الطُّغاة.

وإن الأمل في الله كبيرٌ ، وإذا انقطع المدد من الأرض فُتحت أبواب السماء ، وإن كل نشاطٍ سياسيٍّ أو فكريٍّ يجلو ذلك الغَبَشَ لعمودٍ ومشكورٍ ، ومنه ما تقوم به هذه البلاد؛ فقد ارتفع صوتها في كل محفلٍ يُعقد للنظر في قضية المظالم من الشعوب والدول ، تُنادي بالجدية في رفع الظلم ، والحزم في الأخذ على يد الظالم ، والفأل حين النظر في العواقب ، والطمأنينة من الخوف.

عسى الله أن يُنَجِّحَ المساعي الصادقة ، ويُوفِّقَ الجهودَ المُخلِصة ، ويجلِّو غشاوةَ الأبصار ،
ويُدبِّلَ الأيامَ على كل مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ، ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ
وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (٥) ٧١٧ .

هذا؛ وصلُّوا وسلِّموا على النبي المصطفى والرسول المُجْتَبَى ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على
عبدك ورسولك محمدٍ وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابتِهِ الغُرِّ الميامين ، اللهم ارضَ عن
الأئمة المهديين ، والخلفاء الراشدين: أبي بكرٍ ، وعمر ، وعثمان ، وعليٍّ ، وعن سائر
صحابَةِ نبيِّكَ أجمعين ، ومن سارَ على فَهْجِهِم واتبَع سَنَّتِهِم يا رب العالمين.
اللهم أعِزَّ الإسلامَ والمسلمين ، وأذِلَّ الشركَ والمشركين ، ودمِّرْ أعداءَ الدين ، واجعل هذا
البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم من أرادنا وأراد بلادنا بسوءٍ أو فرقةٍ فَرَّدَ كيدَهُ في نَحْرِهِ ، واجعل تدبيرَهُ دماراً عليه.
اللهم آمناً في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا ووليَّ أمرنا ، اللهم
وفِّقه لهُدَاك ، واجعل عمله في رضاك ، وهبْ لهُ البطانةَ الصالحةَ ، اللهم وحِّدْ به كلمةَ
المسلمين ، وارفع به لواءَ الدين ، وجازه خيرَ الجزاءِ على نُصْرَتِهِ للمظلومين ، وثباتِهِ على
مواقفِ العدلِ والحقِّ ، اللهم وفِّقه ووليَّ عهده وسدِّدهم وأعِنْهم ، واجعله مُبارَكين مُوفِّقين
لكل خيرٍ وصالح.

اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم أصلح أحوالهم في سوريا وفلسطين ،
اللهم اجْمَعْهم على الحقِّ والهدى ، اللهم احقن دماءهم ، وآمن روعاتهم ، وسدَّ خَلَّتْهم ،
وأطعم جائعهم ، واحفظ أعراضهم ، واربط على قلوبهم ، وثبَّت أقدامهم ، وانصرهم
على من بغى عليهم ، اللهم فُكِّ حصارهم ، اللهم فرِّجْك القريب ، اللهم فرِّجْك القريب ،
اللهم فرِّجْك القريب.

اللهم إنا نستترُ لنصرك على عبادك المُستضعفين المظلومين ، اللهم انتصرِ لليتامى والشكَّالَى
والمظلومين ، اللهم رَحِّمك بهم يا أرحم الراحمين ، ويا ناصرِ المظلومين.
اللهم عليك بالطُّغاة الظالمين ، اللهم عليك بهم فإنهم لا يُعْجزونكَ ، اللهم هبِّ لهم يداً من
الحقِّ حاصِدةً تستأصلُ شأفتهم ، اللهم عليك بهم فإنهم لا يُعْجزونكَ.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان ، اللهم انصرهم في فلسطين على الصهاينة المحتلين.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿٧١٨﴾ .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا.

اللهم لك الحمدُ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، اللهم لك الحمدُ على ما أنعمتَ به علينا من نزولِ الأمطار ، اللهم كما أنزلتَ علينا المطرَ اللهم فبارك لنا فيما رزقنا وزدنا يا حيُّ يا قيُّوم يا ذا الجلال والإكرام ، اللهم غمِّ بالأمطار بلادَ المسلمين ، اللهم اجعل ما أنزلته قُوَّةً لنا على طاعتك وبلاغاً إلى حين ، اللهم لك الحمدُ كثيراً كما تُنعمُ كثيراً ، اللهم زدنا وبارك لنا ، اللهم زدنا وبارك لنا .

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وَثُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

سبحان ربِّك ربَّ العزة عما يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة : عظات وعبر من قصة يوسف عليه السلام

تاريخ إلقاء الخطبة : عشرون من جمادى الآخر من عام ١٤٣٣ هـ

- عظات وعبر من قصة يوسف عليه السلام -

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب - حفظه الله - خطبة الجمعة بعنوان: "عظات وعبر من قصة يوسف عليه السلام"، والتي تحدّث فيها عن الابتلاءات والمحن التي تُصيب المؤمنين، وتذكير الناس بقصة يوسف وما استملت عليه من محن وفتن وخوفٍ وغربةٍ وغير ذلك، ثم تمكين في الأرض ونصر، وهو يوجّه بذلك رسالةً إلى كل مُبتلىٍ بوجوب الصبر على الابتلاء.

الخطبة —————

أول —————

—

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضِلَّ فلا هاديَّ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صَلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغرِّ الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم - أيها الناس - ونفسي بتقوى الله؛ فالتقوى طوقُ النجاة، وهي الحاجزُ عند الفتن، وبها يكون النصرُ عند الشدائدِ والمحنِ، ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ٧١٩

أيها المسلمون:

أيها الصابرون الصامدون، ويا أيها المُبتَلَوْنَ! إنه ومع طولِ الليلِ وتفاقمِ الجراحِ يَجْمَلُ التفاؤلُ، وفي غمرةِ الأحزانِ تحلُّو حكايا السُّلَّوانِ، وفي ثنايا الآلامِ ثولُدُ الآمالِ، وإذا اشتدَّتِ الكُروبُ، وأطبقتِ الخطوبُ، وتسَلَّطَ الفاجرُ وعزَّ الناصِرُ؛ فسنةُ الله في قرآنِهِ قبل النصرِ قصصٌ تبعثُ الأملَ، وتحيا بها النفوسُ ويزكو بها الإيمانُ.

وما يُصيبُ المؤمنَ من جراحاتٍ وابتلاءاتٍ ليس إلا سنةً قد خلَّت في الأصفياء قبله، تُرفعُ بها الدرجاتُ، وتُحطُّ السيئاتُ، وتُمحَّصُ بها القلوبُ، وتصفوُ بها الأمةُ المؤمنةُ، ﴿وَتِلْكَ اللَّيَالِىُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحَّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١)﴾ ٧٢٠

وفي سيرة نبيِّنا محمد - صلى الله عليه وسلم - آياتٌ وعبرٌ، وفي أحرَجِ الفتراتِ وأشدِّها في مكة، وقبل الهجرة بثلاث سنين مائت خديجة - رضي الله عنها - وكانت وزيرَ صدقٍ على

719 سورة يونس

720 سورة آل عمران

الإسلام، يشكو النبي الحبيب إليها، ويستند عليها، ومات عمه أبو طالب، وكان منعة له وناصرًا على قومه، واستغرب الناس حادثة الإسراء فكذبوه، وارتدَّ بعض من أسلم، وانكفأت الدعوة حتى ما كاد يدخل في الإسلام أحد.

وسمى النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك العام: عام الحزن، وتجرت قریش على النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وبلغت الحرب عليه أقصى مداها، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعاني من الوحشة والغربة، ويُعاني معه الجماعة المسلمة هذه الشدة.

فأنزل الله تعالى سورة الإسراء والفرقان، ثم نزلت سورة يونس، ثم سورة هود، وكان فيها من التثبيت والتسرية وقصص الأنبياء وأخبارهم مع أقوامهم وأيام الله فيهم، وإدالة الحق وأهله ما قوى عزم النبي - صلى الله عليه وسلم - وعصيته المؤمنة، وفي خاتمة سورة هود ﴿وَكُلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ ٧٢١

وبعد هذه السور وفي تلك المرحلة الحزينة نزلت سورة يوسف؛ فكانت بلسماً وحناناً ورحمة من الله وسُلواناً، وكانت خاتمة القصص الجميلة.

سورة يوسف فيها مشاهد الأمل والأمل، ومرارة الفراق وحلاوة اللقاء، فيها حكاية اليأس واليقين، والظلم والقهر، والابتلاء والصبر، ثم النجاح والنصر. فيها الانتقام والعفو والصفح، فيها الرجاء والدعاء، والتمكين بعد الابتلاء، والعاقبة الحسنى للمتقين والصابرين.

سورة يوسف تتجلى فيها حكمة الله وأقداره، وتدبيره وأسراره في نظم قصص لم تسمع الدنيا بمثله ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ (٣)﴾ ٧٢٢ يقصُّ الله على نبيه الكريم قصة أخ له كريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين -، وهو يعاني صنوفاً من المحن والابتلاءات: محنة كيد الإخوة، ومحنة الحب والخوف والترويع فيه، ومحنة الرق

721 سورة هود

722 سورة يوسف

وهو ينتقل كالسلعة من يدٍ إلى يدٍ على غير إرادةٍ منه ولا حمايةٍ ولا رعايةٍ من أبويه ولا من أهله.

ومحنةٌ كيد امرأة العزيز والنسوة، وقبلها ابتلاء الإغراء والفتنة والشهوة، ومحنة السجن بعد رغد العيش وطراوته في قصر العزيز، ثم محنة الرخاء والسلطان المطلق في يديه وهو يتحكم في أقوات الناس وفي رقابهم، وفي يديه لقمة الخبز التي تقوتهم، ومحنة المشاعر البشرية وهو يلقي بعد ذلك إخوته الذين ألقوه في الحبّ وكانوا السبب الظاهر لهذه المحن والابتلاءات كلها.

فلا عجب أن تكون هذه السورة بما احتوته من قصة هذا النبي الكريم، ومن التعقيبات عليها بعد ذلك مما يتزّل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين معه في مكة في هذه الفترة بالذات، تسليّةً وتسريةً، وتطميناً وتثبيتاً للمطاردين المغتربين.

بل كأنّ في هذا تلميحاً بالإخراج من مكة إلى دار أخرى يكون فيها النصر والتمكين مهما بدا أن الخروج كان إكراهاً تحت التهديد، كما أخرج يوسف من حِضْنِ أَبِيهِ لِيُواجِهَ هذه الابتلاءات كلها، ثم ينتهي بعد ذلك إلى النصر والتمكين، ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢١) ﴿٧٢٣﴾

لقد جاءت آية التمكين في ثانيا ذكر يوسف وهو يُباعُ ببيع الرقيق، وجاءت السورة وفي كل مراحل قصتها تأكيداً للإيمان واليقين والثقة برب العالمين، والعاقبة الحسنى للمتقين.

وعند إلقاء يوسف في الحبّ وبيعه وإرادة الكيد له قال الله تعالى ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢١) ؛ فقد أراد إخوة يوسف له أمراً وأراد الله له أمراً، ولما كان الله غالباً على أمره ومسيطرًا فقد نفذ أمره، أما إخوة يوسف فلا يملكون أمرهم، فأفلت من أيديهم وخرج عما أرادوا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا يعلمون أن سنة الله ماضية وأن أمره هو الذي يكون.

وعندما كادَ يوسفُ أن يركنَ إلى بشرٍ يذكُرُ مظلَمَتَه عندَ الملِكِ كانَ جزاءُه أن لُبِثَ في السجِنِ بضِعَ سنينَ، قد شاءَ ربُّه أن يُعَلِّمَه كيف يقطعُ الأسبابَ كُلَّها، ويستمسكَ بسببه وحده فلم يجعلَ قضاءَ حاجته على يدِ عبدٍ، ولا سببَ يرتبطُ بعبدٍ، وهذا من اصطِفائِه وكرمِه.

إن عبادَ الله المُخلَصين ينبغي أن يُخلِصُوا له - سبحانه - وأن يدعُوا له وحده قيادَهم، ويدعُوا له - سبحانه - تنقيلاً خطاهُهم، وحين يعجزون بضَعْفهم البشريِّ في أول الأمرِ عن اختيارِ هذا السلوكِ يتفضَّلُ الله - سبحانه - فيقهرُهم عليه حتى يعرفوه ويتذوَّقوه ويلتزموه بعد ذلك طاعةً ورضاً وحبًّا وشوقاً، فيتمُّ عليهم فضله بهذا كله.

اليقينُ هو: الاعتزازُ بالله، والاطمئنانُ إليه، والثقةُ به، والتجرُّدُ له، والتعريُّ من كلِّ قيمِ الأرض، والتحرُّرُ من كلِّ أوهاقِها، واستِصغارِ شأنِ القوى المُتَحَكِّمة فيها.

أما يعقوبُ النبيُّ فكانَ المؤمنَ الموقِنَ والصابرَ الواثقَ، وفي كلِّ لحظةٍ وداعٍ يقولُ ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٦٤) ﴿وَمَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٦٧) ﴿٧٢٥﴾

وعندَ فقدِ أولادِه الثلاثةِ ويبلغُ الأُمُّ مُنتهاهَ يقولُ ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٨٣) ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٦) يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُّوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧) ﴿٧٢٧﴾

إنه إيمانُ الأنبياءِ و يقينُ الحنفاءِ، فلا تَيَاسُّوا من رَوْحِ الله - أيها المكلِّومون -، ولا تَيَاسُّوا من نصرِ الله - أيها المُرابِطون الصامِدون في وجهِ العواصِفِ -، المؤمنون الموصولَةُ قلوبُهم بالله، النَّدِيَّةُ أرواحُهم بروحِه، الشاعرون بنفحاته الرَّخِيَّةِ، لا يَيَاسُّون من رَوْحِ الله ولو أحاطَ بهم

724 سورة يوسف

٧٢٥ سورة يوسف

726 سورة يوسف

727

الْكُرْبُ، واشتدَّ بهم الضَّيْقُ؛ فالمؤمنُ في رَوْحٍ من ظلالِ إيمانه، وفي أنسٍ من صلته برَّبِّه، وفي طمأنينةٍ من ثقته بمولاه، وإن كان في مضايقِ الشدة ومخائقِ الكروبِ.

أيها المؤمنون:

لقد كانت تلك المحنُّ والابتلاءات من تدبيرِ الله ولطفِهِ وعلمِهِ ورحمته، حتى مكَّنَ الله ليوسفَ - عليه السلام- ، فصار ملكاً عزيزاً بيده خزائنُ مصر، ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ (٥٦)﴾ ٧٢٨ يتَّخِذُ مِنْهَا الْمَتْلَ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمَكَانَ الَّذِي يُرِيدُ، فِي مُقَابِلِ الْجُبِّ وَمَا فِيهِ مِنْ مَخَافٍ، وَالسَّجْنِ وَمَا فِيهِ مِنْ قُيُودٍ، ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ (٥٦)﴾ ٧٢٩ فَنُبَدِّلُهُ مِنَ الْعُسْرِ يُسْرًا، وَمَنِ الضَّيْقِ فَرَجًا، وَمَنِ الْخَوْفِ أَمْنًا، وَمَنِ الْقَيْدِ حُرِّيَّةً، وَمَنِ الْهَوَانِ عَلَى النَّاسِ عِزًّا وَمَقَامًا عَلِيًّا، ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)﴾ ٧٣٠ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَالتَّوَكَّلَ عَلَيْهِ وَالِاتِّجَاهَ إِلَيْهِ، وَيُحْسِنُونَ السُّلُوكَ وَالْعَمَلَ، ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧)﴾ ٧٣١

وهكذا عَوَّضَ الله يوسفَ عن المحنة تلك المكانية في الأرض، وهذه البشرية في الآخرة جزاءً وفاقاً على الإيمان والصبر والإحسان، وهذا من سرِّ تَكَرُّارِ وصفِ الله العليِّ لذاته بأنه هو العليمُ الحكيمُ يعلمُ الأحوالَ، ويعلمُ ما وراءَ هذه الأحداثِ والابتلاءاتِ، ويأتي بكلِّ أمرٍ في وقته المناسبِ عندما تتحقَّقُ حِكْمَتُهُ في ترتيبِ الأسبابِ والنتائجِ ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩)﴾ ٧٣٢

وفي ختامِ السورة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا

728

729 سورة يوسف

730 سورة يوسف

٧٣١ سورة يوسف

732 سورة النساء

تَعْقِلُونَ (١٠٩) حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ
وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠) لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ
حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
(١١١) ﴿٧٣٣﴾

إنه التثبيت بمجرى سنة الله عندما يستيأس الرُّسل، والتلميح بالمخرج المكروه الذي يليه الفرج
المرغوب.

معانٍ تُدرِكها القلوب المؤمنة فيغمُرُها الإيمان واليقين، والصبر والثبات، تلك سنة الله لا بُدَّ من
الشدائد، ولا بُدَّ من الكروب، ثم يجيء النصر بعد اليأس من كل أسباب الظاهرة التي يتعلّق بها
الناس، يجيء النصر من عند الله فينجو الذين يستحقّون النجاة، ينجون من الهلاك الذي يأخذ
الظالمين، وينجون من البطش والعسف الذي يُسلّطه عليهم المتجبرون، ويحلُّ بأسُ الله بالمجرمين
مُدْمِرًا ماحقًا لا يقفون له، ولا يصدّه عنهم ولي ولا نصير ﴿٧٣٤﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي
الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَرَحْمَةً
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١) ﴿٧٣٤﴾ .

بارك الله لي ولكم في الكتاب والسنة، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة، أقول قولي هذا،
وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثاني

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله:

وللحق والعدل كلمة لا بُدَّ أن تُقال، وإنكاراً للبغي بلا مُداهنةٍ أو اعتذار؛ فإن ما جرى من خطفٍ للدبلوماسيِّ السعوديِّ في اليمن هو بُغيٌّ وظلمٌ وجريمةٌ لا يُقرُّها دينٌ ولا عُرفٌ، ليست من الدين ولا من الجهاد، وهو ليس عُدواناً على مُسلمٍ واحدٍ فحَسْب؛ بل هو عُدوانٌ على كل من يُمثِّلهم من هذه البلاد، وإعلانٌ للعداء والمُحاربة لهم، ولن تستجيبَ بلادنا للابتزاز، ولن تتراجعَ عن حقوقها، إلا أن بابَ التوبة مفتوح، ومبدأ المراجعة مطروح.

فاتقوا الله في الإسلام والمُسلمين؛ فكم لحقت به رزايا بسبب التصرفات المشوَّهة والأفكار المُحرَّفة.

فكَّ الله أسرَ المأسور، وجعلَ كيدَ الباغين عليهم يدور.

هذا؛ وصلُّوا وسلِّموا على النبي المصطفى والرسول المُجتبى، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، اللهم ارضَ عن الأئمة المهديين، والخلفاء الراشدين: أبي بكرٍ، وعمر، وعثمان، وعليٍّ، وعن سائر صحابة نبيِّك أجمعين، ومن سارَ على نهجهم واتبع سنتهم يا رب العالمين.

اللهم أعزِّ الإسلام والمُسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين، ودمِّر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المُسلمين.

اللهم من أرادنا وأراد بلادنا بسوءٍ أو فرقةٍ فردَّ كيده في نحره، واجعل تدبيره دماراً عليه.

اللهم آمِنَّا في أوطاننا، وأصلِح أئمتنا وولاة أمورنا، وأيد بالحق إمامنا ووليَّ أمرنا، اللهم وفقه لهذا، واجعل عمله في رضاك، وهبْ له البطانة الصالحة، اللهم وحد به كلمة المسلمين، وارفع به لواء الدين، اللهم جازه خير الجزاء على نصرتة للمظلومين، وجمعِهِ كلمة المسلمين، وما وفقته إليه من حُسن الموقف مع أشقائنا المصريين، اللهم وفقه ووليَّ عهده وسددهم وأعنيهم، واجعلهم مُباركين مُوفقين لكل خيرٍ وصالح.

اللهم أصلِح أحوال المسلمين في كل مكان، اللهم أصلِح أحوالهم في سوريا وفلسطين، اللهم أصلِح أحوالهم في سوريا وفلسطين، اللهم اجمعهم على الحق والهدى، اللهم احقن دماءهم، وآمن روعاتهم، وسدّ خللتهم، وأطعم جائعهم، واحفظ أعراضهم، واربط على قلوبهم، وثبت أقدامهم، وانصرهم على من بغى عليهم، اللهم فكّ حصارهم، اللهم فرجك القريب، اللهم فرجك القريب.

اللهم إنا نستودعك إخواننا في سوريا، اللهم إنا نستودعك دماءهم وأعراضهم وأموالهم يا من لا تضيع ودائعه.

اللهم إنا نستترُ نصرَك على عبادك المستضعفين المظلومين، اللهم انتصر لليتامى والشكالى والمظلومين، اللهم رَحِّمك بهم يا أرحم الراحمين، ويا ناصر المظلومين.

اللهم عليك بالطُّغاة الظالمين، اللهم عليك بهم فإنهم لا يُعجزونك، اللهم أنزل بهم بأسك ورجزك إله الحق.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين، اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان، اللهم انصرهم في فلسطين على الصهاينة المحتلين.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢٠١) ﴿٧٣٥﴾

اللهم اغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، ويسر أمورنا، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا. اللهم اغفر لنا
ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم وجميع المسلمين. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وثب
علينا إنك أنت التواب الرحيم.

عنوان الخطبة : السعادة الزوجية

تاريخ إلقاء الخطبة : الخامس والعشرون من رجب من عام ١٤٣٣ هـ

— السعادة الزوجية —

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب — حفظه الله — خطبة الجمعة بعنوان: "السعادة الزوجية"، والتي تحدّث فيها عن أعظم سعادة في الدنيا ، وهي: السعادة الزوجية ، ويبيّن أسبابها ، وأدلّتها من الآيات القرآنية والتوجيهات النبوية ، ثم عرّج في نهاية خطبته إلى الحديث عن سوريا وجرحها النازف ، وأن علامات النصر بادية في الأفق ، وأن الظلم مؤذنٌ بزوال الملك.

الخطبة

أول

—

الحمد لله ، الحمد لله عدد ما خلق وبراً ، وأنشأ وذري ، والحمد لله حمداً يطغى ، ﴿ خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ (٥٤) ٧٣٦ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، خير الخليقة طراً ، صلى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله تعالى وأطيعوه ، وعظّموا أمره ولا تعصوه ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١) ٧٣٧ يُرَاقِبُ أَعْمَالَكُمْ ، ويحصي أنفسكم ، ويعدّ أيامكم.

736 سورة الفرقان

737 سورة النساء

فإذا علم الإنسان أنه سيُسأل عن عُمره فيما أفناه ، وشبابه فيما أبلاه؛ لزم الجدّ دهره ، وترك اللهو عُمره ، ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ (٧) **وإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ** (٨) ﴿ ٧٣٨ ﴾ .

الأسرة والعائلة ، والبيت الزوجيُّ أساس منظومة المجتمع المسلم ونواته ، ومنه صلاح الفرد وفيه نبأته ، ومع أن الزواج فطرة وضرورة وحاجة إنسانية طبيعية ، إلا أنه في الإسلام شريعة وأمر ، وسنة وطهر ، وكيان تُسخر لقيامه وتماحه وصلاحه كل الإمكانيات ، وتُذاد عنه المعوقات والمنغصات.

ومن أهداف الإسلام ومساعيه: قيام أسرة مكوّنة من زوجين ، تُرْفرف في جوانحها المودة والرحمة والسكن ، وتُهدى إليها التشريعات والتوجيهات ، ويتكامل أفرادها للقيام بالواجبات ، وتنسل منها الذرية الصالحة ، وتنشأ في كنفها الأجيال ، ويتبادل أفرادها الأدوار في التعاون على البر والتقوى ، والتكامل والتكافل في تحقيق الأهداف والآمال في الدنيا وفي الآخرة. وتلك فلسفة الأسرة في الإسلام

وفهم هذه الحقيقة الفطرية بصيغتها الشرعية يُحدد معالم السعادة الزوجية ، وملامح بناء الأسرة الصالحة ، ومن ثم المجتمع المتماسك القادر على بناء حضارته بعد بناء أفرادِهِ وكيانه. ومن هنا أتى الاهتمام بالأمر بالزواج والحث عليه ، قال الله - عز وجل - : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (٣٢) ﴿ ٧٣٩ ﴾ .

وفي السنة المطهرة يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " **يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ** .. " الحديث؛ رواه البخاري ومسلم.

أيها المسلمون:

ولبناء هذا الكيان الأسري وإصلاحه وحمايته جاءت الشريعة بجملة من الأوامر والنواهي ، والآداب والوصايا ، ترسم للبيوت معالم سعادتها ، وتُخطُّ للأسرة طريق بهجتها ، على المسلمين التنادي للأخذ بها وانتهاجها قربةً لله تعالى ، وحفظاً لبيوتهم ومجتمعهم ، وصلاحاً لأحوالهم.

وتعظّم الحاجة عند كثرة التفريط ، وتفاقم الجراحات في البيوت ، وتصدّع بُنيان الزوجية ، ومما يؤلّم أن تُشير الدراسات والإحصاءات إلى أن نسب الطلاق في عالمنا العربي والإسلامي لا تقلّ عن ثلاثين بالمائة ، وأنها تجاوزت الأربعين في المائة في بعض بلادنا ، وهذه نسب مهولة تستدعي مبادرة المجتمع بمؤسّساته وأفراده لمزيد من الدراسات والحلول والخِطَط والبرامج ، مع الشكر والإشادة بما تبذله المؤسّسات والجمعيات ، والمواقع والجهات التي تُعنى بجوانب الأسرة وقضاياها.

أيها المسلمون:

جاءت معالم السعادة والنجاح للأسرة من أول بناء ، وهو الاختيار والقرار؛ فالخلق والدين مدار البحث وسرّ السعادة ، والتفريط في مُراعاة ذلك مبعث الشقاء ، وفي حرية الاختيار الاستئذان والاستثمار ، فلا الرجل يُكره على أخذ من يكره ، ولا الفتاة تُرغم على قبول من تُبغض.

وفي الآيات القرآنية والتوجيهات النبوية من نور التوجيه ما نقتبس منه نوراً ، ومن الهدي ما لا نُحيط به في موقفٍ ، وحسبنا شذرات وقبسات:

ففي الحقوق والواجبات: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ (٢٢٨) ، ومع بيان الحقوق والواجبات فإنها ليست مُشاحّة ومُحاسبة ، وإنما في التوجيه الكريم: ﴿ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ (٢٣٧) .

وفي التعامل يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ " ؛ متفق عليه. ويقول - صلى الله عليه وسلم - : " تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ " ؛ رواه الترمذي. وعن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ " ؛ رواه مسلم.

إن الرِّفْقَ والكلمة الطيبة ، والعفو والصفح خيرٌ من العطاء مع المنة وسوء التعامل ، وفي التزليل العزيز: ﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أذى ﴾ (٢٦٣) .

740 سورة البقرة

741 سورة البقرة

742 سورة البقرة

عباد الله:

وليس من العدل: المطالبة بالحقوق مع التفريط في أداء الواجبات؛ فإن الذي قال - صلى الله عليه وسلم -: " لَوْ كُنْتُ أَمْرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّهِ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا " هو الذي قال: " اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفِينَ الْيَتِيمَ وَالْمَرْأَةَ " وهو الذي قال: " اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا " .

وإن الذي قال: " خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ " هو - صلى الله عليه وسلم - الذي قال: " إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا ، وَصَامَتْ شَهْرَهَا ، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا ، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا ، قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ " .

وفي سعة الصدر وبعده النظر وحسن الموازنة يقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: " لَا يَفْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ - أَوْ قَالَ: غَيْرَهُ - " ؛ رواه مسلم.

ولذلك قال الله - عز وجل -: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (١٩) ﴿٧٤٣﴾ .

وفي الإدارة: ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ (٣٤) ﴿٧٤٤﴾ والقوامَةُ ليست تسلُّطًا ولا تعسُّفًا ، ولا ظُلْمًا أو ترفُّعًا؛ بل هي الرعاية والحِفْظُ ، والقيامُ بالمصالح ، وإن الدعوة إلى عكس ذلك بدعوى المساواة أو الحرية هو قلبٌ للفطرة ، ومُعاكسةٌ للطبيعة.

أيها المسلمون:

التقوى والصدق والأمانة خيرٌ ما بُنيتَ عليه العلاقات ، وهذه الأخلاق النبيلة هي ربيعُ القلب ، وزكاةُ الخلقة ، وثمرَةُ المروءة ، وشُعاعُ الضمير ، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ، فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا " ؛ رواه البخاري ومسلم.

أما الأمانة والمحافظة على الأسرار الزوجية؛ فواجب يحفظ البيوت ، ويحمي الأسر؛ عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " **إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا** " ؛ رواه مسلم. وفي رواية عند مسلم أيضاً: " **إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا** " .

والوعيدُ واردة على الرجل والمرأة على السواء.

أيها الرجال والنساء:

أيها الباحثون عن السعادة في الدنيا والآخرة! جَماعُ السعادة في قول الله - عز وجل -: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (٩٧) ﴾ ^{٧٤٥} .

إن هذه المعاني أولى بالعناية والبلاغ بدلاً من إشغال الناس بما يهدم ولا يبنى من شؤون الأسرة والمجتمع ، على المصلحين والناصحين ، وأرباب الأقلام والإعلام أن يُعنوا أشدَّ العناية بصلاح الأسر واستقرارها ، وقيام البيوت وشدُّ بُناها ، وكفَّ كل ما يؤثر عليها . والله المسؤول أن يحفظ على المسلمين دينهم وأمنهم ، وأن يُصلح أحوالهم ، ويُسعد أعمارهم .

بارك الله لي ولكم في الكتاب والسنة ، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم .

الخطبة

الثاني

الحمد لله ، الحمد لله القوي القادر ، وهو - سبحانه - العزيز الناصر ، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق القاهر ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فلا تزال الدماء تجري ظلماً على ثرى سوريا ، والجازر ترتكب أمام سمع العالم وبصره ، ولا يردع مرتكبيها دين ولا أخلاق ، وقد أذن الله لمن يقاتلون ويظلمون بأن لهم حق الدفاع عن أنفسهم ، وفي بعض المواطن لا يجدي الوعظ ولا النصح .

لك الله يا شام! فلم يشهد هذا العصر شعباً يحكمه عدوه كما شهدت الشام ، ساسها حاكمها كعدو ، وأدار شؤونها كجلاد ، وعاملها معاملة الجزار وأي جزار؟! تكاد مجازر طاغيتها تنسي مجازر القرامطة والتتر ، غاضت الرحمة من صدورهم ، وتلاشت الإنسانية من أفعالهم ، وأصبح ذبح النساء والأطفال من تساليهم ، وتدمير البلاد من أمانهم . لعنهم الله لعنة عاد وثمود ، وقتلهم قتيلاً أصحاب الأخدود ، وعجل عل طغاتها أيام نحسات وسود ، وأوردتهم عاجلاً ظلمة اللحد .

وإن الواجب على العالم أن يقوم بمسؤوليته أمام هذه الكارثة التي طال أمدها ، وتتابع ألمها ، وتعظم المسؤولية على العرب والمسلمين خاصة ، فلينادوا لنصرة المظلوم ، وكف الظالم ، وليكن الحل عملياً وعاجلاً؛ فإن الأيام لا تزيد الباغي إلا سعاراً ، ولا ترى منه إلا جحيماً وناراً .

أيها السوريون :

﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (٣٩) ﴿٧٤٦﴾ لقد بالغت العصابة الحاكمة في الظلم ، وهذا مؤذن بفرج قريب ، والظلم مؤذن بزوال الملك ، وتعجيل العقوبة؛ فأبشروا: ﴿ نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ (١٣) ﴿٧٤٧﴾ .

وقد تكفل الله باليسر مع العسر ، فاجتمعت لكم أمارتان على النصر ، دافعوا بكل ما تقدرون عليه ، وتوكلوا على الله؛ فما خاب من توكل عليه ، وقد رأيتم خذلان الأمم وعصبتها.

لقد راهن الطغاة كثيراً على أن الفوضى هي البديل لطغيانهم ، فأخلفوا فالهم ، وأكذبوا ظنهم ، وأجمعوا أمرهم ، ووحدوا صفكم ، واتقوا الله في أنفسكم وأهليكم ، ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ (١) ، ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴾ (٨٤) .

عسى الله أن يكف البأس عنكم ، ويدفع الشر عنكم.
هذا؛ وصلوا وسلموا على النبي المصطفى والرسول المجتبي ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغر الميامين ، اللهم ارض عن الأئمة المهديين ، والخلفاء الراشدين: أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعن سائر صحابة نبيك أجمعين ، ومن سار على نهجهم واتبع سنتهم يا رب العالمين.
اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم من أرادنا وأراد بلادنا بسوءٍ أو فرقة فرّد كيده في نحره ، واجعل تدبيره دماراً عليه.
اللهم آمناً في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا ووليّ أمرنا ، اللهم وفقه لهداك ، واجعل عمله في رضاك ، وهبى له البطانة الصالحة ، اللهم وحد به كلمة المسلمين ، وارفع به لواء الدين ، اللهم وفقه ووليّ عهده وسددهم وأعنيهم ، واجعلهم مباركين موفقين لكل خيرٍ وصالح.

لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ
السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ، عَزَّ جَارُكَ ، وَجَلَّ
ثَنَاؤُكَ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ.

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا يُهْزَمُ جُنْدُكَ ، وَلَا يُخْلَفُ وَعْدُكَ ، وَلَا يُرْدُّ أَمْرُكَ ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ ،
اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَحْوَالَهُمْ فِي سُورِيَا ، اللَّهُمَّ اجْمَعْهُمْ
عَلَى الْحَقِّ وَاهْدِ ، اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَهُمْ ، وَآمِنْ رَوْعَاتِهِمْ ، وَسُدَّ خَلَّتَهُمْ ، وَأَطْعِمْ جَائِعَهُمْ
، وَاحْفَظْ أَعْرَاضَهُمْ ، وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، وَثَبِّتْ أَقْدَامَهُمْ ، وَانصُرْهُمْ عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيْهِمْ
، اللَّهُمَّ فَكِّ حِصَارَهُمْ ، اللَّهُمَّ فَرِّجْكَ الْقَرِيبَ .

اللَّهُمَّ انتصِرْ لِلْيَتَامَى وَالثَّكَالَى وَالْمَظْلُومِينَ ، اللَّهُمَّ رَحِّمْنَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَيَا نَاصِرَ
الْمَظْلُومِينَ .

اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالطُّغَاةِ الظَّالِمِينَ ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالطُّغَاةِ الظَّالِمِينَ ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ فَإِنَّهُمْ لَا
يُعْجِزُونَكَ ، اللَّهُمَّ أَنْزِلْ بِهِمْ بِأَسْكَ وَرِجْزِكَ إِلَهَ الْحَقِّ .

اللَّهُمَّ انصِرْ دِينَكَ وَكِتَابَكَ وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ وَعِبَادَكَ الْمُؤْمِنِينَ ، اللَّهُمَّ انصِرِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ
الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَاجْمَعْهُمْ عَلَى الْحَقِّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ، اللَّهُمَّ انصُرْهُمْ فِي فَلَسْطِينَ عَلَى
الصَّهَابَةِ الْمُحْتَلِينَ .

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿٧٥٠﴾ .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذُنُوبَنَا ، وَاسْتُرْ عِيُوبَنَا ، وَيَسِّرْ أُمُورَنَا ، وَبَلِّغْنَا فِيمَا يُرْضِيكَ آمَالَنَا ، رَبَّنَا اغْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَوَالِدِيهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ . رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ،
وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ .

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

عنوان الخطبة : رمضان أقبل

تاريخ إلقاء الخطبة : الأول من رمضان من عام ١٤٣٣هـ

- رمضان أقبل -

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب - حفظه الله - خطبة الجمعة بعنوان: "رمضان أقبل"، والتي تحدّث فيها عن شهر رمضان وما فيه من خيرات وبركات ورحمات، ووجّه النصحَ لعموم المسلمين بضرورة اقتناصِ هذا الشهر والعمل فيه بما يُقَرِّبُنَا إلى الله تعالى؛ من إخلاصٍ وصدقٍ في الصوم والصلاة والقيام والأعمال الصالحة، وذكر بأن هذا الشهر هو شهر النصر والتمكين على أمة الإسلام.

الخطبة
الـ أولـ

—

الحمد لله يُعيد على عباده مواسمَ الخيرات ، ويُهيئُ لهم ما تزكو به الأنفسُ وتعلو الدرجات ، ويُسهِّلُ لهم ما يُقَرِّبُهُمْ لربِّ البريّات ، فمنهم من لربه يدنو فيعلو ، ومنهم من يهن ويلهو ، وآخرين تحطُّ بهم أهواؤُهُم في أدنى الدركات ، أحمد ربي تعالى وأشكره ، وأُثني عليه وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يجزي بالجليل على القليل ويغفرُ الذنبَ العظيم ، يُذهبُ عن المؤمنين الحزن ، ويستُرُ القبيحَ ويُظهرُ الحسن ، جلَّ عن الشبيه وعن الندِّ وعن النظير ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) ﴿٧٥١﴾ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليته ومُصطفاه ، قد أفلح من اهتدى بهُداه ، وضلَّ من جافاه عنه هوواه ، صَلَّى الله عليه وصَلَّى على الآل والأصحاب ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فاتقوا الله تعالى حقَّ التقوى ، واستمسِكوا من الإسلام بالعروة الوثقى ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٢٣) ﴿٧٥٢﴾ .

أيها المسلمون:

تسيرُ بنا الأيام عَجَلَى ونحن فيها لاهِثون ، وتُنْقِصُ أعمارُنَا ونحن غافِلون ، وتُشغِلُنَا الشواغلُ
عما نحن به مُطالِبون ، وقد مرَّ بنا عامٌ عاصِفٌ سقطت فيه عروشٌ ودالت دول ، واضطربت
أحوالٌ وتغيَّر وجهٌ من التاريخ ، دوَّامةٌ من الأحداث المتسارعة لا يكادُ يُدركُ غورها الإنسانُ
، منها ذاتُ العِبرِ وذاتُ الإحسان .

ومن رحمة الله ولطفه أن نستيقظ هذا اليوم على صُبح يوم من رمضان بفضله وبركته وبِشاراته
وانتصاراته ، رمضان شاطئٌ ترفعُ فيه سفينةُ القلوب بعد عواصفِ الأحداث وغفلةِ الأيام ،
عامٌ مضى بتقلُّبات أحواله ، وانشغالنا وتفريطنا .

وقد آنَ اليوم أن تبتلَّ أرواحُنَا بعد الجفاف ، وتترطبَّ أفئدتُنَا بعد القسوة ، ورغِمَ أنفٌ من
أدركه رمضان فلم يُغفر له .

اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام .

أيها المؤمنون:

إن مواسِمَ الخيرات فرصٌ سوانح ، بينما الموسمُ مُقبِلٌ إذ هو رائجٌ ، والغنيمةُ فيها ومنها إنما
هي صبرُ ساعةٍ ، فيكون المسلمُ بعد قبولِ عمله من الفائزين ، ولخالقه من المُقربين .
فيا لله! كم تُستودعُ في هذه المواسِم من أجور ، وكم تخفُّ فيها من الأوزار الظهور ،
فاجعلنا اللهم لنفحاتك مُتعرِّضين ، ولمغفرتك من المُسارعين ، ولرضوانك من الحائزين ،
ووفقنا لصالح العمل ، واقبلنا اللهم فيمن قُبِل ، واختِم لنا بخيرٍ عند حضور الأجل .

أيها المسلمون:

الصومُ شرعٌ قديمٌ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ (١٨٣)﴾^{٧٥٣} ورمضان شهرُ الرحمات والبركات ، والحسنات والخيرات ، تُفتح فيه أبوابُ الجنة ، وتُغلق أبوابُ النار ، فيه ليلةُ القدر هي خيرٌ من ألف شهر ، والله تعالى عتقاء من النار ، وقد ثبتَ في "الصحيحين" عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن " مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " ، وأن " مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " وأن " مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " .
خلفُ فم الصائم أطيبُ عند الله من ريح المسك ، وللصائم فرحتان: إذا أفطرَ فرحَ بفطره ، وإذا لقيَ ربَّه فرحَ بصومه.

وفي "صحيح مسلم" أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " .. وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ " .

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ (١٨٥)﴾^{٧٥٤} كان جبريلُ - عليه السلام - يُدارسُ النبي - صلى الله عليه وسلم - فيه القرآن ، وكان السلفُ - رحمهم الله - إذا جاء رمضان تركوا الحديثَ وتفرَّغوا لقراءة القرآن ، والصيامَ والقرآنَ يشفعان لصاحبهما يوم القيامة.

هو شهرُ التراويح والقيام ، والاصطفاف في محاربِ التهجد والناسِ نيام ، شهرُ سكب العبرات وإقالة العثرات ، للصائم دعوةٌ لا تُردُّ ، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)﴾^{٧٥٥} .
في رمضان تصفو النفوس وتهذبُ الأخلاق ، وفي الصوم تربيةٌ على كسر الشهوة ، وقطع أسباب العبودية للأهواء والشهوات ، في رمضان يُواسى الفقراءُ والبُساء ، فهو شهرُ الصدقة والمواساة.

أيها المسلمون:

⁷⁵³ سورة البقرة

⁷⁵⁴ سورة البقرة

⁷⁵⁵ سورة البقرة

أَخْلَصُوا دِينَكُمْ لِلَّهِ ، وَتَخَلَّصُوا مِنْ أَدْرَانِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي ، وَاغْسِلُوهَا بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ؛
فَإِنَّ الذُّنُوبَ مُقْعِدَةٌ عَنِ الطَّاعَاتِ ، وَحَائِلٌ عَنِ الْقُرْبَاتِ .

ثُمَّ صُومُوا صَوْمَكُمْ عَمَّا يُنْقِصُهُ أَوْ يُحْبِطُهُ ، حَقِّقُوا الْإِخْلَاصَ وَالْمُتَابَعَةَ فِي كُلِّ عِبَادَتِكُمْ ،
وَحَازِرُوا الشَّرْكَ فَهُوَ أَشَدُّ مَانِعٍ لِقَبُولِ الْعَمَلِ ؛ بَلْ هُوَ مُحْبِطٌ لَهُ ، وَابْتَعِدُوا عَنْ كُلِّ مُحَدَّثَةٍ فِي
الدِّينِ فَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلًا لَمْ يُشْرَعْ .

صُومُوا صَوْمَكُمْ عَمَّا يَجْرَحُهُ ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ
طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ " ؛ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَفِي "الصَّحِيحِينَ" أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : " إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا
يَرُفُثُ ، وَلَا يَصْنَعُ ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ ، فَلْيَقُلْ : إِنِّي أَمْرٌ صَائِمٌ " .

أَيُّهَا الصَّائِمُونَ :

إِنَّ مَقْصُودَ الصِّيَامِ : تَرْبِيَةَ النَّفْسِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَتَرْكِتُهَا بِالصَّبْرِ ، وَاسْتِعْلَاؤُهَا عَلَى الشَّهَوَاتِ
، وَكَمَا يُمْنَعُ الْجَسَدُ عَنْ بَعْضِ الْمُبَاحَاتِ حَالِ الصِّيَامِ ؛ فَمَنْ بَابِ أَوَّلَى مَنَعِ الْجَوَارِحِ عَنْ
الْحَرَامِ . إِنْ وَقْتُ رَمَضَانَ أَثْمَنُ مِنْ أَنْ يُضَيَعَ أَمَامَ مَشَاهِدِ هَابِطَةٍ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا إِلَّا إِضَاعَةُ الْوَقْتِ
الْثَمِينِ لَكَانَ ذَلِكَ كَافِيًا فِي ذِمَّتِهَا ؛ كَيْفَ وَقَوَاتُهَا فِي سَبَاقِ مَحْمُومٍ مَعَ الشَّيْطَانِ فِي نَشْرِ الْفَسَادِ
وَالْفِتْنَةِ ، وَالصَّدِّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهَوْنَ ؟ !

رَمَضَانَ تَذَكُّرٌ لِلْأُمَّةِ لِمُرَاجَعَةِ حَسَابَاتِهَا وَعِلَاقَتِهَا بِدِينِهَا ، وَتَفْقُّدِ مَوَاضِعِ الْخُلُلِ ، ﴿ يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)

﴿ ٧٥٦ ﴾ فَهُوَ شَهْرُ تَرْكِ النُّفُوسِ وَتَرْبِيَتِهَا .

يَا مُسْلِمَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ! ذُوْنَكَ دَعْوَةُ الْجَبَّارِ لَكَ بِالتَّوْبَةِ ، فَأَجِبِ النِّدَاءَ : ﴿ وَتَوُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا

أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) ﴾ ﴿ ٧٥٧ ﴾ بِادِرْ بِالتَّوْبَةِ - غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكَ - ، وَإِيَّاكَ أَنْ

تَضَعَ فِي صَحِيفَتِكَ الْيَوْمَ مَا تَسْتَحْيِي مِنْ ذِكْرِهِ غَدًا ، وَإِنَّمَا الرَّاحَةُ الْكُبْرَى لِمَنْ تَعَبُوا .

أَيُّهَا الصَّائِمُونَ :

وفي الأسحار أسرار ، نفحات ورحمات حين التزلّ الإلهي ، ورُبَّ دعوة يُكتبُ لك بها الفوزُ
الأبدِي ، وعند الفطر دعوة لا تُردُّ.

فاسعدوا بشهركم - أيها المسلمون - ، وأودعوا فيه من الصالحات ما تستطيعون ، وتقربوا
فيه لمولاكم ، فللجنة قد ناداكم: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ (٢٥)﴾ ٧٥٨ .

بارك الله لي ولكم في الكتاب والسنة ، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة ، أقول قولي هذا
، وأستغفر الله تعالى لي ولكم ولسائر المسلمين ، فاستغفروا الله إنه كان غفاراً.

الخطبة

الثاني

الحمد لله الذي جعل الصيام جنة ، وسبباً موصلاً إلى الجنة ، أحمدُه - سبحانه - وأشكرُه
هدى ويسر فضلاً منه ومنّة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله دنا على أوضح طريق وأقوم سنة ، صلى الله وسلّم وبارك عليه ، وعلى آله
وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها المؤمنون الصائمون:

رمضان شهرُ الذكريات والفتوحات والانتصارات ، وبقدر ما نستبشرُ بحلوله بقدر ما نعقدُ
الآمالَ أن يُبدّلَ اللهُ حالَ الأمة إلى عزٍّ ونصرٍ وتمكينٍ ، وأن يرُدّها إليه ردّاً جميلاً ، وإلا فإن
رمضان يحلُّ بنا والأمةُ مُشخنةٌ بالجراح ، مُثقلةٌ بالآلام.

يحلُّ رمضان ومسرّى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مُحتلٌّ يئنُّ تحت وطأة الظالمين.

يَحِلُّ رمضانَ والمُرابِطونَ في أَكْثافِ بيتِ المقدسِ من المؤمنين يُقْتَلونَ ويُشَرَّدونَ ، وتُهدَمُ منازلُهم وتُجرَفُ أراضِيهم ، وتُبَادُ جماعتُهم.

يَحِلُّ رمضانَ وإخواننا في سوريا يُذَبِّحونَ ويُدمِّرونَ ، ويتواطؤُ عليهم شِرَارُ أهلِ الأرضِ ، وإن كنا نرى الفرجَ لهم أَقْرَبَ مما يظُنُّ الظَّالِمونَ ، نصرًا يُشَادُّ إلى سِوَاعِدِ الصَّابرينَ ، وتستجلبُهِ دعواتُ الصَّائمينَ الضَّارِعِينَ ، وليس على الله بعزِيزٌ أن يكونَ العِيدُ في الشَّامِ عِيدًا: عيدُ الفِطْرِ وعِيدُ النصرِ.

فيا ربَّ! عبادَكَ عبادَكَ ، أنتَ بهم أدرى ، وقد جاءَ قَهمُ المصائبِ تَتَرى ، فيا ربَّ! هبْ لهم من لَدُنْكَ نصرًا ، نصرًا لا يشْكُرُون به سِوَاكَ ، ويستغْنُون به عن عِداهم وعِداكَ. ثم صلِّ يا ربَّ وسلِّم على خيرِ الورى ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدِكَ ورسولِكَ محمدٍ ، وعلى آلِهِ الطَّيِّبينَ الطَّاهِرِينَ ، وصحابَتِهِ الغُرِّ الميامينَ ، اللهم ارضَ عن الأئمةِ المهديينَ ، والخلفاءِ الراشدينَ: أبي بكرٍ ، وعمرُ ، وعثمانُ ، وعليٌّ ، وعن سائرِ صحابةِ نبيِّكَ أَجمعينَ ، ومن سارَ على مُهجِهِم واتبعَ سَنَّتِهِم يا ربِّ العالمينَ.

اللهم أعِزَّ الإسلامَ والمسلمينَ ، وأذِلَّ الشُّركَ والمُشركينَ ، ودمِّرْ أعداءَ الدينِ ، واجعل هذا البلدَ آمِنًا مطمئنًا وسائرَ بلادِ المسلمينَ.

اللهم من أرادنا وأراد بلادنا بسوءٍ أو فُرقةٍ فُرِدَّ كيدُهُ في نَحْرِهِ ، واجعل تدبيرَهُ دمارًا عليه. اللهم آمِنًا في أوطاننا ، وأصلِحْ أئمتَّنا وولاةَ أمورنا ، وأيِّدْ بالحقِّ إمامنا ووليَّ أمرنا ، اللهم وفِّقه لهُدَاكَ ، واجعل عملَهُ في رِضاكَ ، وهبْ لهُ البطانَةَ الصَّالِحَةَ ، اللهم وحِّدْ به كلمةَ المسلمينَ ، وارفعْ به لواءَ الدينِ ، اللهم وفِّقه ووليَّ عَهْدِهِ وسدِّدْهم وأعِزَّهُم ، واجعلْهم مُبارَكينَ مُوفِّقينَ لكلِّ خيرٍ وصَلاحٍ.

اللهم أصلِحْ أحوالَ المسلمينَ في كلِّ مكانٍ ، اللهم أصلِحْ أحوالَهُم في سوريا ، اللهم اجْمَعْهم على الحقِّ والهُدى ، اللهم احقِّنْ دماءَهُم ، وآمِنِ رِوعاتَهُم ، وسدِّ خَلَّتَهُم ، وأطعِمِ جائِعَهُم ، واحفَظْ أَعْرَاضَهُم ، واربطْ على قلوبِهِم ، وثبَّتْ أَقدامَهُم ، وانصُرْهم على من بَغى عليهم ، اللهم فَكَّ حِصارَهُم ، اللهم فَرِّجْكَ القريبَ ، اللهم أتمِّ عليهم ، اللهم أتمِّ عليهم.

اللهم انتصر لليتامى والثكالى والمظلومين ، اللهم رُحماك بهم يا أرحم الراحمين ، ويا ناصر المظلومين.

اللهم عليك بالطُّغاة الظالمين ، اللهم عليك بهم فإنهم لا يُعجزونكَ ، اللهم أنزل بهم بأسك ورجزك إله الحق.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان ، واجمعهم على الحق يا رب العالمين ، اللهم انصرهم في فلسطين على الصهاينة المحتلين.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿٧٥٩﴾ .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم إنك سميع الدعاء.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم.
سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة : عبادات يسيرة بأجور كبيرة

تاريخ إلقاء الخطبة : السادس من شوال من عام ١٤٣٣هـ —

— عبادات يسيرة بأجور كبيرة —

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب - حفظه الله - خطبة الجمعة بعنوان: "عبادات يسيرة بأجور كبيرة" ، والتي تحدّث فيها عن الإكثار من النوافل بعد شهر رمضان؛ من الصيام ، والقيام ، وقراءة القرآن ، وغير ذلك ، وذكر العديد من الأحاديث الدالة على عِظَم أجور الكثير من العبادات اليسيرة؛ كالذكر ، والوضوء ، والصلاة ، وإمالة الأذى عن الطريق ، وما إلى ذلك.

الخطبة

أول

—

الحمد لله ، الحمد لله مُعيد المواسم والأعياد ، ومُيسّر طرق الخير ليستكثر العبد من الخير ويزداد ، فالحمد لله على ما شرع ، والشكر لله على ما وفق ، والفضل لله على ما هدى ، إليه المرجع وإليه المعاد ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا أنداد ، وأشهد أن محمداً رسول الله وخير العباد ، صَلَّى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأولي الهدى والرشاد ، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم التناد.

أما بعد:

فالتقوى - أيها المسلمون - التقوى؛ وصية الأنبياء ، وحلية الأولياء ، وخير عُدةٍ ليوم اللقاء

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨) ﴿٧٦٠﴾ .

أيها المسلمون:

لم يزل في ثيابنا عبَقٌ من شَدَى شهرنا لم يخف ، ولم يزل في نفوسنا طراوةً من تراتيل القرآن لم تجف ، ولم تزل عيوننا نديّةً على وداع رمضان ، ومن ذا يلومها أن تجف ، وما ذاك إلا لما افتقدناه من لذة الطاعات ، وحلاوة القُرْبَات المُقَرَّبَات ، وما جافانا عنه مركبُ الزمان من العبادات الجالِيّة لصدى النفوس ورانِ القلوب.

ولو صابرَ الإنسان نفسه ، وغالبَ هواه ، وواصلَ نوافل العبادات التي اعتادها في شهر رمضان؛ من صيام ، وقيام ليل ، وقراءة للقرآن ، وصدقة ، وخيرٍ لانقَلَبَت حياته إلى موسمٍ للخير دائم ، وتقلَّبت نفسه في رياضٍ من القُرْبَات مُتَّصِل ، وتمثَّل قولَ الله - عز وجل - : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَنُسَكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦٢) ﴿٧٦١﴾ .

أيها المسلمون:

الأرضُ ميراثُ الله لعباده يختارون منازلهم من الجنة بقدرِ حرثهم للآخرة ، ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾ (٧٤) ﴿٧٦٢﴾ والمؤمنُ الحقُّ سائرٌ إلى ربه يسعى ويحفد ، لا يني حتى يكون مُنتَهَاهُ الجنة ، ولا يقفُ حتى يُدركه الموت ، ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (٩٩) ﴿٧٦٣﴾ .

ولئن انقضى شهرُ رمضان - وهو شهرُ مُضاعفةِ الأجور - فإن الله تعالى هو ربُّ كل الشهور ، وفي الحياة آفاقٌ واسعةٌ للعمل الصالح ، وأجورٌ تُضاعفُ هي - والله - المتجرُ الرابع ، وفي شرع الله وهدى رسوله - صلى الله عليه وسلم - فجاجٌ تُوصِلُ إلى الله ، ودُروبٌ تُؤدِّي وتُهدي لمرضاته ، وأعمالٌ تستجلبُ مرضيَ الله ورحماته ، ويُكافئُ عليها بجنّته. ولكن أين المُشْمِرُونَ؟!

قال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: أخذ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بمنكبي فقال: " كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ " . وكان ابنُ عمر يقول: " إذا أمسيت فلا

761 سورة الأنعام

762 سورة الزمر

763 سورة الحجر

تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك "؛ رواه البخاري.

وقد دلّا النبي - صلى الله عليه وسلم - على أعمال يسيرة ، ورُتّب عليها أجوراً كثيرة ، وفتح لنا أبواباً واسعة من الأعمال الصالحة تنزودُ بها ليوم الحساب ، وندخِرُها عند لقاء الله ربّ الأرباب ، ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩) ﴾ ٧٦٤ .

عن أبي ذرٍّ - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ ، وَيُجْزَى مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرَكُّهُمَا مِنَ الصُّحَى " ؛ رواه مسلم.

والسُّلَامَى: هي المِفْصَلُ.

وعنه - رضي الله عنه - أن ناساً قالوا: يا رسول الله! ذهب أهل الدُّثُور بالأجور ، يُصَلُّونَ كما نُصَلِّي ، ويصومون كما نَصُوم ، ويتصدّقون بفضول أموالهم. قال: " أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟ قَالَ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ ، أَكَانَ عَلَيْهِ وَزْرٌ ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ " ؛ رواه مسلم.

وقد يبلغ المؤمنُ أعلى المنازل بعملٍ يسيرٍ لا يظنُّ أن يبلغَ به ما بلغَ؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ طَرِيقٍ ، كَأَنَّهُ تُؤْذِي النَّاسَ " ؛ رواه مسلم.

وفي رواية له: « مرَّ رجلٌ بغُصْنِ شجرةٍ على ظهر طريقٍ ، فقال: " وَاللَّهِ لَأَنْجِيَنَّ هَذَا عَنْ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ ، فَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ " . وفي روايةٍ لهما: " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ ، فَأَخْرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ " .

أيها المسلمون:

وكلمة يسيرة قد يستجلب العبد بها رضا ربه الكريم ، ويشكر فضله العَمِيم؛ عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا " ؛ رواه مسلم.

أما الوُضوءُ والصلاةُ ، وهي المتكررة في اليوم عدة مرات ، فاستمع إلى ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوْ الْمُؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ ، خَرَجَ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ ، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ " ؛ رواه مسلم.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ . " ؛ رواه مسلم.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ " ؛ رواه مسلم.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهَجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا " ؛ متفق عليه.

والتهجيرُ: التبكيرُ إلى الصلاة.

وعن أبي عبد الله - رضي الله عنه - ويُقال: أبو عبد الرحمن - ثوبان مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورضي الله عن ثوبان - قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -

يقول: " عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً ، وَحَطَّ بِهَا عَنْكَ خَطِيئَةٌ " ؛ رواه مسلم.

وذكرُ الله تعالى عنوان الفلاح ، وشارة التوفيق والصلاح؛ عن عبد الله بن بُسرٍ - رضي الله عنه - أن رجلاً أتى النبيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : " يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا ، فَبَابُ نَتَمَسَّكَ بِهِ جَامِعٌ ؟ قَالَ : لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " ؛ رواه الترمذي.

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْثَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ، قَالُوا : بَلَى قَالَ « ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى " ؛ رواه الترمذي ، وقال الحاكم: إسناده صحيح.

وعن ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " مَنْ لَرِمَ الْإِسْتِغْفَارَ ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا ، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ " ؛ رواه أبو داود.

وعن شدَّاد بن أوسٍ - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولُ الْعَبْدُ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أُبُوءُ لَكَ بِالنِّعَمَةِ وَأُبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ . إِنْ قَالَهَا بَعْدَ مَا يُصْبِحُ مُوقِنًا بِهَا وَمَاتَ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ قَالَهَا بَعْدَ مَا يُمَسِّي مُوقِنًا بِهَا وَمَاتَ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " ؛ رواه البخاري.

وفي الإحسان إلى الخلق؛ لا تتردَّد في معروفٍ ، ولا تحتقر خيراً تُقدِّمه مهما قلَّ؛ يقول عدي بن حاتمٍ - رضي الله عنه - : سمعتُ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - يقول: " اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ " ؛ متفق عليه.

وفي روايةٍ لهما عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيِّئَتْهُ رُبُّهُ ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ وَلَا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ ، فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِكْلِمَةً طَيِّبَةً " .

وعن أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ قِيلَ : أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ : يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ ؟ قَالَ : يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفِ قَالَ : قِيلَ لَهُ : أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ ؟ قَالَ : يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ الْخَيْرِ قَالَ : أَرَأَيْتَ ؟ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ قَالَ : يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ " ؛ متفق عليه.

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة ، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثانية

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله:

والعمل الصالح المَعظم أجْرُه ، والسابغُ ثوابه يكتنفُ المجتمعَ المسلمَ بكل علاقاته من الوالدين ، والزوجة ، والأقارب ، والجيران؛ عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: جاءَ

رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ:

" أُمُّكَ " . قَالَ:

ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:

" ثُمَّ أُمُّكَ " . قَالَ:

ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:

" ثُمَّ أُمُّكَ " . قَالَ:

ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:

" ثُمَّ أَبُوكَ " ؛ متفق عليه.

وفي رواية: يا رسول الله! من أحقُّ الناس بحُسن الصُّحبة؟ قال: " أُمُّكَ ، ثُمَّ أُمُّكَ ، ثُمَّ أُمُّكَ ، ثُمَّ أَبَاكَ ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ " .

وقوله: « ثُمَّ أَبَاكَ » أي: ثُمَّ بَرِّ أَبَاكَ. وفي رواية: « ثُمَّ أَبُوكَ ».

وعن أنسٍ - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ " ؛ متفق عليه.

ومعنى " يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ "؛ أي: يُؤَخَّرَ له في أَجَلِهِ وعُمُرِهِ.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ " ؛ رواه الترمذي ، وقال: "حديثٌ حسنٌ صحيحٌ".

وعن ابن عمر وعائشة - رضي الله عنهما - قالا: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِثُهُ " ؛ متفق عليه.

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُمْ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ " ؛ متفق عليه. وفي السُّتْرِ على الناس قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " ؛ رواه مسلم.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ، فقال: " تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ " ، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ، فقال: " الْفَمُ وَالْفَرْجُ " . وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار. فقال: " الْفَمُ وَالْفَرْجُ " ؛ رواه الترمذي ، وقال: "حديثٌ صحيحٌ".

أيها المسلمون:

يا مَنْ أكرمَهُ اللهُ بصيام شهر رمضان! إن من السنة أن تصوِّمَ ستَّةَ أيامٍ من شهر شوال؛ فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ " ؛ رواه مسلم.

ويصحُّ أن تصوِّمَهَا مُتَّصِلَةً أو مُتَفَرِّقَةً.

فاستكثروا من الصالحات ، وأديموا الطاعات ، وحاذروا السيئات ، ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَظَتْ غَزْلُهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَتَكَاثَرُوا ﴾ (٩٢) ٧٦٥ ومن أعتقه ربُّه من النار فلا يرجعْ إلى

المعاصي ، فيعود إلى رقِّ الذنبِ وإلى الإِسارِ.

ثم صلُّوا وسلِّموا على النبي المُجْتَبَى ، والرسول المُرتَضَى ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمدٍ ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابه الغرِّ الميامين ، اللهم ارضَ عن الأئمة المهديين ، والخلفاء الراشدين: أبي بكرٍ ، وعمر ، وعثمان ، وعليٍّ ، وعن سائر صحابة نبيِّك أجمعين ، ومن سارَ على نهجهم واتبع سنَّتهم يا رب العالمين.

اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين ، وأذلِّ الشرك والمشركين ، ودمِّر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم من أرادنا وأراد بلادنا بسوءٍ أو فُرقةٍ فُرِدَّ كيده في نحْرِهِ ، واجعل تدبيره دماراً عليه. اللهم آمناً في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا ووليَّ أمرنا ، اللهم وفقه لهُدَاكَ ، واجعل عمله في رضاك ، وهبْ لهُ البطانة الصالحة ، اللهم وحد به كلمة المسلمين ، وارفع به لواء الدين ، وجازه بالخير على نُصرة قضايا المسلمين ، وسعيه لتوحيد صفِّهم وجمع كلمتهم ، اللهم وفقه ووليَّ عهده وسدِّدهم وأعْنهم ، واجعلهم مُباركين مُوفِّقين لكل خيرٍ وصلاح.

اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكانٍ ، اللهم أصلح أحوالهم في سوريا ، اللهم اجمعهم على الحقِّ والهدى ، اللهم احقن دماءهم ، وآمن روعاتهم ، وسدَّ خلَّتْهم ، وأطعم جائعهم ، واحفظ أعراضهم ، واربط على قلوبهم ، وثبَّت أقدامهم ، وانصرهم على من بغى عليهم ، اللهم فكَّ حصارهم عاجلاً غير آجلٍ يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم انتصر لليتامى والثكالى والمظلومين ، وارحمهم يا أرحم الراحمين ، ويا ناصر المظلومين.

اللهم عليك بالطُّغاة الظالمين ، اللهم عليك بهم فإنهم لا يُعْزِرُونَكَ ، اللهم أنزل بهم بأسك ورجزك إله الحق.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان ، واجمعهم على الحق يا رب العالمين ، اللهم انصرهم في فلسطين على الصهاينة المحتلين ، اللهم انتصر للمظلومين في بُورما ، اللهم احقن دماءهم ، وأصلح أحوالهم ، وكن لهم يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز دينك ، وأظهر أوليائك ، وأخز أعدائك ، في عافية لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - .

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿٧٦٦﴾ .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم وأزواجنا وذرياتنا ، إنك سميع الدعاء.

اللهم تقبل صيامنا ، وقيامنا ، ودعاءنا ، وصالح أعمالنا.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة : نصره الرسول صلى الله عليه وسلم

تاريخ إلقاء الخطبة : الخامس من ذي القعدة من عام ١٤٣٣هـ

- نصره الرسول صلى الله عليه وسلم .. كيف تكون؟ -

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب - حفظه الله - خطبة الجمعة بعنوان: "نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم .. كيف تكون؟" ، والتي تحدّث فيها عن عظمة أنبياء الله ورسله ، وأعظمهم خاتمهم محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وذكر ما تعرّض أعداء

الإسلام بالإساءة لمقام النبي - عليه الصلاة والسلام - ، ويُنَّ الواجب على كل مُسلم تجاه مثل تلك الأفعال الرّعاء بضرورة استغلالها وعدم تشويه صورة الإسلام ونبّيه والمُسلمين.

الخطبة

أول

—

الحمد لله المُتفرّد باسمه الأسمى ، المُختصّ بالملك الأعزّ الأحمى ، ليس دونه مُنتهى ولا وراءه مرمى ، وسِعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعِلماً ، وأسبغَ على عبادِهِ نِعماً عُمى ، وبعثَ فيهم رسولاً من أنفُسِهِم أنفُسُهُم غُرَباً وعُجماً ، والحمدُ لله كثيراً كما يُنعمُ كثيراً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبدُ الله ورسوله أرجحُ الخلائقِ عقلاً وعِلماً وحِلماً ، وأزكاَهُم نفساً وفهماً ، زكاه ربُّهُ روحاً وجسماً ، وحاشاه عيباً ووصماً ، صلّى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغرّ الميامين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فالتقوى - أيها الناس - التقوى؛ لازِموها سرّاً وجهراً ، وأعدُّوا لما يُنجيكم يوم العرضِ على الله ، فكلُّنا إليه صائرون ، وليس ثمَّ سوى حضرةِ النعيم ، أو عذابِ الجحيم ، والمُوفق من استنقذَ مُهجَّتَه ، وأعدَّ للأمر العظيم عُدَّتَه ، جبرَ الله صدعَ قلوبنا ، وغفرَ عظيمَ ذنوبنا ، وهدانا لما يُنجينا من عقابه ، ويُقرِّبنا زُلْفَى إلى رحمته وبابه.

أيها الناس:

البِقاعُ والبشر ، والكتب والكلم قد تتساوى في أصلها المُجرّد ، فإذا أُضيفَت فإنها تكتسبُ قيمَتها من قيمة ما أُضيفَت إليه ، وأعظمُ وأجلُّ وأخطرُ إضافةٍ هي الإضافةُ إلى الله الأعظم؛

فكتبُ الله تاجُ الكتب ، وبيوتُ الله أظهُرُ البيوت ، وكلامُ الله أعظمُ الكلم ، ورُسُلُهُ هم غُرَّةُ البشر وزينةُ الدنيا.

اصطفاهم الله خياراً من خيارٍ ، وعصمهم قبل النبوة وبعدها ، وتمثّلت كمالات البشر في ذواتهم ، وسُمُّوا الإنسانيّة في أرواحهم ، وأقوّم السُّبُل في هداياتهم.

رُسُلُ الله وأنبياءُهُ هم خيرٌ من وطئِ الثرى ، وأكرمُ وأبرُّ الورى ، لا سبيلَ للجنة إلا بطاعتهم ، ولا نجاةَ من النار إلا بتصديقهم ، ولا وصولَ إلى الله الأجلُّ الأكرم إلا بإرشادهم. عظمةُ الرسول من عظمةٍ من أرسله ، وتكريمُهُ من تكريمٍ من بعثه ، ومقامُهُم عند الله عظيمٌ.

وإن الله يغارُ على أنبيائه ويُدافعُ عنهم ، كم من أُمم أُبِيدَت بدعواتِ أنبيائها عليها ، وكم

من ديارٍ قُلبت وصُعقت ورُجفت بسبب تكذيبهم لرُسُلهم واستهزائهم بهم ، ﴿ وَلَقَدْ

اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (١٠) ﴿ ٧٦٧ .

وما زالَ الأنبياءُ والرُسُلُ لهم المكانةُ العُظمى في الشرائع والرسالات ، كلما جاء رسولٌ صدّق الرسولَ الذي قبله ، وبشّرَ برسولٍ بعده ، واجتمعتْ بشاراتُ الرُسُلِ لأقوامهم برسولٍ يأتي من بعدهم اسمه: (أحمد) ، هو خاتمُهُم وإمامُهُم ، وفي الخير مُقدّمُهُم ، وإن كان آخرُهُم في الزمان - صلى الله عليه وصلى على أنبيائه ورُسُلِهِ وأتباعِهِم أجمعين - .

أيها المسلمون:

تقصّر العباراتُ والمدائحُ ، وتغيضُ المعاني والقرائحُ أمامَ عظمةِ النبي الكريم والرسول العظيم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي العربيّ ، ولن تبلغَ شأوه المنابر ، ولن تُوفيَ قدره المحابر. وليست السيرةُ الشريفةُ بحاجةٍ إلى تعريفٍ؛ فالقدرُ عالٍ والشأُ مُنيفٌ.

كيف ترقى رُقيك الأنبياءُ

يا سماءَ ما طاوَلَتْها سماءُ

أيها الناس:

إن العالم من أزلّه إلى أبدّه لم يعرف بشراً مُصَفّى المعدن ، زكيّ السيرة ، بهيّ الخلاق ، صلب الجهاد ، شديد التعلّق برّبّه مثل ما عرفَ في النبي محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - . ولم يعرف العالمُ إنساناً شقّ طريقَ الكمالِ ، ومهّده للناس تمهيداً ، ودعاهم إليه أحرّ دعوةً ، وشرح معالِمه لهم أرقّ شرحٍ ، وتحملَ في ذات الله ما لم يتحمّل أحدٌ مثل ما عرفَ عن النبي محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - .

وقد يعرفُ طرفاً من عظمة هذا الرسول العظيم من درَسَ فلاسفة الأخلاق والاجتماع ، وساسة الشعوب ، وقادة الجيوش ، ومؤسّسي الحضارات والدول ، فإذا فرغ من هذا الدرس المستوعب لعظماء الأرض ، وانتهى من استعراضه لمُبرزين من قادة البشر وقفَ بكلّ ما لديه أمام أعجاز الإنسان الكامل: محمد بن عبد الله ، ليرى أن عباقرة الأرض تلاشوا في سنّاه ، وأن آثارهم تضاءلت أمام هُده ، وأن امتيازهم على أقرانهم تحوّل صفراً أمام شمس النبوة الطالعة وهاليتها الرائعة.

إن حقيقة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فوق ما يصفُ الواصفون ، والأيادي التي أسداها تجعلُ كلّ مؤمنٍ مديناً له بنور الإيمان الذي أضاء نفسه وزكّاه ، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (٥٣)﴾ ٧٦٨ .

إن محمداً - صلى الله عليه وسلم - جاء في أعقاب نبوّاتٍ أعقب الشيطان ثمارها ، وكانت بعثته كلمة السماء الأخيرة ، فكانت ضمناً يمنعُ العوج ، ويقي من الانحراف ، لتصوّن مستقبل الإنسانية الطويل ، وفي القرآن الكريم: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ وَليَهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤)﴾ ٧٦٩ .

لقد وُجدت دياناتٌ مُفتعلة ، ومعتقداتٌ نسبت إلى الله ما لا يليقُ ، وقولته ما لم يقل ، وبلغ من رُسوخ هذه وتلك انها قاومت الحقَّ أشدَّ مقاومةً لما جاءها ، ولم يكسب العالمُ منها إلا الشقاء ، لذلك قال الله - عز وجل - : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ

إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٣٢) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) ﴿٧٧٠﴾ .

إن بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - كانت ميلاداً للحق في أبهى صوره وأزهى أشعته ، وكان شروق هذا الحق إيذاناً بزوال الخيرة السائدة والشقاء المخيم .

لقد جاء الإسلام ليعلن عن إله واحد خلق كل شيء ، وتزّه عن مُشابهة كل شيء ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢) ﴾ ﴿٧٧١﴾ .

والتوحيد المطلق هو الحق الذي غالى به الإسلام ، وبسط آياته في كل أفق ، لقد كانت بعثة النبي - صلى الله عليه وسلم - إنقاذاً من هذا الإلحاد وعواقبه الشائنة ، ورفعاً ودفعاً للظلم واستبعاد الإنسان للإنسان ، وتلك أولى آيات الرحمة العامة التي بُعث بها صاحب الرسالة العظمى ، يلي ذلك العمل والسلوك؛ فإن محمداً - صلى الله عليه وسلم - جاء إلى الاجناس كافةً بدين يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث. إن محمداً - صلى الله عليه وسلم - صناعة إلهية لم تتكرر ، فسبحان من أبدع محمداً.

أيها الناس:

وليس المقام اليوم مقام إحاطة بمكانة الرسل وفضل خاتمهم - صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين - ، ولا إثباتاً لصديق نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وصحة رسالته؛ فهذا مما لا يُجادل فيه إنسان يحترم عقله ، وقد توافرت اليوم أسباب المعرفة بطرق هائلة. ولكن ثمة وقفات وإشارات حول ما شغل الناس من إساءة لجَنَابِ نبيِّنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ومساس بديننا الخاتم مما جاش في الصدور ، وغلت منه القلوب كما تغلي القدور ، ولا خير في أمة تُؤذى في نبيها فلا تغضب ، ولا خير في غضبة لرسول الله تُؤدى إلى غضب من الله ورسوله.

ويستحيل أن يحقد على محمد رجل له ثقافة مُحترمة أو عقل بصير. لماذا يحقد عليه؟! ألأن كتابه يصفُ الخالق الأعلى فيقول: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ (٢٢)﴾ ٧٧٢ .

محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم وبارك - بأبي هو وأمي ونفسي - يتبعه اليوم مليار وخمسمائة مليون من البشر أو يزيدون ، هو أحبُّ إليهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم والناس أجمعين ، أنفسهم لنفسه فداء ، وأعراضهم لعرضه وقاء ، كلهم يقول بقول حسن:

فإن أبي ووالده وعرضي

لعرض محمد منكم وقاء

وسؤالُ المدَّعي الحُرِّيَّاتِ: لمصلحة من تُثارُ هه النَّزَغات؟! ولمصلحة من تُصادمُ الحضاراتُ والثقافات؟! ومتى كانت حُرِّيَّةُ التعبير تعني العدوان بلا حدود أو قيود؟! ألا فآين حُرِّيَّةُ التعبير عند إنكار مذبحه اليهود قبل عقود والتي فرضتها السياسة أكثر من حقائق التاريخ؟! لن يجرو فرد في العالم أن يُنكرها أو يُشكك فيها حتى تُلاحقه منظماتُ العالم وحكوماته ومحاكمه وساسته ، اما الرسول العظيم محمد - صلى الله عليه وسلم - فالحديثُ عنه مُباحٌ ، وحرية يكفلها القانون! ما لكم كيف تحكمون؟! إن على السَّاسة وصنَّاع القرار أن يدركوا أن ردود أفعال الشعوب طوفان لا يُمكن ضبطه ، وجحيمٌ مُتفجِّرٌ لا يُمكن توقُّيه ، وربما أفلت الزَّمامُ ، فلا كلمة تُسمع ، ولا حكمة تنفع ، وبخاصَّةٍ إذا أهينت الأمة في رمزها المُقدَّس. لذا على الحكماء منع السفهاء ، وعلى السَّاسة منع الذين يُشعلون الحرائق ، ولن يقبل أحدٌ في دينه عُذراً.

إننا ننادي بالحوار والتفاهم والتسامح ، ولكن هذا كله لا يُجدي إذا بقي أولئك الناس يتوارثون إحْنَ القرون ، ويطوون أفئدتهم على بغضاء لا قرار لها نحو الإسلام ورسوله وأُمَّته.

أين القانون الدولي والمعاهدات الدولية التي تُجرّم الدعوة إلى الكراهية والتمييز العنصري ،
وبخاصّةٍ حين تُشكّل تحريضاً مباشراً على العنف؟!
إننا نطالبُ العالمَ الذي يدّعي بمجموعه وضعَ الضوابط لحماية الجميع أن يُصدِرَ ميثاقَ شرفٍ ،
ويسنّ قانوناً ملزماً يُحرّم ويُجرّم الإساءة للأنبياء والرُّسل ، ورسالاتهم السماوية .
وقد نادى بذلك خادمُ الحرمين الشريفين في كلِّ محفلٍ ، وسعى إلى مدِّ جسورِ الحوارِ بين أتباع
الديانات السماوية ، والثقافات الإنسانية ، حتى تكون العلاقة بين أُمم الأرض مبنيةً على
أسس التعارف والعدالة والرحمة ، ويتحوّل العالم من صدام الحضارات إلى حوار الحضارات ،
والدعوة إلى الحقِّ بلا صددٍ ولا تشويهٍ ، فهذا مبدؤنا مبدأُ الإسلام ، فيه احترامُ الأنبياء كلّهم
، والإيمانُ بهم كلّهم ، واتباعُهم ، ونشرُ الخير والأمن والسلام .
وفي وصفِ الله لنبيِّه محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
(١٠٧) ﴾ ٧٧٣ .
بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة ، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة ، قد قلتُ ما
أسلفتُ ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم .

الخطبة

الثانية

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له الملك الحقُّ المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك
عليه ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .
عباد الله :

قيل لأحد السلف: إن فلاناً اغتابك . قال: " لقد رماني بسهمٍ لم يُصِني ، حتى جئت أنت
وحملته إليَّ " .

فأنبياء الله - عليهم السلام - لم يزالوا يؤذون ويُستهزأ بهم وبأتباعهم ، ويحدثُ هذا في كلِّ عصرٍ ومصرٍ ، ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (١١) ﴿٧٧٤﴾ .

ولئن بدا ذلك من أدنى البشرية قدراً وأسوأهم حظاً في الدارين فإن الواجب على من سمع بشيء من ذلك ألا بنشره ولا يحدث به إلا لذي سلطةٍ قادرٍ يمنع المتجاوز.

ولقد ضاع شعيرُ المشركين في هجاء سيد المرسلين مع كثرته وتغني القيان به ، وماتت تلك القصائدُ في حينها حين لم يحفل بها المسلمون ولم يتداولوها بينهم ، ولم يعد لأكثرها ذكرٌ في دواوين الشعر وأخبار العرب.

دينكم - يا عباد الله - ظاهرٌ ، ونبئكم مكفيٍّ ومنصورٌ ، ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى

وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٣٣) ﴿٧٧٥﴾ ولن يلحقَ مقامَ

الأنبياء شيءٌ لتناول ملحدٍ سفيهٍ أو كافرٍ مخذولٍ ، والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ

الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (٩٥) ﴿٧٧٦﴾ .

فمقاماتُ الأنبياء محفوظةٌ ، وأقدارُهم عزيزةٌ مصونةٌ ، وإنما المتناول هو المسكينُ الخاسرُ ،

﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ (٣) ﴿٧٧٧﴾ .

ولعلَّ في هذا مرهماً لنفوس المكلومين ، وترطيباً لقلوب المؤمنين الغيورين ، ترشيدها لغيرتهم المشكورة ، ونصرتهم المأجورة.

أيها المسلمون:

في حادثة الإفك المشهورة قال الله - عز وجل - : ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ

(١١) ﴿٧٧٨﴾ وفي حادثة هذه الأيام هاجت مشاعرُ طالما كانت باردةً في نفوس بعض

المسلمين ، التفتت أنظارٌ غيرُ مُسلمةٍ لهذا الدين ونبئه الكريم ، وحركت ماءً راكداً لدى المسلمين وغيرهم.

774 سورة الحجر

775 سورة التوبة

776 سورة الحجر

777 سورة الكوثر

778 سورة النور

ولو أحسن المسلمون استغلالَ هذه الحادثة لكان بها فتحٌ وعِزٌّ ، وإن أسأؤوا التعاملَ معها صارتَ نكسةً وتنفيراً.

إن الخيريةَ الموصوفةَ بها هذه الأمةُ خيريةٌ مطلقةٌ لا تتجزأ ، فيجبُ على المسلمين إظهارَ خيريتهم في ردود الأفعال؛ فليس من الخيرية قتلُ الأبرياء ، وتدميرُ الممتلكات ، ولا الغوغائية في التعاطي مع الأحداث.

ولو أظهرَ المسلمون زيادةً في التمسُّكِ بهدي نبيهم واقتفاء أثره ، ونشرِ سيرته والتعريف به؛ مُستفيدين من المواقع العالمية للتواصل - كما فعلَ كثيرٌ من المسلمين مشكورين - لكان هذا أبلغَ ردٍّ على المتطاولين ، ولبادرَ خصومهم لمنع تكرارِ الإساءة لما يُشاهدونه من نشاطٍ دعويٍّ مُضادٍّ؛ فإن هذا الردُّ هو الأنكى لمن أساء ، وهو مُعاملةٌ بنقيضِ القصد.

أما الانجرارُ وراء كل من يُريدُ بهذه الأمةِ شرًّا إما بإشغالها عن حالها الذي ابتليت به في هذا الزمان ، أو لاستفزاز الجاليات المسلمة في بلاد الغربِ إلى أفعالٍ غير مسؤولةٍ ليرؤوا بها طردهم ، كما تُنادي الأحزابُ اليمينيةُ في تلك البلاد ، أو لتكون تلك الأفعالُ مُبرراً لمنع ومُحاصرة كل نشاطٍ دعويٍّ في بلاد الغرب ، بعدما أحسوا بأن الإسلام حاضِرٌ في كل زوايا بلادهم ، وأن المستقبلَ له.

إن على المسلمين أن يدركوا أنهم ليسوا في حاجةٍ إلى حوادثٍ جديدةٍ ينحسرُ بها مدُّ الإسلام وتضيُّعُ مكاسبه. إن على المسلمين أن يكونوا على مُستوى من الوعي والنُضج ، وألا تتكرَّر الأخطاء ، وإن الحياةَ للإسلام أوقعُ على خصومه أحياناً من الموت له.

إن نُصرةَ النبي - صلى الله عليه وسلم - لا تعني الخروجَ عن سنَّته ، ولا عملاً يُخالفُ هديَه ، إن حادثةَ الإساءة يجبُ أن تزيدَ الأمةَ تمسُّكاً بدينها ، وحِمةً لنبيها ، وعودةً لاتباعِ سنَّته في الرضا والغضب ، والضعف والقوة ، ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ (٦٠) ﴿ ٧٧٩ .

اللهم صلِّ على الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمدٍ ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغر الميامين ، اللهم ارضَ عن

الأئمة المهديين ، والخلفاء الراشدين: أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعن سائر صحابة نبيك أجمعين ، ومن سار على نهجهم واتبع سنتهم يا رب العالمين.
اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم من أرادنا وأراد بلادنا بسوءٍ أو فرقةٍ فردَّ كيده في نحره ، واجعل تدبيره دماراً عليه.
اللهم آمناً في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا ووليَّ أمرنا ، اللهم وفق خدام الحرمين الشريفين لهداك ، واجعل عمله في رضاك ، وهبى له البطانة الصالحة ، اللهم وحد به كلمة المسلمين ، وارفع به لواء الدين ، وجازه بالخير على نصرة قضايا المسلمين ، وسعيه لتوحيد صفهم وجمع كلمتهم ، وموقفه الحازم لمنع كل الروابط والمواقع الموصلة إلى نبيينا الكريم ، اللهم وفقه ووليَّ عهده وسددهم وأعنيهم ، واجعلهم مباركين موفقين لكل خيرٍ وصالح.

اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم أصلح أحوالهم في سوريا ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ، اللهم احقن دماءهم ، وآمن روعاتهم ، وسد خلتهم ، وأطعم جائعهم ، واحفظ أعراضهم ، واربط على قلوبهم ، وثبت أقدامهم ، وانصرهم على من بغى عليهم ، اللهم فك حصارهم ، اللهم وفرج عنهم كربهم ، اللهم وفرج عنهم كربهم.
اللهم انتصر لليتامى والثكالى والمظلومين ، اللهم رحمك بهم يا أرحم الراحمين ، ويا ناصر المظلومين.

اللهم عليك بالطغاة الظالمين ، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك ، اللهم أنزل بهم بأسك ورجزك إله الحق.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين ، اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان ، واجمعهم على الحق يا رب العالمين ، اللهم انصرهم في فلسطين على الصهاينة المحتلين ، اللهم انتصر للمظلومين في بورما ، اللهم احقن دماءهم ، وأصلح أحوالهم ، وكن لهم يا رب العالمين ، ويا أرحم الراحمين.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿٧٨٠﴾ .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آماننا ، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم وأزواجنا وذرياتنا ، إنك سميع الدعاء.
ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم.
سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة : مقاصد الحج وشواهده

تاريخ إلقاء الخطبة : السابع عشر من ذي الحجة من عام ١٤٣٣هـ

– مقاصد الحج وشواهده –

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب – حفظه الله – خطبة الجمعة بعنوان: "مقاصد الحج وشواهده" ، والتي تحدّث فيها عن الحجّ ومقاصده وشواهده ، وبين أن من أعظم مقاصد هذه الشعيرة المباركة تقوى الله تعالى ، وإخلاص العمل له – سبحانه – ، واتباع سنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – ، وذكر بعض روحانيات الحجّ ، ثم ختم خطبته بضرورة الاستغفار بعد الأعمال؛ حفاظاً عليها ورعاية لها من البطلان.

الخطبة

أول

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يُضِلّ فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صَلَّى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .
أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وخير الهدي هديُّ محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - ، وشرُّ الأمور مُحدثاتها ، وكلُّ مُحدثَةٍ بدعة ، وكلُّ بدعةٍ ضلالة ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .
ألا وإن خيرَ الوصايا بعد المحامد والتحايا: الوصيةُ بتقوى الله العظيم ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٧١) ﴿ ٧٨١ 》 .

أسلموا لله القياد ، وأعدّوا ليوم المعاد ، وأخلصوا لله في السرّ والإعلان؛ فكم من إنسانٍ كثير الثياب ، عاري الثوب ، مذكور في الأرض ، مهجور في السماء .
أيها الحجاج في هذي البطاح! يا مَنْ وفّدت من كل ناحية وساح ، ها هنا الموردُ فعُلّوا ، وهنا الرواءُ فأنهلوا ، أكرمكم الله بإدراك يومٍ عظيمٍ من أيام الإسلام ، وموقفٍ جليلٍ من مواقف المسلمين ، فأتتمّم حجّكم ، وقضيتُم تفشّكم ، وقد سبقكم إلى هذه الصّعدات آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، وأنبياءُ كثر ، ومحمدُ النبي الكريم ، وصحبُه أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ ، والصحابةُ العظام ، وأئمةُ المذاهبِ وصلحاءُ المسلمين .
وها أنتم تخلّفونهم على هذه الرُّبوع ، الربُّ واحدٌ ، والمشاعرُ هي نفسُها ، والهدفُ مُتّحدٌ ، فلماذا الحالُ غيرُ الحال ، والرجالُ دون الرجال؟!!

نسبُكم - أيها المسلمون - في المُعتَقَد تسلسلٌ إلى أنبياء الله ورُسُلِهِ؛ فلمَ الحَيَدَةُ؟
وديوَانُ الإسلام - قرآنٌ وسنّةٌ - لا زالت حَيَّةً ، وشواهدُ التوحيد ما زالت قائمةً من عهد إبراهيم؛ فلماذا الخلطُ؟

ودينُكم أعظمُ شريعةٍ نزلت من السماء إلى الأرض؛ فلمَ الدَّلَّةُ؟

قضيتُم نُسكًا شِعَارُهُ التَّوْحِيدُ ، فَاجْعَلُوهُ شِعَارَكُمْ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ " ؛ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .
عَظَّمُوا اللَّهَ وَأَجْلُوا رَسُولَهُ ، وَعَظَّمُوا مَا جَاءَ مِنْ عِنْدَهُمَا وَأَسْلَمُوا لَهُ ، أَخْلَصُوا لِلَّهِ الْقَصْدَ وَالْعَمَلَ ، وَاقْتَفُوا هَدْيَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَصَحْبِهِ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، وَاعْرِضُوا الْعِبَادَةَ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (٧) ﴿ ٧٨٢ ﴾ وما لم يرد في السُّنَّةِ فَاطْرَحُوهُ .

أيها المسلمون:

حُجَّاجُ بَيْتِ اللَّهِ الْعَتِيقِ! إِنْ مِنْ حَجِّ الْبَيْتِ وَاعْتَمَرَ فَقَدْ ازدَادَ مِنَ اللَّهِ قُرْبًا ، وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ زُلْفَى ، وَالْمُقَرَّبُونَ هُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِالتَّأْدُّبِ مَعَ اللَّهِ - جَلَّ فِي عِلَاهُ - يَحْدُوهُمْ الرَّجَاءُ فِي الْإِزْدِيَادِ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَيَمْنَعُهُمُ الْحَيَاءُ مِنَ التَّلَطُّخِ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَعَاصِي بَعْدَ أَنْ أَكْرَمَ اللَّهُ وَسَادَتْهُمْ ، وَغَفَرَ ذُنُوبَهُمْ ، وَأَتَمَّ مَنَاسِكَهُمْ .

أَمَّا وَقَدْ وَفَّقَكُمْ اللَّهُ لِمَرْضَاتِهِ ، وَيسَّرَ لَكُمْ التَّعَرُّضَ لِنَفَحَاتِهِ؛ فَاسْتَقِيمُوا عَلَى أَمْرِهِ ، ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾ (٩٢) ﴿ ٧٨٣ ﴾ .

وَإِنْ مِنْ أَوْلَى مَا يُوصَى بِهِ الْمُسْلِمُ بَعْدَ التَّقْوَى: مَا أَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سُفْيَانٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَما قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ ، قَالَ : " قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ، ثُمَّ اسْتَقِمْ " ؛ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

أَلَا وَإِنْ مِنْ أَوْلَى مَا اسْتَقَامَ عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ التَّوْحِيدِ: الْمُحَافَظَةُ عَلَى الصَّلَاةِ؛ فَهِيَ عَمُودُ الدِّينِ ، وَفَارِقُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْكَافِرِينَ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (٢) ﴿ ٧٨٤ ﴾ .

رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ: أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: " أَنْزَلَ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١) ﴿ ٧٨٥ ﴾ حَتَّى خَتَمَ عَشْرَ آيَاتٍ " .

782 سورة الحشر

783 سورة النحل

784 سورة المؤمنون

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١) ﴾^{٧٨٦} هذه هي أسباب الفلاح وأسباب دخول الجنة؛ الصلاة، والزكاة، واجتناب ما لا نفع فيه من الأقوال والأعمال، وحفظ العورات والمحارم، واجتناب الفواحش، والمحافظة على الأمانة والعهد.

أيها المؤمنون:

الإسلام هو الاستسلام لله، والانقياد له بالطاعة، والخُلوص من الشرك وأهله، والاستسلام لله عبَّرَ عنه أحكام الحجِّ كما جسَّدته المشاعرُ، ومثَّلته سيرة نبي الله إبراهيم وآله، تلك الأسرة الصالحة التي استسلم فيها إبراهيم لأمر الله بترك زوجته ورضيعها في وادٍ قفرٍ؛ لأن الله أمره بذلك، وقالت زوجته هاجر: "الله أمرك بهذا؟". قال: "نعم". قالت: "إذا، لن يُضَيِّعَنَا".

فلم يُضَيِّعهم ربُّهم، وفجَّر الأرضَ بعين زمزم، وبارك فيها، وعمرَ الوادي بالبشر، فهوت أفئدة الناس إليهم، ورزقهم الله من الطيبات، وجعلَ بلدهم آمناً مطمئناً. واستسلم إبراهيم لأمر الله بذبح ابنه، واستسلم إسماعيل أيضاً لهذا الأمر، وقال الله عنهما: ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) ﴾^{٧٨٧} أي: استسلما، لكنَّ الله الرحيمَ لطفَ. إنه مثالٌ للأسرة الصالحة المستسلمة، ودرسٌ للأمة بكل تفاصيل الحدث، وكان الجزاء في الموقفين: أن الله كان لهم، ورفعَ درجاتهم، وجعلَ النبوةَ فيهما وفي ذريتهما، وجعلَ آثارهما مناسكاً للمؤمنين إلى يوم الدين.

785 سورة المؤمنون

786 سورة المؤمنون

787 سورة الصافات

عباد الله:

ومن روحانيات الحج: التربية على التقوى ، وفي ثنايا آيات الحج: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (١٩٧) ^{٧٨٨} إنها عبادة محدودة في أيام معدودة ، يجهد الحاج في تمامها ، ويحذر من نقصانها أو بطلانها ، ويلتمس من ربه القبول راجياً رحمته ، طالباً الخلاص من ناره. وهذا مختصر الحياة ومُلخَصُها.

والتقوى شعورٌ قلبيّ يحدو المسلم خلال ذلك للسير وفق مُراد الله ، يُزجيه خوفُ الله ، ورجاءُ ما عند الله لا ما عند الناس ، وإذا جعل المسلم قصده استرضاءَ ربه أفلح ونجا. أيها المسلمون:

الحج موسمٌ روحانيٌّ نشر بين المسلمين حقيقة العبادة المقدسة؛ طاعةً واستجابةً لنداء الرحمن ، واستسلاماً لشرعه وأحكامه ، ومهما أحاط الإنسان نفسه بمظاهر الترف فلن ينفك عن الشعور بالحقيقة حقيقة أنه فردٌ من بين ملايين البشر ، وأنه فقيرٌ إلى الله كبقية السائرین إليه ، المستجدين منه الرحمة والمغفرة والرضوان.

لذا ، فإنه من الخطأ تطلبُ حجٍّ مُرفهٍ ، أو التذمر من مشقة يلقاها من لم يتعود المشاق؛ فإن الله تعالى قال: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ (٧) ^{٧٨٩} فالبساطة والتخلي عن الرفاهية من مقاصد الحج ، فيها التربية والعبودية والتواضع ، والمساواة عند الضراعة بين يدي الله.

وفي ذلك أيضاً: تربية للمسلمين بأن يكونوا رحمةً على إخوانهم متواضعي لهم ، قائمين على مصالحهم ، في بُعدٍ عن الأنانية والأثرة ، فضلاً عن التقصير في حقهم ، أو الإخلال بما أنيطوا به من واجبه.

عباد الله:

ومن مشاهد الحج: أن الله تعالى أحاطه بالرعاية والحفظ ، وأسبغ على حجاج بيته الأمن والطمأنينة ، في أيام يضطرب فيها العالم كما تضطرب نار الحروب في بقاع شتى ، ولسنا

788 سورة البقرة

789 سورة النحل

بِمَنَآئِ عَنِ الْحُسَّادِ وَالْمُعْتَدِينَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي لَطَفَ وَآمَنَ ، وَسَتَرَ وَعَافَى ، وَأَسْبَغَ عَلَيْنَا نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ، وَسَخَّرَ لِهَذَا الْبَلَدِ حُمَاةً صَادِقِينَ ، حَفِظَ اللَّهُ بِهَمِّ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ .
فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ ، وَلَهُ الشُّنَاءُ الْحَسَنُ ، وَصَدَقَ اللَّهُ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا

وَيَتَخَفُّ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ (٦٧) ﴿٧٩٠ .

إِنَّمَا نِعْمَةٌ تَسْتَوْجِبُ الذِّكْرَ وَالشُّكْرَ وَالتَّوْبَةَ؛ تَحَدُّثًا بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَشُكْرًا لَهُ وَحَمْدًا .
بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ، وَنَفَعَنَا بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْحِكْمَةِ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى لِي وَلَكُمْ .

الخطبة

الثاني

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً عليها الحيا والممات ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أما بعد ، أيها المؤمنون:

بالاستغفار تُخْتَمُ الْأَعْمَالُ الْكِبَارُ ، وَطُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا ، وَإِنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ شَجَرَةٌ طَيِّبَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى سِقَايَةٍ وَرِعَايَةٍ حَتَّى تَنْمُو وَتَثْبُتَ ، وَتُؤْتِيَ ثَمَارَهَا .
وَإِنْ مِنْ عِلَامَةٍ قَبُولِ الْحَسَنَةِ: إِتْبَاعُهَا بِالْحَسَنَةِ؛ لِأَنَّ مِنْ قَبْلِهِ اللَّهُ وَقَرَّبَهُ وَفَقَّهَهُ لِلصَّالِحَاتِ ، وَوَقَاهُ السَّيِّئَاتِ .

فاحرص - رعاك الله - على حفظ عملك ، وصيانة نفسك ، وسددوا وقاربوا ، وأبشروا وأملوا ، والإخلاص والصواب عليها مدار القبول .
جعلك الله بالجنة فائزًا ، ولأعلى الدرجات حائزًا ، وجعلنا وإياك ممن تدعو لهم الملائكة بقول الله - عز وجل - : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ

وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) ﴿٧٩١﴾ .

هذا ، وصلُّوا وسلِّموا على خير البرية ، وأزكى البشرية ، وأفضل الرُّسل: محمد بن عبد الله؛ فمن صَلَّى عليه صلاةً صَلَّى الله عليه بها عشرًا.

اللهم صلِّ وسلِّم وزِدْ وبارِكْ على عبدك ورسولك محمدٍ ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغرِّ الميامين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

اللهم أعِزِّ الإسلام والمسلمين ، اللهم أعِزِّ الإسلام وانصُرْ المسلمين ، واخْذُلْ الطغاةَ والملاحِدةَ والمُفسِدين ، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمرَ رُشدٍ يُعِزُّ فيه أهل طاعتك ، ويُهدى فيه أهل معصيتك ، ويُؤمر فيه بالمعروف ، ويُنهى عن المنكر.

اللهم من أراد الإسلام والمسلمين بسوءٍ فأشغله بنفسه ، ورُدَّ كيده في نحره ، واجعل دائرة السوء عليه يا رب العالمين.

اللهم انصر المجاهدين في سبيلك ، اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في فلسطين ، وفي بلاد الشام ، وفي كل مكانٍ يا رب العالمين.

اللهم فكِّ حصارهم ، وأصلح أحوالهم ، واكبت عدوهم.

اللهم حرِّرْ المسجد الأقصى من ظلم الظالمين ، وعُدوان المحتلِّين.

اللهم أصلح أحوال المسلمين ، اللهم أصلح أحوالهم في سوريا ، وفي فلسطين ، وفي كل

مكانٍ ، اللهم اجمعهم على الحقِّ والهدى ، اللهم احقن دماءهم ، وآمن روعاتهم ، وسدَّ

خلَّتْهم ، وأطعم جائعهم ، واحفظ أعراضهم ، واربط على قلوبهم ، وثبَّتْ أقدامهم ،

وانصُرهم على من بغى عليهم ، اللهم فكِّ حصارهم يا حي يا قيُّوم يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم وفق وليَّ أمرنا خادم الحرمين الشريفين لما تحبُّ وترضى ، وخُذْ به للبرِّ والتقوى ، اللهم

وفقه ونائبه وإخوانهم وأعوانهم لما فيه صلاحُ العباد والبلاد.

اللهم جازهم بالخيرات والحسنات على ما يبذلونه من خدمة الحجاج وخدمة الحرمين الشريفين وقاصديهما ، اللهم كافئ كل من خدم الحجاج ، اللهم كافئ كل من خدم الحجاج ، واجز خيراً من قام على رعاية ضيوفك ، اللهم ثقل موازينهم بالحسنات ، وبارك لهم في أعمالهم وأعمارهم.

اللهم وفق ولاة أمور المسلمين لتحكيم شرعك ، واتباع سنة نبيك محمد - صلى الله عليه وسلم - ، واجعلهم رحمة على عبادك المؤمنين.

اللهم انشر الخير في بلادنا وبلاد المسلمين عامة ، واكفنا شر الأشرار ، وكيد الفجار ، وشر طوارق الليل والنهار.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ، ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٤٧) ، ﴿ ٧٩٣ ﴾

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم وأزواجنا وذرياتنا ، إنك سميع الدعاء. اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك والنار.

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا غيثاً هنيئاً مريئاً سحاً طيقاً مُجلاً عاماً نافعاً غير ضار ، تُحيي به البلاد ، وتسقي به العباد ، وتجعله بلاغاً للحاضر والباد.

اللهم سقيا رحمة ، اللهم سقيا رحمة ، اللهم سقيا رحمة ، لا سقيا عذاب ولا بلاء ولا هدم ولا غرق ، اللهم أغثنا يا حي يا قيوم ، يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم احفظ الحجاج والمعتمرين ، وأعدهم إلى ديارهم سالمين غانمين ، وتقبل منا ومنهم ومن جميع المسلمين.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وَثُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

الفصل _____ السادس

منبر الجمعة من الحرم المكي للعام
الهجري ١٤٣٤ هـ

عنوان الخطبة : وقفة مع معنى البركة

تاريخ إلقاء الخطبة : الثالث والعشرون من محرم من عام ١٤٣٤هـ

— وقفة مع معنى البركة —

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب — حفظه الله — خطبة الجمعة بعنوان: "وقفة مع معنى البركة"، والتي تحدّث فيها عن البركة ومعناها، وذكر بعض الآيات والأخبار والآثار التي وردَ فيها فضلُها وعظُم أثرها ونفعُها، وبين أن الذنوبَ والمعاصي سببُ محقّها وذهابِها.

الخطبة
أول

—

الحمد لله ، تبارك في ذاته وبارك من شاء من خلقه ، الحمد لله العليّ الأكرم ، لا يُوفي قدره بشرّاً ولا يقوم بحقه ، ولا ينفك مخلوق من رِقّه ، ولا يستغني بشرّاً عن جوده ورزقه ، هو الأول في هذا الوجود وله وحده القيامُ والسُّجود ، وجوده — سبحانه — لا يُشبهه وجود ، وجوده — سبحانه — لا يُشبهه جود ، وبطشه يبعثُ المعرضين وهم في صحوهم أو هم هُجود ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلّم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم — أيها الناس — ونفسي بتقوى الله؛ فهي العُدّة في الشدائد ، والعون في الملمات ، وهي أنسُ الروح والطمأنينة ، ومُتَرَلّ الصبر والسكينة ، ومبعثُ القوة واليقين ، ومِعراجُ

السمو إلى السماء ، وهي التي تُثَبَّتُ الأقدام عند المزالق ، وتربطُ على القلوب عند الفتن ،
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾^{٧٩٤} .

أيها المسلمون:

في تحايانا وفي دعواتنا عبارات تستحق التأمل ، كلمات تُردِّدُها كل يوم بيننا ، وفي صلواتنا ،
قد جمعت خيرَي الدنيا والآخرة ، وسعادة الحال والمآل ، إنما الدعاء بالبركة.
يلقى المسلم أخاه فيقول له: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ فهل تأملنا معنى الدعاء
بالبركة؟

وفي صلاتنا ندعو: " وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ " ،
وفي دعاء قيام الليل: " وَبَارِكْ لِي فِيمَا أُعْطِيتَ " ، ونقول للزوجين: " بَارِكْ اللَّهُ لَكُمَا ،
وبارك عليكما " .

فما حقيقة هذه البركات؟

عباد الله:

أصل البركة: الثبوت والدوام والاستقرار ، والبركة: النماء والزيادة وكثرة الخير. يُقال:
باركه الله وبارك فيه وبارك عليه وبارك له ، والمبارك: الذي قد باركه الله تعالى ، قال -
سبحانه - : ﴿ وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ ﴾^{٧٩٥} (٥٠) وذلك لكثرة خيره ونفعه ووجوه
البركة فيه.

البركة كلها من الله؛ فإن الرب تعالى هو الذي تبارك وحده ، وكل ما نُسب إليه مُباركٌ ،
فكلامه مُبارك ، ورسوله مُبارك ، وعبدُه المؤمن النافع خلقه مُبارك ، وبيته الحرام مُبارك ،

794 سورة الأحزاب

795 سورة الأنبياء

وكنائنه من أرضه - وهي الشام - أرض البركة ، وصفها بالبركة في آيات من كتابه ،
وبارك المسجد الأقصى وما حوله.

والله تعالى يُقال في حقه: تبارك؛ أي: تعالى وارتفع وتقدس وتمجد ، ولا يُقال: تبارك في حقِّ
أحدٍ غير الله تعالى ، تبارك في ذاته ، وبارك من شاء من خلقه ، كما يُقال: تعظم وتعالى ،
فهو دليلٌ على عظمته وكثرة خيره ودوامه واجتماع صفات الكمال فيه ، وأن كلَّ نفعٍ في
العالم فمن نفعه - سبحانه - ومن إحسانه ، فهو ذو العظمة والجلال وعلوِّ الشأن.

ولهذا إنما يذكره غالباً مُفتتحاً به كلامه وعظمته وكبريائه ، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ
الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (١) ٧٩٦ وقال - سبحانه - : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ
حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
(٥٤) ﴾ ٧٩٧ .

أيها المسلمون:

وقد يجعلُ الله بعضَ خلقه مُباركاً ، فيكثرُ خيرُهُ ، ويعظمُ أثرُهُ ، وتتصلُّ أسبابُ الخيرِ فيه ،
وينتفعُّ الناسُ منه ، كما قال المسيحُ عيسى - عليه السلام - : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا
كُنْتُ ﴾ (٣١) ٧٩٨ .

البركةُ فضلُ الله يأتي للإنسان من حيث لا يُحسُّ ولا يُحتسبُ ، فكلُّ أمرٍ تُشاهدُ فيه زيادةٌ غير
محسوسة يُقال: مُباركٌ ، وفيه بركةٌ.

البركةُ هبةٌ من الله فوق الأسباب الماديَّة التي يتعاطاها البشرُ ، وإذا باركَ الله في العمر أطالَه
على طاعته أو جمع فيه الخيرَ الكثيرَ ، وإذا باركَ الله الصحةَ حفظَها لصاحبها ، وإذا باركَ في
المال نمَّاه وكثرَه ، وأصلَحَه وثمرَه ، ووفقَ صاحبه لصرفه في أمور الخيرِ وأبواب الطاعة ،
وإذا باركَ الله في الأولاد رزقَ برَّهم وهداهم وأصلَحَهم ، وإذا باركَ الله في الزوجة أقرَّ بها
عينَ زوجها؛ إن نظرَ إليها سرَّته ، وإن غابَ عنها حفظَته.

796 سورة الفرقان

797 سورة الأعراف

798 سورة مريم

وإذا بارك الله في العمل امتد أثره ، وعظم نفعه وبره ، وما بارك الله الأعمال بمثل الإخلاص لله ومُتَابَعَةِ النبي - صلى الله عليه وسلم - .

قال ابن القيم - رحمه الله - : " وكلُّ شيءٍ لا يكونُ لله فبركته متروعةٌ ؛ فإن الله تعالى هو الذي تبارك وحده ، والبركة كلها منه " .

وفي الأثر الإلهي : « يقول الربُّ - تبارك وتعالى - : " **إِنِّي إِذَا أُطِعتُ رَضِيتُ ، وَإِذَا رَضِيتُ بَارَكْتُ ، وَلَيْسَ لِبَرَكَتِي نِهَايةٌ** " ؛ أخرجه الإمام أحمد في " الزهد " بسندٍ صحيحٍ إلى وهب بن مُنبه .

وكم رأى الناسُ من بركة الله في الأشياء والأوقات ، والأقوال والأعمال والأشخاص ، فيكثرُ القليلُ ، ويعمُّ النفعُ ، ويتَّصلُ الخيرُ ، وتتمُّ الكفايةُ ، ويعلو الرِّضا ، وتطيبُ النفوسُ .

في سِيرِ العُظماءِ عَبْرُ من البركات ، وقد كانوا بشرًا من الناس ، ولكنَّ الله بارك في أعمالهم وأعمارهم ، وأشرفُ الخلقِ محمدٌ - صلى الله عليه وسلم - كما يومه يومًا مباركًا ، وقد عمَّ نفعه ، وتوالَتْ بركته ، ولا زالت تترى إلى أن يرث الله الأرضَ ومن عليها ، مع أن دعوتَه لم تتجاوز ثلاثًا وعشرين عامًا .

وكانت خِلافةُ أبي بكرٍ - رضي الله عنه - سنتين وأشهرًا ، ومع ذلك حقَّقَ فيها ما يحتاجُ إلى عُقودٍ .

وفي العلم تَرى من العلماءِ عَجَبًا ؛ فهذا الإمامُ الشافعيُّ - رحمه الله - تُوفِّي وهو في سنِّ الرابعةِ والخمسين ، وهذا الطبريُّ والنوويُّ وابن تيمية وغيرهم تركوا لنا إرثًا من العلم والتَّوَالِيفِ والكتب ما تنقضي دونه الأعمار ، ويعجزُ عنه الفئامُ من الرجال ، وليس ذلك إلا إعانةً من الله وبركةً جعلها في أوقاتهم وفي آثارهم .

وأما البركةُ في حياة الناس ؛ فقد كان يكفيهم القليلُ رِزْقُ كل يومٍ بيومِهِ ، يُؤوي البيتُ الواحدُ جمعًا من الأسر ، وطعامُ الواحدِ يكفي الاثنين ، تُظللُّهم القناعةُ ، ويعلوهم الرِّضا ، وتُرفرفُ عليهم السعادةُ .

فما بالُ الناسِ اليومَ؟! ضاقتْ أرزاقُهُم أم ضاقتْ نفوسُهُم؟! قصُرتْ أوقَاتُهُم أم قصُرتْ هِمَمُهُم؟!

لقد فُتِحَ على الناس من أسباب الرِّخاء ما لم يُفَتَحَ على أحدٍ قبلهم ، وتفجَّرت كنوزُ الأرض ، وتوافرت الأموال والتجارات ، وتعددت طرقُ الكسب تُذَكِّبُها المخترعات والمكتشفات والصناعات؛ فهل ازدادَ الناسُ إلا فقراً ، وهل كَسَبُوا إلا شِقْوَةً وقهراً؟! غلبَ على العالمِ الشكوى من الفقر ، والقلَّة ، وضيق العيش ، وشحُّ الوقت ، والخوف من المستقبل ، مع توافر كلِّ أسباب الرِّخاء؛ فأين الخلل؟! إنه محقُّ البركة. ومن نفيسِ الكلام: "ليست البركة من الكثرة ، ولكنَّ الكثرة من البركة".

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: **" لَيْسَتْ السَّنَةُ بِأَنْ لَا تُمْطَرُوا ، وَلَكِنَّ السَّنَةَ أَنْ تُمْطَرُوا وَتُمْطَرُوا ثُمَّ لَا يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ "** ؛ رواه مسلم.

وفي كتاب ربِّنا: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٩٦) ﴿ ٧٩٩ .

الإيمان والتقوى والعمل الصالح سببُ البركة والرِّزق ، والطَّمَأِينَةُ والرِّضَا ، ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ (١٢٤) ﴿ ٨٠٠ .

نعم ، الإعراضُ عن الله سببُ الشقاء الذي يشكو منه الأفراد ، كما تشكو منه الأمم. ألا نتفكَّرُ في أسباب تَضَعُّعِ أكبر التجمُّعات الاقتصادية مع ما أقدرهم الله عليه من العلم والتدبير؟! ألا نتفكَّرُ في غلبة الخوف وانعدام الأمن في أقوى دول العالم وأشدّها جبروتًا وبطشًا ، وانتشار الحروب والقتل والاضطراب ، مع ازديادِ القوانين والمعاهدات والمنظَّمات. إن الذي يُديرُ العالمَ حقًا هو الله - جلَّ في علاه - ، ولا تسيرُ الأمورُ إلا وفق سنَّه ، ولا يحصلُ الرِّخاءُ والسعدُ إلا وفق توجيهاته ، وهو - سبحانه - القائلُ: ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ (٢٧٦) ﴿ ٨٠١ وهو - سبحانه - القائلُ: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (٨٢) ﴿ ٨٠٢ وهو - سبحانه - القائلُ: ﴿ مَنْ

عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشِىَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴿٨٠٣﴾ .

الإيمان والتقوى والعمل الصالح سبب البركة والسعادة والرضا ، والذنوب والمعاصي تمحق البركة ، وتُنغصُ العيش ، وتُضيّقُ الأرزاق ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ ﴿٨٠٤﴾ .

الجوع والخوف شبح يُرعبُ كلَّ الأحياء.

بل إن من آثار الذنوب والمعاصي ما لا يخطر على بال؛ ففي الحديث: " مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَيَفْرِقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا " ؛ رواه البخاري في "الأدب المفرد".

وفي العلاقات الزوجية: تأمل تكرار التقوى وآثارها في سورة الطلاق ، ثم التعقيب بقول الله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا ﴾ (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٠﴾ ﴾ ﴿٨٠٥﴾ .

إنما السنن نفسها تجري على البيوت والأفراد ، كما تجري على الأمم والقرى.

عن حكيم بن حزام - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورِكْ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَذَبَا وَكُتِمَا مُحِقَ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا " ؛ رواه مسلم.

وفي حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - أصول المعاصي الماحقة للبركة والجلالة للفقر والبلاء والضنك ، وهي: انتشار الفواحش ، ونقص المكايل والموازين ، ومنع الزكاة ، ونقض العهود ، وخيانة الأمانة ، وتحكيم غير شرع الله.

فهل يعي ذلك التجارُ والمتبايعون؟! هل يعي ذلك من لا يتورَّعُ عن الغشِّ وأخذ الرِّشوة ونقضِ العهود والتلاعب بالعقود؟! هل يعي ذلك دُعاة الرَّذيلة والانحلال ممن يُشيعون الفاحشة في الذين آمنوا؟! الذين آمنوا؟!!

لقد صدقَ الله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣٠) ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ (١٦٥) ،
﴿٨٠٧﴾ .

عباد الله:

لازموا التَّقَى والصَّلاحَ ، وتأملُوا أثرَ ذلك في صحَّةِ أبدانِكُمْ ، وطُمأنينةِ نُفوسِكُمْ ، ورغَدِ عيشِكُمْ ، وتمامِ سعادَتِكُمْ ، اطلُّبُوا البركةَ من الله ، وخُذُوا بِأسبابِها ، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٣٢) ﴿٨٠٨﴾ .

اللهم بارِكْ لنا في القرآن العظيم ، واهدِنَا صراطَكَ المُستقيم ، أقولُ قولي هذا ، وأستغفرُ الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثاني

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله الملكُ الحقُّ المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادقُ الأمين ، صلى الله وسلّم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد ، عباد الله:

في "الصحيحين" عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لَقِيتُ كعبُ بنَ عُجرة - رضي الله عنه - فقال: ألا أهدي لك هديَّةً سمعتها من النبي - صلى الله عليه وسلم -؟ فقلتُ: بلى ، فأهديها

806 سورة الشورى

807 سورة كل عمران

808 سورة آل عمران

إِلَيَّ. فقال: سألنا رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فقلنا: يا رسول الله! كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله علّمنا كيف نُسلم. قال: " قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ " .
فالنداءُ للنبي - صلى الله عليه وسلم - بقولنا: " وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ " يتضمّن إعطاءه من الخير ما أعطاه لآلِ إبراهيم ، وإدامته وثبوته له ، ومُضاعفته له وزيادته ، وقد قال تعالى في إبراهيم وآله: ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ ﴾ (١١٣) ، وقال تعالى في إبراهيم وأهل بيته: ﴿ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ (٧٣) .^{٨١٠}

فاللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمدٍ ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وارضَ اللهم عن صحابة رسولك أجمعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .
اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين ، اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين ، اللهم أعزِّ الإسلام وانصر المسلمين ، واخذل الطغاة والملاحدة والمفسدين ، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين .
اللهم أبرم لهذه الأمة أمرَ رُشدٍ يُعزِّ فيه أهل طاعتك ، ويُهدى فيه أهل معصيتك ، ويُؤمر فيه بالمعروف ، ويُنهى عن المنكر يا رب العالمين .
اللهم من أراد الإسلام والمسلمين بسوءٍ فأشغله بنفسه ، وردَّ كيده في نحره ، واجعل دائرة السوء عليه يا رب العالمين .

اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في فلسطين ، وفي بلاد الشام ، وفي كل مكانٍ يا رب العالمين ، اللهم فكِّ حصارهم ، وأصلح أحوالهم ، واكبت عدوهم .
اللهم حرِّ المسجد الأقصى من ظلم الظالمين ، وغدوان المحتلّين .
اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم أصلح أحوالهم في سوريا ، اللهم اجمعهم على الحقِّ والهدى ، اللهم احقن دماءهم ،

809 سورة الصافات

810 سورة هود

وَأَمِنْ رَوْعَاتِهِمْ ، وَسُدَّ خَلَّتِهِمْ ، وَأَطْعِمْ جَائِعَهُمْ ، وَاحْفَظْ أَعْرَاضَهُمْ ، وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، وَثَبِّتْ أَقْدَامَهُمْ ، وَانصُرْهُمْ عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيْهِمْ ، اللَّهُمَّ فَكَّ حِصَارَهُمْ ، اللَّهُمَّ فَرِّجْكَ الْقَرِيبَ .

اللهم وفق وليَّ أمرنا خادمَ الحرمين الشريفين لما تحبُّ وترضى ، وخُذْ بهِ للبرِّ والتقوى ، اللهم وفقه ونائبه وإخوانهم وأعوانهم لما فيه صلاحُ العباد والبلاد .

اللهم لك الحمدُ على ما أنعمتَ به من شفاء خادم الحرمين الشريفين ، اللهم أتمِّ عليه عافيتك ، وألبسه لباسَ الصحة وتمام الشفاء ، اللهم وفق ولاةَ أمور المسلمين لتحكيم شرعك ، واتباع سنة نبيِّك محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - ، اللهم اجعلهم رحمةً على عبادك المؤمنين . اللهم انشر الأمنَ والرخاءَ في بلادنا وبلاد المسلمين ، واكفنا شرَّ الأشرار ، وكيدَ الفُجَّار ، وشرَّ طوارق الليل والنهار .

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ، ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٤٧) ، ﴿ ٨١٢ ﴾

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وأزواجنا وذرياتنا ، إنك سميعُ الدعاء . اللهم إنا نسألك رضاك والجنةَ ، ونعوذُ بك من سخطك ومن النار ، اللهم اجعلنا من عُتَقَائِكَ مِنَ النَّارِ . نستغفرُ الله ، نستغفرُ الله الذي لا إله إلا هو الحيُّ القيومُ ونتوبُ إليه .

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا غيثاً هنيئاً مريئاً سحاً طبَقاً مُجَلِّلاً ، عامّاً نافِعاً غيرَ ضارٍّ ، تُحيي به البلاد ، وتسقي به العباد ، وتجعله بلاغاً للحاضر والباد .

اللهم سقيا رحمةً ، اللهم سقيا رحمةً ، اللهم سقيا رحمةً ، لا سقيا عذابٍ ولا بلاءٍ ولا هدمٍ ولا غرق .

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وَثُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلاماً على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة : غزوة أُحُد وبشائر النصر

تاريخ إلقاء الخطبة : التاسع والعشرون من صفر من عام ١٤٣٤هـ —

— غزوة أُحُد وبشائر النصر —

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب — حفظه الله — خطبة الجمعة بعنوان: "غزوة أُحُد وبشائر النصر" ، والتي تحدّث فيها عن غزوة أُحُد وبعض الوقفات والعبر والتأملات ، ويبيّن

أنها ليست مجرد قصة ذهبت وانقضت زماؤها؛ بل إن أحداثها تتكرر في زماننا هذا وفي كل زمانٍ ، وينبغي على المسلمين التنبيه لأحداثها وترك المخالفات لأوامر النبي - صلى الله عليه وسلم - لئلا يقعوا فيما وقع فيه سلفهم.

الخطبة الأولى

—

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله تعالى حق التقوى ، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢٨) ﴿٨١٣﴾ .

أيها المسلمون:

يعيشُ العالمُ اليوم أحداثاً كبرى ، وتحولاتٍ تاريخية هائلة ، وآلاماً تضيقُ بها النفوسُ ، تموجُ الأرضُ بالفتن والتحوُّلات في النظم وفي المعتقدات ، في تسارعٍ يدعُ الحليم حيراناً. فتتقطع الليل المظلم ، ولا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم. ونحن أمة دينٍ وأتباع رسالة ، وفي أيدينا كتابٌ وسنة.

ومعجزة القرآن الخالدة: أنه نزل قبل أربعة عشر قرناً ، وخاضَ بهذه الأمة معركةً كُبرى حوّلت تاريخها وتاريخ البشرية كلّها معها ، ومع ذلك فهو يُعَيشُ الحياة الحاضرة وكأَنّما هو يتنَزَّلُ اليوم لتوجيه المسلمين في أحداثهم الراهنة ، وفي صراعهم مع الأحداث حولهم.

أيها المسلمون:

﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ (١٣٧)

هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٨) ^{٨١٤} إن القرآن ليربط حاضر الأمة

بماضيها ، فيرسمُ بذلك مستقبلها.

عباد الله:

تلكم الآيات الماضية نزلت في معركة أُحُد ، والتي وقعت في شهر شوال من السنة الثالثة من الهجرة؛ وذلك أن المشركين أرادوا الانتقام لهُزيمتهم في بدر ، فحشدوا جيشهم ثلاثة آلاف مقاتلٍ على أطراف المدينة ، واستشار النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه ، وكان يُريد التحصن في المدينة ، لكن كثيرين ألحوا على الخروج ، فخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - في سبعمائة من أصحابه بعد أن قام رأسُ المنافقين بتخذيل الناس والرجوع بثُلث الجيش ، فترّل النبي - صلى الله عليه وسلم - بمن بقي معه عند جبل أُحُد ، وجعل الرُّماة على مُرتفعٍ وأمرهم ألا يبرحوا مواقعهم.

ودارت رحا المعركة ، وانتصر المسلمون في بادئ الأمر ، حتى فرَّ المشركون وسقط لواءهم ، واستعجلَ بعضُ الرُّماة فتركوا من الجبل يظنون الأمر انتهى ، ثم التفت المشركون وكروا على المسلمين من خلفهم ، فقتلوا سبعين من خيار الصحابة المؤمنين ، وشجّوا رأسَ النبي - صلى الله عليه وسلم - وكسروا ربابيته ، وأشاعوا أنهم قتلوا النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فأوقع ذلك في قلوب المؤمنين حُزناً عميقاً ، وألماً شديداً ، وهزيمةً وانكساراً.

ثم أشاع المشركون أنهم سيقصدون المدينة ، فنادى النبي - صلى الله عليه وسلم - الجرحى والمنهكين المصابين ، فاستجابوا للنداء على ما بهم من الجراحات ، ونفروا لمناجدة العدو ، وصدقوا مع العدو ولم يَأْبهوا للمُخْذَلين.

وصدرت خلال ذلك مقالاتٌ وعبارات ، ومواقفٌ وبُطولات ، وانتكاساتٌ وانكسارات ، ونزل في هذه الواقعة قرآنٌ يُتلى إلى يوم القيامة ، ستون آيةً من سورة آل عمران ليست مجرد تاريخٍ لواقعةٍ مضت وانتهت ، وإنما يعيش قارئها تلك الأحداث ، ويرى المسلمين ومن حولهم أعداؤهم يتربصون بهم ، ويبيتون لهم ، ويلقون بينهم بالفرية والشبهة ، ويتحاذون عليهم ، ويجمعون لهم ، ويلقونهم في الميدان ، وينهزمون أمامهم ، ثم يكرّون عليهم فيوقعون بهم. فما أشبه الليلة بالبارحة.

أيها المؤمنون:

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١)﴾^{٨١٥}. إن تعاقب الشدة والرخاء تكشف معادن النفوس وطبائع القلوب ، ودرجة الهلع فيها والصبر ، ومدى الثقة فيها بالله أو القنوط.

وإن من مصلحة الأمة أن تُصاب برجاتٍ عفيفةٍ تعزل الحُبَّ عنها ، وقد اقتضت حكمة الله أن يقع هذا التمحيص في أحد ، ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ (١٧٩)﴾^{٨١٦}.

ومداولة الأيام ، وتعاقب الشدة والرخاء محكٌّ لا يُخطئ ، وميزانٌ لا يظلم . وفي معركة أحد انكشفت عورة المنافقين ، وظهر أثرهم كما هو في كل زمانٍ ، يستغلون أوقات الضعف لبليلة القلوب ، وخلخلة الصفوف ، وإشاعة الخور ، مع إثارة الفتن والشبهات لهدم كيان المجتمع المسلم ، بدءاً بعقيدته وقيمه ، حتى يستسلم للأقوياء الغالبين. وكانت آثارُ المعركة تمحيصاً للنفوس ، وتمييزاً للصفوف ، وتحرراً من تميع القيم وتأرجح المشاعر؛ وذلك بتمييز المنافقين ووضوح سماتهم.

ولئن نجح ابن أبي في التأثير على ثلث الناس حتى رجعوا إلى المدينة وتخلّوا عن نصرة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فلقد صمدت صفوة نقيّة ، حملت أعباء الدين ، وأنفقت وقاآلت

⁸¹⁵ سورة آل عمران

⁸¹⁶ سورة آل عمران

، وصَبَرَتْ وصَابَرَتْ ، ﴿رَجُلٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٢٣) ﴿٨١٧﴾ .

بجَهادِهِم وتَضَحِيَّاتِهِم حَفِظَ اللَّهُ مَصِيرَ الإسلام في أول الزمان ، وبمِثْلِ بُطُولَتِهِم وثَبَاتِهِم وصَبْرِهِم يَحْفَظُ اللَّهُ وجودَ الإسلام في آخر الزمان .

أيها المسلمون:

لقد كان الله - سبحانه وتعالى - قادراً على أن ينصُرَ نبيّه - صلى الله عليه وسلم - ودينه وأوليائه منذ اللحظة الأولى ، وأن يَهْلِكَ أعداءَهُم بلا كَدٍّ من المؤمنين ولا عناء ، ولكنَّ الله تعالى أراد تربيةَ المسلمين لِيُبْتَلاُوا ، وليَقُودُوا البشريَّةَ قيادةً راشِدةً على ما تَحْمِلُهُ البشريَّةُ من شهواتٍ ونزواتٍ وانحرافٍ .

وهذه القيادة تقتضي صلابَةً في الدين ، وثباتاً على الحق ، وصبراً على الشدائد ، ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ (٤) ﴿٨١٨﴾ هذه سُنَّةُ اللَّهِ؛ الابتلاءُ قبل التمكين .

عباد الله:

وقبل أن تمضي الآياتُ في عرضِ المواقفِ في معركة أُحُدٍ؛ يُذَكِّرُ الله بالمعركة التي انتهت بالنصر ، وهي معركة بدر الكبرى ، لتكون هذه أمام تلك مجالاً للمُوازنة وتحمل أسباب النصر وأسباب الهزيمة ، ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (١٢٥) ﴿٨١٩﴾ .

﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾ (١٢٥) ﴿٨٢٠﴾ إنه الصبرُ والتقوى بكل معانيها ومعالمها ، وذلكم هو سرُّ النصر .

817 سورة الأحزاب

818 سورة محمد

819 سورة آل عمران

820 سورة آل عمران

أيها المؤمنون:

وفي سورة آل عمران وفي غمرة التوجيهات واللّفات يُحذّر الله من دسائس أهل الكتاب ، ولم يكن يُجاوِزُهم في المدينة إلا اليهودُ ، ويُحذّرُ الله من الرُّكون إلى الكافرين أو طاعتهم ، ونصفُ السورة الأول يُصوّرُ جانباً من جوانب الصّراع بين العقيدة الإسلامية والعقائد المنحرفة ، ويُحاجُّ أهل الكتاب ويُناظرهم ، ويُحاوِرهم ويردُّ شُبُهاتهم. وهو ليس جدلاً نظرياً فحسب؛ إنما هو جانبٌ من المعركة الكبيرة الشاملة بين المسلمين وأعدائهم الذين يتربّصون بهم ، ويتحفّزون من حولهم ، ويستخدمون في حربهم كلّ الأسلحة وكلّ الدسائس والوسائل ، وفي أولها: زعزعة العقيدة ، وهي ذاتها المعركة التي ما تزال ناشبة إلى هذه اللحظة بين المسلمين وأعدائهم.

وفي ثنايا الآيات يُحذّرُ الله من الرِّبا ويأمرُ بالتقوى والمُسارعة إلى الجنة ، وتطهير النفوس وتقوية القلوب ، والسيطرة على الأهواء والشّهوات ، ويحثُّ على الصدقة والعفو ، وإشاعة الوُدِّ والتسامح والإحسان ، ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣٤) ﴿٨٢١﴾ .

فالنفس لا تنتصرُ في الحروب إلا حين تنتصرُ في القيم والمبادئ ، والذين تولّوا يوم التقى الجمعان في أحد إنما استزلّهم الشيطانُ ببعض ما كسبوا من الذنوب ، والذين انتصروا في معارك العقيدة وراء أنبيائهم هم الذين بدؤوا المعركة بالاستغفار من الذنوب ، والالتجاء إلى الله ، والتطهّر من المعاصي.

ولعلّ ما ترتّب على عصيان الرُّمة لأمر الرسول القائد في معركة أحد درسٌ عميقٌ يتعلّم منه المسلمون في كلّ مواجهة قيمة الطاعة ، وأن الجماعة التي لا يحكمها أمرٌ واحدٌ ويغلبُ على أفرادها وطوائفها التراعات الفردية لن تنجح في معركة ، ولن تُفلح في مواجهة ، ما لم تتفق على رغبة واحدة ووجهة واحدة ، وما لم تُخمد كلَّ شذوذٍ يحصلُ في صفوفها.

ولما دُهِشَ المسلمون للكارثة التي قلبت عليهم الأمور قال الله لهم: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥)﴾

٨٢٢

عباد الله:

إن المؤمنين مهما أصابهم في سبيل الله فإنهم لا يفقدون صلتهم بربهم ، وثقتهم بوعده الصادق لجنده بأنهم هم الغالبون ، وأن لن يخذلهم؛ بل سوف ينصرهم ويؤيدهم ويعليهم ويظفرهم بأعدائهم ، ويظهرهم عليهم.

ولقد تركت معركة أُحُدٍ آثاراً غائرة في نفس النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ أُصِيبَ في بدنه إذ كُسِرَتْ سِنُّهُ ، وجُرِحَ وجهه ، وشُجَّ رأسه ، فلم تزل دماؤه الزكية تسيل على وجهه الطاهر حتى أحرقت قطعة من حصارٍ فألصقت به ، وأجهده العطش حتى جعل يقع على رُكْبَتَيْهِ ، وأُصِيبَ في أتباعه؛ إذ أودع في سفح الجبل سبعين رجلاً من أعز الناس عليه وأقربهم إلى قلبه ، وهو يقول: "أما والله لو ددت أني غودرت مع أصحابي بحضن الجبل" .

وأُصِيبَ في أهله؛ حين أُخبرَ بمقتل عمه حمزة ، فوقف عليه وقد بُقِرَ بطنه وجُدِعَ أنفه ومثّل به ، ففكره أن ينظر إليه وقال: "ما وقفت قط موقفاً أغني إلي من هذا" .

بيد أن التسليم لله لم يلبث أن مسح الأحران العارضة ، وعاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتفقّد أصحابه ، ويخفف ما نزل بهم ، ويسكب من إيمانه على نفوسهم ما يملؤها عزاءً ورضاً عن الله ، واستكانةً لقضائه.

عن رفاة الزُّرْقِيِّ - رضي الله عنه - قال: لما كان يومُ أُحُدٍ وانكفأ المشركون ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: "استنوا حتى أُنْثِيَ عَلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ" ، فصاروا خلفه صُفُوفًا ، فقال: "لِلَّهِمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ ، وَلَا هَادِيَ لِمَنْ أَضَلَلْتَ ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَعَدْتَ ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ ، اللَّهُمَّ عَائِذٌ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا ، وَشَرِّ مَا مَنَعْتَنَا ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ

إِلَيْنَا الْإِيمَانُ وَزَيْنُهُ فِي قُلُوبِنَا ، وَكَرَهُ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ ،
اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ ، اللَّهُمَّ
قَاتِلِ الْكُفْرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ
إِلَهَ الْحَقِّ آمِينَ " ؛ أخرجه الإمام أحمد وغيره.

عباد الله:

لقد ترفق القرآن الكريم في خطاب المؤمنين بعد ما أصابهم في أحد؛ لكي لا يتحول انكسارهم
في الميدان إلى قنوطٍ يفل قواهم ، وحسرة تشل إنتاجهم ، قال الله - عز وجل - : ﴿ وَلَا
تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣٩) إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ
قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا
يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٤٠) ٨٢٣ .

فجمع - سبحانه - في خطابه لهم بين تشجيعهم وتقوية نفوسهم ، وإحياء عزائمهم وهممهم
، وبين حسن التعزية وذكر الحكم الباهرة التي اقتضت إدالة الكفار عليهم ، وعزى الله نبيه
وأوليائه عمّن قُتل منهم في سبيله أحسن تعزية وأطفأها ، وأدعاها إلى الرضا بما قضاه لهم ،
وأخبرهم بما نالوه من ثوابه وكرامته؛ لئلا يفسدوهم فيه ، ولا يحزنوا عليهم ، وأعلمهم أن سبب
المصيبة من عند أنفسهم ليحذروا ، وأنها بقضائه وقدره ليؤحذوا ويتكلموا ، ولا يخافوا غيره ،
وسلاهم بما أعطاهم مما هو أجل قدرًا وأعظم خطرًا مما فاتهم من النصر والغنمة.

فلقد كانت حصيلة معركة أحدٍ ومن بعدها التوجيهات القرآنية بعد الأحداث أكبر من
حصيلة النصر والغنمة ، ولقد علم المؤمنون أن الهزيمة حين تقع؛ فإنها جارية على سنة الله
وفق ما يقع من تقصير وتفريط ، وأنها تحقق غايات يُقدرها الله بحكمته وعلمه لتمحيص
النفوس ، وتمييز الصفوف ، وتجلية الحقائق ، وإقرار القيم ، وإقامة الموازين ، وجلاء
السُنن للمستبصرين.

إن النصر لا يتوقف إلا على نصرة رب العالمين؛ فمن نصره الله - عز وجل - فلا غالب له
من الناس ، ولن يضُرَّه خذلان الخاذلين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٦٠) . وفي كل هذا دروسٌ وعبرٌ للمسلمين هذا اليوم في كل أرضٍ وتحت كل سماء.

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة ، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثاني

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، ملك يوم الدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المسلمون:

لئن تكلف المسلمون الأوائل عشرات من الرجال وأشهرًا من الزمان ، ليستعيدوا قوتهم ويتفوقوا في الوقائع اللاحقة؛ فإن المسلمين في هذا الزمان استنزفوا الملايين من أرواحهم وعقودًا من أعمارهم ، ولم يتغيّر حالهم ، وكان الفارق بينهم وبين سلفهم هو الفرق في تعلّمهم الدروس واستلّهامهم العبر.

لئن كان المسلمون الأوائل بعد كل خسارة يثوبون لدينهم ، ويلجؤون لرّبهم ، ويحيطون بنبيّهم - صلى الله عليه وسلم -؛ فإن المسلمين اليوم يذاذون عن دينهم ، ويقصّون عن شريعتهم ، ويُحال بينهم وبين وسائل النصر ومدّده.

ولك أن تُجیل بصرك في كثير من بلاد المسلمين خلال القرن الماضي بعد استعمارهم وذهاب شوكتهم وحتى اليوم ، لقد جرّبوا كلّ طريق ، وطرقوا كلّ باب ، وأخذوا من العلوم العصريّة ، وحازوا الأسلحة والعتاد ، وسالت تحت أيديهم كنوز العالم ، ونبع وقوده. ومع

ذلك أصبَحوا ولا يسيلُ من الدماء إلا دماؤهم ، ولا تُجتاحُ إلا أراضيهم ، ولا يُقهرُ إلا رجالُهم. بل حتى في بلادهم تتحكَّم أقليَّاتُ الطوائف في مصائرهم.

يا أيها المسلمون:

لهيبُ الأحداث يسوقُكم لدينكم ، وسيَّاطُ المقادير تُدجِّتكم لخالقكم ، وفجائعُ الدهر تُناديكم: أن هلمُّوا لما عزَّ به سلفُكم ، واستقوى به أوائلُكم.

أيها المسلمون:

راجعوا أنفسكم؛ ففي الفضاء إعلامٌ وقنواتٌ لا تنتمي لماضٍ مُحافظٍ ، ولا تُبالي بواقعٍ مؤلمٍ ، وفي الناس غفلةٌ ، والجراحاتُ في كلِّ وادٍ تسيلُ.

كيف يكونُ السرفُ والتَّرفُ وفي المسلمين أوجاعٌ ، وبهم جِياغٌ؟! ألم تروا أن الأيام دُولٌ ، والدهرُ قَلْبٌ؟!

ويا أهلنا في الشام! لكم الله ، وما لكم غيرُ الله ، لقد أسلمكم العالمُ ليقوى بالله تعلُّقكم ، ودانَ الشَّرْقُ تحرُّركم ليقوى دينُكم ، ومنعُوكم المددَ لتُخلصُوا في طلبِ المددِ من الله ﷻ **اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨)**

٨٢٥

لقد أسرفَ طاغيةُ الشام في الدم ، وأظهرَ عداوتهَ لبلده أكثرَ من أيِّ عدوٍّ ، وهو مقطوعُ السَّببِ بالله موصولُ السَّببِ بالمخذولين من أهل الأرض ، وما أظهره أخيراً من استِعلاءٍ واستيقواءٍ وعدمِ مُبالاةٍ لما يحدثُ في الشامِ لِهَيِّ صَحوةِ الموت ، ولكأنَّ البِشاراتِ بنصرِ الله عمَّا قريبٍ في الشام ستعلو ، وشمسُ الخلاصِ تُشرقُ ، وتعودُ الطيورُ التي طالت هجرُثها ، وسيفرحُ المؤمنون بنصرِ الله. وإنما الشجاعةُ صبرٌ ساعةٍ.

اللهم يا جباراً يا مُنتقِم ، اللهم عَجِّلْ بمصارعِ القومِ الظالمين ، اللهم عَجِّلْ بمصارعِ القومِ الظالمين ، والطفْ بعبادِكَ المُستضعفين من المظلومين ، واشفِ صُدورَ قومٍ مؤمنين. إن على المسلمين قبل كلِّ أحدٍ أن يُبادروا لغوثِ إخوانهم في سوريا ، وقد زادَ بلاؤُهم بالبردِ الشديدِ وقسوةِ الثَّلوج ، وجَرَفِ السَّيُول ، كان الله في عونهم.

اللهم صلِّ وسلِّم وزِدْ وبارِكْ على عبدك ورسولك محمدٍ ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ،
وارضَ اللهم عن صحابة رسولك أجمعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .
اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين ، واخذل الطغاة والملاحدة والمُفسدين ، اللهم انصر دينك
وكتابتك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين .
اللهم أبرم لهذه الأمة أمرَ رُشدٍ يُعزِّ فيه أهل طاعتك ، ويُهدى فيه أهل معصيتك ، ويُؤمر فيه
بالمعروف ، ويُنهى عن المنكر يا رب العالمين .
اللهم من أراد الإسلام والمسلمين بسوءٍ فأشغله بنفسه ، وردَّ كيده في نحره ، واجعل دائرة
السوء عليه يا رب العالمين .
اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في فلسطين ، وفي بلاد الشام ، وفي كل مكانٍ يا رب
العالمين ، اللهم فكَّ حصارهم ، وأصلح أحوالهم ، واكبت عدوهم .
اللهم حرِّ المسجد الأقصى من ظلم الظالمين ، وعدوان المحتلِّين .
اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم أصلح أحوالهم ، واجمعهم على الحقِّ
والهدى ، اللهم احقن دماءهم ، وآمن روعاتهم ، وسدَّ خلَّتهم ، وأطعم جائعهم ، واحفظ
أعراضهم ، واربط على قلوبهم ، وثبَّت أقدامهم ، وانصرهم على من بغى عليهم .
اللهم وفق وليَّ أمرنا خادم الحرمين الشريفين لما تحبُّ وترضى ، وخذ به للبرِّ والتقوى ، اللهم
أسبغ عليه لباسَ الصحة والعافية ، اللهم أسبغ عليه عافيتك وألبسه لباسَ الصحة وأتمِّ عليه
الشفاء ، اللهم وفقه ونائبه وإخوانهم وأعوانهم لما فيه صلاحُ العباد والبلاد .
اللهم وفق ولاة أمور المسلمين لتحكيم شرعك ، واتباع سنة نبيِّك محمدٍ - صلى الله عليه
وسلم - ، واجعلهم رحمةً على عبادك المؤمنين .
اللهم انشر الأمنَ والرخاءَ في بلادنا وبلاد المسلمين ، واكفنا شرَّ الأشرار ، وكيدَ الفُجَّار .
﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ، ﴿ رَبَّنَا
اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٤٧) ، ﴿ ٨٢٧

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وأزواجنا وذرياتنا ، إنك سميع الدعاء.

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك ومن النار.

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا غيثاً هنيئاً مريئاً سحاً طبقاً مجللاً ، عاماً نافعاً غير ضار ، تُحيي به البلاد ، وتسقي به العباد ، وتجعله بلاغاً للحاضر والباد.

اللهم سقياً رحمة ، لا سقياً عذاب ولا بلاء ولا هدم ولا غرق.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة : الإيمان واليقين والثبات على الدين

تاريخ إلقاء الخطبة : الخامس من ربيع الآخر من عام ١٤٣٤هـ —

— الإيمان واليقين والثبات على الدين —

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب — حفظه الله — خطبة الجمعة بعنوان: "الإيمان واليقين والثبات على الدين" ، والتي تحدّث فيها عن الإيمان واليقين ، وبَيَّن أنهما أعظم أسباب النصر والتمكين والثبات على دين الله تعالى ، ووجّه برسائل مهمة لجميع العلماء

والدعاة بضرورة التصدي للملاحدة وأصحاب الدعوات والأفكار الهدامة بمحاربة البدع
والضلالات ، ونشر الإيمان بين الناس ، وبيان فضله لهم.

الخطبة

أول

—

الحمد لله رب العالمين ، اللهم باسمك نبتدي وبهديك نهتدي ، وبك يا مُعين نسترشد ونستعين
، نسألك أن تكحل بنور الحق بصائرنا ، وأن تجعل إلى رضاك مصائرنا ، نحمدك على أن
سدّدت على جادة الدين خطواتنا ، وثبّتت على صراط الحق أقدامنا ، ونُصلي ونُسلم على
نبيك الذي دعا إليك على بصيرة ، وتولّك فكنت وليّه ونصيرَه ، وعلى آله المتبعين لسنته ،
وأصحابه المبينين لشريعته.

اللهم يا وليّ المؤمنين تولّنا ، وخُذ بنواصينا إلى الحق ، واجعل لنا في كل غاشية من الفتنة
رداءً من السكينة ، وفي كل داهية من البلاء درعاً من الصبر ، وفي كل داجية من الشك
علماً من اليقين ، وفي كل نازلة من الفزع واقيةً من الثبات ، وفي كل ناجمة من الضلال
نوراً من الهداية ، ومع كل طائف من الهوى رادعاً من التقوى ، وفي كل عارض من الشبهة
لائحاً من البرهان ، وفي كل مجهلة من الباطل معالم من الحق واليقين.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، تفرّد بالخلق والحكم ، ما شاء كان وما لم يشأ لم
يكن ، لا تتحرّك ذرّة إلا بإذنه ، والخلق مقهورون تحت قبضته ، ما من قلب إلا وهو بين
أصبعين من أصابعه إن شاء أقامه وإن شاء أزاعه ، فهو الذي آتى نفوس المؤمنين تقواها ،
وهو الذي هداها وزكّها ، وألهم نفوس الزائغين فجورها وأشقاها .

يهدي من يشاء بفضلِهِ ورحمته ، ويُضِلُّ من يشاء بعدله وحكمته ، هذا فضله وعطاؤه ، وما
فضلُ الكريم بممنون ، وهذا عدله وقضاؤه لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

وأشهد أن محمداً عبداً لله ورسوله ، بلّغ الرسالة ، وأدّى الأمانة ، ونصح الأمة ، وتركنا على البيضاء لبّها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، صلى الله وسلّم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أما بعد:

فاتقوا الله تعالى وراقبوه ، وأطيعوا أمره ولا تعصوه ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١١٩) ٨٢٨ .

أيها المسلمون:

حين أراد الله بالبشرية الخير بعث فيها النبي محمداً - صلى الله عليه وسلم - ، وأنزل عليه القرآن؛ فهدى به من الضلالة ، وبصر به من العمى ، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور ، فقامت حضارة ، وسادت أمم ، ونهضت شعوب ، وما تم ذلك - بعد توفيق الله - إلا بوقودٍ تُشحذ به الطاقات ، ودافعٍ تنغذى به الهمم وتقوى الإرادات؛ إنه وقودُ الإيمان ، ودافعُ العقيدة.

إيمانٌ صنع جيلاً لم تعرف الدنيا مثله ، وحضارة لم يهتأ العالمُ بمثلها ، عملٌ وجدٌّ وبناء ، وخلقٌ ورقِيٌّ ومرحمة ، وجهادٌ وفتحٌ للقلوب والبصائر ، وعدلٌ وسع الدنيا ، ومع ذلك كله عزمٌ يدكُ الجبال ، وثباتٌ يوازي الرواسي ، ونصرٌ وعِزةٌ وكرامة. إنه الإيمان الذي يصنع المعجزات.

العقائدُ والتصورات ، والإيمانُ واليقينُ أسلحةٌ لا قبلَ لجيوش الأرض بها ، وعتادٌ لا طاقةَ للمُحاربين بمواجهته ، وقد جاء في مُحكم التنزيل: ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾ (٦٥) ٨٢٩ ومعلومٌ أن غلبتهم بشيءٍ وقر في القلب لا تقاومه العُدَّة ولا العَدَدُ.

أيها المسلمون:

الإيمانُ الصادقُ خيرٌ ما أضمرَ الإنسانُ ، وأفضلُ ما أظهرَ ، والإيمانُ ليس مُجرَّدَ كلمةٍ تُقال ، ولكنه مع ذلك إحساسٌ بجلالِ الله ، وخُشوعٌ لعظمته ، وانقيادٌ لأمره ، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ (٢) ٨٣٠ .

الإيمان مشاعر نبيلة ، وصفات كريمة ، وعقل مُستقيم ، وضمير حي ، وشفاء من كل علل النفوس وأدوائها ، الإيمان تصديق وعمل ، ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِّبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ (٧) ﴿٨٣١﴾ .

الإيمان يقين يسكن الأعماق ، ومعرفة الله لها ذوق حلو يطبع النفوس على الثبيل والتسامي ، ويُصفي النفوس من كدرها ، إنه شوق إلى الله ، ومُسارعة إلى مرضاته .

الإيمان ينفح القلب نوراً ، ويملأ الصدور سروراً ، وأي إيمان فوق الطمأنينة بالله والركون إليه ، وامتلاء القلب به وحده دون سواه؟

أصح القلوب وأسلمها ، وأقومها وأرقها ، وأصفها وأقواها وألينها من اتخذ الله وحده إلهاً ومعبوداً ، وأخلص القلب له دون سواه ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ (١٢٥) ﴿٨٣٢﴾ .

وإسلام الوجه لله هو إقبال العبد بكلّيته على الله وإعراضه عمّن سواه ، والخضوع لإرادته ، والتذلل لعظمته وكبريائه ، والإيمان بوحدانيته وشريعته ، وبه يكون كمال الإيمان وتمامه . الإيمان جعل نبي الله هوداً يقول لقومه: ﴿ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴾ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ﴿٥٦﴾ ﴿٨٣٣﴾ .

وحين وقف موسى - عليه السلام - أمام البحر ، وخلفه فرعون وجيشه ، وتراءى الجمعان ، ﴿ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴿٨٣٤﴾ . الإيمان جعل النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول وهو في مرمى بصر المشركين: " يَا أَبَا بَكْرٍ! مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا " .

830 سورة الأنفال

831 سورة الحجرات

832 سورة النساء

833 سورة هود

834 سورة الشعراء

قال ابن القيم - رحمه الله - : "ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلاً نوراً وإشراقاً ، وانتفى عنه كل ريبٍ وشكٍّ ، وسُخطٍ وهمٍّ وغمٍّ ، فامتلاً محبةً لله ، وخوفاً منه ، ورضاً به ، وشكراً له ، وتوكلًا عليه ، وإنابةً إليه".

وفي قول الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥) ^{٨٣٥} قال - رحمه الله - : " التسليم هو الخلاص من شبهةٍ تُعارضُ الإيمانَ بالخبر ، أو شهوةٍ تُعارضُ أمرَ الله ، أو سُخطٍ يُعارضُ القضاء والقدر".

أيها المسلمون:

الإيمان يصنعُ المواقفَ كما يصنعُ الرجال ، الإيمان وقودُ الهِمَم كما هو رُوحُ الأُمم ، وبه بلغ الصحابة - رضي الله عنهم - بالإسلام ما بلغوا ، وعطرت سيرتهم ومسيرتهم ذرات الكون ، وصفَ الله ثبات المؤمنين وقت المحن فقال: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١٧٣) ^{٨٣٦} .

ووصف استسلامهم لأحكام الشريعة فقال: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٥١) ^{٨٣٧} .

لقد بلغ الإيمان واليقين بالصحابة مبلغاً صنع التاريخ ، في علمهم وفقهم ، وجهادهم وعبادتهم ، وحبهم وتعاملهم ، وبذل مهجهم لله ، مُستيقنين قولَ الله - عز وجل - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾ (١١١) ^{٨٣٨} .

بلغ بهم الإيمان أن أنس بن النَّضر - رضي الله عنه - يقول: "والذي نفسي بيده؛ إني لأجدُ ريحَ الجنة دونَ أحدٍ". قال أنسُ بن مالكٍ - راوي الحديث - : ونزلت هذه الآية: ﴿ مِنْ

835 سورة النساء

836 سورة آل عمران

837 سورة النور

838 سورة التوبة

الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ (٢٣) ﴿٨٣٩﴾ قال: " وكنا نقول: أنزلت هذه الآية فيه وفي أصحابه "؛ رواه مسلم.

وهذا عُمرُ بن الحِمام - رضي الله عنه - يقول: " بَخِ بَخِ؛ ليس بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ، لئن بقيتُ حتى آكلَ هذه التَّمَرَاتِ إنها حياةٌ طويلةٌ". ثم رمى ما في يده وقَاتَلَ حتى قُتِلَ.

هذا يقينُ الصحابة - رضي الله عنهم - ، فهم يرون عالم الغيب أمامهم كأَنَّهُ عالم الشهادة. ولما علمَ المُشْرِكُونَ بخَبَرِ الإسراء والمعراج سَخِرُوا من النبي - صلى الله عليه وسلم - ، سَخِرُوا من أمرٍ لم تبلغه عقولُهم ، فتجهَّزَ ناسٌ من قريشٍ إلى أبي بكرٍ - رضي الله عنه - ، فقالوا: هل لك في صاحبك؟ يزعمُ أنه جاء إلى بيت المقدسٍ ثم رجعَ إلى مكَّة في ليلةٍ واحدةٍ! فقال أبو بكر: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: فأنا أشهدُ لئن كان قالَ ذلك لقد صدق. قالوا: فتصدَّقْه في أن يأتي الشامَ في ليلةٍ واحدةٍ ثم يرجعُ إلى مكَّة قبل أن يُصْبِحَ؟ قال: نعم ، أنا أُصدِّقُه بأبعدَ من ذلك ، أُصدِّقُه بخَبَرِ السماء.

قال أبو سلمة: فيها سُمِّيَ "أبو بكر الصديق".

عباد الله:

وعلى مدى القرون السَّالِفة لم يُسجَلْ للعربِ مجدٌ إلا بدينهم ، ولم يكنْ لهم عزٌّ إلا بإيمانهم ، وكأنَّ الله أرادَ أن تكون القيادةُ الرُّوحِيَّةُ للبشرية لهم ، وحين تخلَّوا عن هذه الرُّوح ، وتخلَّوا عن هذا الدَّور انتكستْ حالهم ، ولم تتمَّ لهم فِئضةٌ بعد عُصور الانحطاط؛ لأنهم نحوا الإيمانَ تأسياً بباقي الأمم ، فلا حفظوا الدين ، ولا كسبوا الدنيا ، طرَّقوا مسالكَ القومية والشُّبُوعِيَّة والعلمانيَّة ، فإذا دُرُوبُهُم يَبَاب ، ومجدُهم سَرَاب.

أيها المؤمنون:

لقد أدركَ أعداءُ الإسلام حقيقةَ الإيمان وأثره في حياة المسلمين ، وماذا صنعَ بأوائِلهم ، وكيف صنعَ بأوائِلهم به ، وأدركوا أنه روح الأمة وسرُّ قوتها ، فاستهدفوا عقيدةَ الأمة في حربٍ شعواء ، واستخدموا كلَّ وسائل الشُّبهات والشَّهَوَات ، عبرَ الكِتابات والقَنَوَات ، والبرامج والخطوط المُنَهَجَة ، حتى نَبَتَ نَابِتَةُ الزَّيغ والإلحاد ، ونَجَمَ النفاق ، وظهرَ

للتشكيك رؤوسٌ ومدارسٌ تنسفُ التوحيد ، وتزعزعُ اليقين ، وتُحيلُ القلوبَ إلى هشيمٍ
تلتهمهُ النارُ من أولِ شرارةٍ.

وفي كل يومٍ ترى أو تسمعُ باقعةً إحدائيةً ، أو فكرةً شيطانيةً ، في رتابةٍ تُدركُ معها أن الأمرَ
ليس خطأً فردياً؛ بل عدواناً مقصوداً ، ولقد كان يستحيلُ بالأمس أن تسمعَ هذا الزيفَ ،
بيد أن الأعداءَ عرّضوا الأمةَ للسنين العجاف ، والأزمات العَصُود ، وشغلوها بالملاهي
والتسالي ، واللّهاتِ خلفَ لقمة العيش وحُطام الدنيا. وخُلِقَ جيلٌ هزيلٌ زهيدٌ في دينه ،
يَهَابُ كلَّ الأديان ولا يَهَابُ من عقيدته.

إن الإلحاد آفةٌ نفسيةٌ ، وليس شبهةً علميةً ، إن الله يأمرُ بأن تكون العقيدة هي رابطةَ
التجمع ، ولكن قومًا يريدون استبعادها وإحلالَ النزعات القومية والعنصرية ، وإن الله يأمرُ
بالعفة والحشمة والفضيلة ، ولكن الذين يُحبّون شيوع الفاحشة يستنجدون بالمساواة والرغبة
في الإنتاجية ولو على حساب الفضيلة ، ودخل الدينُ في مِحنة هائلةٍ ، حتى صارَ حُماةُ
الإسلام يقفون عند آخرِ خطوط الدفاع.

وإذا حققت طائفةٌ من الأمة بعضَ ما تصبُو إليه من الإيمان ، واختارت ما تُصلحُ به دينها
ودنياها بادرَ شائئوها لزرع الفتن والاضطرابات ، ومنع الأمة من العودة إلى سرِّ قوتها وروح
نَهْضتها ، وقمع الحقَّ بكل وسيلةٍ ولو بالتدخلات العسكرية ، في مبادراتٍ سريعةٍ لافتةٍ للنظر
، ضاربين بالعُهود والمواثيق ، والقوانين والمعاهدات والأعراف عرضَ الحائط ، مُصَادِرِينَ
للحريات واختيار الإنسان ، في تناقضٍ عجيبٍ في المواقف.

وها أنت ترى شعبَ سوريا المظلوم يئنُّ منذ عامين تحت الظلم والقهر والقتل ، ولا يرغبُ
العالمُ في إنهاء هذه المظالم ولا يُريد؛ لأن له حساباته الأنانية ، ومقاصده اللئيمة ، وليس
للأخلاق والقيم عنده ميزانٌ إلا للتزيين والدعاية وذرِّ الرماد في العيون.
إن التخاذلَ عن نصر المستضعفين في سوريا مع سرعة التدخل في غيرها هو عنصريةٌ مفضوحةٌ
، وحيفٌ دوليٌّ وتواطؤٌ مكشوف ، وهذا يُنمي الكراهية والعداء ، وينسفُ جهودَ التقاربِ
والتعايش والسلام.

إن على الصادقين أن يُطفئوا نارَ الفتن ، وأن يتحركوا سراعًا للعمل الجادِّ لكل ما يُحيي
القلوبَ ويُطهرُها ، ويُزكي النفوسَ ويُجمِّلُها ، ويُعيدُ للأمة عزَّتْها وكرامتها.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (١٠٥) .^{٨٤٠}

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ وَالسَّنة ، وَنَفَعَنَا بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْحِكْمَةِ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى لِي وَلَكُمْ.

الخطبة

الثانية

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغر الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها المسلمون:

إن الدواء الذي فُهِضَتْ به أَمَّتُنَا مُتَرَّلٌ من لدن حكيمٍ خبيرٍ على قلب خاتم الأنبياء - صلى الله عليه وسلم - ، فلا تريباق بعده ولا حل سواه.

إن خواء النفوس من الإيمان كارثة دينية ودنيوية ، وإن الدين ليس ضماناً للآخرة فحسب؛ بل هو ضمان للبقاء ، وإن استلال الإيمان من النفوس وترك القلوب خواء من الدين هو الضربة القاضية المهلكة ، ومن يعينُ عدوه في تحقيق ذلك فهو خائنٌ لله ولرسوله ولأُمته. وقد تورط بعض المسلمين في تحقيق بعض رغبات العدو؛ إما جهلاً ، أو من ضعفٍ وعيٍ وقلة دين ، وتغليب الدنيا على الآخرة. وبعضهم سخر ما رزقه الله من مالٍ وقلمٍ وإعلامٍ في تهوين الديانة في نفوس المسلمين ، وفتح أبواب الشهوات والشبهات ، حتى بتنا نخشى على أنفسنا قبل أجيالنا.

ألا فاتقوا الله - أيها المسلمون - ، وإياكم وتقديس العقل واتباع الهوى ، والإعجاب بالرأي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : " من تعود معارضة الشرع بالرأي لا يستقر في قلبه الإيمان " .

والواقع شاهدٌ ، كما في اضطراب المعاصرين ، أدمنوا الشغب على الشريعة. فاحذر كل الحذر من تعريض النفس للشبهات ، وورود المناهل العكرة أو مجالسة أصحابها ، أو التعرض لمراتعها؛ من القنوات والكتب والروايات ، والمواقع الآسنات؛ فإن القلوب ضعيفة ، والشبه خطافة ، والله تعالى يقول: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٦٨) ^{٨٤١} وقال - سبحانه - : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (١٤٠) ^{٨٤٢} .

الإيمان كثر يجب التأني به عن العوارض والآفات ، كم سلبه علماء ، واستل من عبّاد ، ﴿ وَاثُلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (١٧٥) ^{٨٤٣} .

وإذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد خاف الفتنة على الفاروق - رضي الله عنه - حين أتاها بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه ، فغضب النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال: " أَمْتَهُوْكُمْ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟! " - أي: هل أنتم متحيرون في الإسلام ، لا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى؟! - " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيِّضَاءَ نَقِيَّةً " .

فمن يأمن على نفسه الفتنة بعد عمر؟! ولقد خلت من قبلنا المثالات ، وسيقت لنا العظات ، فعلى المؤمن تجنب الشبهات ومواطن الفتن ، وكم يتهاون المفرطون في تقحمها بدافع

841 سورة الأنعام

842 سورة النساء

843 سورة الأعراف

الفضول أو تطلب المعرفة ، خصوصاً وقد تيسرت سبل الوصول إليها ، فزلت أقدام ،
وانتكست أفهام ، وزين لبعضهم سوء عمله فرآه حسناً .
وقد كان رسول الإيمان - صلى الله عليه وسلم - كثيراً ما يدعو: " يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ
قَلْبِي عَلَى دِينِكَ " .

وفي الإكثار من العمل الصالح ، وتلاوة القرآن ، ومُجالسة الأخيار من الأبرار ، والتزام
الدعاء عصمة - بإذن الله - من الأهواء والشبهات.

يجب استنهاض همم العلماء والمصلحين ليقفوا سداً منيعاً دون عوادي الإلحاد ، ورياح
التشكيك؛ حراسةً للدين ، وحمايةً له من العاديات عليه وعلى أهله ، قياماً بالواجب ،
ورحمةً بالإنسانية ، وحفاظاً على وحدة الصف ، وجمع الكلمة ، ومددً بشاشة الإيمان .
ألا إن التغير لردع الملحدين ونقض شبههم وكشف فتونهم وتعريتهم هو من حق الله على
عباده ، وحق المسلمين على علمائهم في رد كل مخالف ومخالفة ، ومضل وضلالته ،
ومخطئ وخطئه ، وزلة عالم وشذوذه ، حتى لا تتداعى الأهواء على المسلمين ، تعتو فساداً
في فطرهم ، وتقسم وحدتهم ، وتؤول بدينهم إلى دين مُبدل ، وشرع مُحرف ، ورُكام من
النحل والأهواء.

اللهم يا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ ، اللهم يا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى
دِينِكَ.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وارض
اللهم عن صحابة رسولك أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .
اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين ، اللهم أعزِّ الإسلام وانصر المسلمين ، واخذل الطغاة
والملاحدة والمفسدين ، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين .
اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشدي يُعز في أهل طاعتك ، ويُهدى فيه أهل معصيتك ، ويُؤمر فيه
بالمعروف ، ويُنهى عن المنكر يا رب العالمين .

اللهم من أراد الإسلام والمسلمين بسوءٍ فأشغله بنفسه ، وردَّ كيده في نحره ، واجعل دائرة السوء عليه يا رب العالمين.

اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في فلسطين ، وفي بلاد الشام ، وفي كل مكان يا رب العالمين ، اللهم فكَّ حصارهم ، وأصلح أحوالهم ، واكبت عدوهم .
اللهم حرر المسجد الأقصى من ظلم الظالمين ، وعُدوان المحتلّين .
اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم أصلح أحوال إخواننا في مصر وفي كل مكان ، اللهم اجمعهم على الهدى ، واكفهم شرارهم ، وأصلح أحوالهم .
اللهم كن لإخواننا في سوريا ، اللهم كن لإخواننا في سوريا ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ، اللهم احقن دماءهم ، وآمن روعاتهم ، وسدّ خلّتهم ، وأطعم جائعهم ، واحفظ أعضائهم ، واربط على قلوبهم ، وثبت أقدامهم ، وانصرهم على من بغى عليهم يا حي يا قيوم ، يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم وفق وليّ أمرنا خادم الحرمين الشريفين لما تحبُّ وترضى ، وخذ به للبرِّ والتقوى ، وأتمّ عليه عافيتك وألبسه لباس الصحة وتمام الشفاء ، اللهم وفقه ونائبه وإخوانهم وأعوانهم لما فيه صلاح العباد والبلاد .

اللهم وفق ولاة أمور المسلمين لتحكيم شرعك ، واتباع سنة نبيّك محمد - صلى الله عليه وسلم - ، واجعلهم رحمة على عبادك المؤمنين . اللهم انشر الأمن والرخاء في بلادنا وبلاد المسلمين ، واكفنا شرّ الأشرار ، وكيد الفجار . ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ، ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٤٧) .^{٨٤٤}

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وأزواجنا وذريّاتنا ، إنك سميع الدعاء .
اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك والنار .

نستغفرُ الله ، نستغفرُ الله ، نستغفرُ الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوبُ إليه ، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا غيثاً هنيئاً مريئاً سحاً طبَقاً مُجَلِّلاً ، عامّاً نافِعاً غيرَ ضارٍّ ، تُحيي به البلاد ، وتسقي به العباد ، وتجعله بلاغاً للحاضر والباد .
اللهم سقيا رحمة ، لا سقيا عذاب ولا بلاء ولا هدم ولا غرق .
ربَّنَا تقبَّل منا إنك أنت السميعُ العليم ، وثب علينا إنك أنت التوابُ الرحيم .
سبحان ربِّك رب العزة عما يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

عنوان الخطبة : المُعوذتان .. فضائل وآداب

تاريخ إلقاء الخطبة : الثالث من جمادى الأولى من عام ١٤٣٤هـ

- المُعوذتان .. فضائل وآداب -

ألقي فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب - حفظه الله - خطبة الجمعة بعنوان: "المُعوذتان .. فضائل وآداب" ، والتي تحدّث فيها عن المُعوذتين (سورة الفلق وسورة الناس) ، وما وردَ فيهما من فضلٍ ، وبعض الآداب المُتعلّقة بهما ، مع ذكرِ شيءٍ من اللطائف التي وردت فيهما .

الخطبة

أول

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هاديَ له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبداً لله ورسوله ، صلى الله وسلّم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

أما بعد :

فأوصيكم - أيها الناس - بما وصّى الله به الأمم الغابرة ، كما وصّى الأمة الحاضرة: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ (١٣١) ﴾ ^{٨٤٦} .

من تنبه سلم ، ومن غفل ندم ، وسوف يُبعث الناس ، وتُنصب الموازين ، فأعدّوا لذلك اليوم عدته ، ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ (٢٨١) ﴾ ^{٨٤٧} .

أيها المسلمون :

كانت الجنة موطن الإنسان الأول ، والجنة هي الخير الذي لا شرَّ فيه ، كما أن النار هي الشرُّ الذي لا خيرَ فيه ، أما الدنيا ففيها الخيرُ والشرُّ .

ولما كانت الشرور تعرضُ للإنسان في مسيرة حياته من حيث لا يحتسب؛ فقد تعلّق الإنسان الجاهلُ بما يعتقد أنه يدفع تلك الشرور من غير خبرٍ من السماء ، ولا إشارةٍ من أنبياء ، فزاد الشرُّ وفسدت الأديان ، كما قال الله - عز وجل - : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) ﴾ ^{٨٤٨} .

ثم إن الله تعالى برحمته ولطفه شرعَ خلقه وأخبرهم بمن يلودون ، وكيف يستعيذون؛ لتصلح أديانهم وتسلم أبدانهم .

846 سورة النساء

847 سورة البقرة

848 سورة الجن

روى عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " **أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتِ اللَّيْلَةَ، لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١) ﴿٨٤٩﴾ ، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (١) ﴿٨٥٠﴾ " ؛ رواه مسلم.**

هكذا وصف النبي - صلى الله عليه وسلم - السورتين العظيمتين. وإذ قال النبي - صلى الله عليه وسلم - هذه الكلمات ، فإنه يعني أنها تحوي سرًّا إلهيًّا كبيرًا ، وحِصْنًا من الله عظيمًا ، وسلاحًا يدفعُ به المؤمنُ شياطينَ الجنِّ والإنس ، ويواجهُ بها شرورَ الحياة ومصاعبها وشدائدِها ، والكائدين فيها والحاسدين ، والسحرة والمشعوذين ، وما يعترضه من أخطاءٍ تُؤثِّرُ في حياته ، وتضرُّه وتؤذيه.

وسورة الفلق وأختها سورة الناس آياتٌ بيناتٌ تذكرُ الداء والدواء ، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يُوليها عنايةً خاصَّةً ، ويتعوَّذُ بهما كما أمره ربُّه - عز وجل - .
عن أبي سعيد قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتعوَّذُ من الجنِّ وعين الإنسان ، حتى نزلت المعوذتان ، فلما نزلتا أخذَ بهما وترك ما سِوَاهُمَا"؛ رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه ، وقال الترمذي: "حديثٌ حسن".

أيها المسلمون:

هاتان السورتان توجيهُ من الله تعالى لنبيِّه - عليه السلام - ابتداءً ، وللمؤمنين من بعده جميعًا؛ للعياذ بكنفه ، واللياذ بحماه من كل مخوفٍ خافٍ وظاهرٍ ، مجهولٍ ومعلومٍ ، على وجه الإجمال وعلى وجه التفصيل.

وكأنما يفتحُ الله تعالى للمؤمنين حِمَاه ، ويسطُّ لهم كنفه ، ويقول لهم في مودَّةٍ ورحمةٍ: تعالوا إلى الحمى ، تعالوا إلى مأمِنكم الذي تطمئنُّون فيه ، تعالوا فأنا أعلمُ بضعفكم وما حولكم من مخاوف ، وأقدرُ على عدوكم. وفي كنفِ الله الأمنُ والطمأنينة والسلام.

والتأملُ في السورتين يجدُ أنها حصنٌ من شرورٍ خفيَّةٍ غير ظاهرة ، وتُصيبُ الإنسانَ دون أن يُعرَفَ من قامَ بها في كثيرٍ من الأحيان ، ولذلك جاء الأمرُ الربَّانيُّ يخصُّ هذه الشرورَ بالذكر

849 سورة الفلق

850 سورة الناس

من بين الأخطار والآفات المحدثّة بالإنسان ، وجاء الأمر الربّانيّ بطلب الغوث والمعونة والاستجارة والاستعاذة بالله - سبحانه - من كل الشرور بشكل عامّ ، ومن هذه الشرور المذكورة بشكل خاصّ.

والقصد: هو تعميق التوحيد في النفوس ، وذلك لحاجتها لمن يحفظها ويدفع عنها أنواع الشرور والأذى ، وتعلّقها بمن يحميها ويدفع عنها الشرّ. فتضمّنت هاتان السورتان الاستعاذة من هذه الشرور كلّها بأوجز لفظٍ وأجمعه ، وأدله على المراد ، وأعمّه استعاذة. ومعنى ﴿أَعُوذُ (١)﴾^{٨٥١} أي: ألوذُ وألتجئُ وأعتصمُ بالله ، وأطلبُ منه الحماية. فالاستعاذة عبادةٌ نسترضي بها من نستعيذُ به - سبحانه - ، وهي الثقةُ بأنه وحده القادرُ على دفع الخطر ورفعهِ.

ففي المعوذة الأولى أمر الله نبيه أن يستعيذَ ويحتميَ بربّ الفلق ، وهو الله - سبحانه - ربّ الصباح المنفلق عن الليل ، الكاشف لظلامه.

وتخصيصُ الصُّبح بالتعوذ هو أن انبثاق نور الصُّبح بعد شدّة الظلمة كالمثل لجيء الفرج بعد الشدّة ، فكما أن الإنسان يكون مُتَظَرّاً لطُلوُع الصُّباح ، فكذلك الخائفُ يترقّبُ مجيء الفرج والأمان ، فقال - عز وجل - لنبيه ولكل مؤمنٍ به: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)﴾^{٨٥٢} أي: من شرِّ خلقه إطلاقاً وإجمالاً ، وهو عامٌّ لكل شرٍّ في الدنيا والآخرة ، وشرِّ الإنس والجنّ والشیاطين ، وشرِّ السَّباع والهوامّ ، وشرِّ النار ، وشرِّ الذنوب والهوى ، وشرِّ النفس ، وشرِّ العمل ، وشرِّ كل ذي شرٍّ.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣)﴾^{٨٥٣} الغسقُ شدّةُ الظلام ، والغاسقُ هو الليلُ أو من يتحرّكُ في جوفهِ ، ومعنى ﴿وَقَبَ (٣)﴾^{٨٥٤} أي: دخل.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: "هو الليلُ إذا أقبلَ بظلامه".

قال مُجاهد والزهری: "هو وقتُ غروب الشمس".

851 سورة الفلق

852 سورة الفلق

853 سورة الفلق

854 سورة الفلق

والمقصود: الاستعاذة من الليل وما فيه ، والليل إذا غمر الأرض بجلاله فهو حينئذٍ مخوف بذاته ، ويتحرك في جُنحه الهوامُّ والوحوشُ ، وينشطُ المجرمون والكائدون ، وتشتدُّ الغرائزُ والشهواتُ ، وتهيجُ الوسوسُ والهواجسُ والهمومُ والأشجانُ التي تتسربُّ في الليل ، وتخلقُ المشاعرَ والوجدان.

والشيطانُ تُساعدهُ الظلمةُ على الانطلاق والإيحاء ، لذلك أمرَ الله تعالى نبيه بالاستعاذة من الليل وما فيه من شُرورٍ ، فقال - سبحانه - : ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ (٤) ﴿ ٨٥٥ ﴾ وهنَّ النساءُ الساحراتُ ، الساعياتُ بالأذى بالنفثِ على عُقَدٍ يعقدنَّها في خيوطٍ ونحوها على اسمِ المسحور ، فيؤذي بذلك ، ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (١٠٢) ﴿ ٨٥٦ ﴾ .

وقد عدَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - السحرَ من كبائر الذنوبِ الموبقات التي تُهلكُ الأمم والأفراد ، وتُرضي أصحابها في الدنيا قبل الآخرة .

ومن ابتلي بمرضٍ أو سحرٍ فلا يجوزُ له أن يلجأَ إلى السَّحرة والمشعوذين ، وقد برى النبي - صلى الله عليه وسلم - ممن يفعلُ ذلك ، وشرعَ الله لنا الاستعاذة به - سبحانه - ، والرُّكُونُ إليه ، والاستعانة به .

﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (٥) ﴿ ٨٥٧ ﴾ الحسدُ خُلُقٌ مذمومٌ طبعاً وشرعاً ، وهو تمنِّي زوال النعمة التي أنعمَ الله بها على المحسود ، وشرُّ الحاسدِ ومضرته إنما تقعُ إذا أمضى حسده فأصابَ بالعين أو سعى للإضرار بالمحسود ، لذلك أمرَ الله تعالى بالاستعاذة من شرِّه فقال: ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (٥) ﴿ ٨٥٨ ﴾ .

ولو أن الناسَ توكلُّوا على الله ، وحصَّنوا أنفسهم بهؤلاء الآيات؛ لكانوا في مأمنٍ من الحسد ، وسلامةٍ من الإصابة بالعين ، كما أن سورة الفلق من أكبر أدوية المحسود؛ فإنها تتضمن

855 سورة الفلق

856 سورة البقرة

857 سورة الفلق

858 سورة الفلق

التوكل على الله ، والالتجاء إليه ، والاستعاذة بولي النعم وموليها من شر حاسد النعمة ، ومولي النعم - سبحانه - هو حسب من توكل عليه ، وكافي من لجأ إليه .

أيها المسلمون:

وفي المَعُوذَةِ الثانية أمر الله الناس أن يستعيذوا برّبهم الذي يصوئهم ، وبملكهم الذي أمرهم ونهاهم ، وبإلههم الذي يعبدونه ، من شرّ الشياطين التي تحول بينهم وبين عبادته؛ فإن الشيطان هو أصل الشر الذي يصدر منهم والذي يردّ عليهم.

وإنما قال: ﴿ **مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣)** ﴾^{٨٥٩} ؛ لأن في الناس ملوكاً فذكر أنه ملكهم ، وفي الناس من يعبد غيرَه فذكر أنه إلههم ومعبودهم ، وأنه هو الذي يجب أن يستعاذ به ويُلجأ إليه دون الملوك والعُظماء ، فهو - سبحانه - ربُّهم الحقُّ ، والملك الحقُّ ، والإله الواحد المستحق للعبادة وحده ، وما دونه فهو مربوب لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

والاستعاذة من شرّ الوسواس الخناس - وهو الشيطان - تعم كل شره ، لكنه وُصِفَ بأخطر صفاته ، وأشدّها شراً ، وأقواها تأثيراً ، وأعمّها فساداً ، وهي: الوسوسة التي هي بداية الإرادة؛ فإن القلب يكون فارغاً من الشرّ والمعصية ، فيوسوس إليه ويُحسن له الشرّ ، ويُريه إياه في صورة حسنة ، ويُنشِط إرادته لفعله ، ويُقَبِّح له الخير ويُثبِّطه عنه.

وهو دائماً بهذه الحال يوسوس ويخنس ، **يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ** ، كما ثبت في "الصحيحين".

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: " الشيطان جائمٌ على قلب ابن آدم؛ فإذا سها وغفل وسوس ، وإذا ذكر الله خنس "؛ أي: هرب وتراجع.

والوسواس كما يكون من الجنّ ، يكون من الإنس ، ولهذا قال تعالى: ﴿ **مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ** ﴾^{٨٦٠} ، وفيه تذكيرٌ بخطورة شياطين الإنس ، وقل من يتنبّه لخطورتهم ، مع أن الله تعالى أمر نبيه في هذه السورة بالاستعاذة من شرّ نوعي الشياطين: شياطين الإنس والجنّ .

عباد الله:

قراءة المَعُودَتَيْنِ تُشْرَعُ في كل وقتٍ ، وتَتَأَكَّدُ قراءتهما في المواطن التي وردت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ومنها: ما رواه عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: " أمرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن أقرأ بالمُعُودَاتِ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ "؛ أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي ، وصحَّحه الحاكم وغيره.

ومنها: ما رَوَتْهُ عائشةُ - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - " كان إذا أوى إلى فراشه كلَّ ليلةٍ جمعَ كَفَّيْهِ ، ثم نفثَ فيهما فقراً فيهما: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (١) ، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ (١) ، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ (١) ، ثم يمسحُ بهما ما استطاعَ من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبلَ من جسده ، يفعلُ ذلك ثلاثَ مرَّاتٍ "؛ أخرجه البخاري.

كما تُسنُّ قراءة المَعُودَتَيْنِ ثلاثاً في أذكار الصباح والمساء ، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لعبد الله بن حبيب - رضي الله عنه - : " قُلْ " فَقُلْتُ : مَا أَقُولُ ؟ قَالَ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (١) ، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ (١) ، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ (١) ، وقال: "حسنٌ صحيحٌ" ، وصحَّحه النووي وغيره.

عباد الله:

والمُعُودَتَانِ رُقِيَّةٌ يَرْقِي بِهَا الْمُسْلِمُ نَفْسَهُ ، ويرقي بها غيره؛ عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمُعُودَاتِ وينفثُ . قالت: فلما اشتدَّ وجعه كنتُ أقرأ عليه وأمسحُ بيده رجاءَ بركتها "؛ متفق عليه. وفي روايةٍ لمسلم: " كان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إذا مَرِضَ أَحَدٌ من أهله نفثَ عليه بالمُعُودَاتِ " .

860 سورة الإخلاص

861 سورة الفلق

862 سورة الناس

863 سورة الإخلاص

بل إن المَعُوذَتَيْنِ تُقْرَأُ لِتَحْصِينَ النَّفْسَ قَبْلَ نُزُولِ الْبَلَاءِ؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ أَعْيُنِ الْجَانِّ وَعَيْنِ الْإِنْسَانِ ، فَلَمَّا نَزَلَتْ الْمَعُوذَتَانِ أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا " رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه .
وجُمْلَةُ ذَلِكَ: أَنَّ قِرَاءَةَ الْمَعُوذَتَيْنِ تَتَأَكَّدُ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، وَقَبْلَ النَّوْمِ ، وَفِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ ، وَلِلرُّقِيَةِ وَلِلتَّحْصِينِ .
نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُعِيدَنَا جَمِيعًا مِنَ الشُّرُورِ وَالْآثَامِ ، وَأَنْ يُعِيدَنَا مِنَ الْفِتَنِ وَالْأَسْقَامِ .
بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، وَنَفَعَنَا بِهَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى لِي وَلَكُمْ .

الخطبة

الثاني

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، يُجِيبُ مَنْ نَادَاهُ ، وَيُجِيرُ الْمُسْتَجِيرَ بِحِمَاةِ ، وَيُعِيدُ الْعَائِدَ بِكَفِّهِ وَيَحْمِيهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
وبعد ، أيها المسلمون :

من اللطائف في سورة الفلق: أَنَّ الْإِسْتِعَاذَةَ فِي مُسْتَهْلَهَا كَانَتْ بَرَبَ الْفَلَقِ ، وَالْفَلَقِ هُوَ الصُّبْحُ؛ بَلْ هُوَ كُلُّ مَا يَنْفَلِقُ بِالْخَيْرِ وَالْبُشْرَى ، وَفِي تَخْصِيصِ الْفَلَقِ بِالذِّكْرِ إِمَاءً بِأَنَّ الْقَادِرَ عَلَى فَلَقِ الصُّبْحِ وَإِزَالَةِ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ عَنِ الْعَالَمِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُزِيلَ كُلَّ ظُلَامٍ ، وَأَنْ يَرْفَعَ الظُّلْمَ عَنْ كُلِّ مَظْلُومٍ . فَلَا يَأْسَ وَلَا قُنُوطَ مَعَ الْقَوِيِّ الْقَادِرِ ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ (٩٥) ٨٦٤ .

وَالصُّبْحُ يَرْمِزُ لِلْأَمَلِ الَّذِي يُوَلَدُ مِنْ رَحِمِ الْمَأْسَاةِ ، وَيَأْتِي الْإِصْبَاحُ وَالْإِشْرَاقُ بَعْدَ شِدَّةِ الظُّلَامِ ، كَمَا يَأْتِي الْفَرَجُ إِذَا ضَاقَّتِ الْأُمُورُ وَبَلَغَتْ غَايَتَهَا ، فَهُوَ هُتَافٌ لِلْيُسْرِ وَالْفَرَجِ .

وهذا هو الذي تُؤمِّلُه ونرجُّوه هذه الأيام ، ومهما ضاقت الحالُ على أهلِ سُوريا بُطغيان عدوِّهم ، وتكالب إخوانه من أهلِ ملَّتِه في الخارج ، إلا أن صبرَ المؤمنين وتعلُّقَ أُمليهم بالله وحده بعد ما خذلتهم القُوى التي تزعمُ نُصرةَ الضعيف ، وهي لا تنتصِرُ إلا لمصالحِها. ذلك مُؤذِنٌ بفرَجٍ - إن شاء الله - قريبٌ؛ فإن الفرَجَ مع الكُربِ ، وإن النصرَ مع الصبرِ ، وإن مع العسرِ يُسرًا.

والمطلوبُ هو صدقُ اللَّجأِ إلى الله ، والإكثارُ من الاستِغفار الذي هو من أهمِّ مفاتيحِ الفرَجِ ، وتوحيدُ الكلمة ، ونبذُ الخلافِ. وإنما الشجاعةُ صبرٌ ساعة. وعلى المسلمين القادِرين نصرُ إخوانهم - سيِّما الحُكَّام - فإن الناسَ لهم تَبَعٌ ، وفي الأُمة خيرٌ كثيرٌ. فلا تألُّوا جُهدًا في كفِّ العدوان ، وإيقافِ الفساد؛ فإن إسلامَ الأخِ أخاه في ساعة الشدَّةِ مُؤذِنٌ بعقوبةٍ عاجلةٍ ومُماثلةٍ ، والدفعُ عن إخواننا في سُوريا دفعٌ للبلاءِ عَنَّا في العاجلة والآجلة.

ثم صلُّوا وسلِّموا على الرحمة المُهداة ، والنعمة المُسداة: محمدٍ بن عبد الله. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمدٍ ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وارضَ اللهم عن صحابةِ رسولك أجمعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. اللهم أعزِّ الإسلامَ والمسلمين ، اللهم أعزِّ الإسلامَ والمسلمين ، واخذل الطغاةَ والملاحدةَ والمُفسدين ، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين. اللهم أبرم لهذه الأُمة أمرَ رُشدٍ يُعزِّ فيه أهلُ طاعتك ، ويُهدى فيه أهلُ معصيتك ، ويُؤمرُ فيه بالمعروف ، ويُنهى عن المنكر يا رب العالمين. اللهم من أرادَ الإسلامَ والمسلمين بسوءٍ فأشغله بنفسه ، وردَّ كيده في نحره ، واجعل دائرةَ السَّوءِ عليه يا رب العالمين.

اللهم انصر المُجاهدين في سبيلك في فلسطين ، وفي بلاد الشام ، وفي كل مكانٍ يا رب العالمين ، اللهم فكِّ حصارَهم ، وأصلح أحوالَهم ، واكبتِ عدوِّهم. اللهم حرِّر المسجِدَ الأقصى من ظلم الظالمين ، وعُدوان المحتلِّين.

اللهم أصلح أحوال إخواننا في كل مكان ، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان يا رب العالمين ، اللهم أصلح أحوالهم في مصر وفي كل مكان ، واجمعهم على الهدى ، واكفهم شرارهم ، وأصلح أحوالهم.

اللهم كن لإخواننا في سوريا ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ، اللهم احقن دماءهم ، وآمن روعاتهم ، وسد خللتهم ، وأطعم جائعهم ، واحفظ أعراضهم ، واربط على قلوبهم ، وثبت أقدامهم ، وانصرهم على من بغى عليهم يا حي يا قيوم ، يا ذا الجلال والإكرام. اللهم وفق ولي أمرنا خادم الحرمين الشريفين لما تحب وترضى ، وخذ به للبر والتقوى ، اللهم أتم عليه عافيتك ، وألبسه لباس الصحة ، اللهم وفقه ونائبه وإخوانهم وأعوانهم لما فيه صلاح العباد والبلاد.

اللهم وفق ولادة أمور المسلمين لتحكيم شرعك ، واتباع سنة نبيك محمد - صلى الله عليه وسلم - ، واجعلهم رحمة على عبادك المؤمنين. اللهم انشر الأمن والرخاء في بلادنا وبلاد المسلمين ، واكفنا شر الأشرار ، وكيد الفجار. ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ، ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٤٧) .^{٨٦٦}

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وأزواجنا وذرياتنا ، إنك سميع الدعاء.

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك والنار.

نستغفر الله ، نستغفر الله ، نستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوب إليه ، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا غيثاً هنيئاً مريئاً سحاً غدقاً طبقاً مُجَلِّلاً ، عامماً نافعاً غير ضار ، تُحيي به البلاد ، وتسقي به العباد ، وتجعله بلاغاً للحاضر والباد. اللهم سقيا رحمة ، اللهم سقيا رحمة ، لا سقيا عذاب ولا بلاء ولا هدم ولا غرق. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

865 سورة البقرة

866 سورة آل عمران

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلاماً على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة : المهمةُ العاليةُ

تاريخ إلقاء الخطبة : السادس عشر من جمادى الآخرة من عام ١٤٣٤هـ —

— المهمةُ العاليةُ —

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب — حفظه الله — خطبة الجمعة بعنوان: " المهمةُ العاليةُ " ، والتي تحدّث فيها عن المهمّةِ العاليةِ ووجوب التحلّي بها ، والترفّع عن سوافل المهمّ ، وذكر ضرورة الرجوع إلى المنهل الصافي ، والمعين الذي لا ينضب: كتاب الله وسنة النبي — صلى الله عليه وسلم — ، حتى تنهض الأمةُ مما حلّ بها من كبواتٍ ونكباتٍ.

الخطبة —————

أول —————

—

الحمد لله خلق الخلق ودرى ، وقدر لأوليائه الخيرة على كل الورى ، ليكونوا للعالمين في شمم الذرى ، ويظهروا بدينهم على كل القرى ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا شك ولا امترا ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من وطئ الثرى ، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه أسود الشرى ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .
أما بعد :

فاتقوا الله تعالى واعتصموا منه بأوثق العرى ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) ﴿ ٨٦٧ ﴾ .
عباد الله :

الهمة العالية شرف ومقصد ، الهمم تعلو بالأمم إلى أعالي القمم ، وتوصل إلى معالي الأمور ومحاسن الشيم ، والرفعة منحة إلهية ، ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (١١) ﴿ ٨٦٨ ﴾ .

أثنى الله تعالى على أصحاب الهمم العالية من الأنبياء والمرسلين ، وأوصى نبيه بالافتداء بهم ، فقال له : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (٣٥) ﴿ ٨٦٩ ﴾ .

كما أثنى على أوليائه الذين كبرت هممتهم في مواطن البأس والجلد ، والعزيمة والثبات ، والقوة في دين الله ، ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ (٢٣) ﴿ ٨٧٠ ﴾ .

وأمر الله - سبحانه - بالتنافس في المعالي ، فقال : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ (١٤٨) ﴿ ٨٧١ ﴾ .
وعلم النبي - صلى الله عليه وسلم - أمتة علو الهممة ، فقال : " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ ، أَعَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَإِذَا

867 سورة آل عمران

868 سورة المجادلة

869 سورة الأحقاف

870 سورة الأحزاب

871 سورة البقرة

سَأَلْتُمَا اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ وَسَطُ الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ " ؛ أخرجه البخاري.

وروي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: " لا تصغرَنَّ همتُكم؛ فإني لم أرَ أقعدَ عن المكرُمات من صغرِ الهِمَمِ".

وذمَّ الله المهازِيلَ الهابِطِينَ إلى الأهواء ، ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) ﴾^{٨٧٢}.

عباد الله:

إن دينًا هذا شأنه لا يقبلُ من أتباعه الكسلَ والْخُمُولَ والعجزَ والسكونَ والاسترخاءَ ، وضعفَ الهمةَ والفتورَ ، ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨) ﴾^{٨٧٣} . ولأن طلبَ الراحة في الدنيا لا يصحُّ لأهل المروءات فقد كان من أوائل ما أمر به نبينا محمدٌ - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) ﴾^{٨٧٤} . فضحَّى النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، وهجروا الأوطانَ ، وترَبَّوا لأجل الله ، وبالتضحيات الجسام انتصروا في بدرٍ ، وبالصبر واليقين نجَّوا من الأحزاب ، ونفروا في أحلك الظروف إلى تبوك ، وتبعوا نبيَّهم في ساعة العُسرة ، ولما قيل لهم: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ (١٧٣) ﴾^{٨٧٥} ، زادهم ذلك إيمانًا وثباتًا ، وقالوا: ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) ﴾^{٨٧٦} .

وبعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكسل الصحبُ الكرامُ؛ بل علَّتْ هِمَمُهم حتى غلبوا أعظمَ حضارتين ، وخفقت رايائهم في روابي المشرقين ، وملئوا الدنيا حضارةً وعلمًا

872 سورة الأعراف

873 سورة الشرح

874 سورة الزمل

875 سورة آل عمران

876 سورة آل عمران

وهُدًى في أخبارٍ وسيرٍ تأسرُ القلوبَ ، وتأخذُ بالألبابَ ، ولولا التأريخُ لقل: ضربٌ من الأحلام.

ولقد كانوا بشرًا من البشر ، لكنَّ قلوبَهُم صاغها الوحيُ ، فتعلَّقت بالسماءَ ، اصطفاهم الله وامتحنَهُم ، فصدقوا ونجحوا.
وهكذا ربَّى النبي - صلى الله عليه وسلم - الصحابةَ ، حتى صاروا قادةَ الأمة في العلم والجهد والقيادة.

أيها المسلمون:

إن الأمة اليوم بحاجةٍ إلى من يشدُّ على قلوبِ أبنائها ، ليُصبحوا رجالاً ، فقد أصبح الكثيرون يعدُّون أنفسهم من أهل الجنة بمجرد عملٍ يسيرٍ أو طاعةٍ محدودةٍ ، دون تضحيةٍ وفداء. وكأنَّ الله لن يتَّخذَ منا شهداءَ ، حتى لقد أصبح الإسلام عند البعض مُجرَّد سُلوكٍ اجتماعيٍّ ربما يُشارِكهم فيه غيرُهُم ، ويتفوقُ عليهم آخرون.

ألم يعلموا أنه تكاليف شاقَّة ، وعملٌ وامتحان؟! ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (٢١٤) ٨٧٧ .

إذا كان المرءُ ينامُ حتى يملَّ الفراشُ جنبه ، ويسطُّ ألوانَ الطعام كلما اشتهى ، ويصرفُ الأوقات الطويلة للتسوُّق والمسامرة ، ولا يرفعُ يده عن صرفِ جُلِّ يومه وغالبِ ساعاته في تصفُّح الأجهزة الإلكترونية ، أو متابعة الملهيات ، ويركضُ وراءَ الدنيا ركضَ الوحوش في البرية ، فمتى يُنتجُ؟ أو يصلحُ لردِّ عدوانٍ أو هوضٍ بأمة؟
إن معالي الأمور والطموحات الكبرى لا تأتي إلا بالكدِّ والتعب.

والناظرُ في حال الأمم يجدُ أنه ما من أمةٍ ترقَّت في مراتبِ المجدِّ وسطَّرت اسمها على صفحات التاريخ إلا كان وراءَ ذلك عملٌ كبيرٌ وتضحياتٌ جسامٌ ، وبذلٌ للجهد في كل الميادين.

إن الأمم لا تكون كذلك بغير تحمُّل أبنائها لمسؤولياتهم ، واستعداد الشباب والناشئة للبدل والتضحية والعطاء ، مما يجعلنا نتبين خطورة إهمال الناشئة ، وعدم تربيتهم على الجد واستشعار المسؤولية.

قال الغزالي - رحمه الله - : "والصبيُّ أمانةٌ عند والديه ، وقلبه الطاهرُ جوهرةٌ نفيسةٌ؛ فإن عودَ الخيرِ وعلمه نشأ عليه ، وسعدَ في الدنيا والآخرة ، وإن عودَ الشرِّ وأهملَ إهمالَ البهائمِ شقيٌّ وهلك. وصيانه بأن يؤدِّبه ويَهْدِّبه ويُعلِّمه محاسنَ الأخلاق".

وإذا نظرنا إلى أحوال السابقين من أمتنا نجد أنهم أعطوا هذا الأمرَ ما يستحقُّه من العناية؛ بحيث نشأ أبنائهم نشأةً سويَّةً ، تحمَّلوا المشاقَّ والصَّعَابَ دون كَلَلٍ أو مللٍ ، وبدلوا لهذا الدين ولرفعة الأمة دون منٍّ.

عباد الله:

إن الوهنَ والضعفَ الذي تُعاني منه أمتنا اليوم سببه: حبُّ الدنيا والرُّكونُ إليها ، والجبنُ عن الإقدام خشيَّةُ التلَفِ أو فوات الحُظوظ.

عن ثوبان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يُوشِكُ الْأَمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا " ، فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : " بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءَ كُثَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْذِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ " ، قَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : " حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ " ؛ رواه الإمام أحمد وأبو داود بسندٍ صحيح.

وقال - صلى الله عليه وسلم - : " إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ " ؛ رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح.

إن الإغراقَ في الشَّهَوَاتِ والمُلذَّاتِ والفنِّ الرخيصِ والمُلَهِّيَّاتِ لهيَ المُخَدَّرَاتِ المُقَعَّدَاتِ التي تُعيقُ مسيرةَ الأمة نحو مراقبي العزَّة والكرامة ، وقرأوا التاريخ ، اقرأوا التاريخَ القريبَ

والبعيد ، ثم اعتبروا يا أولي الأبصار. لقد طال التَّيُّه الذي تعيشه الأمة ، وامتدَّت مأساتها ، وزادَ قتَامُ ليلها.

ولقد رأينا في المائة عام السَّالِفة سرعةَ هَوضِ أُمَمٍ بعدَ كِبَواتِها ، وتتابعَ عافيتها بعدَ نكباتِها ، وقد لاقَتْ حروبًا وفتنًا ، وطواعينًا ومِحَنًا. وليس هذا إعجابًا بالغرب؛ إنما هو تعجُّبٌ من حال الشَّرْق الذي يُفتَنُ في كلِّ شهرٍ مرَّةً أو مرتين ، ثم لا يتوبون ولا هم يذكِّرون ، وقد عابَ الله قومًا يُفْتَنُونَ في كلِّ عامٍ مرَّةً أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكِّرون.

إنَّ جَمَعَ الدُّنيا وعتادِها ليس سبيلًا خالصًا للعزِّ والكرامة ، فقد يستطيعُ العربُ جَمَعَ الدُّنيا من أيِّ مكانٍ ، لكنَّهم لو أداروا ظهورَهم لتعاليم دينهم ، ثم جَمَعُوا سِلَاحَ المشرق والمغرب فلن يُدركوا به إلا ذُلَّ الدهر وخذلانَ الأبد.

فليس أمامَ المسلمين إلا طريقٌ واحدٌ لعزِّهم ، وهو العودةُ إلى الإسلامِ ظاهرًا وباطنًا ، وترسُّمُ خُطَى السَّلَفِ الأول في صِدْقِ الإيمان وحُسنِ العمل ، وطريقُ الشَّرَفِ والكرامةِ أساسه أن يعرفَ المسلمون بَمَ كانوا أمةً ، وكيف صارَ لهم في التاريخ وجود. علينا مُراجعةُ أنفسنا وحالنا أولاً.

وإنَّ الأُمَّةَ لا تُصابُ من الخارج إلا بعد أن تُصابَ من الداخل ، وليس لنا أن نُسيءَ وننتظر من الله الإحسان ، ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٨٣) ، ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (١٠٥) .^{٨٧٨}

إنَّ الإنسانَ الصَّالحَ لعمارةِ الأرض ووراثتها ليس هو الذكيُّ فحسب؛ بل أن يكون ذا قلبٍ سليمٍ ، وضميرٍ حيٍّ ، وتقوى تكبِّحُ جماحَ الهوى والنزوات ، يُغذي ذلك نورُ التوحيد والعبادات ، والعالمُ كُلُّه بحاجةٌ إلى هذه القيادة الروحية الفاضلة.

لقد وجدَ العالمُ نفسه وهو في القرن الحادي والعشرين في جوٍّ من الرَّهَقِ والاضطراب ، والقلق والانهيار ، فحجبَ الليلُ النهارَ ، وهجَمَت جنودُ الهوى من كلِّ جانبٍ ، وهزِمَت الفضيلةُ والأخلاقُ ، وأصبحَ الإنسانُ ينحُرُ أخاه الإنسانَ في سبيلِ الجشعِ أو الخيلاء ،

والتَهَبَتْ نارُ الشهوات ، وانطفأ نورُ القلب ، وغلا الجمادُ والمعادن ، ورخصَ الإنسانُ في سوقِ العالم.

فصارت المدنُ العامرة تُسوَّى بها الأرض ، وألوفُ من البشر يُقتلون في دقائق وثوانٍ ، وتغلبت أُممٌ على العالم ، وجعلته بيتَ المقامرين ، أو سوقَ الجزَّارين ، وعبثت بالإنسانية عبثَ الوليد بالقرطاس ، وتلاعبت بالأُمم كالكرة ، واستصرخ الكونُ يَرْجُو النجاءَ من هذا الرَّهَق ، ويتلمسُ نورَ الإسلام كالصُّبح الصادق في ظلام الليل الحالك. فهل تسمعون النداء؟!

أيها المسلمون:

بأيديكم أصبحُ تراثُ سماويٍّ ، وفي إيمانكم رِيُّ العالم ، وإن الأمةَ الإسلاميةَ مُزوَّدةٌ بدينٍ عصيٍّ على الفناء له قدرةٌ على تحريك الروح الهامدة ، وتجديد الأسمان البالية ، وهي ما زالت تستشفي من سقامها ، وتُحاول أن تستعيد قواها ، وتستأنف أداء رسالتها الأولى ، ولعلها بتأييد الله بالغة ما تحبُّ.

وإن أمتنا الكبيرة تنتشرُ فوقَ بساطٍ من الأرض التقت فوقه مقاليدُ الدنيا ، ومفاتيحُ العمران ، وفي قبضةِ يدها رخاءُ العالم وشرُّه ، ولو أحسنت استغلالَ ما تملك فإن سائرَ الأُمم تحتاجُ إليها ، ولا تحتاجُ هي إلى أحدٍ ، ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٩٠) ﴿ ٨٨٠ ﴾ .

ألا فتيَّمموا شطرَ الفلاح ، وتسربلوا بطُهرِ الصلاح ، وخذوا من مشكاة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ ﴾ زَكَّاهَا ﴿ ٩ ﴾ ﴿ ٨٨١ ﴾ ، ثم اتبعوا سببًا ، واستردُّوا كرامتكم ، وقولوا: لا للشهوات والنزوات ، والرغبات والرَّهَبات ، لا للنِّعرات والخلافات.

شدُّوا عزائمكم ، واجتازوا المسالك ، وتخطَّوا المهالك ، وإن السُّمُوقَ إلى القِمَمِ والذُّرى لا يكونُ بوثةً واحدةً؛ بل لا بُدَّ من تدرُّجٍ على سُنَنِ الله في الحياة.

إن عاليَّ الهمة يحمل همَّ أمتٍ ويجودُ بالنفسِ والنَّفيسِ في سبيلِ تحصيلِ غايتها ، وتحقيقِ رفعتها ، ويعلم أن المكارمَ منوطةٌ بالمكاره ، وأن المصالحَ والخيراتَ واللذاتَ والكمالات لا تُنالُ إلا بحظٍّ من المشقة ، ولا يُعبرُ إليها إلا على جسرٍ من التعب ، ومن أراد العلوَّ لأُمته لم يلتفت إلى لومٍ لائمٍ ، ولا عدلٍ عاذلٍ ، ومضى يكدحُ ساعياً ، ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ (١٩) ﴿ ٨٨٢ 》 .

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " مَنْ خَافَ أَذْلَجَ ، وَمَنْ أَذْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةً ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ " .

كبيرُ الهمة لا ينقضُ عزمه ، ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ (١٥٩) ﴿ ٨٨٣ 》 .
إن طريقَ النجاح ليس مفروشاً بالورود والرياحين ، ويحتاجُ إلى تعبٍ وإلى بذلٍ لإدراكه ، وإذا ذاقَ الإنسانُ طعمَ النجاح هانت عليه كلُّ لحظةٍ تعبٍ أمضاها في طريقه ، حتى يكون ذلك التعبُ أشهى من النفس ، وألذَّ من طعمِ الدعة والسكون . وهذه سُنَّةُ الله في الحياة ، ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٦٩) ﴿ ٨٨٤ 》 .

وتربيةُ الأمة على ذلك مسؤوليةُ الأولياء والمُرَبِّين ، ووسائلُ الإعلام والمسؤولين ، أما التخديرُ وزرعُ الوهنِ بالملهيات فلا يُنتجُ إلا أمةً داجنةً ، لا تبني في الرِّخاء ، ولا تصمدُ في البلاء .

إن على أمة الإسلام - وهي تمرُّ بأحلك ظروفها ، وأخطر منعطفات تاريخها - أن تعلو همَّتها عن اللُّهُو والعبث ، والفرقة والخلاف ، والغفلة والشُّرود ، وأن تُربِّيَ جيلها على الجدِّ والطُّموح والهمم العالية ، وقد قال الله لنبيه: ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ (١٢) ﴿ ٨٨٥ 》 ، وقال لموسى عن الألواح: ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾ (١٤٥) ﴿ ٨٨٦ 》 .

882 سورة الإسراء

883 سورة آل عمران

884 سورة العنكبوت

885 سورة مريم

886 سورة الأعراف

وإن سُنن الله في الانتصار والانكسار ليست حظوظاً عمياء ، لكنّ الأمور تتدافعُ إلى نهايتها وفق سُنن كونيّة دقيقة ، ومُقدّماتٍ مُنظمةٍ كانتظامِ النتائج بعد الأسباب ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (١١) ٨٨٧ .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعنا بسُنّة سيّد المرسلين ، أقولُ قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثاني

الحمد لله الذي يسوقُ المواعظَ الزّاجرات ، ويوالي العبرَ التي تستمطرُ العبرات ، ويُري خلقه هوانهم إذ هانوا ، ومكانهم بعد أن كانوا فبأنوا وله - سبحانه - الحُكمُ الباهرات ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلّم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فبين أيدي العربِ وفي أرض المسلمين ، وفي ثرى سوريا ، وعلى مسامع العالمِ وتحت بصره تتلو المجزرةُ المجزرة ، ويسيرُ الدّمُ على إثر الدماء ، ويُطفئُ النظامُ المُجرمُ شموعَ الحياة في أجساد عشرات الألوف من السُوريين ، ويُشرّدُ الملايين ، ويُرهّبُ الشعبَ ، ويقصفُ ثراثَ الحضارات السّالِفات ، ويتعمّدُ حرقَ المكتبات التي تستبطنُ كنوزَ المعارفِ والمخطوطات. مما يعني انقطاعَ ذلك النظامِ الآثمِ عن أي خيطٍ يربطُه بالإنسانيّة والبشر ، فلا الدينُ يعنيه ، ولا الحضارةُ تستهويه ، ولا ثراثُ الإنسانيّة أو صُراخُ الأطفال يُحرّكُ ساكنًا فيه. لم يزلْ النظامُ الجاثمُ على أرض سُوريا ، الدّخيلُ والمتسرطنُ في جسدها يرتكبُ المذابحَ والقبائحَ ، ويتفنّنُ في ارتكابِ المذابحِ ونشرِ الإرهاب ، يُعاوِنه في ذلك إخوةُ المُعتدّ ،

ورفاق العداء للعرب والمسلمين. قلة يُيبدون كثرةً ، وشِرذمةٌ مُتسلِّطون على أمةٍ ، ﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ﴾ (١٨) ٨٨٨ .

يُذبحُ خمسمائةُ أكثرهم من الأطفال في عطوروز والفضل بريف دمشق ، والعالم لم يرَ بعدُ ما يستدعي التدخل أو الإمداد بالسلاح لأسبابٍ واهيةٍ وأعدارٍ مُصطنعةٍ. في حين أن دافعه الحقيقي هو خشيةُ كدر العدو المجاور من وجود السلاح بأيدي مُتوضِّئةٍ ، فأهدرت دماءَ السوريين ، وزُهقت نفوسهم بين عدوين: مُعتدٍ داخليٍّ ومُحتلٍّ خارجيٍّ. وتتساقط قيمُ المنظَّمات والأمم التي تُقدِّمُ نفسها بأنها حاميةٌ للإنسان ، أو ناصرةٌ للضعيف ، وهي ترى هذه المشاهد المروعة ، والأخبارَ المفزعةَ تترى من أرض سوريا ثم لا تُحرِّكُ ساكنًا. تجبُ نصرةُ المظلوم وإيقافُ هذا الظلم ، وكلُّ من استطاعَ النصرةَ بالمالِ والسلاحِ والمواقفِ السياسيَّةِ ثم لم يفعلْ فهو آثمٌ ، ويُخشى عليه من العقوبة العاجلة والآجلة ، وقد قال - صلى الله عليه وسلم - : " إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ " .

اللهم الطِّف ياخواننا في سوريا ، اللهم الطِّف ياخواننا في سوريا ، اللهم ارفع عنهم البلاء ، وعجِّل لهم بالفرج ، اللهم ارحم ضعفهم ، واجبر كسرهم ، وتولَّ أمرهم ، اللهم ارحم موتاهم ، وعاف جرحاهم ، يا راحمَ المستضعفين ، ويا ناصرَ المظلومين.

ثم اعلَموا أن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه ، فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦) ٨٨٩ .

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمدٍ ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وارضَ اللهم عن صحابةِ رسولك أجمعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين ، واخذل الطغاة والملاحدة والمُفسدين ، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمرَ رُشدٍ يُعزُّ فيه أهل طاعتك ، ويُهدى فيه أهل معصيتك ، ويُؤمر فيه بالمعروف ، ويُنهى عن المنكر يا رب العالمين.

اللهم من أراد الإسلام والمسلمين بسوءٍ فأشغله بنفسه ، وردَّ كيده في نحره ، واجعل دائرة السوء عليه يا رب العالمين.

اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في فلسطين ، وفي بلاد الشام ، وفي كل مكان يا رب العالمين ، اللهم فكَّ حصارهم ، وأصلح أحوالهم ، واكبت عدوهم. اللهم حرر المسجد الأقصى من ظلم الظالمين ، وعدوان المحتلّين.

اللهم أصلح أحوال إخواننا في مصر وفي كل مكان ، اللهم اجمعهم على الهدى ، واكفهم شرارهم ، وأصلح أحوالهم.

اللهم كن لإخواننا في سوريا ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ، اللهم احقن دماءهم ، وآمن روعاتهم ، وسدّ خللتهم ، وأطعم جائعهم ، واحفظ أعراضهم ، واربط على قلوبهم ، وثبت أقدامهم ، وانصرهم على من بغى عليهم يا حي يا قيوم ، يا ذا الجلال والإكرام. اللهم وفق وليّ أمرنا خادم الحرمين الشريفين لما تحب وترضى ، وخذ به للبر والتقوى ، اللهم أتمّ عليه عافيتك ، وألبسه لباس الصحة والعافية ، اللهم وفقه ونائبه وإخوانهم وأعوانهم لما فيه صلاح العباد والبلاد.

اللهم وفق ولاة أمور المسلمين لتحكيم شرعك ، واتباع سنة نبيك محمد - صلى الله عليه وسلم - ، واجعلهم رحمة على عبادك المؤمنين. اللهم انشر الأمن والرخاء في بلادنا وبلاد المسلمين ، واكفنا شرّ الأشرار ، وكيد الفجار ، وشرّ طوارق الليل والنهار.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ^{٨٩٠} ، ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٤٧) ^{٨٩١}

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وأزواجنا وذرياتنا ، إنك سميع الدعاء. اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك والنار.

890 سورة البقرة

891 سورة آل عمران

نستغفرُ الله ، نستغفرُ الله ، نستغفرُ الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوبُ إليه ، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا غيثاً هنيئاً مريئاً سحاً طبَقاً مُجَلِّلاً ، عامّاً نافِعاً غيرَ ضارٍّ ، تُحيي به البلاد ، وتسقي به العباد ، وتجعله بلاغاً للحاضر والباد .
اللهم سقيا رحمة ، اللهم سقيا رحمة ، اللهم سقيا رحمة ، لا سقيا عذاب ولا بلاء ولا هدم ولا غرق .

ربَّنَا تقبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وثُبِّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ .
سبحان ربِّكَ ربِّ العزة عما يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

عنوان الخطبة : الحق منصور والباطل مهزوم

تاريخ إلقاء الخطبة : الرابع عشر من رجب من عام ١٤٣٤هـ

— الحق منصور والباطل مهزوم —

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب — حفظه الله — خطبة الجمعة بعنوان: "الحق منصور والباطل مهزوم"، والتي تحدّث فيها عن المعركة الأبدية بين الحق والباطل، وأنها لا بُدَّ في نهايتها أن تكون للحق مهما طال الأمل، وحثَّ جموع المسلمين على الرجوع إلى الوحيين للأخذ منهما واتباع سبيلهما.

الخطبة
الـأولـ

—

الحمد لله الذي جعل العِزَّةَ لأوليائه وإن مسَّتْهم قروح ، والعلوَّ لعباده وإن تناوَبَتْ ليهم
النوائِبُ واجترحتهم جُروح ، ووعدهم يُسرِّين بعد العُسر وأن يطويَ ليلهم صفحٌ صُبوح ،
أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له بيده مغالِقُ الأمور وبيده الفُتوح ، يُداوِلُ الأيام
بين عباده فمقاديرُهُ تغدو عليهم وتروح ، وأشهد أن محمدًا عبدُ الله ورسولُهُ أُنْدى الخلائق

راحة وأزكاهم رُوحًا ، صَلَّى الله وسلّم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه الذين امتاحوا من نبيهم خير مُتَوَحِّح ، ونشروا الحق بعد ذلك بلاغًا وفُتُوْحًا .

أما بعد:

فاتقوا الله تعالى حقَّ التقوى ، واستمسِكُوا من الإسلام بالعروة الوثقى ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢٩) ﴿٨٩٢﴾ .

إن الأمور بيد الله ، ومصائر الخلق إليه ، وعند الله تجتمع الخصوم ، فأعِدُّوا للقاءِ عُدَّتِهِ ، ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٢٥) ﴿٨٩٣﴾ .

وسوف يُحْشَرُ الناسُ عُرَاةً كما خُلِقُوا ، لا تَكْسُوهُمْ إِلَّا أَلْبِسَةُ التَّقْوَى إِنْ كَانُوا أَهْلَ تَقْوَى ، ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ﴾ (٢٥) ﴿٨٩٤﴾ ، كلُّ نفسٍ لوحدها مُفْرَدَةٌ مُجَرَّدَةٌ عن الألقاب والإضافات ، والزخارف والشارات .

أيها المسلمون:

في كتاب الله سلوانٌ لكل مؤمنٍ ، وهدايةٌ لكل مُوقِنٍ ، ولن يُضَيِّعَ الله عباده المؤمنين ، وفي أعقابِ البلاء قال الله تعالى لأوليائه: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) ﴿٨٩٥﴾ .

فإن الباطل لا مُسْتَقْبَلَ له ، وقد قصَّ الله على عباده توارِيخَ أُمَمٍ هَلَكَتْ ومَضَتْ ، وبادت وانقضت؛ لأنها تشبَّثت بالباطل وأصرَّت عليه.

892 سورة الأنفال

893 سورة آل عمران

894 سورة آل عمران

895 سورة آل عمران

وَسُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَبْتَلِيَ عِبَادَهُ لِلْحِكْمَةِ الَّتِي مَضَتْ فِي الْآيَاتِ ، وَلِتَنْقِيَةِ الصُّفُوفِ أَيْضًا ، كَمَا قَالَ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ (١٧٩) ﴾ ٨٩٦ .

عن زيد بن أسلم قال: كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - ، فذكر الله جموعاً من الروم وما يتخوف منهم. فكتب إليه عمر: أما بعد؛ فإنه مهما نزل بعد مؤمن من منزلة شدة يجعل الله بعدها فرجاً ، وإنه لن يغلب عسر يسرين ، وإن الله يقول في كتابه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠) ﴾ ٨٩٧ .

فأملنا بالله كبير أن تشرق شمس الخلاص ، وأن يطرّد النور الظلام ، وعند الصبح تبسم الأمان.

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة ، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثاني

الحمد لله الذي عزّ وملك ، ودانت له الأكوان وما دار في الفلك ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ما خاب عبد أمّله ، ولا هان وجه أسلم له ، وأشهد أن محمداً عبداً لله ورسوله ، صلى الله وسلّم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن يقيننا بالله تعالى عظيم ، وإيماننا بإنجاز وعده كبير ، والله تعالى هو الملجأ وإن انقطعت السبل ، وإليه المتجأ وإن ضاقت الحيل ، ولا غالب إلا الله.

٨٩٦ سورة آل عمران

٨٩٧ سورة آل عمران

وإن حقاً على كل مسلمٍ في هذه الساعات أن يتَهَلَّ إلى الله بأصدق الدعوات لإخوانه المسلمين المظلومين ، والذين تكالبت عليهم الثوب ، ولا ناصر لهم إلا الله .
الحمد لله رب العالمين ، لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيم ، لا إله إلا الله ربُّ السماوات وربُّ الأرض وربُّ العرش الكريم .
اللهم يا مَنْ لا يُهْزَمُ جُنْدُكَ ، ولا يُخْلَفُ وَعْدُكَ ، ولا يُرَدُّ أَمْرُكَ ، سبحانه وبحمده ، عزَّ جارُّكَ ، وجلَّ ثناؤُكَ ، وتقدَّستْ أسماؤُكَ ، نسألك اللهم باسمِكَ الأعظم أن تَلْطِفَ ياخواننا في سُوريا ، اللهم الطِّف ياخواننا في سوريا ، اللهم ارفع عنهم البلاء ، وعجِّلْ لهم بالفرج ، اللهم ارحم ضعفهم ، واجبر كسرهم ، وتولَّ أمرهم ، يا راحمَ المُستضعفين ، ويا ناصرَ المظلومين .

اللهم يا مُتَرَلِّ الملائكة يوم بدر ، ومُشَتَّت الأحزاب يوم الخندق ، اللهم انصر المجاهدين في سبيلِكَ في بلاد الشام عامَّةً ، وفي القُصير خاصَّةً ، اللهم فُكِّ حصارهم ، واحقن دماءهم ، وآمن روعاتهم ، واحفظ أعراضهم ، وسدِّ خَلَّتْهم ، وأطعم جائعهم ، واربط على قلوبهم ، وثبَّت أقدامهم ، وانصرهم على من بغى عليهم .
اللهم أصلح أحوالهم ، واجمعهم على الهدى ، واكفهم شرارهم ، اللهم اكبت عدوهم ، اللهم اكبت عدوهم ، اللهم عليك بالطُّغاة الظالمين ومن عاونهم ، اللهم عليك بالطُّغاة الظالمين ومن عاونهم .

اللهم مُتَرَلِّ الكتاب ، مُجْرِي السحاب ، هازم الأحزاب ! اهزمهم وزلزمهم ، وانصر إخواننا عليهم .

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين .
اللهم حرِّر المسجد الأقصى من ظلم الظالمين ، وعدوان المحتلِّين .
اللهم أصلح أحوال إخواننا في مصر وفي كل مكان ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ، وأصلح أحوالهم ، واكفهم شرارهم .
اللهم أبرم لهذه الأمة أمرَ رُشدٍ يُعزِّ فيه أهل طاعتك ، ويُهدى فيه أهل معصيتك ، ويُؤمر فيه بالمعروف ، ويُنهى عن المنكر يا رب العالمين .
اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين ، واخذل الطُّغاة والملاحدة والمُفسدين .

اللهم من أراد الإسلام والمسلمين بسوءٍ فأشغله بنفسه ، وردَّ كيده في نحره ، واجعل دائرة السوء عليه يا رب العالمين.

اللهم وفق ولاة أمور المسلمين لتحكيم شرعك ، واتباع سنة نبيك محمد - صلى الله عليه وسلم - ، واجعلهم رحمةً على عبادك المؤمنين.

اللهم انشر الأمن والرخاء في بلادنا وبلاد المسلمين ، واكفنا شر الأشرار ، وكيد الفجار.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ^{٨٩٨} ، ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٤٧) ^{٨٩٩}

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وأزواجنا وذرياتنا ، إنك سميع الدعاء.

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك ومن النار.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ربَّنَا تقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

898 سورة البقرة

899 سورة آل عمران

عنوان الخطبة : رمضان وأحوال الأمة

تاريخ إلقاء الخطبة : السادس والعشرون من شعبان من عام ١٤٣٤هـ

— رمضان وأحوال الأمة —

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب — حفظه الله — خطبة الجمعة بعنوان: "رمضان وأحوال الأمة" ، والتي تحدّث فيها عن شهر رمضان وما فيه من فضائل وحِكم ، وحثّ الناس على التنافس في طاعة الله تعالى في رمضان خاصّةً ، ولم ينسَ التعرّيج على أحوال المسلمين في كل مكان ووجوب تذكُّرهم بالصدقات.

الخطبة
أول

—

الحمد لله ، الحمد لله الذي فاضلَ بين الأيام والشهور ، وجعلَ شهرَ رمضان محلاًّ لأعظم العبادات ومربحاً لأجزل الأجور ، أحمدُ ربي تعالى وأشكرُه ، وأتوبُ إليه وأستغفرُه فهو الرحيمُ العفوُّ الغفور ، وهو الكريمُ الجوادُ الشكور ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً نرجو بها النجاةَ يومَ الثُّشور ، وأشهد أن محمداً عبداً لله ورسوله خيرُ البرية

في كل العصور ، صَلَّى الله وسلّم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه وأمتّه ما هلت أهلةً واستدارتُ بُدور.

أما بعد:

فاتقوا الله تعالى حقّ التقوى ، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى ، حاسبوا أنفسكم قبل موقف الحساب ، ويضُّوا صحائفكم قبل أن تُعلّق في الرّقاب ، وتشهد عليكم الجوارح والبِقاع؛ فإن عليكم كراماً كاتبين ، والله تعالى أسرعُ الحاسِبين ، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٨١) ﴿٩٠٠﴾ .

أيها المسلمون:

يطوفُ بنا طائفُ العام بأيامه ولياليه ، وإشراقاته وأماسيه ، وانتصاراته ومآسيه ، وحسناته ومساويه ، وقد علّقَ بالنفس منها أوزارٌ وانكساراتٌ ، وفُتورٌ وانتكاساتٌ ، تُثْقِلُ العبدَ في سيره إلى الله ، ويستطيلُ لأجلها السبيلُ إلى موعود الله؛ بل ربما استوحش الطريقَ وملَّ الرفيقَ ، فرتابَةُ الأيام تُثْقِلُهُ ، ويُنوءُ بالآلام والآمال كاهله.

فكان لا بُدَّ للنفس في هذا الهَجِير من ظلٍّ تنفيّؤه ، وفي هذا البحر من مرفأٍ ترسو عليه؛ لتستريحَ النفسُ وتزودَ؛ فإن السفرَ طويلٌ ، والزادَ قليلٌ ، والعقبةَ كؤود. فمنَحَ الله الأكرمَ عباده شهرًا كريمًا ، وموسمًا عظيمًا ، يتزوّد فيه المسلمُ ويقوى ، ويترقّى في مدارجِ التقوى ، شهرٌ يبُلُّ عطشَ النفوس ويُداوي جراحها ، ويفيضُ على الأرواح من بركاته ما يكونُ به فلاحُها. شهرٌ ينتصرُ العبدُ فيه على شهوته وشيطانه ، شهرٌ فيضُ الرّحمات ، وموسمُ إقالة العثرات.

وقد دارت الليالي والأيام ، وجرت سراعًا أشهرُ العام ، وها هو شهرُ شعبان يمضي ويتصرّم ، وأقبلَ علينا شهرُ رمضان المُعظّم ، قد لمعتْ بشائره وعلاماته ، وطلعتْ طوارعه وأماراته ، وعمّا قليلٍ يحلُّ بالربّاع. فتلقّوه بما يليقُ من التعظيم والإجلال ، والعزم على الطاعة والعبادات.

كم حنَّ إليه العبادُ وشُغِفَ به الاتقياء؟ كم أمضَهم شوق انتظاره ، وتسامت نفوسهم في لياليه وأسحاره؟ كم وجدوا في أسحاره من أسرار ، وأحسوا فيه القرب من الواحد القهار؟ وكم ذاقوا فيه للإيمان من حلاوة؟ وعاشوا القرآن الكريم سماعًا وتلاوة؟

وإن من نعم الله: أن مَن علينا بهذه المواسم لتزكية النفوس وطهارتها ، وتنقيتها من الذنوب والآثام ، وترقيتها في سلم المعالي والفضائل ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٨٣) ﴿٩٠١﴾ .

والتقوى مشاعرٌ من الخشية يجدها الصائم في نفسه ، وتنعكس عليه إشراقاً لروحه ، وزكاءً لنفسه ، واستقامةً في سلوكه.

رمضان ربيعُ قلوب المؤمنين ، وسراجُ الصالحين ، وأنسُ المتقين ، وبُشرى للعابدين. قد استكمل الشهرُ أنواعَ الكمال ، وتجلَّى بحلى الجمال ، ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (١٨٥) ﴿٩٠٢﴾ .

فما رُ صيام ، وليله قيام ، شعاره القرآن ، ودثاره البرُّ والصدقة والإحسان ، الدعاء فيه مُجابٌ ومسموع ، والعملُ الصالح مرفوع ، وفي كل ليلة عتقاء من النار؛ فأين التوابون؟! أما ثوابُ الصائمين فذاك أمرٌ مرَّده إلى الكريم؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ " : كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ ، وَلَا يَسْخَبْ ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ : إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا : إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصِيَامِهِ " ؛ رواه البخاري ومسلم.

وفي روايةٍ عندهما: " يَدْعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي " .

وفي "صحيح مسلم": أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " وَرَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ " .

و"رَغِمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ" ؛ وذلك لما فيه من التَّفَحَّاتِ والرَّحَمَاتِ التي لا يُحَرِّمُهَا إِلَّا من حَرَمَ نَفْسَهُ؛ ففي "الصحيحين" أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَتَحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ " .

وفي "الصحيحين" أيضاً عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن: " من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " .

ألا وإن خيرَ ما يُستقبلُ به شهرُ رمضان: التوبة؛ فإنه إن وردَ على نفسٍ مُتخفِّفةٍ من الأوزارِ نشطت للقيام بحقه ، وكانت أدعى ألا يرى الله منها إلا خيراً .

وثمة ما يستدعي لفتَ النظر إليه ، وهو ما اعتاده بعضُ الناس من اختلاف بعض الفلكيين والمترايين على أنفسهم في إثبات دخول الشهر ، ونشر اختلافهم في الصحف ووسائل الإعلام مما لا ثمرَ له إلا تشكيك المسلمين في عبادتهم ، والتهوين من قُدرة مؤسسات الدولة ولجانها المتخصصة لحسم هذا الأمر. وبعضهم يُقدِّم على الأمر بحسن نيَّة ، وآخرون يرونها فرصة للظهور والشهرة.

ونقول لهؤلاء وأولئك: لقد كُفِيتُم ، خصوصاً في هذه البلاد التي أعدت لجائاً مُتخصِّصةً في مناطق عدَّة حِرصاً على الشعيرة واحتياطاً للفرض ، وبالله ثم بهم كفاية. ومن كان له رأيٌّ فليُخاطب به الجهة المسؤولة مباشرة ، وليكفَّ عن المسلمين تشويشه.

عباد الله:

ليس مقصودُ الصيام مجرد الجوع ، ثم إذا أفطرت ملأت ما بين الضُّلُوع ، إنما حكمةُ الصيام: قهرُ النفس بمخالفة هواها ، وإخراجها عن مألوفاتها وتطهيرها ، وتذكُّر حال الأكباد الجائعة ، والأسر المُشرَّدة ، فمن لشعوبٍ قهرَها الخطوب ، وأوهنتها الحروب ، والحربُ تقهرُ أكباداً وتعجنُّها.

إخوة لكم في الدين ليس لهم بعد الله إلا أنتم ، وإن الله هو الذي يُعطي ويمنع ، ويخفِّض ويرفع ، وهو الذي استخلفكم فيما رزقكم لينظر كيف تعملون.

والمؤمن في ظل صدقته يوم القيامة ، ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (٣٩) . ولن يُعَدَمَ المُوسِرُ مُحتَاجًا يَعْرِفُهُ بِنَفْسِهِ أو جِهَاتٍ موثوقةٍ تُعِينُهُ .
 أنالَ اللهَ كلَّ مُؤمِّلٍ من الخير آمالَه ، وقَبِلَ من كل عاملٍ أعمالَه .
 أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (١٨٥) .
 بَارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعنا بسُنَّةِ سيد المرسلين ، أقولُ قولي هذا ،
 وأستغفر الله تعالى لي ولكم .

الخطبة

الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، أيها المسلمون:

ثُمَّ أيام فاصلة في تاريخ المسلمين ، لما انتصروا على شهوات نفوسهم نصرهم الله على من بَغَى عليهم ، فكانت تلك الأيام فُرْقَانًا لها ما بعدها . فهذه غزوة بدر الكبرى في رمضان ، وهذا فتح مكة كذلك ، وفتوح أخرى كالسند وأنطاكية ، وصقلية ، ومعركة عين جالوت ، وآخرها استرداد مصر لأرض سيناء كلها في رمضان .

وهو معنى يجب أن نستلهمه خصوصاً هذه الأيام ، والتي تكالبت فيها قوى الشرِّ والنِّفاق على كثيرٍ من المسلمين ، وأظهر كثيرٌ من الناس ما كانت نفسه تُخفيه وتُداريه من العداء لهذا الدين .

903 سورة سبأ

904 سورة البقرة

وفي هذه الأيام اشتدَّ البأسُ على كثيرٍ من المسلمين ، وتحالفَ عليهم أشتاتٌ تُفرِّقُهم اللغةُ والعِرضُ ، والدينُ والأرضُ ، ويجمعُهمُ العداؤُ للإسلام ، ولم يعِ المسلمون بعدُ أو لا يُرادُ لهم أن يعُوا أن العداة دينيُّ عقديُّ.

فهذه أراكان وبُورما كلما انتهت موجةُ إبادةٍ بدأت أخرى ، وهذه الشام تتناوبُ عليها مطارحُ المجرمين ، وتلك بلادُ أخرى للمسلمين يُعبَثُ بها ، وفي كل وادٍ بنو سعد ، وقد قلَّ المعينُ وعزَّ الناصر.

وإننا في هذه الأيام نمرُّ بمرحلةٍ لم نرها منذ عقود من نجوم النفاق ، وارتفاع الصوت الذي يُعادي شريعةَ الإسلام ، تُنتهكُ القوانين الدولية ، والأعرافُ العالمية ، والحقوق السياسية ، وتُنتهكُ حقوق الإنسان ، وحقوق الطفل والمرأة ، ولم نرَ من رُعاكما ما كنا نعهدهُ منهم لو كان المعتدي مُسلمًا أو عربيًّا والمعتدى عليهم سِواهم.

إن ما حدثَ ويحدثُ هو عارٌ على العالمِ بِنُظُماته وعُهوده ومواثيقه ، لقد تحالفَ خصومُ الدين ، واستأسدوا ، وتداعوا من كل حدبٍ وصوبٍ ، حتى جثوا على الرُكبِ حماسةً وعزماً لئصرة الظالم ونصر الباطل ، وكبت الحق وقهر المظلوم.

مما يستدعي من المسلمين - كل المسلمين - اليقظة والوعي ، ومزيدَ الاستمسك بحبل الله ، وألا يأخذوا هذا الدينَ بوهنٍ؛ فإنهم إن تركوه ضَعُفُوا في الدنيا وخابُوا في الآخرة. وإن أخذوه بوهنٍ تسلَّطَ عليهم عدوُّهم ولم يستحقُّوا موعودَ الله بالنصر. وإن أخذوه بعزمٍ أفلحوا في الدنيا والآخرة ، ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ (١٢) ﴿٩٠٥﴾ .

وإننا على أملٍ أن ينتصر الله لإخواننا المظلومين في سوريا ، وأن يعيَ إخوانهم المسلمون في أنحاء الأرض أبعادَ القضية ، فلا يتأخروا عنهم بالنصرة بما يفكُّ حصارَهم ، ويدحر عدوَّهم ، وقد تمالآ أعداء العرب والمسلمين على حارِ حمص.

لا بُدَّ أن يعيَ المسلمون أيضاً في كل بلادهم أن من أولى الوصايا في انتصار معركة بدر: ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٤٦) ﴿٩٠٦﴾ .

وإن بعد أملنا بالله نستبشر بما تُقدِّمه المملكة من نُصرةٍ لقضية أهلنا في سوريا ، وحمل قضيتهم في المحافل الدولية والمنظمات العالمية ، ودفع الدول الكبرى للتدخل بما يُنهي هذه المأساة التي طال أمدها ودام نزفها ، وما وقفه خادمو الحرمين الشريفين من وقفاتٍ كريمةٍ ومُقدرةٍ لطِيّ هذه الصفحة الدامية في سوريا ، وعودة السلم للشام.

سَدَّدَ اللهُ الخُطى وبارك في الجهود.

ثم اعلموا أن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه ، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) ﴿٩٠٧﴾ .

اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وارضَ اللهم عن صحابة رسولك أجمعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين ، اللهم أعزِّ الإسلام وانصر المسلمين ، واخذل الطغاة والملاحدة والمفسدين ، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمرَ رُشدٍ يُعزِّ فيه أهل طاعتك ، ويُهْدَى في أهل معصيتك ، ويؤمر فيه فيه بالمعروف ، ويُنهى عن المنكر يا رب العالمين.

اللهم من أراد الإسلام والمسلمين بسوءٍ فأشغله بنفسه ، وردَّ كيده في نحره ، واجعل دائرة السوء عليه يا رب العالمين.

اللهم انصر المجاهدين ، اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في فلسطين وفي كل مكان يا رب العالمين ، اللهم فكَّ حصارهم ، وأصلح أحوالهم ، واكبت عدوهم.

اللهم إنا نسألك باسمك الأعظم أن تلطف بإخواننا في سوريا ، اللهم الطف بإخواننا في سوريا ، اللهم ارفع عنهم البلاء ، وعجل لهم بالفرج ، اللهم ارحم ضعفهم ، واجبر كسرهم ، وتول أمرهم ، يا راحم المستضعفين ، ويا ناصر المظلومين.

اللهم يا مَنْ لا يُهزمُ جُنْدُكَ ، ولا يُخلفُ وعدُّكَ ، ولا يُردُّ أمرُّكَ ، سبحانه وبحمده ، عزَّ جارُّكَ ، وجل ثناؤُكَ ، وتقدَّستَ أسماؤُكَ ، نسألك اللهم باسمك الأعظم أن تلطف بإخواننا في سوريا ، اللهم الطف بإخواننا في سوريا ، اللهم ارفع عنهم البلاء ، وعجل لهم بالفرج ،

اللهم ارحم ضعفهم ، واجبر كسرهم ، وتول أمرهم ، يا راحم المستضعفين ، ويا ناصر المظلومين.

اللهم يا مُتَرَلِّ الملائكة يوم بدر ، ومُشَتَّت الأحزاب يوم الخندق ، اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في بلاد الشام عامةً ، وفي حمص خاصةً ، اللهم فك حصارهم ، واحقن دماءهم ، وآمن روعاتهم ، واحفظ أعراضهم ، وسد خللتهم ، وأطعم جائعهم ، واربط على قلوبهم ، وثبت أقدامهم ، وانصرهم على من بغى عليهم.

اللهم أصلح أحوالهم ، واجمعهم على الهدى ، واكفهم شرارهم ، اللهم اكبت عدوهم ، اللهم اكبت عدوهم ، اللهم عليك بالطغاة الظالمين ومن عاونهم ، اللهم عليك بالطغاة الظالمين ومن عاونهم.

اللهم مُتَرَلِّ الكتاب ، مُجَرِّي السحاب ، هازم الأحزاب! اهزمهم وزلزمهم ، وانصر إخواننا عليهم.

اللهم حرر المسجد الأقصى من ظلم الظالمين ، وعُدوان المحتلّين.

اللهم أصلح أحوال إخواننا في مصر وفي كل مكان ، اللهم أصلح أحوال إخواننا في مصر وفي كل مكان ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ، وأصلح أحوالهم ، واكفهم شرارهم ، يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم وفق وليّ أمرنا خادم الحرمين الشريفين لما تحب وترضى ، وخذ به للبر والتقوى ، اللهم أتم عليه عافيتك ، وألبسه لباس الصحة والعافية ، اللهم وفقه ونائبه وإخوانهم وأعوانهم لما فيه صلاح العباد والبلاد.

اللهم وفق ولاة أمور المسلمين لتحكيم شرعك ، واتباع سنة نبيك محمد - صلى الله عليه وسلم - ، واجعلهم رحمة على عبادك المؤمنين.

اللهم انشر الأمن والرخاء في بلادنا وبلاد المسلمين ، واكفنا شرّ الأشرار ، وكيد الفجار ، وشرّ طوارق الليل والنهار.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^{٩٠٨} ، ﴿ رَبَّنَا
اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾^{٩٠٩} (١٤٧)

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا ، اللهم اغفر
لنا ولوالدينا ووالديهم وأزواجنا وذرياتنا ، إنك سميع الدعاء.
اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك ومن النار.
اللهم بلغنا رمضان ، اللهم بلغنا رمضان ، ووفقنا فيه للعمل الصالح ، وتقبل منا يا كريم.
ربَّنَا تقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وثُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.
سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

⁹⁰⁸ سورة البقرة

⁹⁰⁹ سورة آل عمران

عنوان الخطبة : أدركوا نفحات رمضان..

تاريخ إلقاء الخطبة :الرابع والعشرون من رمضان من عام ١٤٣٤هـ —

- أدركوا نفحات رمضان.. -

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب - حفظه الله - خطبة الجمعة بعنوان:
"أدركوا نفحات رمضان!" ، والتي تحدّث فيها عن شهر رمضان وآخر أيامه ولياليه ،
وأنه وإن كان اقترَب على النهاية إلا أن في الوقت مُتَّسِعٌ لتقديم القُرْبَات والإقبال على
الطاعات في هذه الأيام والليالي المباركات ، والتنافس على الخيرات والبركات ، اغتناماً
لليلة القدر وفضلها ، وحصولاً على مرضاة الله والعتق من النار ، ويَبين أهمية زكاة
الفِطْرِ ووجوبها.

الخطبة —————

أول —————

—

الحمد لله ، الحمد لله الذي له الخلق والأمر ، والعزة والقهر ، تبارك ربنا وتفضل علينا بهذا الشهر ، وبلغنا أواخره العشر ، فنحمد الله تعالى ونشكره ، ومن كل سوء وتقصير نستعفيه ونستغفره ، ومن كل خير وفضل نرجو الله ونستكثره ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تقدس اسمه ، وعظم حلمه ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله خير من صام واعتكف ، ولربه تقرب وازدلف ، صلى الله عليه وصلى على آله وأصحابه ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين ، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

فعلیکم بتقوى الله - أيها الناس -؛ فإن لباس التقوى خير لباس ، وهي المرتجى حين الرّحيل وعند الإياس ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿٩١٠﴾ .

ثم اعلّموا أنكم غداً أمام الله موقوفون ، ويوم العرض عليه مُحاسبون ، وبأعمالكم مجزيّون ، ومن أخلد إلى الأرض بآنت ندامته يوم العرض ، واعلموا أن للقبور وحشة أنسها الأعمال الصالحة ، وبها ظلمة يُبدّدها تدارك المواسم السانحة ، فلا تغرّكنم الحياة الدنيا ، ولا تلهينكم عن الآخرة ، وإن الذين يسابق في الملذّات لن يرقى في سلم الطاعات.

ولا تيأسوا من كثرة الهالكين ، أو تسلّط الفاسقين ، ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ (١٠٥) ﴿٩١١﴾ .

اللهم أقل العثرة ، واعف عن الزّلة ، وعُد بجلّمك على جهل من لم يرج غيرك؛ فإنك واسع المغفرة ، ليس لذي خطيئة من خطيئته مهرب إلا إليك.

أيها المسلمون:

لئن مضى أكثر شهرنا فلقد بقي منه أرجاء ، ولئن تصرّمت أيامه فلقد بقي منها ما تكون به النجاة ، ولئن ترحّلت ليلاه فقد ظلّت ليل يتحقّق فيها للعبد مناه.

910 سورة آل عمران

911 سورة المائدة

شهرٌ كريمٌ تتصوَّع بالخير كلُّ ساعاته وثوانيه ، وموسمٌ عظيمٌ بارك الله كلَّ لحظةٍ فيه ، فلم يزل فيه مضماراً لكل مُسارعٍ ومُسابقٍ ، ولم يزل الميدانُ مُشرعاً لكل مُستعجبٍ ولاحقٍ.

وإنك لا تعلم - يا عبد الله - أيَّ ساعةٍ سوف تُظَلِّك فيها الرحمات ، وتطألك فيها التَّفَحَات! وأيَّ ليلةٍ تُعَتِّقُ فيها من النار لتلحقَ بركب الأبرار!

فقد بارك الله الشهرَ كلَّ الشهر ، ولم تزل أبوابُ السماوات مُشرعةً لرفع الدعوات ، ولم تزل الملائكةُ حاملةً أعلامها لتكتب الحسنات والأعمال الصالحات ، ولن يملَّ موفقٌ من خيرٍ حتى يكون مُنتهأه الجنة.

لم يأسف العبادُ والصالحون على الدنيا عند وفاتهم إلا على فراق أمثال هذه المواسم ، ولم يسحوا الدمع عند رحيلهم إلا على قيام الأسحار ، وظمأ الهواجر ، وعلى الجهاد في سبيل الله.

وأنتم بعدُ في المهلة. فما أنتم فاعِلون؟! ولم تزلوا في دار العمل. فكيف تصنعون؟! وقد سنحت هذه السوانح لأقوامٍ قبلكم فسوفوا وأملوا حتى جاءهم السكرَةُ على حين غرَّة ، فأمسوا خبِراً من أخبار الماضين وقد كانوا في دُنياهم مُتمكِّنين ، ومن أنفسهم واثقين ، وقد قال الله في مثل أولئك: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَى قَدْ جَاءَ نَكَآئِكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩)﴾ ٩١٢ .

ألا وإن من أعظم آثار شهر رمضان على العبد الموفق: توبته إلى الله وأوبته لمولاه ، وفي الحديث الصحيح: أن نبينا محمداً - صلى الله عليه وسلم - قال: «آمين» حينما دعا الملكُ العظيمُ جبرائيل قائلاً: " مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ ، فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ ، فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ ، قُلْ : آمِينَ ، قُلْتُ : آمِينَ " .

ولا خيار للعبد في التوبة؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

(١١) ﴿٩١٣﴾ .

أيها المسلمون:

بقيت ليالٍ هي أرجى ما تكون لليلة القدر؛ فجدُّوا وثمرُّوا ، فإنه عمل يسيرٌ لبيلٍ قصيرٍ ،
وعُقباهُ ثوابٌ جزيلٌ وسعادةُ الأبد.

لا تُثبِّطَنَّكم الرؤى والمناماتُ في تحديدها ، فلو أرادَ الله إطلاعَ خلقه عليها لفعل ، ولكن عليكم بالعمل.

ولا تتواكلوا فكلُّ ليالي العشرِ حريَّةٍ بها ، وأرجاها ليالي الوتر ، وأرجاهنَّ ليلة سبِّعٍ وعشرين ، وفي كل ليلةٍ لله عُتقاء من النار.

وقد كان هديُّ نبينا محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - في العشرِ الأواخر من رمضان أتمَّ الهدى وأكملَه؛ إذ هي ليالٍ عظمَ الله أمرَها ، وأعلى ذِكْرَها وأجزلَ أجرَها. " كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا دخل العشر شدَّ مئزره ، وأحْيَى ليله ، وأيقظَ أهله " ؛ رواه البخاري ومسلم.

كان يُصلِّي بالناس حتى يَخْشَوْنَ فواتَ السَّحُور ، وكان يعتكِفُ العشرَ الأخيرَ من رمضان ، فيُلازِمُ المسجد ، ويعمُرُ ليله ونهاره بالعبادة ، ويتحرَّى مع الصَّحْبِ الكرام في هذه الليالي ليلة القدر ، قال - صلى الله عليه وسلم - : " مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " ؛ رواه البخاري ومسلم.

وإنما سُمِّيَتْ ليلة القدر لعظم قدرها ، وعلو شأنها ، ولما يُقدِّره الله فيها من القضاء ، ويقسمُه من الأرزاق والآجال.

أنزلَ الله فيها القرآنَ وباركها ، فقال - سبحانه - : ﴿حَمْدُ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤)﴾ ﴿٩١٤﴾ .

913 سورة الحجرات

914 سورة الدخان

وأنزلَ في شأنها سورةً كاملة ، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) ﴾ ٩١٥ .

والموفق من تحرّأها بقيام الليالي كلها ، واجتهدَ وصدقَ في تطلّبها؛ فإن الله لا يُضيع أجرَ المحسنين. عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ " ؛ أخرجه البخاري ومسلم. وعن عائشة أيضاً قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُجاوِرُ في العشر الأواخر من رمضان ، ويقول: " تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ " ؛ رواه البخاري ومسلم.

وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - ليخبرنا بليلة القدر ، فتلاحَ رجلان من المسلمين ، فقال: " إِنِّي خَرَجْتُ لِأَخْبِرَكُمُ بَلِيلَةَ الْقَدْرِ ، وَإِنَّهُ تَلَاَحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، فَرَفَعْتُ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ ، التَّمِسُّوهَا فِي السَّبْعِ وَالتَّسَعِ وَالْخَمْسِ " ؛ رواه البخاري.

وهذا دليلٌ على شؤم الخلاف والنزاع والفرقة وما يمنع من الخير.

أيها المؤمنون الصائمون:

أَلْحُوا عَلَى اللَّهِ فِي الدُّعَاءِ؛ فَإِنَّهُ يُحِبُّ الْمُلْحِينَ. تَضَرَّعُوا لَهُ وَارْجُوهُ ، وَاطْلُبُوا خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَكُمْ وَلِأَهْلِيكُمْ وَلِقَرَابَتِكُمْ وَلِبِلَادِكُمْ وَلِمَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ. وَاجْعَلُوا حِظًّا مِنْ دُعَائِكُمْ لِإِخْوَانِكُمُ الْمَنكُوبِينَ ، وَخُصُّوا إِخْوَانَكُمْ فِي سُورِيَا وَفِلَسْطِينَ وَبُورْمَا وَكُلِّ جُرْحٍ لِلْمُسْلِمِينَ يَتَزَفَّ ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُفَرِّجَ عَنْهُمْ بَدْعَةً مِنْ صَادِقٍ لَا يُلْقِي النَّاسُ لَهُ بَالًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ.

أَلْحُوا فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُلْحِينَ؛ كَمْ صَلَّحَتْ بِالْدُّعَاءِ أَحْوَالٌ لَمْ يَخْطُرْ بِيَالٍ أَنَّهَا تَصْلُحُ. وَكَمْ نَامَ ظَالِمٌ وَأَتَاهُ سَهْمُ الْإِجَابَةِ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ. وَكَمْ مِنْ مَغَالِيقٍ تَفْتَحَتْ وَكَانَتْ فِي ظُنُونِ النَّاسِ لَنْ تَفْتَحَ.

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ قُنُوتَ الْمُحْسِنِينَ ، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٦٠) ٩١٦ وفي ثنايا آيات الصيام: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١٨٦) ٩١٧ .

أَلِحُوا فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُلِحِينَ ، والتزموا مع الله الأدب: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٥٥) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥٦) ٩١٨ .

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قلت: يا رسول الله! أرايت إن علمتُ أيَّ ليلةٍ ليلةُ القدر ما أقولُ فيها؟ قال: " قولي: اللهم إنك عفوٌ تحبُّ العفوَ فاعفُ عني " ؛ حديثٌ صحيحٌ أخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه .
بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة ، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة ، أقولُ قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم .

الخطبة

الثاني

الحمد لله الذي في السماء تمجد ، والشكرُ له على الدوامِ وسرمدًا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خيرٌ من صام وقام وزكى وتعبَد ، صلى الله وسلّم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه أولي الفضل والسؤدد ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .
أيها المسلمون:

٩١٦ سورة غافر

٩١٧ سورة البقرة

٩١٨ سورة الأعراف

إن الله تعالى قد شرع لكم في ختام شهركم زكاة الفطر ، وهي واجبة بالإجماع ، كما أنها وجه مُشرق في محاسن هذا الدين العظيم؛ حيث العيد للغني والفقير ، والواجد والمعدم.

وحتى يكون عيداً فلا بُدَّ أن يفرح الجميع؛ روى أبو داود وابن ماجه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - : " **فَرَضَ زَكَاةَ الْفِطْرِ طَهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ** " .

فاحرصوا على أدائها - رحمكم الله - مُستحقيها ، ومقدارها: صاعٌ من تمرٍ ، أو صاعٌ من شعيرٍ ، أو طعامٌ من غالب قوت البلد؛ كالبُرِّ والأرز. وتُخرجُ في بلد الصائم ، ويجوزُ نقله لبلدٍ أهله أكثر حاجة ، ووقتها من قبل العيد بيومٍ أو يومين إلى ما قبل صلاة العيد.

ثم أدوا صلاة العيد مع المسلمين ، واصحبوا إليها أولادكم ونساءكم؛ فهي شعيرة ظاهرة من شعائر المسلمين.

ويُسنُّ التكبيرُ ليلة العيد ، وصبيحة العيد حتى يدخل الخطيب ، ويُجهر بالتكبير في الأسواق والطُرقات ، قال الله - عز وجل - : ﴿ **وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** (١٨٥) ﴾ ^{٩١٩} .

أعيادُ المسلمين تميّزت عن أعياد الجاهليّة بأنها قُرْبَةٌ وطاعةٌ لله ، وفيها تعظيمُ الله وذكره بالتكبير في العيدين ، وحضورُ الصلاة في جماعة ، وتوزيعُ زكاة الفطر ، وإظهارُ الفرح والسُرور على نعمة الدين ، ونعمة تمام الصيام.

فابتهجوا بعيدكم ، واشكروا الله على التمام ، واسألوه القبولَ وحسن الختام. ثم اعلموا أن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه ، فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (٥٦) ﴾ ^{٩٢٠} .

اللهم صلِّ وسلِّم وزِدْ وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وارضَ اللهم عن صحابة رسولك أجمعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

919 سورة البقرة

920 سورة الأحزاب

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين ، اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين ، واخذل الطغاة والملاحدة
والمفسدين ، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رُشد يُعزّ فيه أهل طاعتك ، ويُهدى في أهل معصيتك ، ويُؤمر
فيه بالمعروف ، ويُنهى عن المنكر يا رب العالمين.

اللهم من أراد الإسلام والمسلمين بسوء فأشغله بنفسه ، وردّ كيده في نحره ، واجعل
دائرة السوء عليه يا رب العالمين.

اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في فلسطين وفي كل مكان ، اللهم فكّ حصارهم ،
وأصلح أحوالهم ، واكبت عدوهم.

اللهم إنا نسألك باسمك الأعظم أن تلطف ياخواننا في سوريا ، اللهم الطف بهم ، وارفع
عنهم البلاء ، وعجل لهم بالفرج ، اللهم ارحم ضعفهم ، واجبر كسرهم ، وتولّ
أمرهم ، يا راحم المستضعفين ، ويا ناصر المظلومين ، اللهم فكّ حصارهم ، واحقن
دماءهم ، وآمن روعاتهم ، واحفظ أعراضهم ، وسدّ خللتهم ، وأطعم جائعهم ،
واربط على قلوبهم ، وثبت أقدامهم ، وانصرهم على من بغى عليهم.

اللهم أصلح أحوالهم ، واجمعهم على الهدى ، واكفهم شرارهم ، واكبت عدوهم ،
اللهم عليك بالطغاة الظالمين ومن عاونهم ، اللهم عليك بالطغاة الظالمين ومن عاونهم.
اللهم حرّر المسجد الأقصى من ظلم الظالمين ، وعُدوان المحتلّين.

اللهم أصلح أحوال إخواننا في مصر وفي كل مكان ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ،
وأصلح أحوالهم ، واكفهم شرارهم.

اللهم وفق وليّ أمرنا خادم الحرمين الشريفين لما تحبّ وترضى ، وخذ به للبرّ والتقوى ،
اللهم وفقه ووليّ عهده ونائبه وإخوانهم وأعوانهم لما فيه صلاح العباد والبلاد ،
وجازهم بالخيرات على ما يبدّلونه لخدمة الحرمين الشريفين وقاصديهما.

اللهم وفق رجال أمننا ، والعاملين لخدمة المعتمرين وقاصدي الحرمين ، وأجزل لهم
الأجر والثواب.

اللهم وفق ولاة أمور المسلمين لتحكيم شرعك ، واتباع سنة نبيك محمد - صلى الله
عليه وسلم - ، واجعلهم رحمة على عبادك المؤمنين.

اللهم انشر الأمنَ والرخاءَ في بلادنا وبلاد المسلمين ، واكفنا شرَّ الأشرار ، وكيدَ
الفُجَّار ، وشرَّ طوارق الليل والنهار.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿ ٩٢١ .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ

﴾ (٢٥٠) ﴿ ٩٢٢ .

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وأزواجنا وذرياتنا ، إنك سميع الدعاء.

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك ومن النار.

اللهم ما سألناك في هذا الشهر الكريم من مسألةٍ صالحةٍ فاجعل أوفرَ الحظِّ والنصيب فيها

لنا ولأحبابنا ، ولمن أوصانا بالدعاء ، ولمن له حقُّ علينا.

اللهم اجعلنا من الموفقين لقيام ليلة القدر ، واجعلنا من المقبولين ، واجعلنا من عُتَقَائِكَ

من النار.

اللهم تقبل صيامنا ، وقيامنا ، ودعاءنا ، وصالح أعمالنا إنك أنت السميع العليم ،

وُتِبَ علينا إنك أنت التواب الرحيم.

سبحان ربِّكَ رب العزة عما يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

عنوان الخطبة : معالم للمسلم في أوقات الفتن

تاريخ إلقاء الخطبة : الثلاثون من شوال من عام ١٤٣٤هـ

— معالم للمسلم في أوقات الفتن —

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب — حفظه الله — خطبة الجمعة بعنوان:
"معالم للمسلم في أوقات الفتن" ، والتي تحدّث فيها عن الفتن وما ينبغي على المسلم
من اجتنابها ، وبيّن بالأدلة من الكتاب والسنة عظم شأن الفتن وخطورة الوقوع فيها
، وإنه عند التباس الأمور يجب على المسلم اللجوء للكتاب والسنة وأهل العلم
والخبرة.

الخطبة
الـأولـ

—

الحمد لله ، وله بعد الحمد التحايا الزاكيات ، وهو المستعان فمن غيرُه يُرتجى عند
الكروب ودهم الملمات ، وعليه التكلان فحسبنا الله وهو حسب الكائنات ، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله
وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وذريته أكرم ذرية ، وعلى صحابته ذوي النفوس
الوضيئة ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله تعالى حقّ التقوى ، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى ، ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿٩٢٣﴾ .
من اتقى الله وقاه ، وكفاه وأسعده وآواه.

وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ ذُخْرًا وَعِنْدَ اللَّهِ لِلْآتَقَى مَزِيدٌ

عباد الله:

روى عبد الرحمن بن عبد ربّ الكعبة قال: دخلتُ المسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالسٌ في ظلّ الكعبة والناسُ مُجتمعون عليه. فأتيتُهم فجلستُ إليه فقال: كُنَّا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سفرٍ ، فتركنا منزلاً ، فمنا من يُصلح خِباءه ، ومنا من ينتضل ، ومنا من هو في جشّره؛ إذ نادى مُنادي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : الصلاة جامعة.

فاجتمعنا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: " إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ ، وَإِنْ أُمَّتُكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا ، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا ، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيَرْقُقُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ مُهْلِكَتِي ثُمَّ تَنْكَشِفُ ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ هَذِهِ فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُرْخِزَ عَنِ النَّارِ ، وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلَيَأْتِيَ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ .. وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ ، فَلْيُطِعه إِنْ اسْتَطَاعَ ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخِرِ فَدَنَوْتُ مِنْهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَنْشُدَكَ اللَّهَ أَتَيْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ ، فَأَهْوَى إِلَى أُذُنِيهِ وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ ، وَقَالَ : سَمِعْتُهُ أَذُنَايَ وَوَعَاةَ قَلْبِي ، فَقُلْتُ لَهُ : هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا ، وَاللَّهِ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا سورة النساء آية ٢٩ ، قَالَ : فَسَكَتَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : أَطِعه فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَاعْصِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ " ؛ رواه مسلم.

أيها المؤمنون:

حين يثورُ نَقْعُ غُبارِ الفتنِ ، وتدهمُّ ظُلُماتُ الحِنِّ ، وتُمُرُّ الأُمّةُ في بعضِ فتراتِها بما يضلُّ فيه كثيرٌ من الناسِ ويزِلُّ ، والفتنةُ تُقبِلُ عمياءُ مُظْلِمَةٌ ، يشتبهُ فيها الحقُّ على كثيرٍ من الخلقِ ، فهناك لا بُدَّ للمسلم من معالمٍ يسترشِدُ بها ، ومناراتٍ يستدلُّ بها ، ونجومٍ تهديهِ السبيلَ .

ذلك أن أعزَّ ما على المؤمن سلامة دينه ، قال - صلى الله عليه وسلم - : " يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ " ؛ رواه البخاري .

والفرارُ من الفتنِ يكونُ باللُّجوءِ إلى الله تعالى ، كما قال - سبحانه - : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ (٥٠) ﴾ ٩٢٤ وهو - سبحانه - القائل : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ (٣٦) ﴾ ٩٢٥ .

قال ابن القيم - رحمه الله - : "الكفايةُ على قدر العبودية ، فكلما ازدادت طاعتك لله ازدادت كفايةُ الله لك" .

ومن هنا وجَّهَ النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى العبادة وقت الفتن ، فقال : " الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ " ؛ رواه مسلم .

فهنيئاً لمؤمن يركنُ إلى الصلاة والعبادة بينما الناسُ يتهارجون ، ويهرعون إلى تلقف الأخبار وتتبع الشائعات . هنيئاً لمن يطمئنُ بالله حين تقلقُ النفوسُ وتضطربُ القلوبُ . استيقظَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ليلةً فرعاً يقول : " سُبْحَانَ اللَّهِ ، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْفِتَنِ ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ ، أَيْقِظُوا صَوَاحِبَ الْحُجَرَاتِ ، قُرْبٌ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " ؛ رواه البخاري .

ففي الحديث دليلٌ على أن قيام الليل من أعظم ما يُعينُ على النجاة من الفتن .

وقبل آيات الابتلاء قال الله - عز وجل - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٥٣) ﴿٩٢٦﴾ .

العبادة ذات أسرار ، ومن أسرارها: أنها زاد الطريق ، ومدد الروح ، ونور القلب ، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .
وحدث النبي - صلى الله عليه وسلم - على الطاعات؛ لتكون حِرْزًا من الفتن قبل وقوعها ، ونجاة منها حين تقع ، فقال - صلى الله عليه وسلم - : " بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا " ؛ رواه مسلم .
ومن كان له زادٌ من تقوى وعملٍ صالحٍ كان حريًّا بالنجاة ، وسنة الله ألا يُخَيِّبَ عبدًا أقبل إليه .

وكان يُقال: ادفَعُوا الفتنَ بالتقوى . ومِصادقُ ذلك: قول الله - عز وجل - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (٢٩) ﴿٩٢٧﴾ .

أيها المسلمون:

ومن اللجوء إلى الله: دعاؤه والتضرُّع إليه ، قال - سبحانه - : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ (٧٦) ﴿٩٢٨﴾ وقال - سبحانه - : ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾ (٤٣) ﴿٩٢٩﴾ .

ومن الدعاء: التَعَوُّذُ من الفتن ، كما في حديث زيد بن ثابت - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ " ؛ رواه مسلم .
عباد الله:

926 سورة البقرة

927 سورة الأنفال

928 سورة المؤمنون

929 سورة المؤمنون

ومن المعالم التي يهتدي بها المسلم ويركن إليها: الأخذ بالمحكمات وسنن الله الثابتات ، ومنها: التثبُّت وحرمة الدماء ، ولزوم الكتاب والسنة ، والنظر في العواقب والمآلات ، ومعرفة المصالح والمفاسد ومراتبها على ضوء الشرع لا على الأهواء والمصالح الدنيوية ، قال الله - عز وجل - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٥٩) ﴿٩٣٠﴾ .

ومنه يُعلم أن الحق هو ما وافق أمر الله وأمر رسوله ، وأن الفتنة بخلافهما . يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ . قَالُوا : فَكَيْفَ نَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : تَرْجِعُونَ إِلَى أَمْرِكُمُ الْأَوَّلِ " ؛ أخرجه الطبراني . وفي حديث العرياض بن سارية - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " ؛ حديث صحيح ، أخرجه أصحاب السنن .

إن الله يأمر بالصلاح ، وينهى عن الفساد ، والرأي يُصيبُ تارةً ويُخطئُ تارةً . ومن المحكمات: حرمة الدماء ، يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ بِمِلءٍ كَفِّهِ مِنْ دَمٍ أَهْرَاقَهُ فَلْيَفْعَلْ " ؛ رواه البخاري .

عباد الله:

وفي زمن الفتن تتكاثر على المسلم الأخبار والشائعات ، ويختلط الصدق بالكذب ، خاصةً مع قوة تأثير وسائل الإعلام من القنوات والمطبوعات ، والمواقع والشبكات ، وسهولة التواصل وسُرعة نقل الخبر ، وانتشار الكذب ، وجُرأة الناس عليه بلا حياءٍ ولا ورع .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ " ؛ رواه مسلم.

قال عمر - رضي الله عنه -: " إياكم والفتن؛ فإن وقع اللسان فيها مثل وقع السيف ".
ورؤي مرفوعاً بلفظ: « تكونُ فتنةٌ وقعُ اللسان فيها أشدُّ من السيف »؛ أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

إن المنهجَ الحقَّ هو الثبُتُ والتَّأنيُّ ، والرفقُ والحِلْمُ عند الفتن وتغيُّر الأحوال ، ومُشاورة أهل العلم والعقل والتجربة ، وعدمُ الانفراد بالرأي ، والمُعافى من كُفي. فلا يلزمُ أن يكون لك رأيٌّ في كل نازلة ، أو قولٌ في كل واقعة ، قال الله - عز وجل -: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (٨٣) ﴿ ٩٣١ .

كما يجبُ التزامُ العدل والإنصاف ، قال الله - عز وجل -: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ (١٥٢) ﴿ ٩٣٢ وقال - سبحانه -: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ (٨) ﴿ ٩٣٣ .

وعلى النقيض ترى في زمن الفتن من لا يتورَّعُ في الولوغ في أعراض المؤمنين ، وسنَّ لسانه وقلمه للنيل من الصالحين ، والتلبيس على عامَّة المسلمين ، وقَلب الحقائق ، والتأليب بما يُوقع الفتنة والفرقة ، وأعظمُها الفتنة في الدين ، والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ (١٠) ﴿ ٩٣٤ .

فليحذر المسلم أن يكون ممن ذمَّهم الله بقوله: ﴿ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ (٢٣) ﴿ ٩٣٥ أو قوله: ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ

931 سورة النساء

932 سورة الأنعام

933 سورة المائدة

934 سورة البروج

935 سورة النجم

يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ
ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ
ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (٣٠) ﴿٩٣٦﴾ .

وعند خفاء الأمور والتباسها فعلى المؤمن أن يجتنب ما اشتبه عليه ، أما إذا استبانَتْ
له وجبَ عليه أن يكون مع الحق؛ بل يجب بذلُ الجُهد في معرفة الحق واستبانة
الصواب ، فلا يجوزُ خُذْلَانُ المظلوم صاحب الحق المبغي عليه بدعوى اتقاء الفتن ،
قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا
عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا
بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) ﴿٩٣٧﴾ .
بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة ، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة ، أقولُ
قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثاني

الحمد لله وليّ المؤمنين ، ولا عُدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلّم
وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

ففي خِصَمِّ الخلافات السياسية الدائرة في بلاد المسلمين ، وفي ضباب شبكات
التواصل الاجتماعي التي لا يُعرف من يكتبُ فيها لا مقصوده ولا حقيقته قد يغيبُ
سُلطان العدل ، وينجرِفُ الناسُ إلى التهاوُّج بلا ضابطٍ من شرعٍ أو قيم ، فلا بُدَّ من

936 سورة النجم

937 سورة الحجرات

التَّثَبُّتُ ، لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٦) ﴿٩٣٨﴾ .

وقد حذر النبي - صلى الله عليه وسلم - من التعرُّض للفتن ، فقال: «ستكونُ فتنٌ القاعدُ فيها خيرٌ من القائم ، والقائمُ خيرٌ من الماشي ، والماشي فيها خيرٌ من الساعي ، من تشرف لها تستشرفه ، فمن وجدَ ملجأً أو معاذاً فليعُدْ به»؛ رواه البخاري ومسلم.

قال بعضُ السلف: "إذا وقعت الفتنةُ عُرجَ بالعقول ونُكستِ القلوب".
والفتنةُ إذا أقبلت اشتبهت ، وإذا أدبرت تبينت.
قال ابن تيمية - رحمه الله -: " إذا وقعت الفتنةُ عجزَ العقلاءُ فيها عن دفعِ السُّفهاء ، ولم يسلم من التلوُّث بها إلا من عصمه الله " .

أيها المسلمون:

والصبرُ عُدَّةٌ للمؤمن من الفتن ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ وَزَادَنِي غَيْرُهُ ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ قَالَ : أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ " ؛ أخرجه أبو داود وابن ماجه.

وعن أبي الشعثاء قال: خرجنا مع أبي مسعود الأنصاري - رضي الله عنه - فقلنا له: اعهد إلينا. فقال: "عليكم بتقوى الله ، ولزوم جماعة محمدٍ - صلى الله عليه وسلم -؛ فإن الله تعالى لن يجمعَ جماعةَ محمدٍ على ضلالة ، وإن دينَ الله واحد ، وإياكم والتلوُّن في دين الله ، وعليكم بتقوى الله ، واصبروا حتى يستريحَ برٌّ ويُستراحَ من فاجرٍ"؛ أخرجه الحاكم في "مستدركه" ، وقال: "هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم".

عباد الله:

قد بقيَ في الدنيا بلاءٌ وفتنةٌ ، فأعدُّوا للبلاءِ صبراً ، وإن الصبرَ لا يعني الرضا
بالنقص والاستسلام للضياع ، وإنما يعني الصبرَ على التمسُّك بالدين ، وعلى فعل
ما يُوجبُه الشرعُ ، فهذا هو المحمود.

وإن من المعالم المهمة في هذا الزمن: التفاؤل والأمل وعدم اليأس ، والإيمان بأن
العاقبة للمتقين ، ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ (٢١٦) ﴿ ٩٣٩ ﴾
واستحضارُ حكمة الله ورحمته في سنة الابتلاء.

لا بُدَّ من أحداثٍ لها هيبٌ تسوقُ المؤمنين إلى دينهم بقدر ما ابتعدوا ، وسيأطُّ مقادير
تُلجِّئهم لخالقهم بقدر ما غفلوا ، وفجائعُ دهرٍ تُناديهم أن هلمُّوا لما عزَّ به سلفُكم ،
واستقوى به أوائلُكم ، وإن بعد العسرُ يسراً.
وبشائرُ النصر في الأفق تلوح ، وأسبابُ التمكين تغدو وتروح ، والأمل في الله عظيم
لا يُحْدِثُه شيءٌ.

ثم إنه يجدرُ التنبيهُ على أن أحاديثَ الفتن والملاحم تُورَدُ للاعتبار والتحذير ،
كأحاديثِ الدجال والخسف والحروب ، ولا يُجَزَمُ بانطباق أخبارٍ مُعيَّنة على وقائع
حادثَةٍ؛ فإن ذلك من علم الغيب ، ولا يجوزُ القولُ على الله بغير علم.
اللهم أجِرنا من مُضَلَّاتِ الفتن ، اللهم أجِرنا من مُضَلَّاتِ الفتن ، اللهم جَبِّنا
الفواحشَ والفتن ما ظهر منها وما بطن.
ثم صلُّوا وسلِّموا على خير البرية ، وأزكى البشرية: محمد بن عبد الله الهاشميِّ
القرشيِّ.

اللهم صلِّ وسلِّم وزِدْ وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله الطيبين
الطاهرين ، وصحابته الغرِّ الميامين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.
اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين ، واخذل الطغاة والملاحدة والمفسدين.
اللهم أبرم لهذه الأمة أمرَ رُشدٍ يُعزِّ فيه أهل طاعتك ، ويُهدى في أهل معصيتك ،
ويؤمر فيه بالمعروف ، ويُنهى عن المنكر يا رب العالمين.

اللهم من أرادَ الإسلامَ والمسلمين بسوءٍ فأشغله بنفسه ، ورُدَّ كيده في نحره ، واجعل دائرةَ السوءِ عليه يا رب العالمين.

اللهم انصر المجاهدين في سبيلك ، اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في فلسطين وفي كل مكان ، اللهم فكَّ حصارهم ، وأصلح أحوالهم ، واكبت عدوهم.

اللهم الطُف ياخواننا في سوريا ، اللهم ارفع عنهم البلاء وعجل لهم بالفرج ، اللهم ارحم ضعفهم ، واجبر كسرهم ، وتول أمرهم ، يا راحم المستضعفين ، ويا ناصر المظلومين ، اللهم احقن دماءهم ، وآمن روعاتهم ، واحفظ أعراضهم ، وسدّ خلتهم ، وأطعم جائعهم ، واربط على قلوبهم ، وثبت أقدامهم ، وانصرهم على من بغى عليهم.

اللهم أصلح أحوالهم ، واجمعهم على الهدى ، واكفهم شرارهم ، اللهم عليك بالطُّغاة الظالمين ومن عاونهم.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

اللهم حرّر المسجد الأقصى من ظلم الظالمين ، وعُدوان المحتلّين.

اللهم أصلح أحوال إخواننا في مصر وفي كل مكان ، اللهم اجمعهم على الحق والهدى ، وأصلح أحوالهم ، واكفهم شرارهم.

اللهم وفق وليّ أمرنا لما تحبُّ وترضى ، وخذ به للبرِّ والتقوى ، اللهم وفقه ونائبه وإخوانهم وأعوانهم لما فيه صلاح العباد والبلاد.

اللهم وفق ولاة أمور المسلمين لتحكيم شرعك ، واتباع سنة نبيك محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - ، واجعلهم رحمةً على عبادك المؤمنين.

اللهم انشر الأمن والرخاء في بلادنا وبلاد المسلمين ، واكفنا شرّ الأشرار ، وكيد الفُجّار.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿٩٤٠﴾ ،

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٤٧) ﴿٩٤١﴾ .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا .
اللهم اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم وأزواجنا وذرياتنا ، إنك سميعُ الدعاء .
ربَّنَا تقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وَثُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ .
سبحان ربِّكَ ربِّ العزة عما يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

عنوان الخطبة : توجيهات إلى حجاج البيت العتيق

تاريخ إلقاء الخطبة : السادس من ذي الحجة من عام ١٤٣٤ هـ

- توجيهات إلى حجاج البيت العتيق -

ألقى فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب - حفظه الله - خطبة الجمعة بعنوان: "توجيهات إلى حجاج البيت العتيق"، والتي تحدّث فيها عن الحج إلى بيت الله الحرام، وما يكتنّفه من روحانيّات وأعمال في القلوب والجوارح، ووجّه بالنصائح والتنبّهات لعموم المسلمين وخصوص الحُجّاج بتعلّم المناسك، والتنبّه إلى صحّة الأعمال قبل الإتيان بها، وفعل الأوامر واجتناب النواهي في هذا التّسك العظيم، مع استشعار معاني الحجّ في كل قول وفعل.

الخطبة أول

—

الحمد لله، وله المحامد والتحايا الزاكيات، الحمد لله حمداً يملأ فجاج الأرض وطباق السماوات، سبحانه وهو أهل الثناء والمجد، شرف مكة ومنى والمزدلفة وعرفات، وجعل فيهنّ وفادة ضيفه رحمة ومغفرة وإجابة للدعوات، أحمدُ ربي تعالى وأشكره، وأثني عليه وأستغفره، تفضّل على خلقه بالمواسم السانحة، وأغدق مكارمه عليهم غاديةً ورائحةً، فالْمُوقِّقُ من تاجر مع ربّه؛ فهي - والله - التجارة الربّاحة.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حجّ الحجيّج له وهم يجأرون بالتلبية والتوحيد، وجعل المشاعر والبيت الحرام شواهد على أن لا شريك له ولا نديد، وأنه الإله الأعظم، وأن الخلق كلّ الخلق له عبيد، وأشهد أن محمداً عبداً لله ونبّه هو الرسول الأخير الأخير، وقد أعطاه ربّه الحوض والكوثر، وأمره أن يُصلّي لربّه وأن ينحر، ويحجّ البيت الحرام ويذكر ربّه عند المشعر، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم القيام والمحشر، وسلّم يا رب تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فاتقوا الله تعالى - أيها الناس -؛ فالتقوى خير زادٍ وخير لباس ، وهي وصية الله المكررة
لحُجَّاجِ بيته العتيق: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ اللَّابَابِ﴾ (١٩٧) ﴿٩٤٢﴾

أيها المؤمنون:

تعيشُ الأمةُ اليومَ موسمًا عظيمًا من أيام الله تعالى ، ورُكْنَا من أركان الإسلام العظام. موسمٌ
تُغْفَرُ فيه الذنوبُ والخطايا ، وتُقَالُ فيه العثرات ، وتُقَبَّلُ الدعوات.
موسمُ الحجِّ إلى بيت الله العتيق ، شعارُ الوحدة والتوحيد ، وموسمُ إعلان العهود والمواثيق ،
وحِفظ الحقوق والكرامات ، وحقن الدماء وعصمة النفوس والأموال. إنه موسمُ الرُّوح ،
وإنها أيامُ الله.

وقَعَ خُطْيُ الحَجِيجِ في دُرُوبِ المشاعر ، واتَّحَدَ وصفهم ، وبياضُ لبسهم ، ووجيفُ قلوبهم
وهم يُلبُّونَ الله: "لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لا شريكَ لك لَبَّيْكَ ، إن الحمدَ والنعمةَ لك
والملك ، لا شريكَ لك".

فيا لله! كيف تَجِدُ أعينهم فُسْحَةً من الدمعِ لُبْصِرَ دربها؟ وكيف تحملهم أقدامهم قد انقطعت
قلوبهم إلا من رحمة الله ، وخلت نفوسهم إلا من الشوقِ له؟
تركوا الدنيا بضَجيجِها وزُخْرُفِها وخلافاتها وراءَ ظهورهم وكانوا وفدَ الله. أتوا ليشهدوا
منافعَ لهم ويذكروا اسمَ الله على ما رزقهم ، وله يشكرون.
وراءَ كلِّ حاجٍّ منهم أهلٌ وقرابات حملت نفوسهم من الشوقِ أضعافَ ما حمل ، وبقوا يتابعون
أخبارَ الحَجِيجِ واللَّهْفَاتُ تُسَابِقُ العَبْرَات ، حبستهم أَعذارُهم عن اللَّحَاقِ بِالرَّكْبِ ، يُرَدِّدُونَ
مع الحادي قوله:

يا راحِلين إلى البيتِ العتيقِ لقد

صِرْتُمْ جُسُومًا وَصِرْنَا نَحْنُ أَرْوَاحًا

إِنَّا أَقَمْنَا عَلَى عُذْرِ تُكَابِدِهِ
وَمَنْ أَقَامَ عَلَى عُذْرِ كَمْنٍ رَاحًا

خَرَجْتَ أُمُّ أَيْمَنَ بِنْتُ عَلِيٍّ مِنْ مِصْرَ وَقْتَ خُرُوجِ الْحُجَّاجِ وَالْجَمَالِ تَمُرُّ بِهَا وَهِيَ تَبْكِي وَتَقُولُ:
"هَذِهِ حَسْرَةٌ مِنْ انْقِطَاعِ عَنِ الْوَصُولِ إِلَى الْبَيْتِ؛ فَكَيْفَ تَكُونُ حَسْرَةٌ مِنْ انْقِطَاعِ عَنِ رَبِّ
الْبَيْتِ؟!".

عَلَى كُلِّ أَفْقٍ فِي الْحِجَازِ مَلَائِكٌ
تَرْفُ تَحَايَا اللَّهَ وَالْبَرَكَاتِ

لَكَ الدِّينُ يَا رَبَّ الْحَجِيجِ جَمْعَتَهُمْ
لَبِيتَ طُهُورِ السَّاحِ وَالْعَرَصَاتِ

أَرَى النَّاسَ أَصْنَافًا وَمِنْ كُلِّ بُقْعَةٍ
إِلَيْكَ انْتَهَوْا مِنْ غُرْبَةٍ وَشَتَاتِ

تَسَاوَرُوا فَلَا الْأَنْسَابُ فِيهَا تَفَاوَتْ
لَدَيْكَ وَلَا الْأَقْدَارُ مُخْتَلِفَاتِ

وَأَنْتَ وَلِيُّ الْعَفْوِ فَاْمَحْ بِنَاصِرٍ
مِنَ الصَّفْحِ مَا فِي الْعُمَرِ مِنْ هَفَوَاتِ

عباد الله ، أيها المسلمون في كل مكان:

تبتهجُ النفوسُ اليومُ بمرأى الحجاجِ ينعمون بالبيت الحرام ، وينتظمُ عقدهم في رحابه الطاهرة ، في منظرٍ إيمانيٍّ رهيبٍ ، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً .

حطوا رحالهم عند بيت الله العتيق ، ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا (٩٧) ﴿ ٩٤٣ .

مُلبِّينَ النداءَ القديمَ المتجدد: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ (٢٨) ﴿ ٩٤٤ .

يُؤدُّونَ رُكنَ الإسلامِ الخامس ، ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (٩٧) ﴿ ٩٤٥ . يُلَبُّونَ ويدعُونَ ، يأملون من الله القبول ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه .

قدمتم - أيها الحجاج - أهلاً ، ووطئتم سهلاً ، مرحباً بكم في هذا الوادي المقدس ، وبين جنبات البيت العتيق أول بيتٍ وُضِعَ للناس ، حجَّ إليه الأنبياء ، واستقبلَ أوائلَ الوحي من السماء ، وخطرَ جبرائيلُ بين أفيائه ، وتزلَّ القرآنُ الكريمُ على سامقِ جباله ، وانطلقت منه بعثةُ نبينا محمدٍ - صلى الله عليه وعلى آله - ، وربِّي نبينا - عليه السلام - أبرَّ وأصدقَ رجاله .

بيتُ بناه الخليلُ إبراهيمُ - عليه السلام - ، وحجَّه الأنبياءُ على تباعدِ العصور وتراؤفِ الأعوام ، زمزم والمقام ، والحجرُ ، والصفاء والمروة ، والجبالُ والأوديةُ والشعاب ، كلها شواهدٌ على تصارعِ الحقِّ والباطل ، ومُغالبةِ الهدى والضلال ، حتى بزغَ النورُ وعمَّ ضيائه الخافقين .

فعلى هذه الرُّبى تُغسلُ الخطايا ، ويعودُ الحاجُّ نقيّاً كما ولدته أمُّه ، وليس مكانٌ في الدنيا له ميزةٌ كهذا المكان . فاقدرُوا للبيتِ حرمةً ، وتلمَّسُوا من الزمان والمكان بركته ، والنبى - صلى الله عليه وسلم - يقول: " مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ " متفق عليه .

943 سورة آل عمران

944 سورة الحج

945 سورة آل عمران

وفي "الصحيحين" أيضاً أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " **الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا ، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ** " متفق عليه.
تقبل الله منكم الطاعات ، وغفر الخطيئات ، وأتم لكم التُّسُك.

أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها:

حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ! أَيُّكُمْ هَذِهِ أَيَّامٌ عَظَّمَ اللَّهُ أَمْرَهَا ، وَشَرَّفَ قَدْرَهَا ، وَأَقْسَمَ بِهَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ - جَلَّ شَأْنُهُ -: ﴿ **وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢)** ﴾ ^{٩٤٦} وقال عنها النبي - صلى الله عليه وسلم -: " **مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ** " . قالوا: **وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟** قال: " **وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ** " أخرجه البخاري.

وعند الإمام أحمد: " **فَأَكْثَرُوا فِيهَا مِنَ التَّهْلِيلِ ، وَالتَّكْبِيرِ ، وَالتَّحْمِيدِ** " .

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، والله الحمد.

أيها المسلمون:

لقد أسَّسَ هذا البيتُ العتيقُ لأجل توحيدِ الله تعالى وإفراذه بالعبادة ، ﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا (٢٦)** ﴾ ^{٩٤٧} ثم رفع الخليلُ - عليه السلام - البناءَ وهو يدعُو ، ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧)** ﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) ﴾ ^{٩٤٨} .

﴿ **رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ (١٢٨)** ﴾ ^{٩٤٩} الإسلامُ هو الاستِسْلامُ لله ، والانقيادُ بالطاعة ، والخُلُوصُ من الشُّركِ وأهله ﴿ **وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا (١٢٨)** ﴾ ^{٩٥٠} تأصيلٌ للصواب ، ولُزومُ الشريعة ، واتباعُ السُّنة.

946 سورة الفجر

947 سورة الحج

948 سورة البقرة

949 سورة البقرة

950 سورة البقرة

وفي ثنانيا آيات الحج يقول الله تعالى: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ (٣١) ﴾ ٩٥١ .

وفي حديث جابر - رضي الله عنه - قال: ثم أهل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالتوحيد: " لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ " رواه أبو داود. فأخلصوا دينكم لله ، وتفقدوا أعمالكم ومقاصدكم. عباد الله:

وفي مناسك الحج تربية على إفراد الله بالدعاء والسؤال والطلب ، مع التوكل عليه واللجوء إليه ، والاستغناء عن الخلق ، والاعتماد على الخالق ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) ﴾ ٩٥٢ لا نبيًا ولا وليًا ولا مكانًا ولا رسمًا.

كما لا يجوز أن يحول الحج إلا ما ينافي مقاصده؛ فلا دعوة إلا إلى الله وحده ، ولا شعار إلا شعار التوحيد والسنة. فالدين دين الله ، والشرع شرعه ، والواجب على من بلغه كلام الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يتبع الحق ويطرح ما سواه ، ولا يترك القرآن والسنة لقول أحد مهما كان ، والله تعالى يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) ﴾ ٩٥٣ .

ولقد تسرب الوهن للأمة بقدر ما تسرب إليها من البدع والمحدثات والانحراف عن الطريق الحق. وإذا كان المسلمون اليوم يلتزمون طريقًا للنهوض ، فليس لهم من سبيل إلا وحدة جماعتهم ، ولا سبيل إلى وحدتهم إلا على الإسلام الصحيح ، والإسلام الصحيح مصدره القرآن والسنة ، وهو ما عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم.

أيها المسلمون:

والحج عبادة فريدة تجمع ملايين البشر ، المتدفقين لأداء التوسك شوقًا ، التاركين لدنياهم طوعًا. فأني مشهد أبهى من هذا التجمع الإيماني العظيم؟ فيه اجتماع الأمة وائتلافها ، وظهور

٩٥١ سورة الحج

٩٥٢ سورة الجن

٩٥٣ سورة النور

قِيمَها وأَخلاقِها ، ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ (١٩٧) ﴿ ٩٥٤ .

قِيمُ التسامُح والإِخاء ، والبُعد عن الخِلافِ والمِرَاء ، قِيمُ المُساواة والعدل ، قِيمُ القَناعة والبِساطَةِ في تجرُّد الحاجِّ من متاع الدنيا في لِباسِه ومسكَنه ومنامِه .
أَيُّها المسلمون:

ومنذُ بدأ الحُجُّ في الإسلام وموسِمُه الجامعُ يُنتَهزُ للتوجيهاتِ الكُبرى للأمةِ المسلمة؛ فهو مُلتقى المسلمِين ومُثابَّتُهُم العُظمى ، ففي حِجَّةِ الوداع كان الحِطابُ العَظيمُ الذي ألقاه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - في أكرَمِ جَمْعٍ ، هو خِطابٌ لم تَعِ المسامِعُ أرقى من مبادئِه ، ولا أشرفَ من مقاصِدِه ، وهو السجَلُ الصادقُ لحقوقِ الإنسان وحرِّيَّاتِ الأُمم .
والحِجَّةُ التي تَمَّت في السَنَةِ التاسِعةِ من الهِجرةِ أُلِنَ فيها بُطْلانُ المُعاهداتِ التي عُقِدَت مع المُشرِكِين ، وهي مُعاهداتٌ كان الوفاءُ فيها من جانبِ المُسلمِين وحَدَهُم ، أما المُشرِكون فطالَما عَبتُوا بِهذهِ العُهودِ ، وخرَجُوا عليها ما دأبوا يَقْدِرُونَ . وهذا مشهَدٌ يَتَكَرَّرُ كلَّ زمان .
وبعدُ ، حُجَّاجُ بيتِ الله الحرام:

تعلَّمُوا أَحكامَ مناسِكِكُم ، وتحَرَّوا صَحَّةَ أَعمالِكُم قبلِ إتيانِها ، تفرَّغُوا لما جِئْتُم لَه ، واشتَغِلُوا بالعبادة والطاعات؛ فإن ما عند الله لا يُنالُ بالتفريط .
أَكثِرُوا من الدُّعاءِ والتضرُّعِ ، والهَجُوا بِذِكْرِ الله في كلِّ أحوالِكُم ، فنبِئِكُم - صلى الله عليه وسلم - يقول: " إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوْفُ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَرَمْيُ الْجِمَارِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ " ؛ رواه أبو داود والترمذي .

والله - عز وجل - يقول: ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾ (١٩٨) ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا (٢٠٠) ﴿ ٩٥٥ .

بارك الله لي ولكم في القرآن والسنة ، ونفعنا بما فيهما من الآيات والحكمة ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة

الثانية

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد ، عباد الله:

حُجَّاج بيت الله الحرام! بعد غدٍ هو اليوم الثامن من ذي الحجة ، وفي ضُحاه يُحرَّم من يُريد الحجَّ ، ويذهب إلى منى فيصلي بها الظهر في وقتها قصراً ، والعصر في وقتها قصراً ، والمغرب في وقتها ، والعشاء في وقتها قصراً ، ويبيت بمنى تلك الليلة.

فإذا صلى بها الفجر وطلعت شمس اليوم التاسع توجه إلى عرفات ، وصلى بها الظهر جمعاً وقصراً ، ثم يقف على صعيد عرفات مُكثراً من ذكر الله تعالى ، مُتذللاً بين يديه يسأله خيري الدنيا والآخرة ، ويُلح في الدعاء والرجاء في ذلك الموقف العظيم؛ فإن الحجَّ عرفة ، كما قال ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم -.

وقال أيضاً: " خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " رواه الترمذي.

عباد الله:

ومن لم يكن حاجاً فيُستحبُّ له صيام يوم عرفة مُحْتَسِباً أن يُكفِّرَ الله عنه السنة الماضية والباقية ، كما قال ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث رواه مسلم.

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ، ثُمَّ يباهي الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ : مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ ؟ " رواه مسلم.

فإذا غربت الشمسُ انصرفَ الحاجُّ إلى مُزدَلِفَةَ بسَكِينَةٍ ووقار ، وصَلَّى بها المغربَ والعِشاءَ جمعًا ، ويقصُرُ العِشاءَ ، ويبيتُ بمُزدَلِفَةَ تلكَ الليلةَ ويُصَلِّي بها الفجرَ ، ويُكثِرُ من ذكرِ الله تعالى ومن الدعاء حتى يُسْفِرَ جدًّا ، ثم ينصرفُ إلى مِنى قبيلَ طُلُوعِ الشمسِ ، ويجوزُ للضعْفَةِ من النساءِ والصِّبيانِ ونحوهم الانصرافُ من مُزدَلِفَةَ بعد نصفِ الليلِ ، ويتحقَّقُ ذلكُ بغروبِ القمرِ.

فإذا وصلَ الحاجُّ إلى مِنى رمى جَمْرَةَ العَقَبَةِ بسَبْعِ حَصِيَّاتٍ مُتَعاقِبَاتٍ ، يُكَبِّرُ مع كلِّ حصاةٍ ، ثم ينحرُ الهديَّ إن كان عليه هديٌّ ، ثم يَحْلِقُ رأسَهُ أو يُقَصِّرُهُ - والحلقُ أَفْضَلُ - ، ثم يتوجَّه إلى البيتِ الحرامِ إن تيسَّرَ له يومَ العيدِ ، وإلا بعده فيطوفُ طوافَ الإفاضةِ ، ثم يسعى بين الصَّفَا والمروةِ ، فإن كان قارِنًا أو مُفَرِّدًا وقد سعى قبل الحجِّ بعد طوافِ القُدُومِ فيكفيه سعيه ذلك. ومن قدَّمَ شيئًا أو أخرَّ شيئًا من أعمالِ يومِ النَّحرِ فلا حرجَ عليه.

ثم يعودُ إلى مِنى ، ويبيتُ بها ليليَّ أيامِ التَّشْرِيقِ ، ويرمي الجِمارَ الثلاثَ في كلِّ يومٍ بعد زوالِ الشمسِ ، ثم إن شاء تعجَّلَ في يومين ، وإن شاء تأخَّرَ لليومِ الثالثِ عشرَ ، والتأخُّرُ أَفْضَلُ. ثم لا يبقى عليه إلا طوافُ الوَداعِ عندما يُريدُ السَّفَرَ من مكة.

ولقد كان للنبيِّ - صلى الله عليه وسلم - مواطنٌ يُكثِرُ فيها من الدعاءِ حريًّا بالمسلم الحِرْصُ عليها ، منها: يومَ عرفةَ وبالأخصَّ آخرَ النهارِ ، وبعد صلاةِ الفجرِ بمُزدَلِفَةَ حتى يُسْفِرَ جدًّا ، وبعد رميِ الجَمْرَةِ الأولى ، وبعد رميِ الجَمْرَةِ الثانيةِ من أيامِ التَّشْرِيقِ ، وكذا الدعاءُ فوقَ الصَّفَا والمروةِ.

فاجتهدوا في تمامِ حجِّكم ، واتَّقُوا اللهَ فيما تأتون وتذرُّون ، وأخلصُوا اللهَ في عملِكُم وقصدِكُم ، واتَّبِعُوا الهدى والسَّنةَ ، واجتنبُوا ما يخرِمُ حجَّكم أو يُنْقِصُهُ ، وعليكم بالرفقِ والسَّكِينَةِ والطَّمَأِينَةِ ، والشفقةِ والرحمةِ بإخوانِكُم المُسلمين ، سيِّما في مواطنِ الازدحامِ ، وأثناءِ الطوافِ ، ورميِ الجِمارِ ، وعند أبوابِ المسجدِ الحرامِ. واستشعروا عِظَمَ العبادةِ وِجَلالَةِ الموقفِ.

واعلموا أن الدولة برجالها وأجهزتها ومؤسساتها تبذل جهودًا هائلة لخدمتكم وتيسير حجكم ، والنظام وُضع لمصلحتكم ، والجهود كلها لأجلكم.

فالتزموا التوجيهات ، واتَّبِعُوا التعليمات ، واستشعروا ما أنتم فيه ، وكُونُوا على خير حال في السُّلوك والأخلاق ، والزموا السَّكينة والوقار ، واجتهدوا وسدّدوا وقاربوا ، وأبشروا وأملّوا ، فإنكم تقدّمون على ربِّ كريم.

جعلَ الله حجَّكم مبرورًا ، وسعيكم مشكورًا ، وذنبكم مغفورًا.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على خير البرية ، وأزكى البشرية: محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغرِّ الميامين ، وارضَ اللهم عن الأئمة المهديين ، والخلفاء الراشدين: أبي بكر ، وعُمَر ، وعُثمان ، وعليٍّ ، وعن سائر صحابة نبيِّك أجمعين ، ومن سارَ على نهجهم واتَّبَعَ سنَّتَهم يا رب العالمين.

اللهم أعزِّ الإسلام والمسلمين ، وأذلِّ الشرك والمشركين ، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم آمِنَّا في أوطاننا ، وأصلِح أئمتنا وولاة أمورنا ، وأيد بالحق إمامنا ووليَّ أمرنا ، اللهم وفقه لهُدَاكَ ، واجعل عمله في رضاك ، وهبْ لهُ البطانة الصالحة ، اللهم جازِه بالخيرات والحسنات على خدمة الحرمين الشريفين ، والعناية بالحُجَّاج والمُعتمرين ، اللهم وفقه ونائبه وإخوانهم وأعوانهم.

اللهم أصلِح أحوال المسلمين في كل مكان ، اللهم اجمعهم على الحقِّ والهُدى ، اللهم احقن دماءهم ، وآمن ورعاقم ، وسدِّ خلَّتَهم ، وأطعم جائِعَهم.

اللهم انصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان ، واجمعهم على الحقِّ يا رب العالمين.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيِّك وعبادك المؤمنين.

اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يُعجزونك.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) ﴿٩٥٦﴾ .

اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، ويسر أمورنا ، وبلغنا فيما يُرضيك آمالنا.

ربنا اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذريّاتهم ، إنك سميعُ الدعاء .
اللهم احفظ الحُجَّاجَ والمُعْتَمِرِينَ ، ويسِّرْ لهم أَدَاءَ مناسِكِهِمْ آمَنِينَ ، وتَقَبَّلْ مِنَّا ومنهم أجمعين .
اللهم وفق وأعِن رجالَ الأمن ، والعاملين على خِدْمَةِ الحُجَّاجِ ، وجازِهِم بالخيرات
والحَسَنَات يا رب العالمين .
رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وَثُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ .
سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

خَاتَمُ الْكِتَابِ

تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ الْمُوَافِقِ لِلْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ عَامِ ١٤٣٥ هـ ، وَ
ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، فَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ ، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً
وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ
، وَحَسِّبْنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، وَ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم .

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِي وَيَنْفَعَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، هُوَ نِعَمَ الْمَوْلَى ، وَهُوَ نِعَمَ النَّصِيرِ .

وَأَخِيرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

الفهم

رس

مَقْدَمٌ

٢ ٢

٩ ٩

٩ ٩

١١ ١١

١١ ١١

٢٦ ٢٦

٢٦ ٢٦

٣٩ ٣٩

٣٩ ٣٩

٤٨ ٤٨

٤٨ ٤٨

٥٨ ٥٨

٥٨ ٥٨

٦٧ ٦٧

٦٧ ٦٧

٧٨ ٧٨

٧٨ ٧٨

٨٨ ٨٨

٨٨ ٨٨

٩٧ ٩٧

٩٧ ٩٧

- ١٠٧ عنوان الخطبة : نَعَمْ اللهُ فِي سُورَةِ النَّحْلِ
- ١٠٧ تاريخ إلقاء الخطبة : العاشر من شوال من عام ١٤٢٩ هـ
- ١١٥ عنوان الخطبة : العلم وأثره في الحضارات
- ١١٥ تاريخ إلقاء الخطبة : التاسع من ذي القعدة من عام ١٤٢٩ هـ
- ١٢٤ عنوان الخطبة : تقوى الله ومحاسبة النفس
- ١٢٤ تاريخ إلقاء الخطبة : الحادي والعشرون من ذي الحجة من عام ١٤٢٩ هـ
- ١٣٣ الفصل الثاني
- ١٣٣ منبر الجمعة من الحرم المكي للعام الهجري ١٤٣٠ هـ
- ١٣٤ عنوان الخطبة : دروس وعبر من أحداث غرة
- ١٣٤ تاريخ إلقاء الخطبة : اليوم السادس والعشرون من محرم من عام ١٤٣٠ هـ
- ١٤٥ عنوان الخطبة : الإيمان بالقضاء والقدر حقيقته وآثاره
- ١٤٥ تاريخ إلقاء الخطبة : اليوم الثاني من ربيع الأول من عام ١٤٣٠ هـ
- ١٥٧ عنوان الخطبة : الورع وأثره على دين المسلم
- ١٥٧ تاريخ إلقاء الخطبة : اليوم الثلاثون من شهر ربيع الأول من عام ١٤٣٠ هـ
- ١٦٦ عنوان الخطبة : الوضوء وفضله وآثاره
- ١٦٦ تاريخ إلقاء الخطبة : السادس من جمادى الأولى من عام ١٤٣٠ هـ
- ١٧٦ عنوان الخطبة : التربية والتعليم أهميتهما وفضلهما
- ١٧٦ تاريخ إلقاء الخطبة : الثاني عشر من جمادى الآخرة من عام ١٤٣٠ هـ
- ١٨٦ عنوان الخطبة : الانتماء إلى الأوطان في ظل الإسلام
- ١٨٦ تاريخ إلقاء الخطبة : السادس عشر من شعبان من عام ١٤٣٠ هـ
- ١٩٥ عنوان الخطبة : التحذير من النار
- ١٩٥ تاريخ إلقاء الخطبة : الثالث والعشرون من شعبان من عام ١٤٣٠ هـ
- ٢٠٦ عنوان الخطبة : تعظيم الله في القلوب

- ٢٠٦ تاريخ إلقاء الخطبة : الثامن والعشرون من رمضان من عام ١٤٣٠هـ —
- ٢٠٦ — تعظيم الله في القلوب —
- ٢١٧ عنوان الخطبة : الأمن وأثره في حياة الناس
- ٢١٧ تاريخ إلقاء الخطبة : السابع والعشرون من شوال من عام ١٤٣٠هـ —
- ٢٢٦ عنوان الخطبة : مكة المكرمة تاريخ وذكريات
- ٢٢٦ تاريخ إلقاء الخطبة : الثامن عشر من ذي القعدة من عام ١٤٣٠هـ —
- ٢٣٨ الفصل ل ثالث
- ٢٣٨ منبر الجمعة من الحرم المكي للعام الهجري ١٤٣١هـ —
- ٢٣٩ عنوان الخطبة : بداية العام الجديد وما يجب تجاهه
- ٢٣٩ تاريخ إلقاء الخطبة : الأول من محرم من عام ١٤٣١هـ —
- ٢٤٨ عنوان الخطبة : فضيلة الصدق
- ٢٤٨ تاريخ إلقاء الخطبة : التاسع والعشرون من محرم من عام ١٤٣١هـ —
- ٢٤٨ — فضيلة الصدق —
- ٢٦٠ عنوان الخطبة : الفتنة والابتلاء سنة جارية في الأولين والآخرين
- ٢٦٠ تاريخ إلقاء الخطبة : الخامس من ربيع الأول من عام ١٤٣١هـ —
- ٢٧٣ عنوان الخطبة : المسجد الأقصى فضله ومكانته
- ٢٧٣ تاريخ إلقاء الخطبة : الثالث من ربيع الآخر من عام ١٤٣١هـ —
- ٢٨٤ عنوان الخطبة : خطورة أذية المسلم
- ٢٨٥ تاريخ إلقاء الخطبة : السادس عشر من جمادى الأولى من عام ١٤٣١هـ —
- ٢٩٤ عنوان الخطبة : مصدر التشريع
- ٢٩٤ تاريخ إلقاء الخطبة : الحادي والعشرون من جمادى الآخرة من عام ١٤٣١هـ —
- ٣٠٥ عنوان الخطبة : خطورة الشهوات
- ٣٠٥ تاريخ إلقاء الخطبة : السابع والعشرون من رجب من عام ١٤٣١هـ —

- ٣١٦ عنوان الخطبة : سلامة الأسرة
- ٣١٦ تاريخ إلقاء الخطبة : الثامن عشر من شعبان من عام ١٤٣١هـ
- ٣٢٩ عنوان الخطبة : عمل اليوم والليلة
- ٣٢٩ تاريخ إلقاء الخطبة : : السابع من ذي القعدة من عام ١٤٣١هـ
- ٣٤٠ عنوان الخطبة : وقفة تأمل في ختام موسم الحج
- ٣٤٠ تاريخ إلقاء الخطبة : الثالث عشر من ذي الحجة من عام ١٤٣١هـ
- ٣٥٠ الفصل ————— ل ————— رابع
- ٣٥٠ منبر الجمعة ————— عة من الحرم المكي للعام الهجري ١٤٣٢هـ
- ٣٥١ عنوان الخطبة : مكانة الطفل في الإسلام
- ٣٥١ تاريخ إلقاء الخطبة : الثامن عشر من محرم من عام 1432هـ
- ٣٦٢ عنوان الخطبة : حرمة دم المسلم
- ٣٦٢ تاريخ إلقاء الخطبة : السابع عشر من صفر من عام 1432هـ
- ٣٧٢ عنوان الخطبة : صفات العلماء الربانيين
- ٣٧٢ تاريخ إلقاء الخطبة : الثاني والعشرون من ربيع الأول من عام 1432هـ
- ٣٨٢ عنوان الخطبة : نعمة الأمن في ظل توحيد الله
- ٣٨٢ تاريخ إلقاء الخطبة : عشرون من ربيع الآخر من عام 1432هـ
- ٣٩٢ عنوان الخطبة : آداب النوم والاستيقاظ
- ٣٩٢ تاريخ إلقاء الخطبة : الثامن عشر من جمادى الأولى من عام ١٤٣٢هـ
- ٤٠٢ عنوان الخطبة : شرف الانتساب للسلف الصالح
- ٤٠٣ تاريخ إلقاء الخطبة : الرابع والعشرون من جمادى الآخر من عام ١٤٣٢هـ
- ٤١٠ خطبة الجمعة : تأملات في معنى التشهد
- ٤١٠ من المسجد الحرام: التاسع والعشرون من رجب من عام ١٤٣٢هـ
- ٤٢٠ عنوان الخطبة : تقوى الله بصيام رمضان

- ٤٢٠ تاريخ إلقاء الخطبة : الخامس من رمضان من عام ١٤٣٢ هـ —
- ٤٢٩ عنوان الخطبة : ﴿ اذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً ﴾
- ٤٢٩ تاريخ إلقاء الخطبة : الحادي عشر من شوال من عام ١٤٣٢ هـ —
- ٤٣٨ عنوان الخطبة : فضائل وأحكام البلد الحرام.....
- ٤٣٨ تاريخ إلقاء الخطبة : السادس عشر من ذي القعدة من عام ١٤٣٢ هـ —
- ٤٣٨ - فضائل وأحكام البلد الحرام -
- ٤٥٣ عنوان الخطبة : وصية الله لحجاج بيته الحرام
- ٤٥٣ تاريخ إلقاء الخطبة : الثامن من ذي الحجة من عام ١٤٣٢ هـ —
- ٤٦٣ عنوان الخطبة : ثبات الإسلام واستقراره
- ٤٦٣ تاريخ إلقاء الخطبة : الثاني والعشرون من ذي الحجة من عام ١٤٣٢ هـ —

الفصل ————— ل

- ٤٧٥ خامس.....
- ٤٧٥ منبر الجمعة ————— من الحرم المكي للعام الهجري ١٤٣٣ هـ —
- ٤٧٦ تاريخ إلقاء الخطبة : الثامن والعشرين من محرم من عام ١٤٣٣ هـ —
- ٤٨٦ عنوان الخطبة : أسباب العقوبات العامة
- ٤٨٦ تاريخ إلقاء الخطبة : الرابع من ربيع الأول من عام ١٤٣٣ هـ —
- ٤٩٩ عنوان الخطبة : الشام .. فضلها وتاريخها
- ٤٩٩ تاريخ إلقاء الخطبة : الثاني من ربيع الآخر من عام ١٤٣٣ هـ —
- ٥١١ عنوان الخطبة : لماذا الخوف من الإسلام؟
- ٥١١ تاريخ إلقاء الخطبة : الرابع عشر من جمادى الأولى من عام ١٤٣٣ هـ —
- ٥٢١ عنوان الخطبة : عظات وعبر من قصة يوسف عليه السلام.....
- ٥٢١ تاريخ إلقاء الخطبة : عشرون من جمادى الآخر من عام ١٤٣٣ هـ —
- ٥٣٠ عنوان الخطبة : السعادة الزوجية

- ٥٣٠ تاريخ إلقاء الخطبة : الخامس والعشرون من رجب من عام ١٤٣٣ هـ
- ٥٣٨ عنوان الخطبة : رمضان أقبل
- ٥٣٩ تاريخ إلقاء الخطبة : الأول من رمضان من عام ١٤٣٣ هـ
- ٥٤٥ عنوان الخطبة : عبادات يسيرة بأجور كبيرة
- ٥٤٥ تاريخ إلقاء الخطبة : السادس من شوال من عام ١٤٣٣ هـ
- ٥٥٤ عنوان الخطبة : نصره الرسول صلى الله عليه وسلم
- ٥٥٤ تاريخ إلقاء الخطبة : الخامس من ذي القعدة من عام ١٤٣٣ هـ
- ٥٦٤ عنوان الخطبة : مقاصد الحج وشواهده
- ٥٦٤ تاريخ إلقاء الخطبة : السابع عشر من ذي الحجة من عام ١٤٣٣ هـ
- ٥٧٣ الفصل السادس
- ٥٧٣ منبر الجمعة من الحرم المكي للعام الهجري ١٤٣٤ هـ
- ٥٧٤ عنوان الخطبة : وقفة مع معنى البركة
- ٥٧٤ تاريخ إلقاء الخطبة : الثالث والعشرون من محرم من عام ١٤٣٤ هـ
- ٥٨٣ عنوان الخطبة : غزوة أحد وبشائر النصر
- ٥٨٣ تاريخ إلقاء الخطبة : التاسع والعشرون من صفر من عام ١٤٣٤ هـ
- ٥٩٤ عنوان الخطبة : الإيمان واليقين والثبات على الدين
- ٥٩٤ تاريخ إلقاء الخطبة : الخامس من ربيع الآخر من عام ١٤٣٤ هـ
- ٦٠٥ عنوان الخطبة : الموعودتان .. فضائل وآداب
- ٦٠٥ تاريخ إلقاء الخطبة : الثالث من جمادى الأولى من عام ١٤٣٤ هـ
- ٦١٥ عنوان الخطبة : الهمة العالية
- ٦١٥ تاريخ إلقاء الخطبة : السادس عشر من جمادى الآخرة من عام ١٤٣٤ هـ
- ٦٢٧ عنوان الخطبة : الحق منصور والباطل مهزوم
- ٦٢٧ تاريخ إلقاء الخطبة : الرابع عشر من رجب من عام ١٤٣٤ هـ

- ٦٣٢ عنوان الخطبة : رمضان وأحوال الأمة
- ٦٣٢ تاريخ إلقاء الخطبة : السادس والعشرون من شعبان من عام ١٤٣٤هـ
- ٦٤١ عنوان الخطبة : أدركوا نفحات رمضان
- ٦٤١ تاريخ إلقاء الخطبة : الرابع والعشرون من رمضان من عام ١٤٣٤هـ
- ٦٤٩ عنوان الخطبة : معالم للمسلم في أوقات الفتن
- ٦٥٠ تاريخ إلقاء الخطبة : الثلاثون من شوال من عام ١٤٣٤هـ
- ٦٦٠ عنوان الخطبة : توجيهات إلى حجاج البيت العتيق
- ٦٦٠ تاريخ إلقاء الخطبة : السادس من ذي الحجة من عام ١٤٣٤هـ
- خ_____ات_____مة
- ٦٧١ الكِتَاب_____

اسم المؤلف :

ابته _____ اج حجازي

بدوي سالم غبور

جمهورية مصر العربية

محافظ _____ ة الدقهلية